Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

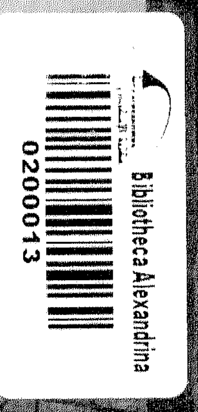
الجزء الثاني

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

مقارنة الأديان (١)

القرآن والتوراة
أين يتفقان
و
أين يفترقان..؟

حسن الباش





القرآن والتوراة

أين يتفقان
و
أين يفترقان ؟

الطبعة الأولى

1420 هـ / 2000 م

دار قتيبة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت – ص.ب: 14/6364

دمشق ص.ب: 13414

مقارنة الأديان

١

القرآن والتوراة

أين يتفقان و أين يفترقان ؟

الجزء الثاني

حسن الباش

دار قتيبة

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة البحث

درجت كلمة عقيدة على ألسنة الشعوب منذ زمن بعيد، واتخذت لدى الديانات الكتابية مسارا محددا، حتى أصبح يطلق على اليهودية والمسيحية والإسلام مصطلح عقيدة. وفي الإسلام اتسمت بقضايا الإيمان الواسعة، الصغرى والكبرى. وقد فهم المسلمون مباحث العقيدة، على أنها ترتبط بالتوحيد أولا، والمعاد، والجزاء والعقاب واليوم الآخر، وقد وصلت بحوثهم قمتها زمن الجدال الفكري، والاجتهاد الفلسفي، أيام المأمون في العصر العباسي، فتوسعت هذه المفاهيم وتفلسفت.

وكان لعلم الكلام دوره المهم في تطوير مفاهيم العقيدة ومصطلحاتها، ولا نبالغ إذ نقول: إن بحوث العقيدة في الإسلام هي من أكثر البحوث دقة وتعقيداً وتفلسفاً.

وقد اهتمت الدراسات الإسلامية الأكاديمية ببحوث العقيدة اهتماماً بالغاً، كونها تعتبر الأساس الديني في الإسلام.

لقد درج الباحثون منذ زمن بعيد أيضاً على إضفاء مصطلح عقيدة وعقائد، على ديانات الشعوب والأمم، وتداخلت بحوثهم مع علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) بجانبه الفكري والثقافي والديني. وبرز كثير من العلماء والباحثين في تناول هذه الدراسات، أمثال إدوارد تايلور. وأميل دوركهايم. وجيمس فرايزر. وغيرهم.

وصفوا عقائد الشعوب المتعددة، خاصة تلك التي تعيش في نظام قبلي متخلف عن الحضارة الحالية، وخاصة شعوب بعض مناطق أفريقيا، وأستراليا.

ومع هذه الدراسات التي اختلطت فيها العقائد بالعادات والتقاليد والمعتقدات السحرية، برزت دراسات على مساحات واسعة من العالم الغربي، تناولت العقائد الكبرى بالبحث وأنتجت عدداً لا يحصى من الكتب، ولاسيما تلك التي تتناول ما يسمى الكتاب المقدس، بشقيه العهد القديم، والعهد الجديد، وما يرتبط بهما من عقيدتي اليهودية والمسيحية. لكن المفكرين، وبدءاً من نهاية العصر الأموي، أولوا مسألة العقيدة عناية فائقة، وما إن بلغت الحضارة العربية الإسلامية ،أوجها، زمن الرشيد والمأمون، حتى أصبح علم العقيدة من أخطر العلوم الدينية، وبرز المعتزلة كأهم فرقة كلامية تحدثت بالعقيدة، وكذا الأمر بالنسبة للأشعرية، والمرجئة، والقدرية، والماتردية، والظاهرية.

ولما كان المسلمون الأوائل في المدينة المنورة، على احتكاك مباشر باليهود، وهم أصحاب عقيدة معروفة، برز جدل لم يتوقف بين المسلمين واليهود، وتناول جدلهم العقيدة في أدق تفاصيلها. واستمر الاهتمام بهذا الجدل، حتى برزت مناقشات ومناظرات بحضور الخلفاء، بين منظري الفكر

الإسلامي، وكبار الربانيين اليهود وغيرهم وتبع ذلك بروز كتب كثيرة، تناولت مفاهيم العقيدة اليهودية، ومقارنتها بما جاءت به العقيدة الإسلامية، من مفاهيم عقيدية.

ولعل من أهم الأسباب التي أججت الجدل والحوار، كون اليهودية تمتلك كتاباً يسمى التوراة وهو من أقدم الكتب الدينية التاريخية، التي تتناول في أسفارها ذات الله، وصفاته، وعالم الغيبيات الأخرى كالملائكة، والجن، والبعث، والموت واليوم الآخر، وما إلى ذلك. وكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً فقد حفل بمسألة الخلق والبعث، والدنيا والآخرة، ومواضيع أخرى، تقع في صلب العقيدة.

وبمعنى آخر فقد ارتبطت مفاهيم العقيدة بالكتب السماوية بالدرجة الأولى. القرآن، والتوراة والإنجيل. وباعتبار التوراة ـ رغم تحريفها ـ مصدر التشريع، حتى بالنسبة للعقيدة النصرانية، فإن الاهتمام بدراسة ما جاء فيها من قضايا عقيدية، كان الأساس الذي بنيت عليه الدراسات والبحوث المخصصة لقضايا العقيدة في الإسلام وكل من اليهودية والنصرانية.

لقد وقف العلماء والمفكرون المسلمون من التوراة واليهودية، موقفاً واضحاً عبر التاريخ. هذا الموقف يتجلى في نقد التوراة ونقد اليهودية. وما كان يتسنى لهم ذلك، لولا وجود القرآن الكريم، الذي لم يترك شاردة أو واردة في العقيدة اليهودية بشتى نواحيها، وبيّن ما جاء به النبي موسى عليه السلام، وما زيد عليه أو حرّف فيه. ومما قوّى حجة هؤلاء العلماء في الرد على الأفكار اليهودية، صحة قوة الحجج والبراهين القرآنية المتوافقة مع المنطق العلمي، والمنطق التاريخي، والمنطق الاجتماعي الإنساني، إضافة لكون التوراة خضعت في كتابتها وتدوينها لفترات زمنية طويلة ومتباعدة، ومن ثم اقتراب قضايا العقيدة التوراتية، من التركيبة الأسطورية، غير المتوافقة مع الفطرة الدينية

التوحيدية البشرية، والمنسجمة وثنياً مع الواقع التاريخي لأصحاب العقائد الوثنية الأسطورية في التاريخ القديم.

وقد ظهر لدى الدارسين التناقض في عقيدة اليهود، بعد أن دحض القرآن الكريم كثيراً من افتراءاتهم، وتحريفهم للعقيدة الموسوية الصحيحة، وهذا التناقض برز بشكل جلي في صفات الله، وعالم الغيبيات، حيث التجسيم والتشبيه، والقدرة الكلية المطلقة والأخرى النسبية. وكذلك الأمر بالنسبة لعمل الإله، وأعمال الملائكة والجن وإبليس، وما إلى ذلك.

لقد أثبت غالبية العلماء على شتى أجناسهم، عدم ثبات العقيدة اليهودية على الأسس المعروفة في العقائد السماوية، ولم يعتبروا ذلك التغيير أو التحول تطورا في الفكر العقيدي، إنما اعتبروه انحرافا، باعتباره يخص العقيدة وأسسها ولا يخص التشريع، والمعاملات والمفاهيم الاجتماعية، من علاقات مع البشر، ومع المخلوقات.

وحين ينظر الدارس في أسفار التوراة، سيرى أن أسس العقيدة تتغير وتتبدل بأسلوب انحرافي واضح، فما يرد في سفر التكوين نفسه مثلا يدلل بشكل مباشر على الانحراف والتعرج العقيدي. وكذا الأمر ينطبق على بقية أسفار التوراة. غير أن القرآن الكريم، حين يتحدث عن العقيدة لدى بني إسرائيل واليهودية، يشير مباشرة إلى طبيعة النفسية اليهودية، التي ترفض الثبات في العقيدة. فمنشأ العقيدة التي نادى بها موسى عليه السلام هو منشأ الوحدانية، وكذلك هي طبيعة العقيدة السماوية. لكن الملفت للنظر، أن اتباع النبي موسى عليه السلام، لم يكونوا اتباعه في العقيدة، على الرغم من أنه كان يدعو حثيثا إلى الثبات على العقيدة التي نادى بها. لقد كانوا أتباعا له في الرغبة في الهروب من الفراعنة. ولذلك نرى آيات القرآن الكريم تركز على مجريات

الأحداث، وعلاقتها بالعقيدة، بقدر ما يكونون على علاقة قوية أو ضعيفة بالخالق، وبقدر قربهم من الاستجابة لعقيدة موسى أو بعدهم عنها.

وفي كافة الأحوال، فقد أولى الباحثون والمهتمون بدراسة التوراة العقيدة اليهودية كثيرا من البحث والدراسة، حتى صار لدى القارئ مجموعة كبيرة من الكتب قد يختلف أسلوب المعالجة فيها، ولكنها تتفق جميعها في الأساسيات العقيدية والفروع في العقيدة اليهودية.

لقد سبق ورأينا بعض المفكرين العرب الذين صنفوا العقائد والديانات في العصور السابقة، قد تناولوا العقيدة اليهودية بأشكال مختلفة، وقد وصلتنا كتبهم، مما ساهم في زيادة معرفتنا للعقيدة اليهودية تحديدا.

صنّف في العقائد الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وتحدث عن اليهودية وفرقها ومذاهبها. وكذلك صنّف في العقائد والفرق الخطيب البغدادي وذلك في كتابه الفَرْقُ بين الفِرَقْ. وتبع الاثنين الفيلسوف ابن حزم الأندلسي الظاهري، وذلك في كتابه المهم. الفصل بين الملل والأهواء والنحل، وقد غلب عليه الحس النقدي والتحليل أحيانا بخلاف ما جاء به الكتابان السابقان على الرغم مما يشوبه من تهكم وإسفاف أحيانا.

ولم تقتصر البحوث في العقائد ـ خاصة العقيدة التوراتية ـ على هذه الكتب، إنما تأتي أهمية ذكرها، بسبب شمولها للعقائد، وإظهار ما فيها من أجزاء عقيدية متعددة.

ويطالعنا العصر الحديث بعدد من الكتاب والباحثين الذين تناولوا اليهودية وذلك ضمن عدة مناهج واتجاهات. ولا نستطيع أن نحصر جميع ما كتب حولها، إنما يمكن الإشارة إلى كتاب العرب واليهود في التاريخ للدكتور احمد سوسة وإلى كتاب (الله) لعباس العقاد. وكتاب مقارنة الأديان لاحمد شلبي وكتاب اليهود في القرآن لعبد اللطيف طبارة. وكتاب التراث الإسرائيلي

للدكتور صابر طعمه، وكتاب نقد التوراة للدكتور حجازي السقا. وكتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي. وكتاب لمحمد عزة دروزة. وكتاب للمفكر الإسلامي الفرنسي رجا غارودي.

وهناك الكثير من الكتب التي تناولت العقيدة اليهودية، وكثير من المقالات والدراسات التي تبث في الصحف والمجلات، والتي تهتم بمثل هذه القضايا.

لقد ألقى الباحثون الأضواء على العقيدة اليهودية، غير أن الدراسات تشابهت في المضمون، وإن اختلفت في الشكل والأسلوب، وكانت جميعها لبناتٍ تعمّر فوق بعضها بعضاً لبناء رؤية واضحة، لما كانت عليه وما آلت إليه العقيدة اليهودية. وعلى الرغم مما أتى به من إيجابيات بحثية جادة، إلا أنه يحتاج دوماً لتسليط الضوء والكشف. وأعتقد أن علم مقارنة الأديان كفيل أن يدرس العقيدة اليهودية بشكل واعٍ، ومتكامل، خاصة إذا ما صدمت نصوص التوراة بنصوص القرآن الكريم نصاً بنص وفكرة بفكرة.

لقد احتج بعض الباحثين أمثال الدكتور شلبي بأن قضايا كثيرة موجودة في القرآن الكريم غير موجودة في التوراة، وكذلك العكس. وعلى هذا الافتراض، لا نستطيع أن نلجأ إلى مقارنة النص بالنص.

والواقع أن الافتراض هذا ليس صحيحا خاصة بالنسبة لمسائل العقيدة. فذات الله وصفاته موجودة في التوراة، كما هي موجودة في القرآن الكريم. وتطور مفهوم الخالق أو الإله وجد في التوراة. وكذلك أوضح القرآن الكريم تطور مفهوم المعبود عند اليهود وبني إسرائيل من قبلهم، في كافة السور والآيات التي تناولتهم منذ خروجهم من مصر ودخول سيناء، وحتى فترة الصراع الواضح بين اليهود والمسلمين في المدينة المنورة والجزيرة العربية.

وكما أكدت نصوص التوراة نظـرة البشـر إلى الله المجـرد والغيـبي تـارة، والمجسد والمجسم تارة أخرى، فقد أوضح القرآن الكريم تطـور نظرتـهم إلى الله المجرد الغيبي، والمجسد والمجسـم. وكمـا اختلـف كتبـة التـوراة، وفرقـهم في فهمهم لطبيعة الله وذاته، كذلك بين القرآن الكريـم، اختلافـهم في ذلـك الفـهم وذلك في كثير من السور.

وعندما يدوِّن في التوراة فهم اليهود لعالم الغيبيـات المتضمـن القـوى غـير المنظورة كالملائكة والجن، فإن القرآن الكريم يشير بشكل مكشوف لهذا الفـهم، بل إن آيات القرآن الكريم ردت على مزاعمهم، وتصوراتهم التي أضافوها علـى التوراة الأصلية حول ذلك العالم الغيبي.

وحينما يغفل التوراتيون الحديث عـن بعـض مـهمات الملائكـة تـبرز لنـا آيات القرآن الكريم لتكشف مـا أغفلـوه، ويدحـض مزاعمـهم، مـن خـلال قـرع الحجة بالحجة، ومن خلال تحريك العقل باتجاه المقبول عقلياً ومنطقياً.

ولما كان الانحراف اليهودي كلاً لا يتجـزأ فإنـهم دوَنـوا في توراتـهم مـا تصوروه حول الجن وعلاقته بالأنبياء والبشر بعامة وأولوه أهمية بالغـة، حتـى خلطوا عن قصد أو عدم إيمان بين مهماته ومهمات الله أو الملائكة، وقد اعتبروه قوة خارقة متجاهلين محدودية قوته أمام قوة الخالق الكلية المطلقة.

لقد نسبوا إلى إبليس مهمات، هـي في أساسـها مـهمات الله سـبحانه أو مهمات الملائكة. وفعلوا العكس أيضـاً، عندمـا ألصقـوا بـالله والملائكـة، أعمـالاً إبليسية تمثل الشر المطلق.

ولم يغفل القـرآن الكريـم عـن ذلـك، بـل بـين بـالتصريح مـا آلـت إليـه تصوراتهم في خلط أعمال الشر المتمثل بإبليس، وأعمال الخير المتمثل بذات الله.

وبسبب من الطبيعة البدوية القاسية التي فطر عليها اليهود، رأوا بأن الله خادم لهم لم ينفذ ما يرغبون، فوجدوا أن الله لا يصلح أن يكون رباً إلا إذا واجه أنبياءهم وجها لوجه، وواجههم شخصاً بشخص. وحين يواجههم - حسب نصوصهم - فإنه يصبح خاصاً لهم. يطلقون عليه اسم يهوه تارة، ورب الجنود تارة أخرى، يقاتل من يقاتلون، وإذا عاند مزاجهم غضبوا وتحولوا عنه ريثما يعود إلى هدوئه ويبرد حموَ غضبه.

وتسجل آيات القرآن الكريم هذه التطورات العقيدية في الديانة اليهودية، والتي لم تحدث في أي عقيدة أخرى.

لقد عرفت اليهودية عدداً كبيراً من الأنبياء، وخلط اليهود بين من هو نبي خاص ومن هو نبي عام. ونسبوا لهم أنبياء التوحيد الذين بدأهم النبي إبراهيم عليه السلام وانتهوا مع موت يوسف عليه السلام. لكنهم وعلى الرغم من هذا الانتساب المفتعل لم تكن عقولهم تطيق منهج هؤلاء الأنبياء، فألصقوا بهم الكثير من الصفات السلبية غير الأخلاقية، وشوهوا مفهوم النبوة، وحذفوه أحياناً عن بعض الأنبياء.

إبراهيم يحاول أن يتاجر بزوجته سارة لأنها جميلة، ولوط يزني بابنتيه بعد تدمير سدوم وعمّوره. وإسحق لا يعرف من يبارك من أولاده عيسو أم يعقوب، ويعقوب يجلب الأوثان من بيت خاله لابان. والأسباط يغدرون بأخيهم يوسف، ويكذبون على أبيهم. أما الأنبياء الآخرون كموسى وهارون وداود وسليمان، فإنهم يمنحون الأول نبوة وشريعة ويمنعونها عن داود وسليمان. أما هارون فيصنع العجل الذهبي ليعبده بنو إسرائيل في غياب موسى عليهم السلام جميعهم.

ويغدو مفهوم النبوة غامضاً مشوشاً ومشوهاً، بل يغدو مقتصراً على التنبؤ السحري كما حدث مع أنبيائهم أيام السبي البابلي، فلا عصمة للأنبياء. الذي

يرتكبونه فاحشة كبرى. ولم يدحض افتراءاتهم وتشويهاتهم لمفهوم النبوة والأنبياء، سوى آيات القرآن الكريم.

لقد أعادت هذه الآيات الكريمة الاعتبار للنبوة والأنبياء. هذا الاعتبار الذي قصد اليهود أن يلغوه إلغاء كلياً.

واستناداً على مقولة شعب الله المختار، فقد رأوا في أنفسهم مرتبة فوق النبوة وفوق الأنبياء. ويرون أحياناً أنفسهم فوق الإله ذاته، طالما يسير هذا الإله حسب رغبتهم وهواهم.

ويتضح الفارق واضحاً بين عقيدة الأنبياء في التوراة وعقيدتهم في القرآن الكريم ولعل مسألة التوحيد هي أهم ما في هذه العقيدة، لكن فلسفة الانحراف اليهودية لم تصل إلى مستوى فهم عقيدة التوحيد كما أقرها الله سبحانه وتعالى. وكما فهمها الأنبياء.

ولما كانت عقيدة التوحيد عقيدة جميع الأنبياء، فقد أنكر اليهود نبوة بعضهم ليفصلوا التسلسل التوحيدي، الذي أراده الله سبحانه لمسيرة العقيدة بين أنبيائه منذ النبي آدم عليه السلام وحتى محمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى الرغم من أن الأنبياء ـ ولا سيما موسى وعيسى ويحيى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، قد بشروا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن اليهود الذين لا يروق لهم الاستقامة على التوحيد، رفضوا كل ما قاله الأنبياء بشأن النبي العالمي القادم محمد صلى الله عليه وسلم.

وحين بعث الله سبحانه عيسى بن مريم نبياً مصححاً لمسيرة الضلال اليهودي، تناقضت مصالح اليهود مع دعوته، ورفضوه، كما رفضوا دعوته التوحيدية وحاربوه وحاولوا قتله.

وهكذا فإن مفهوم النبوة جاء في التوراة وفي اليهودية مشوهاً مشوشاً عن قصد وعن سابق إصرار.

ويظهر أن رحلة الحياة في العقيدة اليهودية، أولت اهتمامها الأكبر للدنيا دون الآخرة، فهي المنشأ، وهي الغاية. ومن كان سعيداً فيها فهو في جنة الخلد. ومن كان شقياً فقيراً فهو في الجحيم. ولا نعيم ولا جحيم إلا في هذه الدنيا. ولذلك نرى أصحاب اليهودية أكثر الناس حرصاً على الحياة الدنيا، لأن المخلوق ينتهي بالموت إلى عالم ضبابي معتم، فيه الشك والظن السلبي. ولأن العلاقة بين المخلوق والخالق علاقة مصلحة مادية، فلا اعتبار لعالم ما بعد الموت. ونادرة هي ملامح يوم البعث والقيامة. والحساب هو حساب الدنيا في غالبية الحالات. لا عمل يُثاب عليه البشر ولا عقاب.

وبعض الفرق اليهودية الضعيفة والمحدودة عدداً وتأثيراً، ترى أن مسيحاً منتظراً سوف يأتي إلى الأرض، ويقيم مملكة العدالة فيها، ويسحق مع أتباعه، كل الكفرة والمرتدين عن الشريعة. ولكن إلى أي مدى يقيم هذا المسيح العدل على الأرض؟ لا ندري المهم أنه يقيم العدل الألفي السعيد كما يدعون. ولكن ماذا بعد الألف السعيدة؟ لا أحد يدري. وكل ذلك غامض غير واضح في العقيدة اليهودية. وغير ثابت.

وتأكيداً على أساطير اخترعها اليهود والبروتستانت، فقد رأوا أن العالم سينتهي بحرب مدمرة، أطلقوا عليها اسم معركة هرمجدّون. ويكون فناء الكون نتيجة حتمية لها. فقط عندها ينتهي الكون وتنتهي البشرية. أما ماذا بعد ذلك فليس هناك أي وجود، وليس هناك أي مصير أخروي وليس هناك إله، وحساب وموازين.

وهذا الحس الأسطوري، يكاد يكون عين الحس الوجودي المادي الذي يرى كل شيء في هذا الكون، خارجاً عن نطاق الدائرة الكونية. وخارجاً عن

نطاق خالق مبدع، فالكون حسب نظرهم، تحكمه قوانين الطبيعة الصمّاء والصُّدف العمياء.

لقد فضح القرآن الكريم ادعاءات اليهود وتَقَوُّلاتِهم بشأن العلاقة مع الله. وفضح خفايا نفوسهم، وزيفَ ما يدّعون، وحقيقة ما يسرون ويبطنون ويضمرون.

ولعل الأدهى من ذلك كله، اختراع أحبار اليهود لما يسمى التلمود، الذي فسر التوراة في المشنا والجمارا، تفسيرا حاخاميا، يُدرج المصلحة اليهودية فوق كل مصلحة، ولو كانت ربانية إلهية، ويصبح هذا التلمود أهم من التوراة في المرجعية الحياتية والتشريعية، فالعقيدة اليهودية تصبح عقيدة الأحبار، وعقيدة التلمود، وليست عقيدة موسى ولا حتى عقيدة التوراة، على الرغم مما فيها من اختلاط بين الواقعية والأسطورة، وبين ما هو عقلي وما هو غير عقلي.

وتلعب الفلسفة دورها الخطير في تطوير العقيدة اليهودية منذ زمن بعيد، حتى يصبح مثلا موسى بن ميمون أهم بكثير من النبي موسى عليه السلام، ويصبح منظرو الفلسفة اليهودية أهم بكثير من أنبياء بني إسرائيل وتعاليمهم. وذلك يؤكد أن اليهودية ليست عقيدة ترتبط بالسماء بقدر ما ترتبط بالفلسفة الوضعية والتحولات المصلحية.

ومن هذا المنطلق جعلوا مفاهيم المثل والقيم مقلوبة المضمون، محصورة في الاتباع، تصبح الحرية بمفهومها، حرية الإنسان المطلقة، وتصبح الإرادة الفردية اليهودية مطلقة اليدين، الخطأ فيها صواب، والشر بعينيها خير، القدر بيدها والكون كله ملك لنوازعها. وهذا ما كشفه القرآن الكريم كشفا دقيقا واضحا. لقد أكد كتبة التوراة الحس العنصري والفوقية، وجعلوا من تعاليم هذا الكتاب أفكارا خاصة لاتباع اليهودية. لم يطرحوا في التوراة عقيدة مفتوحة للآخرين، وكانت عقيدتهم قومية عنصرية، غير إنسانية وغير عالمية. اكتنفت تطبيقاتها الأسرار الغامضة، وسيطرت عليها. وما يزال اتباع اليهودية يبثون أفكارا

تهديمية مخربة في كافة بقاع الدنيا، وذلك بسبب عدم قناعاتهم وعدائهم للعقيدة التوحيدية، والأنبياء جميعا. وبسبب قناعاتهم بأن العنصرية اليهودية فوق العقيدة، فقد رأوا في العقائد الأخرى خطرا عليهم فراحوا يبثون أفكار التهديم والتخريب في جميع المجتمعات. ودفعوا باتجاه إنشاء حركات دينية تارة تؤمن بالشيطان، وأخرى تؤمن بالإباحية الجنسية. والثالثة تؤمن بخرافات سحرية. إضافة إلى حركات الماسونية الهدامة واندية الروتاري والليونز والبوند والفرقة الداودية، وغير ذلك من الحركات الدينية التخريبية المدمرة المنتشرة في كافة أنحاء العالم.

لقد رصدت أجهزة الأمن الأمريكية اكثر من أربعمائة حركة دينية لها عقائدها ومعتقداتها في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها. إنها طبيعة أتباع اليهودية، التي صنعها أحبار اليهود، وفلاسفتهم، وطوروا في توراتهم وما يزالون يطورون، وكل ذلك حسب ما تقتضيه الظروف، وحسب ما تقتضيه المصلحة الخاصة لليهود.

ولهذا قسّمنا هذا الجزء إلى مقدمة وستة فصول وملحق. وذكرنا في المقدمة نبذة عن علم مقارنة الأديان، ودور الفرق الكلامية في تشعُّب مفهوم العقيدة. ثم وضعنا في السياق سؤالاً هل اليهودية عقيدة، وما هي سماتها ثم في ضوء ذلك تحدثنا عن مقارنة الأديان ومنهج مقارنة النص التوراتي بالنص القرآني ثم ما مدى إدخال الأساطير في العقيدة اليهودية من قبل بعض الأحبار اليهود.

وفي الفصل الأول: درسنا العقائد في التاريخ وسلّطنا الضوء على عقائد الشعوب القديمة التي عاشت في منطقة الوطن العربي وكذلك شعوب الهند والصين واليابان وعالم الشرق القديم. وتناولنا اليهودية من حيث منشؤها وبيئتها وموقعها بين العقيدة الوضعية والرسالة السماوية. وبينّا أن اليهودية عقيدة منغلقة وليست عالمية بل هي عقيدة عنصرية.

وفي الفصل الثاني: تحدثنا عن العقيدة اليهودية ورحلة التصوّر اليهودي للإله. ثم تناولنا بالبحث مفهوم شعب الله المختار والإله القبلي المختار. وكذلك الإله التوراتي غير الثابت والضائع الهويّة. والإله المجسَّد وكذلك إله الذهب. ثم تناولنا مفهوم الإله المحارب عند التوراتيين، وكذلك الإشراك بالوحدانية لدى اليهود. ثم تناولنا تطور مفهوم الإله عندهم ومن ثم عند فلاسفتهم.

وفي الفصل الثالث: تناولنا مفهوم النبوة لدى اليهودية ومعالمها وسماتها. من خلال مفاهيم تتعلق بالإيمان بالأنبياء وحاجة الناس إليهم. وتناولنا بعض الأنبياء الذين اشتركت التوراة والقرآن الكريم في الحديث عنهم، وعن بعض الأنبياء الذين انفرد القرآن الكريم بالحديث عنهم وكذلك الأنبياء الذين انفردت التوراة بالحديث عنهم. ثم تحدثنا عن منهج الدعوة لدى الأنبياء جميعاً. وتحدثنا في هذا الفصل عن الأسرار التي تمنع اليهود من الاعتراف بنبوة المسيح عليه السلام ونبوة محمد صلى الله عيه وسلم.

أما الفصل الرابع: فقد تناولنا فيه عالم المخلوقات الخفيّة كالملائكة والجن وتحدثنا بإسهاب عن طبيعة هذه المخلوقات وكيف فهمها كل من المسلمين والتوراتيين.

وفي الفصل الخامس: تناولنا مفاهيم الموت والبعث والجنّة والنّار والحساب والعقاب وما إلى ذلك من مفاهيم.

وفي الفصل السادس: تحدثنا عن تطور العقيدة اليهودية عبر التاريخ ودور الأحبار والفلاسفة اليهود في هذا التطور. ثم تناولنا الفِرق اليهودية وكذلك المذاهب والصراعات التي حدثت وما تزال قائمة بينها. ثم تناولنا أفكار بعض الفلاسفة اليهود وكيف ساهموا في تطوير العقيدة اليهودية.

وألحقنا هذا كلّه برسالة لأحد الحاخامات الذين أبطلوا العقيدة اليهودية ورفضوها.

وتوضيحاً لمضمون القسم الثاني من الجزء الثاني كان لابد لنا من وضع استكمال مفصّل لما في الجزء الثاني من الكتاب.

فقد امتازت بعض الأمم والشعوب القديمة بوضع تشريعات وقوانين تنظم حياة الإنسان وارتباطه بالإله إن كان واحداً، أو بالآلهة إن كانت متعددة، وكذلك ارتباطاته بأخيه الإنسان، إن كان من أبناء شعبه أو أمته أو كان من أبناء الشعوب المغايرة.

ومنذ وجد الإنسان العاقل على هذا الكوكب، وجدت معه علاقات، أقامها مع الخالق ومع الإنسان، وهذه العلاقات هي على الأغلب علاقات ود ومحبة وخشية وخوف. وتعبيرا عن هذه العلاقة أوجد هذا الإنسان طقوسا حركية وقولية وسلوكية تشير إلى نفسه، بأن العلاقة تحتاج لتنفيذ رغبة معينة يريدها الخالق، إن كان خالقا متصوراً كما في العقائد الوثنية أو كان خالقا صمداً فرداً كما في العقائد التوحيدية.

ومن ذلك وجد ما يسمى العبادات، وهي الرابط المقدس بين الله والإنسان، والرابط المتصور بين الإنسان الوثني ومجموع الآلهة التي صنعها خياله، ثم عبدها إما لتكون زلفى وواسطة بينه وبين الخالق الأكبر، وإما أن تكون رمزا لهذا الخالق المحيّر العجيب.

وعندما أصبح جنس البشرية أفرادا يعدون بالآلاف والملايين، رأى الإنسان نفسه بحاجة إلى قوانين تنظم التعامل بين البشر في كافة شؤون الحياة المادية أو العقلية والنفسية أو الروحية. فوجد ما يسمى المعاملات، وأصبح من المسلم به أن هذه المعاملات تحتاج دوما لقوانين تتجدد كلما تعقّد التعامل بين البشر وكلما ازدادت المصالح اتساعاً وشمولاً وعمقاً.

ومن هنا يفرض علينا البحث أن نوضح في الصفحات الأولى معنى العبادات ومعنى المعاملات كما فهمها الإنسان التوحيدي أيضاً. فلكل منهما أسبابه وأهدافه وغاياته ولكل منهما علاقاته المختلفة باختلاف الارتباط بينه وبين المعبود.

فالصلاة عبادة مثلاً، وقد وجدت صلوات لدى غالبية الشعوب موحِّدها ووثنيها، وهي بشكل عام صلة بين الإنسان وبين القوة الخالقة. وهي إما حركات ذات طقوس محددة، وإما كلام يتوجه به المرء لخالقه وقد اختلفت هذه الصلاة من أمة لأمة ومن عقيدة لعقيدة.

فالصلاة عند الشعوب الوثنية صنعها الكهنة وكبار رجال الدين وأوجدوا لها طقوسا حركية وكلامية، واتبعهم فيها عامة الناس، وقد أضفوا عليها من تصوراتهم كثيرا من الأساطير والقداسة حتى تكون مقبولة لدى اتباعهم.

أما في العقائد التوحيدية فقد كان العكس تماما، فقد فرضها الله على الموحدين أي أنها لم تكن إرادة ورغبة بشرية بل هي إرادة إلهية وقد أوحى الله سبحانه إلى مبلّغ الرسالة أي النبي والرسول بأن هذه الصلاة تكون على الشكل كذا حركة وقولا. وإذا نظرنا إلى الصلاة مثلا في العقيدة الإسلامية وجدنا أن كل حركة فيها وكل قول يقال أثناءها له غايته وله مبرراته العقيدية. وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوضح ذلك من تعليمه للصحابة وسلوكه التعبدي أمامهم.

وكذلك الصوم فهو عبادة، والصوم الامتناع. وقد اتخذ طرقا عدة، منها الصوم عن الطعام. والصوم عن الكلام. والصوم عن السلوك الحركي الذي يتنافى مع التعبد والأخلاق الحميدة والمعاملات الحسنة مع الناس.

وإذا دخلنا التفاصيل وجدنا أن العقائد بشكل عام حفلت بالصوم، فمن العقائد ما يفرض على المتعبد صوماً عن كل ما ينتجه الحيوان من دهن أو لحم

أو بيض أو حليب إلخ... ومنها ما يفرض على المتعبد الالتزام بكلامٍ محمـود أو بإيماء دون كلام أو ما شابه ذلك. ومنها ما يفرض على المتعبد صوماً عن الأكـل والشرب والكلام الفاحش المضر والسلوك الشائن غـير الأخلاقـي وغـير المسؤول وبذلك يصبح الصوم عبادةً كليـةً خاصـةً لهـا مـيزات قـد تختلـف عـن مجمـل العبادات ولذلك يقول معنى الحديث القدسي عن الله سـبحانه. الصـوم لي وأنـا أجزي عليه، وقد يرتبط الصوم بحدث وزمن أو بمأساة أو مسـرة فيكـون تطوعـا من الفرد لأن فيه تحقيق وعد ووفاء لمن قطع على نفسه من عهود. أو أن يكـون تضرعا طمعا في إبعاد مصيبة أو حلول مسرة أو رفع شدة.

وكذلك الجهاد في سـبيل الله، فـهو يـأخذ في العقـائد التوحيديـة معنـى شموليا يحوي الذود عن الحرمات والمقدسات والأوطان ويحوي مجاهدة النفس، وعدم إطلاق العنان للشهوات المضرة للفرد والمجموع. ويصبح هذا الجهاد عبادة عندما يفرضه الخالق على عباده وذلك لأسباب وأهداف وغايات. وعندما يدرك المؤمن ويوقن بـأن الجـهاد فـرض إلهـي لـه أسـبابه الواضحـة وأهدافـه المعلنـة وغاياته، فإنه ينفذ هذه العبادة دون أي اعتبـار للنتـائج علـى مسـتوى "الأنـا" المختبئة خلف الشخصية.

وإذا ما نظرنا بشكل دقيق لمعنى العبادة على المستوى الشـمولي نـرى أن هناك أسساً واضحةً لها، وآفاقاً تتسع لتشمل جميع أعمال المرء. فكل عمل يُراد به وجه الله عباده وكل عمل يُقصد من ورائه منفعـة البشـر عبـادة. ولعـل هـذا الربط بين عمل الخير والعبادة هو ربط كلـي يقصـد بـه إعمـار الكـون لا خرابـه وإصلاح حال الدنيا والناس لا إفسادهما. ومن ثم خلق يقين عند المـرء بـأن كـل عمل خير هو خير له وللمجموع. خير له في دنياه وآخرته. وبالمحصلة فالعبادة مجموعة قوانين تضبط العقل والنفس والـروح وتوجـه الوجـدان والفكـر والجسـد نحو الخالق، فتنعكس سلوكاً وتعاملاً في كافـة شـؤون الدنيـا مـن علاقـات مـع

الإنسان والحيوان والنبات والجماد ومع كل مخلوقات الله على الأرض وتحتها وفوقها وما بينها وبين السماء. ولهذا كان الإيمان مقرونا بالعمل، وكانت العبادة مقرونة بالسلوك الاجتماعي. فالصلاة لا تعتبر صلاة ما لم تنه عن الإفساد والمنكر. والصيام ليس صياما ما لم يمتنع الإنسان عن استغابة الآخرين أو غشهم أو سرقتهم أو إبخاس الميزان الذي يكيل البضاعة لهم. والجهاد ليس جهاداً ما لم يكن مقرونا بنشر الدعوة التوحيدية وردع العدوان وتحرير الأوطان. الجهاد ليس جهادا إن كانت غايته السلب والنهب وقطع الرؤوس وإبادة الجنس البشري.

والعفيدة أي عقيدة توضع لها موازين تحدد حقوقاً وتوجب واجبات. تنظر للمخلوق نظرة كلية. فالإنسان كرجل له حقوق وعليه واجبات وكذلك المرأة والشاب والبنت فإذا تدخلت اليد البشرية في صنع القوانين والنظرات الفكرية والنفسية الموجهة نهو تقييم الفرد فإنها مهما حاولت الرقي في الموازين تظل ملتزمة بنوع من الأهواء الشخصية أو المزاجية. فربما ظلمت المرأة وهي تظن أنها أنصفتها وربما تستلب الرجل بسبب لونه أو عرقه كثيراً من حقوقه الإنسانية الأولية وحين تفسر القوانين حسب المصلحة الذاتية تصبح مقاييسها جائرة. فقد تظلم فرداً أو أفراداً ولكنها في مراحل كثيرة قد تظلم شعوبا بأكملها مما يخلق في الأرض نزاعات وحروباً دامية تودي بحياة أبناء الأمم وحضاراتها.

وفي هذا المبحث نعود إلى دراسة العبادات والمعاملات كما وردت في التوراة وكما وردت في القرآن الكريم مستكملين بحوث المقارنة التي تناولت مسألة الخلق الكوني والتاريخ الإنساني وكذلك مسائل العقيدة والمعتقد.

ولكون التوراة كتاباً تشريعياً يهودياً يعج بألوان العبادات والمعاملات كما يراها أتباع اليهودية فإنه يصبح من الواجب علينا أن نتناول النصوص التوراتية ذات الشأن في المعاملات والعبادات مستندين في ذلك على ما جاء في القرآن

الكريم من موافقات وتفصيلات قد تفضح زيف قوانين التشريع اليهودي وتفضح ما آلت إليه هذه التشريعات من تحريف مقصود.

ولأن القرآن الكريم تناول الشخصية اليهودية تناولاً تفصيلياً دقيقاً، فإننا سنوضح معالم هذه الشخصية وسماتها وما لها من شطحات تعبدية، وما صنعت لنفسها من تعاليم تحدد طبيعة المعاملات مع أبناء اليهودية من جهة ومع أبناء الأمم الأخرى من جهة أخرى. لقد فصلت ثمانمائة سنة بين نزول التوراة الحقيقية على النبي موسى عليه السلام، وبين تدوين ما يسمى التوراة. لقد دوّن التراث الشفهي التوراتي كله زمن السبي البابلي. وكانت هذه السنون الطويلة كفيلة لصنع عبادات ومعاملات تختلف كلياً عما كان عليه في الأصل.

وبسبب من اختلاط بني إسرائيل بالكنعانيين والمصريين والبابليين وغيرهم فقد استفاد كتبة التوراة من تراث هذه الشعوب العقيدي والحياتي فاستلهموا الطقوس والقوانين وباتت نسخة مشوهة عن أصولها.

ففي العبادات لم يعد الرابط بين أتباع اليهودية والخالق سوى رابطة المصلحة والهوى. فالإنسان هو الذي أضفى على معبوده ما يريده. وتصبح العبادة أمراً شخصياً مقرراً من الإنسان وليس من الله.

وبسبب من التقلب الشنيع المستمر في العقيدة أصبحت العبادات ذات علاقة بالوثن والميت والملك. ونُحّيَ الخالق وتعاليمه التعبدية. لقد تقلب بنو إسرائيل في عقيدتهم تقلباً لم يُعرف في أي فئة على مدار التاريخ كله. وهذا التقلب جعل أتباع هذه العقيدة يغيّرون عباداتهم تغييراً سريعا فاختلط التوحيد بالوثنية واختلطت تشريعات الإله بقوانين الكهنة والأحبار والحكماء وطورت الصلوات حسب الظرف وحسب الحالة النفسية فأصبح كل متنبئ أو مصلح يفرض على أتباعه ما تمليه عليه تصوراته وإحساساته. وكذا ظل الأمر كذلك حتى تعقدت العبادات والمعاملات تعقيداً لم تشهده عقيدة أخرى.

وبسبب من النظرة الدينية العنصرية كرس علماء اللاهوت اليهود كل جهودهم لوضع قوانين تحدد العلاقة بين اليهودي وغيره من أبناء الأمم وأصحاب العقائد الأخرى. حرّموا الربا بين اليهودي واليهودي وحللوه مع (الغوييم) الغرباء غير اليهود.

اعتبروا أن الإحسان لغير اليهودي خطيئة وذنب. وجعلوا الزنا حلالاً مع النساء غير اليهوديات لأنهن برتبة الإماء والعبيد أو حتى الحيوانات.

بينما راحوا يشددون في بداية عهد التدوين في قوانينهم التي تحكم أبناء عقيدتهم. أما الحلال والحرام فهو نسبي دوما ومتقلب حسب الظرف، وحسب من يعاملون من البشر إن كانوا يهوداً أو غير يهود. فما كان اليوم حلالاً يصبح غداً حراماً. وما كان حراماً لدى أبناء جنسهم يصبح حلالاً أو محللاً مع الغرباء. والمتصفح لعشرات الآلاف من صفحات التلمود الذي هو شرح لقوانين التوراة المدونة يجد أن اليهودية أصبحت عقيدة يصنعها كبار الربانيين ولا تمت بصلة إلى تعاليم موسى. حتى أنهم اعتبروا التلمود كلام الله الذي نزل شفاهية ومن لم يؤمن بالتلمود لن يفيده الإيمان بالتوراة.

وهذا التلمود نفسه، هو الذي ينظم حياة الفرق اليهودية في غالبيتها. في شؤون الزراعة والتجارة والصناعة والطهارة والنجاسة وجميع العبادات والمعاملات إن كانت معاملات تعبدية أو معاملات إنسانية بشرية. وعلى الرغم من أن التحريف في التوراة واضح ومقرّ من قبل كافة الدارسين والباحثين فإن كتبة التلمود وشارحيه فضّلوا أن يتوقفوا عند قوانينها وصنعوا التلمود حتى يتناسب كلية مع نفسيتهم وعلاقاتهم مع الكون ومع البشر والمخلوقات الأخرى.

وبناء على ما تقدم من نظرة شمولية حول العبادات وبعض المعاملات فقد قسمنا هذا البحث إلى سبعة فصول ومقدمة وخاتمة.

الفصل الأول: وقد سلطنا فيه الضوء على عبادات الشعوب الشرقية القديمة ومعاملاتها بشكل مختصر ومكثف، القصد من ورائه التنبيه لبعض طقوس وعبادات التوراتيين التي اقتبست من عبادات تلك الشعوب. ولما كان الفراعنة والبابليون والكنعانيون أكثر أقسام الشعب العربي التي كان لها علاقة سلمية وحربية مع اليهود فقد كانت لنا جولة في بعض عباداتهم ومعاملاتهم وبعض قوانينهم التي استفاد منها مدوّنو التوراة وكاتبو التلمود.

صحيح أن التوراة ولاسيما أسفار موسى الخمسة فرضت عبادات ومعاملات على بني إسرائيل، وصحيح أن بعضها لا يختلف في جوهره عن تعاليم التوحيد والرسالات السماوية، ولكن التدوين الذي تم بعد نزول التوراة بأكثر من سبعمائة سنة طور في مفاهيم كثيرة في العبادات والمعاملات، وذلك بسبب احتكاك بني إسرائيل بالبابليين الذين عرفوا التشريعات والعبادات، وعرفوا المعابد بشكلها الراقي فالصلاة حُددت أوقاتها بثلاثة أوقات بعد أن كانت مسموحة في أي وقت وفي أي وضع نفسي. وكذلك ما يقال في الصلاة. فلم يعد ما قاله موسى عليه السلام، هو الوحيد الذي يقال بل زيد عليه بما يتناسب مع الظرف والحالة النفسية لبني إسرائيل. واختلطت الأقوال التعبدية بتوجهات سياسية فرضها الكهنة ورجال الدين والمتنبئون الذين ظهروا أيام السبي البابلي وأيام الاغتصاب الثاني لأرض فلسطين بمعاونة الفرس.

وما ينطبق على القرابين هو نفسه الذي ينطبق على الصلاة وغيرها من العادات التعبدية ولكن الذي يدهش أن الكهنة الذين تسلّطوا على بني إسرائيل أصبحوا هم الذين يستفيدون من التقدمات العينية كالأضاحي والأموال والتقدمات الأخرى. وأصبح على جماهير اليهود واجب الدفع لهؤلاء الكهنة دون نقاش. ومن يرفض التقديم لهم يطرد من قومه وتحاك ضده المؤامرات فينفى أو يقتل أو تشوّه سيرته وسمعته وتصبح طبقة الكهنوت ذات امتيازات عالية لا

يصل لها بقية الناس العاديين وقد وصفهم القرآن الكريم في بعض الآيات وفضح أساليبهم في نهب أموال الناس بالحرام.

أما الفصل الثاني: فقد تناولنا فيه مفهوم المعبد ومن ثم مفهوم العبادة في التوراة وبيّنا أن مفهوم المعبد لم يكن عند بني إسرائيل ذا أهمية أو حتى اهتمام على الإطلاق، لقد عاشوا في الصحراء عشرات السنين دون أن يحتاجوا لما يسمى معبداً. وقد ربطتهم خيمة الاجتماع ثم ربطهم تابوت العهد. وكلاهما ينقلان من مكان إلى آخر دون ثبات أو استقرار. وكانت غالبية عباداتهم تقتصر على تقدمة القرابين والمحرقات في الخلاء وعلى كومات من الحجارة يصنعونها لذلك. وبعد مرور مئات السنين أنشأ اليهود أول معبد في ضواحي القدس على يد النبي سليمان. وبدل أن يكون المعبد معبدا توحيديا أصبح معبدا وثنيا حسب ما وصفته التوراة، تمارس فيه طقوس عبادة الأوثان والأصنام التي تمثل آلهة الشعوب المختلفة. وقد هاجم أنبياء التوراة ما فعله بنو إسرائيل في هذا المعبد هجوما قاسيا.

وقد استغل الكهنة وجود هذا المعبد ليكسبوا من وجودهم فيه المال والتقدمات وليكسبوا الموقع السياسي والاجتماعي المميز بين بني إسرائيل.

وبدا واضحا أن هناك تحولاً في العبادات، طالما أصبح لديهم مركز للعبادة فيجب تقنين هذه العبادات، ويجب اختراع طقوس جديدة تناسب الوضع المكاني للمعبد فلذلك نرى هذه العبادات في طور التوسع في حركاتها وأقوالها وطقوسها. ولما حدث السبي البابلي كان لا بد من دمج العبادات بالحس السياسي، فالقدس لم تعد مجرد معبد يربط اليهود بالعقيدة بل أصبح حلما سياسياً تقدس فيه أو له كل المقولات السياسية بدءاً من تجميع بني إسرائيل وانتهاءً بما يسمى العودة أو التسرب الثاني إلى أرض فلسطين.

أما الفصل الثالث: فقد كرس لدراسة طبيعة الطقوس في العبادات وبيّنا فيه أنواعا من التسابيح اليهودية والتوسّلات والتشكرات، وبيّنا أيضا كيف أصبحت للصلاة أوقات. وأوضحنا الأقوال التي تقال في الصلاة وكيف أن الكهنة اخترعوا أقوالا جديدة تقال في الصلوات لم تكن موجودة في التوراة وقد اخترع الكهنة ما يسمى التبريكات الثماني عشرة وضمنوها اللعنات التي تستهدف العقائد الأخرى ولاسيما المسيحية. وقد صدّر اليهود كتبا للصلاة لكل فرقة كتاب يختلف عن الآخر. وبيّنا أن القرّائين من اليهود صنعوا لأنفسهم كتابا للصلاة لا يأخذ بما جاء في التلمود. ثم اخترع اليهود أنواعا من الصيام لم تكن موجودة في التوراة أيضا. ومنها صيام إحراق بيت المقدس وهذا ما فرضه أحبار اليهود وأنبياء التوراة أيام السبي البابلي.

أما التفاصيل المتعلقة بالقرابين فقد جاءت على غالبية الطقوس التي تقام بشأنها. وقد بيّنا منذ البداية أن قضية القربان بالنسبة للديانات السماوية بدأت منذ ولدي آدم عليه السلام. وكذلك بيّنا أهمية تقديم إبراهيم عليه السلام لابنه كي يذبحه وكيف فداه ملاك الله بكبش عظيم. وقد جاءت القرابين متنوعة، فهي تضم الحيوانات الطاهرة وبعض الحبوب والزيت ثم فصّلنا القول في أنواع الذبائح التي كان عليها اليهود وطوّروا في مفاهيمها وأنواعها. وذكرنا أعياد اليهود وما يقام بها من طقوس وأشرنا لفطير صهيون وكيف يقدم فيه دم غير اليهودي معجونا بالدقيق. وشمل هذا الفصل معنى الحج وأهمية بيت المقدس بالنسبة لحج اليهود. ومدى تماديهم في اختراع الأساطير حول ما يسمونه حائط المبكى الذي هو حائط البراق.

أما الفصل الرابع: فقد خصّصناه لدراسة بعض التشريعات الفقهية لدى العقيدة اليهودية وهي تتعلّق بالطّهارة والنجاسة بمفهوميهما العامّين. وفيه أيضا

توضيح لكافة أنواع النجس عند المرأة والرجل. وأوضحنا كيف ضيقت الشريعة اليهودية على أتباعها واضطهدت المرأة اضطهادا كبيرا.

وقد أوضحنا حسب النص التوراتي نوعية الحيوانات والطيور والحشرات النجسة والطاهرة.

وقد بينا من خلال آيات القرآن الكريم ما حُرِّم على بني إسرائيل وما حُلِّل لهم موضحين من خلال هذه الآيات كيف حرّف اليهود الأحكام الخاصة بالتحريم والتحليل.

ولعل الزواج والطلاق من أهم الأمور التي اهتمت بها الشريعة اليهودية. ولذلك فقد فصّلنا فيها القول. في الشروط والمهور والسن. والعادات والتقاليد التي حكمت اليهود في زواجهم وطلاقهم. لقد حرمت اليهودية الزواج من غير عقيدتها. بيد أن اتباع هذه العقيدة ظلوا ملازمين الزواج من القريبات وظل الأنبياء التوراتيون يرفضون الاختلاط . ويرفضون زواج اليهود إناثاً كانوا أو ذكوراً من الأمم الأخرى. ليحافظوا على مزاعم العرق اليهودي الذي لا يجب أن يختلط متجاهلين أن العقيدة شيء والعرق شيء آخر. ومتجاهلين كذلك أن أتباع اليهودية لم يكونوا على عقيدة موسى التوحيدية منذ دخولهم سيناء وحتى عصرنا الحالي.

واخترنا أن يكون موضوع **الفصل الخامس** خاصّاً بالعقوبات التي تتناول كافة الحالات. مثل حالات القتل العمد وغير العمد والزنا والاغتصاب وعقوق الوالدين والشتم واللعن الخ.. وكل ذلك حسب ما جاء في التوراة. وقد ارتأينا أن تترك التفاصيل في العقوبات والمحرمات والنواهي والأوامر لفصل آخر لأنها جميعها ارتبطت بالتلمود أكثر مما ارتبطت بالتوراة. وتبناها اليهود أكثر مما يتبنون قوانين التوراة.

ولذلك كان **الفصل السادس**، واخترنا أن يكون تحت عنوان اليهودية من الداخل حيث تناولنا فيه طبيعة العلاقة بين اليهودي واليهودي. طبيعة القتل الجماعي والفردي بينهم متضمناً الاغتيال والقتل بالغدر. ثم تناولنا فيه ظاهرة الاغتصاب المتفشي بين اليهود منذ زمن التوراة وحتى العصر الحالي، ثم بينا موضوع حقوق الإنسان وخاصة حقوق المرأة التي اضطهدها التشريع اليهودي في حقوقها الخاصة والعامة.

وتعرضنا لموقف اليهودية من البغاء والإجهاض واللقطاء والاسترقاق. وقد عرضنا في هذا الفصل تحليلاً للشخصية اليهودية المنحرفة وذلك انطلاقاً من الاستناد على آيات القرآن الكريم التي رصدت نفسية اليهود في كافة قضاياها الشخصية والاجتماعية والاقتصادية تلك القضايا التي اعترفت التوراة بها على لسان أنبيائها وكهنتها رغم كل التحريف والتزوير.

أما **الفصل السابع**: فكرّسناه لدراسة اليهودية من الخارج. أي مجمل التشريعات والقوانين التي تحكم علاقة اليهود بغيرهم من الأمم والشعوب. وبينا كيف أن التلمود كرّس معظم صفحاته لتبيان العلاقة بين اليهودي وغيره وذلك إن كان في زمن السلم والحياة الآمنة أو كان زمن الحرب والصراع. إن كان ذلك بحكم الضعف اليهودي أو كان بحكم القوة. ولذلك تناولنا كثيرا من القضايا المرتبطة بالتعامل الحياتي اليومي، كالربا والمداواة والزراعة والبيع والشراء والعداوة والبغضاء والدسائس ومحاولات الاغتيال والقتل والاغتصاب وكل ذلك يأتي في سياق تشريعات التلمود التي تعتبر كل من عدا اليهود غرباء ووثنيين يجب أن يختلف التعامل معهم عما هو عليه بين اليهود. وأوردنا فيه الشواهد المعاصرة اللازمة التي تبين عنصريتهم وحقدهم على شعوب العالم..

ثم قدّمنا في آخر الكتاب **خاتمة** تحوي نداء إلى اليهود أنفسهم كي يخلصوا أنفسهم من عقدة اليهودية المنحرفة ويعودوا إلى دراسة حقائق التوراة

ويرفضوا المؤسسة الدينية اليهودية الكهنوتية التي تتحكم في رقابهم وتسوقهم إلى الهاوية. وفي هذه الخاتمة دعوة لكافة المسلمين كي يعيدوا النظر في كل ما قرأوه عن اليهود حتى يدركوا مدى التحريف التوراتي ومدى ما أدخل في عقول المسلمين من تلفيقات يهودية وإسرائيليات وموضوعات.

إننا ومن باب الحرص على كشف الحقائق نستعين بالله العلي العظيم كي يسدد خطانا وتكون غايتنا إخلاصنا لعقيدة التوحيد الإنسانية الشاملة. اللهم إن كنا أخطأنا فلا تؤاخِذنا واغفِر لنا وتُب علينا وإن أصبنا فلكَ الشُكر الدائم لأننا دون تأييدك لا نستطيع القبض على القلم أو رؤية الكلمة لنقرأها.

والحمد لله رب العالمين

حسن الباش

نهاية شهر 6 عام 1998



القسم الأول

في العقيدة والمعتقد



الفصل الأول

العقائد في التاريخ



العقائد في التاريخ:

لا شك أن عقائد البشر في الأرض لا يمكن حصرها بشكل تفصيلي واسع، فكل أمة في هذه المعمورة لها عقائدها، ومعتقداتها. وعبر التاريخ وجدت عقائد لم نعرف عنها إلا النزر القليل، وبعضها الآخر لم نعلم عنه شيئاً.

وقد ذكر معظم علماء التاريخ والأديان ما وصل إليهم من العقائد الكبرى، التي انتشرت بين ملايين البشر، وأصبحت تعاليمها وأتباعها، في متناول البحث، وقد تصدى لدراستها كثيرون من المهتمين والمتخصصين. وسلطوا الأضواء على تاريخ نشأتها، وعلى تعاليمها وتطورها منذ أن بدأت، وحتى انتشارها بشكل واسع، وتواجد أتباعها حتى هذا اليوم .

ولسنا هنا بصدد دراسة هذه العقائد، وتحليل ما فيها من تعاليم ومعتقدات وعبادات إنما الذي يعنينا من هذه الدراسة، معرفة علاقة هذه العقائد بالوثنية والتوحيدية أو بمعنى آخر، علاقة هذه العقائد بالإله إن كان إلهاً واحداً أو عدة آلهة، وعلاقتها بالقوة الغيبية إن وجدت، إضافة لأهم قضايا العقيدة، كالموت والبعث والروح والحساب، وما إلى ذلك.

وبسبب كون الموضوع يرتبط بدراسة العقيدة اليهودية، على ضوء معطيات التوراة والقرآن الكريم، فإن إلقاء الضوء على عقائد الإنسانية الأخرى، يمنحنا بعض التعرف على مفاهيم عقيدية، قد تتقاطع مع اليهودية أو لا تتقاطع، وعندها فقط يمكن التعرف على ما إذا كان هناك تأثرٌ وتأثيرٌ، وأخذ وعطاء بين

العقائد جميعها وعندها أيضاً يمكن التعرف على تقدّم عقائد وتأخُّر أخرى، حسب التسلسل الزمني التاريخي لوجود هذه العقائد .

ويحكمنا في هذه الإضاءة عدة أمور، لا يمكن إغفالها أو الإقلال من أهميتها :

1ـ اتساع المساحة الجغرافية لكل عقيدة أو محدوديتها جغرافياً .

2ـ عمق المساحة التاريخية لكل عقيدة. انقطاعها أو تواصلها .

3ـ علاقة هذه العقيدة بالوحدانية أو التعددية، والتجريد والتجسيم.

4ـ نقاء هذه العقيدة أو امتزاجها بعقائد أخرى

5ـ طبيعة الظروف التي انتشرت بها العقيدة، والكيفية التي من خلالها تم نشرها والدعوة لها .

وكنماذج لهذه العقائد حسب الأمور التي طرحناها، نجد أمامنا عقائد المنطقة العربية القديمة، وعقائد بلاد فارس، وعقائد الهند الكبرى، والعقائد الصينية. وبعض العقائد لدى الحضارات التي كُشِف عنها حديثاً في أمريكا. وأفريقيا ويمكن حصر هذه العقائد بما يلي :

1ـ عقيدة البابليين والآشوريين والكنعانيين، وحضارة المنطقة العربية، عقائد الفراعنة.

2ـ الزرادشتية، والمانوية، والمجوسية .

3ـ الهندوسية (البراهمية). البوذية. والجانتية .

4ـ الكونفوشوسية .

5ـ عقائد الهنود الحمر في أمريكا .

6ـ عقائد الشعوب الأفريقية والأسترالية القديمة .

لقد جاءت اكثر الدراسات المتخصصة بالشرق القديم، على معظم ما كان لدى الشعوب في ما بين النهرين، من عقائد وديانات ومعتقدات، واستندت جميعها على آلاف اللوحات الفخارية والرقم المكتشفة في مناطق تواجد شعوب تلك الحضارات. وأصبح لدى الباحث مواد غنية ووفيرة، سيما أن تلك الكتابات ترجمت كثيرا إلى أكثر من لغة.

وقد ركز العلماء والآثاريون والباحثون في الشرق القديم على تناول السومريين ومعتقداتهم، كأقدم مجموعة بشرية أنشأت حضارة في الماضي، ثم سقطت الحضارة السومرية أو انهارت في ظل بروز قوة البابليين. ما بين النهرين، وخلفت وراءها آثاراً كتابيةً. وعلى الرغم من أن جميع الباحثين يتفقون على أن السومريين ليسوا شعباً سامياً أو عربياً، إلا أن وجودهم في المنطقة العربية، جعل الباحثين يدرجونهم ضمن حضارات هذا الحوض العربي الكبير، ولسبب آخر أيضاً هو قولهم: بأن البابليين والآشوريين استندوا في معتقداتهم وأساطيرهم على عقائد وأساطير السومريين ومعتقداتهم.

ترتكز الأفكار الدينية عند السومريين على تصور متعدد الجوانب للآلهة .فهم يرون أن الإله (آن) هو إله السماء، وهو الحاكم الأسمى والإله الرئيسي. ويرون أن هذا الإله تزوج من (كي) وهي الأرض، ثم انجبا بقية الآلهة. ومن أهم المعتقدات الدينية لديهم، اعتقادهم أن الكون كان في الأساس البحر ثم انبثق من البحر الشمس والقمر والكواكب والنجوم، ثم النبات، والحيوان، والإنسان أو الحياة البشرية.

لكن السومريين اعتقدوا أن الآلهة تتصرف كالبشر، فهي تأكل وتشرب وتنام وتتزوج (لكنها خلاف البشر خالدة، وقد احتفظت للبشر بالموت، وأبقت الحياة في يدها)[1].

ويجتمع لدى المعتقدات السومرية مجمع آلهة كثيرة، كإله الغلاف الجوي والرياح (إنليل) ويقال لديهم: إن هذا الإله، يمسك بيده ألواح القدر، التي سطرت فيها أقدار الناس جميعا. وهناك أيضاً الإلهة (إنانا)سيدة السماء والإله (إنكي) أو (أيا) إله العالم السفلي، أو إله الأعماق.

ويظهر من ذلك أن التعددية والتجسيمية، أو المزج بين الصفات البشرية والإلهية كانت مسيطرة على التفكير العقيدي لدى السومريين.

وهذا ما سنجده عند معظم عقائد الشعوب التي سكنت المنطقة أو استوطنت فيها فيما قبل الميلاد.

وقد توارث البابليون المعتقدات والعقائد السومرية، بعد أن سقطت الحضارة السومرية أو انهارت في ظل بروز قوة البابليين .

ويبرز الإله مردوخ (مردك) أو المريخ كأهم الآلهة التي عبدها البابليون. وقد أقام له البابليون معبدا، أطلق عليه (الإيزاجيل) أي المعبد الذي تناطح ذروته السماء. وللإله مردوخ زوجة، يطلق عليها (صربنيتو) وهي مختصة بالحمل والإنجاب. وتقول الألواح البابلية: إن مردوخ أخذ موافقة بقية الآلهة، إنْ هو قضى على (تعامت) إلهة العالم السفلي، أن ينصب كبيرا للآلهة. ويتم له ذلك حيث تقول الأسطورة: إنه قسمها بسيفه إلى نصفين، ثم نُصِّب كبيراً للآلهة البابلية وصار يتصرف نيابة عن تلك الآلهة. وكانت تُوجه إلى هذا الإله الصلوات والتراتيل التي تمجِّد صفاته، ومنجزاته .

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. عالم المعرفة ص 12.

وترى الأسطورة أن الآلهة (تعامت) أوتيمات، اتخذت الإله (كينغو) زوجاً لها وقائداً لجيوشها في حربها مع (مردوخ) وبعد أن قتلها مردوخ وسجن زوجها خلق الإنسان من دماء السجين (كينغو) بعد أن قتله، وأفرج عن بقية الأسرى، كما خلق النباتات والحيوانات[1].

وتقول الأسطورة البابلية: التفت مردوخ بعد ذلك إلى بقية عمليات الخلق، فخلق النجوم محطاتِ راحةٍ للآلهة، وصنع الشمس والقمر، وحدد لهما مسارهما. ثم خلق الإنسان. ونظم الآلهة في فريقين، جعل الفريق الأول في السماء، وهم الأنونانكي والثاني جعله في الأرض وما تحتها وهم (الألجيجي) "1" وبعد الانتهاء من عملية الخلق، يجتمع الإله مردوخ بجميع الآلهة، ويحتفلون بتتويجه سيدا للكون. ثم بنوا مدينة بابل، ورفعوا له وسطها معبدا، وأعلنوا في هذا الاحتفال، أسماء مردوخ الخمسين.

فمن خلال الأسطورة البابلية، نرى أن البابليين، اعتمدوا التعددية في عبادة الآلهة، ونلاحظ تشابها واضحا بين أعمال الآلهة واعمال الإنسان. فالآلهة أشبه بالملوك والأمراء، حتى إنها تفتقد إلى الخلود. وهذا عائد إلى مرحلة ضعف حضارتها فهي في طور الضعف تصبح أقل قيمة وارتباطا من قبل الإنسان بها.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن هناك كبيرا للآلهة. بمعنى أن هناك ملكا يحكم حاشية. فمردوخ سيد آلهة بابل، ولكنه لا يعيش بمفرده، بل إلى جانبه عدد كبير من الآلهة التي تعاونه في عمليات الخلق والكون وما إلى ذلك.

ويلاحظ أن كتابة الأسطورة البابلية تتوافق مع سيادة بابل على وادي الرافدين والمناطق المتحضرة الجديدة. والسيادة العسكرية تتبعها سيادة ثقافية دينية تثبتها وتمد في عمرها. فكانت الأسطورة وسيلة لنشر الديانة البابلية،

---

(1) المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 22 سبق ذكره

وتثبيتا لعبادة إلهها ـ مردوخ ـ الذي ساد الآلهة جميعها، وتفوق على آبائه وأقرانه[1].. وترى الأسطورة البابلية أيضاً أن الإلهة (مامي) أو كما تدعى أيضاً (تنماخ) أو ننخر ساج أو ننتو. وهي صاحبة الخلق الأول، وهي الأم الكبرى. ويقصدون بها الأرض والتربة الخصبة. ويقابلها عند الكنعانيين ـ عشيرة ـ فكل الثقافات القديمة عبدت آلهة أنثى كبيرة. وهي الأرض الأم التي كانت مركزا للحياة الروحية)[2].

أما العقائد الكنعانية: فترى أن هناك مجمعا إلهياً، على رأسه يقف الإله (إيل) وفي هذا المجمع ـ الإله بعل، والإلهة عشيرة، والإلهة عناة وبعض الآلهة الصغيرة. تصف ألواح أوغاريت الإله إيل بكبير الآلهة ورب السماء، يعتلي عرشه في السماء السابعة. أما الإله بعل فهو الإله ـ حدد ـ وهو إله المطر والسحاب والصاعقة. تقول المعتقدات الأسطورية الكنعانية: إن الإله إيل جاء نتيجة تزاوج الإله عليون والإلهة عشتروت. وتقول بعضها أيضاً إن إله السماء تزوج بإلهة الأرض. فأنجبت له أربعة أولاد، وهم الإله إيل والإله داجون. والإله عتل والإله سيتون. وعندما بلغ إيل مبلغ الرجال، اتخذ الإله ـ توت ـ كاتبا له وكاتما لأسراره، ثم أشعل إيل حرباً ضد أبيه لأنه أهان أمه الأرض. وتعني كلمة إيل القدرة والقوة. ويعتبر إيل أعظم آلهة الشعوب العربية القديمة. وعُرف أيل برب الأرباب. أو إيل إيلوهيم. ويقال: أنه كان لإيل ابن وحيد يدعى شديدا توهم فيه الغدر يوما فذبحه.

وتقول الأسطورة: إن إله السماء أي والد إيل سئم حربه مع ابنه فبعث إليه ببناته الثلاث. عشتروت. وسميرنا. وبعلكي، كي يوقعهن به لكن إيل استمالهن وتزوجهن وولد لإيل من عشتروت سبع بنات، ـ يعرفن في الأساطير

---

(1) فراس السوّاح. مغامرة العقل الأولى المستندة على ترجمة الكسندر هيدل وترجمة سبنسر ص 44

(2) فراس السوّاح. مغامرة العقل الأولى ص 76 ـ 77 سبق ذكره.

الكنعانية بالترابيات ـ كما أنه أنجب من سميرنا سبعة ذكور. ثم أنجب من عشتروت إلهين آخرين هما الشوق والعشق[1].

تقول الأسطورة الكنعانية أيضاً: إن إيل هو أول من تزوج بجنية، إسمها عين عفريت، وأنجب منها ولدا وحيدا. والشعب الكنعاني الذي يقدس إيل، لا يحترمه لصفاته المميزة فحسب، بل إنه يرى فيه إلها غير مشخص. وهو خالق السماوات والأرض وجميع البشر. وإيل يمثل الفكرة التوحيدية الأولى مثل الإله شمس. والإله إيل لا يحاور البشر كبقية الآلهة، بل يتجلى بشكل حلم أو وحي أو الهام. وفي النصوص الأوغاريتية لم يظهر إيل للناس مشخصا، كما هو الحال عند بقية الآلهة، مثل بعل وعشيرة وعناة التي تتدخل بشؤون الناس وتظهر لهم.

وفي بعض تفاسير الأسطورة الاوغاريتية، جاء أن إيل أبو الآلهة، وهو يقيم في حقولهم عند منابع الأنهار. وقد دام حكمه الفعلي 32 عاما. ويرد أنه شاخ وعجز. ومن أهم صفاته أنه الأبدي، خالق المخلوقات، وأبو البشر والآلهة. وحتى يثبت أبديته لم يرد أنه مات أو فني.

وترى بعض النصوص الكنعانية أن للإله إيل 70 ولدا، 50 ذكرا و20 أنثى وأطلقوا عليه أحيانا صفة الرحمة والعظمة، ويعتبر الكنعانيون أنفسهم شعبه الخاص[2] ويتميز أيضاً بتوزيع المكرمات، كإهداء الندى والطل. كما أنه يجلب الموت بواسطة بعض أولاده، وله سلطان على بعث الأموات. ويظل المرجع الأساسي في حل مشاكل الآلهة وصراعاتهم، وبناء المعابد، ولا ينافسه أحد من الآلهة وهو الحاكم المطلق .

(1) شوقي عبد الحكيم الفلكلور والأساطير العربية ص 64

(2) ديل ميدكو. اللآلئ، نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص34

ويرى العلامة سيفر أن ما يسبغه الكنعانيون من نعوت التعظيم والتفوق فوق الجميع ، يدل بوضوح على ميل الكنعانيين لتقبل عقيدة التوحيد[1] .

ويعتبر الإله بعل، أهم الآلهة عند الكنعانيين بعد الإله إيل على الإطلاق. ويرد اسمه على شكل آخر هو الإله حدد. وهو إله زراعي معروف في الأسطورة الكنعانية ، فهو يسوق الغيوم والأمطار والأنهار، ويرد عنه أيضاً أنه إله الصواعق والبرق ، وله عظمة وقدرة، كرسيُّه فوق الغيوم ، وينتقل عادة في مركبته ، مما أعطاه لقب ممتطي الغيوم. وأحياناً يتلذذ بعذاب البشر ، فيأمر بالأعاصير، ولا يتردد في النيل من الناس بيديه حتى أنه لا يتردد في مصارعتهم. وله أيضاً بعض الصفات المستمدة من الإله إيل. فمرة يُعتبر إلهَ الموت وله القدرة على إحياء الموتى وبعثهم، كما أن له سلطةً على إذلال الإنسان الحي .و يقال: إنه كان يُضحي بالبشر قرابينَ لهذا الإله. ويكلفه أبوه إيل بمصارعة قوى العماء والوحوش الضارية ، فيتغلب عليها ثم يأخذ بخلق الكون أو تتمة خلقه.

ومن أهم معابد الكنعانيين معبد لبعل في مدينة نابلس ، وقد عبده التوراتيون في مرحلة من المراحل وصلّوا له ، وذلك في زمن القضاة. ويقال: إنه أقيم معبد للإله إيل بين القدس ونابلس، لكنه كان يغص بالأصنام والتماثيل التي ترمز للآلهة المعاونة لإيل الموصوف بالمحتجب .

أما الآلهة عند المصريين القدماء ، فلديانتهم تاريخ طويل معقد. فقد مرت عبر التاريخ بتغيرات عديدة، وذلك بسبب عمق الحضارة الفرعونية ، واتساع الرقعة التي تواجدوا فيها .

---

(1) ديل ميدكو. اللآلئ، نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص35

وجدت في مصر آلهة محلية، تخصصت بها المناطق المصرية، في الشمال والجنوب. ووجدت أيضاً آلهة عامة، تبناها المصريون وأصبحت في وقت من الأوقات آلهة بعض الشعوب المجاورة .

في الديانات المحلية سادت ديانة حوريس، الإله الصقر الذي توحد مع فرعون الحي. وقد ظهرت هذه الديانة بشكل عام، عندما انتصرت مصر السفلى على مصر العليا.

أما آلهة مصر الكبرى فقد بيّنت مسؤولية الخلق. فتقول الأسطورة الفرعونية إن الإله الخالق الأول هو أتوم (ATUM) الذي اتحد في هوية واحدة، مع إله الشمس (رع). وتقول الأسطورة: إن أتوم خرج من عماء المياه الذي يسمى (نون) (NUN). ثم ظهر فوق التل، وأنجب بغير زواج الإله (شو) الهواء ـ والإلهة تف توت أو تفنت ـ الرطوبة ـ والإله أتوم أتم نفسه بنفسه، أي خلق نفسه أولا، ثم خلق العالم، ومن صفاته (ذلك الذي جاء للوجود من تلقاء نفسه). أما الإلهة تفنت، فهي زوجة الإله ـ شو ـ . وقد عبدها المصريون على شكل الأسد وزوجته في الدلتا، وشاركت زوجها أعباء مهمته السلمية في حمل الأفق. وهذان الإلهان خلقا كما يدل اسمهما بطريقة البصق الأول، ويعني أتوم أيضاً الواحد الكامل. ومن آلهة المصريين، إله السماء نوت (NUT) والإله جب (GEB). وأوزوريس وإيزيس، وست ونفتيس.

ويظهر الإله بتاح (PTAH) خاصا بمدينة منف الذي يسمى في آن معا الأب والأم لكن عملية الخلق تعزى إلى الإله الصانع خنوم (KHNUM). وتقول الأسطورة: إنه يجلس إلى دولابه الفخاري ليصنع البشر. ثم أصبحت السيادة الإلهية للخصوبة والشمس، فلذلك عبدوا الإله شمس ـ رع ـ الذي اتحد مع الإله أتوم، في صيغة واحدة (رع أتوم)، ومع إله السماء حوريس الإله الصقر.

وقد اصبح فرعون يسمى ابن الإله ـ رع ـ ونظر المصريون إلى الإلهة ـ ماعت ـ على أنها ابنته.

أما آمون فتعني الخفي، لكن هذا الإله كان يتجلى في أشكال كثيرة. وقد ظهر التثليث الإلهي عند المصريين في مرحلة من المراحل. فقد جمع الإله بتاح وسخمت وتعزتم في ثالوث واحد. وكذلك جمع آمون وموت وفنسو في ثالوث ثان. وجمع بتاح وسوكاريس وأوزوريس في ثالوث ثالث.

(ومن الواضح أننا نجد هنا استباقا للعقيدة المسيحية حتى لو أعوزنا الدليل الذي يثبت أن لها تأثيرا معينا على الصياغة المسيحية[1]). وحسب كافة المصادر الآثارية والتاريخية، فان مصر الفراعنة، قد شهدت تطورا ملحوظا في مفهوم الإله. وأرجع بعضهم هذا التطور إلى تغير الوضع السياسي والكهنوتي لدى الفراعنة والشعب المصري بشكل عام. ويرى عباس محمود العقاد أن عبادة آتون هي أرقى ما وصل إليه البشر من عبادات التوحيد في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. فلم يكن المراد بآتون قرص الشمس ولا نورها المحسوس بالعيون، ولكن الشمس نفسها كانت رمزا محسوسا للإله الواحد، المتفرد بالخلق في الأرض والسماء وإنما جاء هذا التطور بعد تمهيدات دينية وسياسية، تهيأت لمصر، ولم تتهيأ لغيرها من الدول الكبرى في تلك الفترة .

ويرى أيضاً أن الإله فتاح ارتفع طبقة أخرى في مدارج القدرة، والتنزه عن النظراء. فتعالى عن الأجساد الشاخصة للحس، وتمثل لعباده روحا مسيطرة على كل حركة، وكل سكون في جميع المخلوقات، من ذات حياة، وغير ذات حياة. فكان فتاح كما جاء في إحدى صلواته هو (الفؤاد واللسان للمعبودات. ومنه يبدأ

(1) جفري برندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 52 سبق ذكره.

الفهم والمقال، فلا ينبعث من ذهن ولا لسان فكر أو قول بين الأرباب أو النـاس أو الأحياء أو كل ذي وجود إلا وهو من وحي فتاح)[1].

وما وجد شيء من الأشياء قط إلا بكلمة من لسانه صـدرت عـن خـاطر في فؤاده فكلمته هي الخلق والتكوين.

وقد توطدت كـهانة آمون في أيام المملكة الوسطى. وبلغت أوجها بعد عهد تحوتمس أكبر ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

ومع اتساع النفوذ السياسي للفراعنة اتسع النفوذ الديـني وأدى إلى تطـور آخر في النظرة إلى الخالق، وأصبح ينتقل من بيئة محلية إلى بيئة عالمية. وعندما ارتقى عرش مصر، الفرعون أمنحوتب الرابع أو أخناتون كما تَسمَّى فيمـا بعـد، كان التمهيد للعبادة الجديـدة قـد بلـغ مـداه. وكـان اتسـاع الأفـق في النظـر إلى الدنيا، والنظر إلى صفات خالقها قد وسع له المجال للابتكار والتجديد. وأعان عبقريته على التدعيم بعد التمهيد.

وألغى أخناتون جميع الأرباب وأعوانهم، من الأرواح والأبالسـة، وأولهـم الإله أوزوريس. ويتضح مـن صلـوات أخنـاتون، أنـه أضفـى علـى الإلـه أعلـى الصفات التي ارتقى إليها فهم البشرية قديما في إدراك الإله بكماله. ومن صفات أخناتون كما يرد في النصوص المكتشفة أنه الحي الـمُبدِئ للحياة. الملك الذي لا شريك له، في الملك، خالق الجنين وخالق النطفة التي ينمو منها الجنين، نافث الأنفاس الحيـة في كـل مخلـوق، بعيـد بكمالـه، قريـب بآلائـه. تسـبح باسمـه الخلائق على الأرض والطير في الهواء. وترقص الحمـلان مـن مـرح في الحقـول. فهي تصلي له وتستجيب لأمره، ويسمع الفرخ في البيضـة دعـاءه، فيخـرج إلى نور النهار واثبا على قدميه. قد بسط الأرض، ورفع السماء واسبغ عليـها حلـل

---

(1) عباس العقاد. الله. دار المعارف المصرية ص: 68 عام 1964.

الجمال. وهو ملئ البصر وملئ الفؤاد، وهو الوجود وواهب الوجود. وشعوب الأرض جميعها عبيده لأنه هو الذي أقام كل شعب في موطنه، ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض، ومن أيام العمر في رعاية الأحد آتون)[1]

وقد رأى بعض الباحثين الغربيين، أن عقيدة أخناتون القريبة من التوحيد كان لها أبعد الأثر في عقائد العبرانيين، وهذا ما يمكن مناقشته في ما يلحق من فصول.

وتبرز لنا عقائد الفرس القديمة كإحدى أهم المجموعات العقدية الهامة فيما قبل الميلاد، وكان لها تأثير واضح، وانتشار لدى الشعوب الآرية.

ولعل العقيدة الزرادشتية من أهم العقائد البارزة في فارس القديمة. فزرادشت الذي يعتبر أكبر مبشر فارسي بعقيدة واسعة الانتشار، يعود تاريخه حسب أكثر المصادر إلى حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد، أو بحدود عام 628 إفرنجي ق. م. وما يميز الزرادشتية، أن مبشرها لم يدَّعِ الألوهية إنما كان داعيا.

وتتجلى الألوهية عند زرادشت بأن الله هو السيد المهيمن الحكيم ـ أهورا مزدا ـ خالق السماوات والأرض، وهو الأول والآخر. ومع ذلك أيضاً هو الصديق الذي دعاه منذ البداية. ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالبشر. فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء.

وتعارض الروح الشريرة، أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة والتكبر والكذب[2] .

(1) عباس محمود العقاد. الله في نشأة العقيدة ص 69 ـ 70 ـ سبق ذكره.

(2) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 116 سبق ذكره.

غير أن المدقق في طبيعة العقيدة الزرادشتية يرى أن داعيها يقول بوجـود إلهين وليس إلها واحدا. فيرى أن اهورامزدا هو توأم الإله الآخر المدعو أهرمـان ويقول: على البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين أو بين التوأم من آلهة.

ولكـن زرا دشـت يـرى أيضـاً أن الصـراع بـين الخـير والشـر، أي بـين اهورامزدا وأهرمان ليس أبديا، إذ سوف تأتي لحظة التحول الأخيرة في العالم، عندما يلتحم جيشا الخير والشـر. ونـرى أيضاً أن الزرادشـتية تُدخـل النـار في مسائل العقيدة. فعند الالتحام بين الخير والشـر فـان علـى البشـر أن يخضعـوا للاختيار العظيم عن طريق النار. ويرى زرادشت أن طقوس النار القديمة هي رمز النور والقانون الكوني للإله فاستخدمها في صلواته.

وللزرادشتية كتـاب مقـدس يدعـى الأبسـتاق (AVESTA) وقـد دون علـى أقرب وجه في القرن الخامس الميلادي، أي بعد انتشار الزرادشتية بـألف عـام. وهذا ما يذكرنا بتدوين كتاب التوراة الذي لم يتـم إلا بعـد النـبي موسـى عليـه السلام بسبعمائة عام على الأقل.

وترى تعاليم زرا دشـت أن النظـام أو المبـدأ، هـو مـا نـراه في السـماوات والأرض، وهو ما يجعلنا نتعرف على الوجود غير المتناهي للإله القادر على كل شيء. كما يجعلنا نؤمن به، والحياة هي التي تعلم أن الله هو الموجود الأعظـم، والأفضل والأسمى، من حيث الفضيلة والاستقامة والخير. والله لايمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر، لأن الشـر جوهـر مثلـه مثـل الخـير، وكـل منـهما يرجـع في النهاية إلى سبب أول هو الله من جهة، والشر من جهة أخرى.

وكأي عقيدة وثنية أسطورية ترى الزرادشتية أن لله كمـا للشـيطان أتبـاع وقوى، فمع الله ملائكة ستة مقربون، يجلسون أمام العرش، ومكلفون بحراسـة العناصر التي يتألف منها العالم. وهناك أيضاً ملائكة آخرون أقل مرتبة وبمقابل

هذه القوى توجد قوى شريرة، معاونة للشيطان، الذي يمثل الشر وتقوم بنشر الجوع والمرض والعطش والفوضى، والأفكار الشريرة، والعصيان والارتداد عن الدين.

ويعتقد أتباع هذه العقيدة أن بهرام هو النيران الرئيسية، أو ملك النيران الذي يتوج ويوضع على العرش، ولا يكتفي بتنصيبه فحسب. كذلك فلديهم الإله المدعو ـ هوما ـ ويرمز للأرض (وفي طقوسه يسحق الإله، ومن العصير يستخرج شراب الخلود. وفي هذه القرابين الخالية من الدماء يكون القربان في آن معاً هو الإله والكاهن والضحية. ويقوم المؤمن بالتهام هذا القربان الإلهي مستبقاً بذلك القربان الذي سيقام في نهاية العالم ويجعل جميع البشر خالدين)[1].

وقد حفلت عقائد الفرس بديانات أخرى، أقل أهمية وانتشاراً من الزرادشتية فنجد مثلاً الديانة الزرفانية، وزرفان هو إله الزمان المتناهي، والقدر المسيطر الذي يؤثر من بعيد في مصائر البشر . والزرفانية عقيدة معدلة عن الزرداشتية بعد أن طوّرها كهنة النار، لتصبح تعددية، لم تقتصر على إله واحد. لكن الملفت للنظر في هذه العقيدة أن الإلهين أهورامزدا وأهرمان توحدا في إله واحد ولكن لزرفان أربعة وجوه، وترمز هذه الوجوه أو الصفات إلى الإنجاب والميلاد، والشيخوخة، والعودة، إلى اللامتناهي. ففي الواحد نجد جميع مظاهر الحياة. النور والظلمة والحرارة والبرودة. وترى الأسطورة المرتبطة بهذه الديانة أن زرفان أنجب الإلهين أهورامزدا وأهرمان. وترى الأسطورة الفارسية أن أهرمان كان الأول في الدخول إلى العالم، ولهذا السبب حكم لمدة تسعة آلاف عام، أما أهورامزدا فقد أُعطِي سلطة الكهنوت والنصر النهائي[2]

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 122 – 123 سبق ذكره.

(2) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص124 سبق ذكره.

ومن العقائد العقيدة المترية. وقد عبد الإله مترا في إيران كإله للعقود والاتفاقات. ومن مهماته حفظ الحق والنظام والقضاء على القوى المفرقة. قوى الشر والغضب والجشع والتكبر، والمماطلة وجميع الأشرار من الآلهة والبشر. ويوصف بأنه محارب جبار، وهو الذي يتعبد له المحاربون، وهم على ظهور جيادهم، قبل ذهابهم إلى المعركة. وبوصفه حارساً للحقيقة، فهو قاضي الأرواح بعد الموت .

ومن العقائد الفارسية عقيدة أتباعها قليلون، ويطلق عليهم (النازوريون) وهم متواجدون جنوب العراق بجوار إيران، ويصفون المطلق بأنه الكائن الأعظم الذي لا شكل له، ويلقبونه بملك النور وسيد العظمة. وهو يقاتل ضد مملكة الظلام. وقد تم خلق العالم عن طريق فيوض صدرت عن ملك النور .

ومن العقائد أيضاً عقيدة المانديين التي تختلط بالفلسفة، فيرى أتباعها أن الروح شعاع من النور سجين المادة، منذ بداية الخلق. وعلى حين أن البدن خلقته الكواكب فإن الحياة والتنفس جاءا من عالم النور، غير أن الروح لا تتخلص من أسر البدن عن طريق خضوع هذا الأخير وإذعانه. ويرون أن الكواكب والنجوم هي التي تعرقل تحرر النفس .

ويدعي أتباع المانديـة أنهم من سلالة يوحنا المعمدان، ويعتقدون أن أسلافهم فروا إلى بارثيا شمال إيران عندما سقطت القدس بيد المسيحية الرومانية. ومن الطبيعي أن نلاحظ هنا أنهم نسبوا أنفسهم ليوحنا المعمدان الذي هو يحيى عليه السلام. ومعروف لدى العقائد المسيحية والإسلامية والوثنية الرومانية أن يحيى قتله اليهود بالتعاون مع الرومان الوثنيين وهو شاب لم يُنجب. ثم هناك ملاحظة هامة وهي أنهم يدعون انتسابهم إلى سكان (القدس). وبمعنى آخر فإنهم من بقايا اليهود الذين سبوا إلى العراق أو أنهم من بقايا سكان القدس الذين سُبوا إما أيام العصر البابلي أو أيام الامتداد الفارسي ق.م .

ولعل المانوية من العقائد التي انتشرت بشكل قوي في فارس وامتدت إلى آسيا عن طريق الهند وقد وجد ماني أيام الحكم الساساني الفارسي. وادعى أنه جاء ليتمم عقيدة زرادشت وبوذا والمسيح. ومعروف أن ماني ولد عام 216م أي بعد ميلاد المسيح.

أما بالنسبة للإله في عقيدة ماني، فقد وحد هذا الداعي آلهته بوصفه رسول النور مع آلهة المستمعين له، فهو اليسوع في أتباع اليسوعية وهو الإنسان الأول أهورامزدا عندما يخاطب أتباع الزرادشتية. وقد كان ماني يكره آلهة العهد القديم والله في نظره أب العظمة ولكن هناك من يعارضه وهو إله الظلام. والإثنان عنصران أوليان. والعالم مخلوق من أجساد حكام الظلام. والموت هو عدو والملفت للنظر أن ماني حرّم الأوثان، لكنه كان يؤمن بالقيمة التربوية للفن. وقد طور الكهنة المانوية كما طوروا الزرادشتية. فقد فرض على أتباع المانوية العشر في أموالهم، والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق. وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا، والبخل والسحر وعبادة الأوثان .

ويعتقد أتباع المانوية أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبا البشر ثم بعث شيثا ثم نوحا بعده، ثم إبراهيم عليه السلام ثم بعث (بالبدارة) إلى أرض الهند. وزرادشت إلى أرض فارس. والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب وبولس بعد المسيح إليهم .

وما يزال اتباع المانوية موجودين في بعض أجزاء الهند وتايلاند. وقد احتفل بعيد مولد ماني في تايلاند في السادس عشر من الشهر التاسع أيلول، من العام 1997. وقد نقلت محطات التلفزة أخبار هذا العيد .

وأغرب العقائد في بلاد فارس العقيدة المزدكية. فهي لا تختلف من حيث إيمان أتباعها بإلهين، إله النور وإله الظلام (ولكن مزدك نهى عن المباغضة والقتال، ولما كان ذلك يقع بسب النساء والأموال، فقد أحل ماني النساء وأباح

الأموال وجعل الناس شـركاء فيـها ومذهبـه في الأصـول والأركـان ثلاثـة. المـاء. والأرض. والنار. ولما اختلطت، حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشـر. فما كـان من صفوها. فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر[1].

وترى المزدكية. أن الله قاعد على كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود (خسرو) في العالم السفلي. وبين يديه أربع قوى. قوة التمييز، والفهم، والحفظ، والسرور. ومن بـين العقـائد الفارسـية العقيـدة الديصانيـة. وهـي في جوهرهـا لا تختلف عن الزرداشتية والمانوية. وقـد تفلسـف أتباعـها في المقارنـة بـين النـور والظلام. وأدخلوا في معتقداتهم أساطير عن الخلـق والصـراع بـين إلهـي الخـير والشر.

مفاهيم الألوهية في العقائد الهندية والصينية واليابانية

تعتبر الهند فسيفساء العقائد والديانـات. فـهي لكـبر مسـاحتها، وتنـوع الأجناس والعروق فيها. وبسبب موقعـها الجغـرافي تـأثرت وأثـرت، خاصـة في العقائد والمعتقدات ويجمع الباحثون وعلمـاء الأنثروبولوجيـا (علـم الإنسـان) أن الهند من أقدم الحضارات في العالم، وشعوبها من أقدم شعوب العالم. وقد حصر العلماء أكثر من سـتين عقيـدة وديانـة في شـبه القـارة الهنديـة. غـير أن بعـض الديانات سيطرت بشكل واسع، وانتشرت حتى خارج الهند نفسها، لما حوتـه من تعاليم معقدة وواسعة، ولما لها من تمـيز علـى غيرهـا. ومـن أشـهر ديانـات الهند الديانة الهندوكية البراهمية، والديانـة البوذيـة، والإسـلام، والجانتيـة، والسيخية. وباعتبار أن المسلمين ينتمون إلى عقيـدة عاليـة لهـا ارتبـاط بـالقرآن الكريم فلن نتحدث عنها. وسنحاول إلقاء الضوء على مفهوم الإلـه في البراهميـة والبوذية والجانتية والسيخ على اعتبار أن هذه هي العقائد القديمة والمستمرة في

---

(1) الشهرستاني. الملل والنحل. ج 1 ص249. دار المعرفة بيروت ط2 1975.

الهند. ففي البراهمية تتجلى صفات الخالق من خلال نصوص (اليوبانشاد) وبعض الكتب القديمة وفي أحد هذه النصوص يقول براهما: (أنا أقوى من السماء واعظم من الأرض، وأرفع من كل هذه الأجرام، والكواكب حولي. أنا أعلى من جميع هذه الأشياء، أنا الكل في الكل، أفعل ما أريد وأخلق كل ما يخطر لي، أنا جوهر هذا العالم الواحد الشامل، لست بالذكر ولا بالأنثى. إنما أنا روح غير مشخَّص في صفاته، أحتوي كل شيء وأكمن في كل شيء. لا تدركني الحواس لأني أنا حقيقة الحقيقة أنا براهما.)[1].

وتقول كتب العقيدة البراهمية: إن براهما خلق جسما عملاقا، وشقّه نصفين، نصف لرجل ونصف لامرأة. وعلى اعتبار أن العقيدة البراهمية اعتمدت تقسيم الناس إلى طبقات، فرأت أن أي إنسان خيِّر، سينتقل بعد موته، إلى الطبقة الأعلى من طبقته، وإذا كان شريرا، فسينتقل إلى طبقة دون طبقته بعد موته وهذا هو مبدأ التناسخ في العقيدة البراهمية. وترى هذه العقيدة، أن الروح الخيرة تصل أخيرا إلى روح براهما، لتتحد معها. وهذا ما يسمى بالهندوسية بالنيرفانا.

غير أن تطور العقيدة الهندوسية، يدل على ابتداع هذه الديانة صورا أخرى للإله براهما. وقد أضفى اتباعه عليه صورا ثلاثية الأوجه في إله واحد. وهذا الإله ثلاثة في واحد، يسيطرون على الكون. وهم براهما الخالق، وفشنو الحافظ، وسيفا المدمر. وبراهما سيد الجميع، وهو القوة الخالقة للطبيعة. أما فشنو فهو إله الحب، ويساعد البشر في شفائهم من الأمراض. أما شيفا فعبادته من أقدم وأبشع العناصر التي تتألف منها العقيدة الهندوكية. وهو إله القسوة.

---

(1) اسماعيل مظهر: قصة الديانات ص 68 .

ويرى الكثير من الباحثين في عقائد الشعوب، أن الهندوسية جاءت قبل بروز المسيحية بحوالي ألف سنة. وقد بلغت أعداد المعبودات في هذه العقيدة حدا قد يصعب حصره. فالإله فشنو أو سيفا أو الإلهة شاكتي، لها تجسيداتها وخدامها من آلهة صغار أو آلهة أبناء للإله الأكبر وزوجته. ومن هذه الآلهة درجا وسكاندا وجانيشا. ويرى هؤلاء الباحثون أن الريج ـ فيدا ـ Rig-vida ـ هي عبارة عن مجموعة تراتيل دينية براهمية، وهي أقدم وثيقة دينية مكتوبة في العالم. وهذا ما ينفي كون التوراة أقدم كتاب ديني دوّن في التاريخ. لأن الفيدا ذات تعاليم قديمة جداً، وهي أسبق من أتباعها بزمن طويل.

وقد وجدت لهذه العقيدة آلهة فرعية كثيرة، أو تحولت شخصية بعض الآلهة إلى آلهة أخرى. فإله السماء ينقلب إلى الإله إندرا، وهو إله الحرب وملك الآلهة، وهو يركب السماء على رأس جيشه من (الماروث) وهم آلهة العاصفة الأقل شأناً، وهو هنا يرتبط بالبرق بصفة خاصة. سلاحه الذي مزق بطن التنين ـ فريترا ـ عندما أعتق هطول المطر الذي يبعث الحياة.)[1].

إن هذه الصفات تذكرنا بالإله الكنعاني ـ بعل ـ إله البرق والعواصف. وتذكرنا أيضا بالإله التوراتي الذي قتل التنين ـ لوياثان ـ وبالإله مردوك، الذي قتل تعامت من اجل إنشاء الحياة، وبعث المطر وإخصاب الأرض.

ولدى البراهمة آلهة للشمس، وهي كثيرة منها ـ سريبا وهي تقود عربة نارية بعجلة واحدة تجرها سبعة جياد. وهذا يذكرنا بعربة آلهة الشمس عند المصريين. ولديهم أيضا الإله آجني وهو إله النار. وهو الذي يحمل القرابين المحترقة إلى الآلهة. ومن الآلهة أيضا الإله ـ فارونا ـ والإله مترا والإله ياما والإله رودرا.

---

(1) نقلا عن احمد شبلي. مقارنة الأديان. أديان الهند الكبرى ص 37.

ونلاحظ أن الهندوسية تعج بالآلهة، وينسبونها جميعا إلى الإله الأكبر براهما. وقد جسد الهندوس جميع هذه الآلهة بأصنام تمثلها.

والواقع أن العقيدة الهندوسية تتنوع وتتفرع. ويرى الباحثون أنها خليط من العقائد. تبدأ من عبادة الحشرات وبعض الحيوانات كالبقرة والثعبان وتنتهي عند براهما.

وتدخل الأسطورة في العقيدة البراهمية بشكل أساسي. فتتوزع الآلهة حسب المناطق، وحسب الأعمال، التي تناط بهذه الآلهة. فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله[1]. وتأتي العقيدة البوذية لتصحح كثيرا من تعاليم الهندوسية. وقد ظهرت البوذية في القرن السادس قبل الميلاد. ويرى الباحثون أن بوذا لم يطرح في فلسفته نظرية محددة عن الله. حتى بدا أحيانا أن بوذا اتجه لنكران الله مما أدى إلى نكران براهمة عصره له واتهامه بالإلحاد والكفر.

والأيمان بإله إتجاهٌ نفسي قوي لا يقل عن قوة الغرائز في البشر. وإهمال هذا الاتجاه يحدث ارتباكا واضطرابا. من أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون للوصول إليه أو التعرف عليه. ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خاليا، فقد لعبت بهم الأهواء، فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد، أن بوذا ليس إنسانا محضا بل إن روح الله قد حلت فيه. وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها بعض المسيحيين ويعتقدونها في السيد المسيح عليه السلام[2].

والواضح أن تطور العقيدة البوذية، لم يعفها من الاندماج بالهندوسية، لاسيما في الهند. فبوذا تصنع له التماثيل الضخمة بالمئات. وهذا يعني أن البوذية انقلبت من تعاليم فلسفية وأخلاقية إلى عقيدة وثنية.

---

(1) نقلا عن احمد شلبي. مقارنة الأديان. أديان الهند الكبرى. ص 38.

(2) احمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص 172.

وانقسمت البوذية إلى فرق، تختلف في نظرتها للذات الإلهية. ومن هذه الفرق فرقة تقول: بوحدانية الله. وأخرى تقول أن الله أودع الأرواح التي أرسلها بالخير والشر. وفرقة ثالثة ترى أن الله يفرغ الكلمات الإنسانية في كل زمان على إنسان يتجرد لعبادته، ويبتعد عن إرضاء الشهوات الحيوانية. وتقول فرقة رابعة بأن الله يحل في أية صورة يختارها من صور أفراد الإنسان، حلول تطهير وتكميل، لاحلول استقرار. وكل الفرق تتفق على التناسخ وارتباطه بما يسمى - الكارما - .

أما فيما يتعلق بالإله نجد الفكر الهندي يتراوح بين التعدد والإنكار والإهمال، والعجيب أن موقف الجينيين والبوذيين من الاعتراف بالإله كان رد فعل لتصرف طبقة البراهما، واستبدادهم. فخاف البوذيون والجينيون أن تتكون عندهم طبقة لاهوتية كالبراهمة إن قالوا بالإله، فأنكروه أو أهملوا الكلام عنه لهذا الغرض[1].

وقد انتشرت عقيدة جديدة في الهند، هي عقيدة السيخ التي تعتبر خليطا من العقائد الهندية الكبرى بما فيها الإسلام. ولديهم أهم مصطلح هو (تذكر اسم الله) (نام ساميران) ويعنون به النحو نحو الله والنحو في الله .

وهي عملية متدرجة شبهها معلمهم (ناناك) بسلسلة من المراحل الصاعدة، وخامس هذه المراحل وآخرها هي المسماة: عالم الحقيقة. وهي الإتمام النهائي، أو الإنجاز الأخير حيث تجد الروح اتحادها الصوفي بالله. وفي هذا الوضع الذي تشعر فيه بسعادة لا يمكن وصفها تتنسخ أغلال التناسخ. وتبلغ الروح مرحلة الانعتاق المطلق باندماجها في الله)[2].

---

(1) أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص 201.

(2) جفري بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 250 سبق ذكره.

وتعتبر الصين من أقدم الحضارات التي وجد فيها الإنسان. وقد تشعبت عقائدها بقدر مساحتها وعمق حضارتها. وتطورت هذه العقائد عبر التاريخ.

عبد الصينيون القدماء مظاهر الطبيعة خوفا منها. فعبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن تعبد.

ومع تطور عقائدهم آمنوا بوجود حاكم أعلى واحد، فوق كل الأديان، وفوق كل الناس يدعى ـ شانج تي ـ وهو القوة العليا المسيطرة على العالم. وقالوا إنه عادل لدرجة أنه مهما صلى له الأشقياء فلن يقبل العفو عنهم. غير أنهم اعتقدوا أن هناك إلها هو سيد كل الآلهة إله اسمه ـ تيان ـ أي إله السماء، وهو بنظرهم رب الأرباب الذي يأتي بالمطر والريح والرعد، وهو موجود في السماء.

ومنذ عام 2500 يظهر الحكيم كونفوشيوس أي قبل الميلاد ب 550 عاما تقريبا. ركز جل اهتمامه على الحكمة والمعاملات الخلقية بين الناس. وقد اعتبر بعض الباحثين مذهبه ليس عقيدة، أو دينا، باعتبار أنه لم يتحدث عن الإله. إنما قصر كلامه على الحياة وفلسفتها. واعتبرها بعضهم مذهبا إنسانيا. بمعنى أنه أول إنساني ظهر في العالم. وأساس تعاليمه ألاّ يعتمد الإنسان على أي كائن علوي أو أية قوة غير منظورة. يطلب منها العون، والتوفيق في حياته.

إلا أن عقائد بعض الصينيين لم تكن عقائد حكيمة، ولم يظهر فيها أي اثر للمعبود الإله. بل راحوا يؤمنون بالشياطين والمردة والجن، ومصاصي الدماء والغيلان، وكل أرواح الشر، حتى أنهم لحقوا أتباع الكونفوشوسية، فقال بعض حكمائهم: لا حاجة بالناس أن يشغلوا أنفسهم بالله في سمائه أو بالحياة الأخرى. وتسمى هذه العقيدة بالداوية. أتباع الحكيم ـ لاوتسي ـ الذي أصبح لدى الداوية مع مرور الزمن إلها يعبدونه. وأحاطوه بالأساطير. فقالوا إن أمه ولدته ولادة سماوية. ويقولون حسب أسطورتهم، إنه مكث ثمانين عاما في بطن أمه.

والمطّلع على عقائد الصينيين، يجد أن الطبيعة هي الأساس الأول في عقائدهم. ثم يأتي في المقام الثاني الحكمة والفلسفة والعلم. وبشكل عام لا نجد للإله صدى في عقائدهم، كما في الهند. ومن الملاحظ أن البوذية كعقيدة، دخلت الصين واتبعها الكثيرون من أبناء الصين الذين كانوا يتبعون الداوية والكونفوشيوسية.

وإذا رحنا نتفحّصُ طبيعة المعبود في العقائد اليابانية وجدنا اليابانيين آمنوا أولا بأن السماء هي أساس الوجود. وأهم عقائدهم عقيدة الشنتو المستندة على عقائد الأديان بكل أشكالها الخيرة والشريرة.

وعبادة الأسلاف أساس في هذه العقيدة. ويعتبرون أن هؤلاء آلهة أسسوا الدولة، وأقاموا بناءها. ولذلك نراهم يعبدون الإمبراطور ـ الميكادو ـ إذ أنهم يرونه ليس بشرا، بل له سمات الإله. وهو أقرب للشمس والقمر وجبل فوجي المقدس. وهو كائن لابدّ أن يعبد.

وترى العقيدة اليابانية أنه في البداية كانت الآلهة، وكانت تلد ذكرا وأنثى ثم تموت حتى حدث في النهاية، أن أصدر شيوخ الآلهة أمرهم إلى إلهين شابين هما (إيزاناجي) و(إيزانامي). بأن يخلقا الأرض ويقيما عليها الحياة. وتقول الأسطورة الشنتية إن إيزانامي أنجبت بنتا. أما تيراسو وهي ربة الشمس قد أمرها أبوها أن تسير إلى السماء، ثم تعطي نورها للأرض والبشر. ثم أنجبا إلها جديداً إسمه (تسوكي يومي) وهو إله القمر، الذي أرسله أبواه على قوس قزح، ليستقر هو أيضا في السماء ثم أنجبا إلها للعواصف وإلها للنار، وجرى صراع بين الآلهة والأبناء، وانتهى الصراع بانتصار آلهة الشمس.

ويعتقد اليابانيون أن الإمبراطور هو حفيد آلهة الشمس (أماتيراسو) ولذلك يجب حبه وطاعته، والانتحار لأجله إذا ما حاول أحد المساس به.

وإذا تأملنا عقيدة الشنتو، وطبيعة الآلهة فيها، وجدنا اقترابها من عقيدة السومريين والبابليين خاصة بتعدد الآلهة والصراع الذي دار بينهم وانتصار أحدها على الجميع، ولهذا فإن اليابان تختلف في فهمها لطبيعة الآلهة عن الصين، التي ركزت عقائدها مع عبادة الطبيعة وحب الحكمة والعلم.

وقد دخلت عقيدة البوذية إلى اليابان، كما دخلت الكونفوشوسية. وأصبحت عقائد اليابان، خليطا من هذه العقائد، على الرغم من أن احترام العقيدة الأساسية ظل قويا عندهم.

بين عقائد الشعوب والرسالات

يطلق المسلمون وباحثو عقائد المنطقة العربية، إسم الرسالات السماوية على العقيدة اليهودية، والعقيدة المسيحية، والعقيدة الإسلامية، على اعتبار أن أنبياء هذه الرسالات، بلغوا الدعوة من قبل رب العالمين عن طريق الوحي.

وقد أصبحت التسمية علما على مسمى، للتمييز بينها وبين عقائد الشعوب الوثنية والشعوب الأخرى البعيدة عن الحوض العربي .

وقد امتازت العقائد السماوية بالدعوة إلى التوحيد، وعدم الإشراك بالله، وامتازت أيضا بأنها استندت على رسالة سماوية، أي كتاب مقدس هي التوراة الأصلية التي نزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل كما نزل على عيسى عليه السلام، والقرآن الكريم الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والواقع أن هناك إشارات واضحة لبعض الكتب الأخرى والصحف التي نزلت على أنبياء التوحيد في المنطقة. فقد أنزل الزبور على داود عليه السلام، وأشار القرآن الكريم إلى صحف أنزلت على النبي إبراهيم عليه السلام .

غير أن كافة المصادر الإسلامية وغيرها، لم تُشر إلى أن الزبور كتاب تشريع كما التوراة أو القرآن الكريم .

والواقع أن التوراة التي بين أيدينا اليوم تضم ما يسمى بالمزامير. وتنسب في غالبيتها لداود عليه السلام. وهي كما هي عبارة عن أدعية، وتعبير عن أحداث ومواقف جرت مع النبي داود عليه السلام، ويجمع الكثيرون على أن هذه المزامير هي ما يسمى بالزبور. وليس هناك أي مصدر آخر لهذا الزبور أو لهذه المزامير سوى التوراة التي بين أيدينا.

وتاريخياً فقد سبق النبي موسى عليه السلام، نزول الإنجيل والقرآن الكريم.

والواقع أن جوهر العقائد الثلاث هي التوحيد، والإيمان بالله المجرد المنزه، والمطلق أما ما جرى من تحريف للتوراة، فهو لاحق على نزوله المبدئي الأولي الذي تلقاه موسى عليه السلام. وهذا التحريف، هو الذي لحق نزوع بني إسرائيل لعبادة الآلهة الوثنية التي كانت لدى شعوب المنطقة آنذاك .

وإذا ما قارنا بين عقائد الأمم والشعوب، وبين الرسالات السماوية، وجدنا أنه لا بد من القول: إن الإنسان بفطرته ينزع إلى المعبود. الأعلى والأكمل. ولكن مسار العقل البشري يدلنا على تنوع في التصور لهذا المعبود. وطبيعة العلاقة به، ومن ثم لا ننكر أن هذا النزوع إلى الأكمل، خالطه حب معين لتجسيد المعبود، واستحضاره أمام العين بأشكال وثنية، أو رسوم أو رموز موحية للإله .

على أن ذلك التطور أو الانحراف، لا يلغي أن السماء هي الأساس في العقيدة. ولو حاولنا تبسيط الموضوع أكثر، نرى أن الإنسان العاقل الأول ـ آدم ـ أختاره الله ليكون أول نبي موعود على الأرض. وبغض النظر عن وجود نظريات عدة ترفض كون آدم أول مخلوق بشري ـ إنسان ـ إلا أن آدم جسّد الإنسان

العاقل المفكر. ولهذا كانت الحكمة الإلهية في اختياره ليكون نبيا، وأول نبي يدعو إلى عقيدة التوحيد. لقد كانت صلة آدم العاقل بالسماء أولا، وليس بالأرض. وتلقى التعاليم التوحيدية من خالقه، إما عن طريق الوحي أو أي طريق إلهي آخر .

يقول تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ «البقرة 37»

وهذا ما كان من شأن أول إنسان عاقل أو من شأن أول نبي على وجه الأرض. إذا فالبداية كانت السماء. والبداية كانت بالتوحيد .

ولعلنا ونحن نتعرف على عقائد الشعوب ودياناتهم، نجد أن الأساس في كافة العقائد، هو الشعور بالحاجة إلى قوى عظمى. وهكذا يجب أن تكون هذه القوى حتى تصبح معبودات، والطبيعة البشرية نزاعة دوما إلى إقامة علاقة ما، بينها وبين قوى خارقة ليست فيها صفات البشرية. إنما فيها صفات خرق الناموس البشري الأرضي المتعارف عليه. ولكن الواقع يقول لنا: إن التجسيد لهذا المعبود نشأ أيضا من حاجة هذا الإنسان ليرى معبوده، لتكن الصلة صلة مشاهدة محسوسة وليست صلة وعي داخلي فحسب، وهذا ما نجده في عقائد البوذيين والبراهميين وحتى الوثنيين العرب وغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى. يقول الدكتور محمد جمال جعفر: (فالعقيدة في إله أو قوة فاعلة مؤثرة تتعالى وتسمو على الكون والطبيعة، جزء حيوي يشكل الأساس لكل دين على وجه الأرض، سواء أكان في حالة بدائية أو في حالة متطورة)[1].

ويقول أيضا: فلا يعقل مثلا أن ينحت إنسان حجرا، أو يصنع شيئا بيده، ثم يعتقد في نفس الوقت أن هذا الحجر، وهذا المصنوع يعلوه ويحكمه

(1) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان ص33.

ويخضعه ويدبر أمره وييسير حياته، ويفرض عليه عبادته، لأن صفات الحجر من البداهة والعفوية ما ينفي ذلك[1] على أي حال فإن الديانات السماوية - أي الديانات التي مصدرها الأساسي السماء - نادت بالتوحيد والتجريد. على عكس العقائد الأخرى التي جعلت للإله عدة وجوه، إضافة إلى أنها جسمت المعبود، ورمزت له بصور على الغالب هي صور آدمية، وأحيانا بصور حيوانية مثل بوذا وبراهما وبعل ومردوخ. ومثال الصقر والأفعى والتمساح وما إلى ذلك.

وعلى الرغم من أن اليهودية في أساسها سماوية، وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام تلقى تعاليم العقيدة من الله سبحانه، وأوضح لليهود طبيعة الله الفرد المنزه وغير المجسم، إلا أن أتباع هذه العقيدة لم يصلوا بوعيهم إلى القناعة بهذه الوحدانية وهذا التنزيه .

(ولكنهم أظهروا بلا شك عدم قناعتهم بعبادة من لا يرون ولا يلمسون. ولذا تراهم يسألون موسى كما يقول القرآن الكريم. وكما تتحدث التوراة أن يريهم الله جهرة فلما ردعهم موسى عن ذلك، رجوه أن يجعل لهم إلهاً يماثل آلهة القبائل التي كانوا يمرون بها. وهي بالطبع تماثيل تحاكي الإنسان حينا وتحاكي الحيوان أحياناً)[2].

ونعود لما قلناه لنرى أن بعض التقاطعات، قد تحدُثُ بين رسالة سماوية وبين ديانات غير سماوية. فنرى مثلاً أن أحد أوجه المعبود في العقائد غير السماوية قوة الخلق. أي أن هذا المعبود هو خالق بدأ الكون منه. فهو الذي خلق الكون والإنسان والحيوان وما إلى ذلك. وقد نرى أيضا تقاطعا في بعض التعاليم، كالدعوة للخير والمحبة والتفكير، وبناء الإنسان من داخله بناء مستقيما.

---

(1) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان. ص 26.

(2) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان ص 28 سبق ذكره.

ولكن الاختلاف الجوهري في مسألة التعدد والتجسيم. فالرسالات السماوية، لا تعدد ولا تجسم في جوهرها. فالله عند اليهود يرتبط بالجوهر كما يقول هيغل، والله مجرد (وهذا التجريد أو انعدام التمايز، يعني أن هذه الشخصية عبارة عن واحد لا ينقسم. ومن ثم فالله واحد. لكنه ليس الواحد اللاشخصي الهندي. وهو وحده الحقيقة المستقلة، إن على الإنسان أن يمجد الله وأن يعرف قدر نفسه وعدميتها. وما دام الوعي المتناهي لا يستطيع أن يصمد أمام الله فليس له الحق في الوجود وإنما وجوده بفضل من الله ومنه.. ولهذه الأسباب كلها نجد أن موقف الإنسان تجاه الله بالضرورة موقف الخوف والخشية)[1]. ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن تطور مفهوم المعبود عند بعض الفئات الدينية، لم ينبع من الخوف والخشية .. إنما ينبع من المحبة والاحترام للذات الإلهية.

وقد تندمج المحبة بالخشية، ويندمج الجلال والاحترام، لتشكل جميعها نظرة تكاملية لدى الإنسان تجاه المعبود. فالمعبود يستحق المحبة لأنه رحيم بعباده. ويستحق الخشية لأنه العظمة المطلقة. ويستحق الاحترام، لأنه الخالق الواهب العادل. ويستحق الجلال لأنه غير المحدود، وغير المتناهي والخالق كل شيء من غير شيء.

وطبيعي أن هذه الصفات، تنحصر حتما بالإله الذي تعارفت عليه العقائد السماوية في جوهرها. أما كيف فهم اتباع اليهودية طبيعة هذا الإله فذلك ليس مرده جوهر العقيدة. إنما هو عائد إلى طبيعة الوعي والفهم لدى اتباع هذه العقيدة.

---

(١) ولتر ستيس. فلسفة هيغل. فلسفة الروح. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ص 192 ـ 193 .7

الفصل الثاني

العقيدة اليهودية ورحلة التصور اليهودي للإله



العقيدة اليهودية وعنصرية الدين

كيف يمكن أن يوصف الدين بأنه دين عالمي أو أنه دين عنصري إقليمي؟

لقد رأينا في كثير من عقائد الشعوب ـ خاصة ـ العقائد البوذية والبراهمية أنها انتقلت من بلد إلى آخر، وشكل معتنقوها أكثرية أحياناً في بعض البلدان .

فانتقال عقيدة من موطنها الأصلي إلى أقطار أخرى، يعني أن أفكارها شكلت قبولاً لدى أكثر من مجموعة بشرية، بما فيها من تعاليم فكرية، ومعاملات إنسانية يرتضيها البشر عن قناعة، وبسب وجود طموحاتهم النفسية والفكرية فيها. وبمعنى آخر بسبب كون هذه العقيدة حققت لهم نوازعهم على شتى مناحيها .

لقد وجدنا البوذية تنتقل من الهند إلى كثير من بلدان جنوب شرق آسيا وشرقها مثل فيتنام وكوريا وتايلاند وسيريلانكا وبورما وحتى اليابان والصين .

و الواقع أن هذه المناطق انسجمت مع ما طرحه بوذا والبوذية من أفكار أخلاقية، وسلوكيات اجتماعية متميزة، لم يكن التركيز فيها على أهمية الخالق، وعلاقته بالإنسان بقدر ما ركزت على الجانب الأخلاقي والمسلكي الاجتماعي

و ليس غريباً هذا الانتشار لعقيدة مثل البوذية. فالظروف الفكرية، والحياة الاجتماعية، ساهمت بشكل واضح في انتشارها. فكانت ردة فعل على ما آلت إليه العقائد السابقة بين تلك الشعوب، وما آل إليه التعسف البشري ضد الإنسان. وخاصة الطبقات الفقيرة المضطهدة.

لقد تجاوزت البوذية حدود منشئها، وبلدها الأصلي ولكنها لم تنتشر بشكل عالمي. فهي تتجمع في منطقة إقليمية واضحة. لم تستطع مثلاً الوصول إلى أفريقيا، فلا نجد مثلا بوذياً واحداً اعتنق البوذية في الوطن العربي وآسيا الغربية وأفريقيا. على الرغم من أن كل الدراسات تشير إلى أن بداية البوذية كانت قبل المسيح ب 600 عام وقد صنف العلماء البوذية على أنها عقيدة وضعية ليس للسماء علاقة بها. وهم حين يدرسون تعاليم بوذا يجدون فيها نوعاً من الأخلاقية والفكر، لا تنحصر لشعب دون شعب. وكانت تعاليمها مطروحة للإنسان أي إنسان. دون تمييز بين الناس، بل يرون فيها تمرداً على تعاليم الهندوسية الداعية إلى وجود نظام للطبقات، والتمييز بين البشر وعلى الرغم من ذلك كله، فإن عشرات الملايين يعتنقون البوذية دون أي استناد على إقليمية العقيدة أو انحصارها أو ادعاء أحد بأنه وحده صاحب الحق باعتناقها .

و نستطيع القول: إن البوذية ليست عقيدة عالمية. ولكنها أيضاً ليست عقيدة ضيقة محدودة أو عنصرية. فهي تجاوزت منشأها واعتنقها مئات الملايين من البشر .و لا شك أن حديثنا عن عالمية الدين أو إقليميته ينطبق إلى حد ما على العقائد السماوية وغيرها من العقائد. ولكن هذه العقائد ارتبطت بالسماء كما قلنا. ومن الطبيعي إذا ما دققنا النظر في المسيحية والإسلام، وجدنا أنهما انتشرتا في كافة أنحاء العالم وقلما تجد بلداً يخلو منهما حتى أقصى جنوب شرق آسيا أو حتى أمريكا شمالها وجنوبها .

ولا شك أن الدعوة للعقيدة كان لها الدور في الانتشار. وبغض النظر عن أساليب الدعوة والتبشير والتنصير وطرقها المختلفة والمتعارضة أحيانا مع حقيقتها. رغم ذلك كله فإن المسيحية والإسلام عقيدتان عالميتان يعتنقهما مئات الملايين من البشر المنتشرين في كافة أنحاء الأرض.

وفي هذا الإطار لا بد أن نذكر أن المسيحية والإسلام ترحبان بكل إنسان يعتنقهما مهما كان جنسه ولونه، ولم تحصرا الدين في قومية واحدة أو شعب واحد، إنما انفتحتا على كل الناس دون أي اعتبار للعرق أو اللون أو الجنس .

وعلى الرغم من أن اليهودية بدأت كدعوة منذ أن أنزلت التوراة الحقيقية على موسى عليه السلام، إلا أن أتباع هذه العقيدة يقلون ويقلون أمام البوذية مثلا. على الرغم من أن اليهودية رسالة سماوية في منشئها وأصلها، والبوذية عقيدة وضعية ليس لها علاقة بالسماء.

والواقع أن التعاليم التي دونها أتباع اليهودية، تظهر جانبا من جوانب عدم الانتشار، فحسب التوراة المدوَّنة، يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، انتقل من صفوة البشر إلى الصفوة الصفوة. فلذلك لا يرضى المؤمنون بهذا الاختيار أن يدخل اليهودية أي من الناس. وبلغ اعتقادهم بسمو عنصرهم أنهم يترفعون عن الأجناس البشرية الأخرى. ولا يندمجون فيها. بل إنهم ينكرون المساواة مع الذين يشتركون معهم في النسب إلى النبي إبراهيم عليه السلام.

(ومن أجل ذلك لم يسعوا إلى التبشير بدينهم، وأنِفوا من اشتراك غيرهم في شرف الانتساب إلى إبراهيم وحصروا هذا الشرف في نسل يعقوب وحده،

واعتبروا باقي البشر همجا أو شبه أنعام (غوييم) خلقهم الله لخدمتهم وليكونوا تحت إمرتهم)[1]

وعلى الرغم من عدم قبول اليهود غيرهم في عقيدتهم فإن ظروفا معينة ساهمت في اعتناق عدد من أفراد الشعوب عقيدة اليهودية، فوجدناها انتشرت في أجزاء من اليمن نكاية بالدولة الرومانية المسيحية والإمبراطورية الحبشية. وذلك في عهد ذي نواس، وكذلك فقد هودت عناصر آرية بسبب ظروف خاصة كتهوّد الصقالبة والجرمانيين وسكان سواحل بحر البلطيق إضافة للخزريين، الذين شكلوا النواة الحقيقية ليهود شرق أوروبا. وقد اعتبرت الصهيونية كل من يؤمن بأفكارها، هو من الشعب المختار ولكن وللحقيقة نرى الآن انكفاء اليهودية على نفسها لما فيها من تعاليم تنافي الحس الإنساني العالمي. وانكفأ اتباعها. وظل أعداد معتنقيها لا يتجاوز العشرين مليونا في العالم. وعلى مر التاريخ لم يكن اليهود منفتحين على الآخرين، ولاسيما منذ تشتتهم زمن الرومان أي قبل حوالي ألفي عام. وقد عرف العالم بكل مجتمعاته حارات اليهود المغلقة ـ الغيتو ـ . هذه الحارات التي انتشرت في أوروبا الشرقية بشكل خاص، وفي بعض المناطق العربية بشكل عام. وما كانت تقام هذه الحارات المغلقة، لولا نظرة اليهود إلى الآخرين. النظرة المبنية على الاختلاف في الطبيعة والماهية والاعتقاد.

قلنا: لقد بدأت اليهودية منذ نزول التوراة الحقيقية على النبي موسى عليه السلام، وحين ندقق في طبيعة النص التوراتي نرى أن كتبة التوراة يصرون على أن موسى وهارون وبقية الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة هم خاصّون لبني إسرائيل. ولم تشر التوراة إلى أي من الأنبياء الذين دعوا إلى ديانة التوحيد، من غير أبناء إسرائيل. وتظهر تعاليم أنبياء التوراة تعاليم خاصة جدا لمجموعة من البشر ولا يمكن أن يتجاوزوها.

---

(1) محمد علي علوية. فلسطين والضمير الإنساني. كتاب الهلال ص 57

فحسب النص التوراتي يظهر نضال النبي موسى عليه السلام لأجل غاية واحدة. وهي رفع الظلم عن بني إسرائيل، والسماح لهم بالخروج من مصر. وليس هناك إشارة لدعوة، أو طلب نبوي من موسى باتباع عقيدة التوحيد ونشرها، أو قبول أي فرد من شعوب المنطقة في هذه العقيدة أو إطارها.

فنحن نعرف أن الدعوة لأي عقيدة تتخذ طريقين كبيرين، إما طريق الترغيب أو طريق الإكراه والترهيب. إما طريق الهداية والدعوة السلمية أو طريق العنف والإجبار. غير أن أتباع اليهودية وحسب النص التوراتي التاريخي لا نجدهم يدعون للعقيدة اليهودية، لا عن طريق الهداية والدعوة السلمية، ولا حتى عن طريق العنف والإرهاب. فهم لا يريدون نشر هذه العقيدة لأنها عقيدة بني إسرائيل وحدهم. هم يريدون حصرها في هذه المجموعة البشرية التي خرجت من سيناء خشنة الطباع. ويريدون إبادة كل من يجدونه في الأرض أمامهم، دون أن يأخذوا بنشر دعوتهم. ومن هنا نجد انحصار العقيدة اليهودية انحصارا شديدا على أتباع التوراة كما يتصورها الكتبة فيما بعد.

وهذا الانحصار يدلل بشكل قاطع على طبيعة النفسية التي كان عليها اليهود أيام تدوين التوراة. أي أثناء وجود اتباع اليهودية في السبي البابلي. وقد عكس مدونوها وهم يدونون الأحداث الماضية الخاصة بأجدادهم جنوحهم الشديد نحو عنصرية العقيدة وعنصرية الاتباع.

لقد ارتبطت اليهودية بشعب معين، وهي لهذا تشبه الهندوسية في أنها ديانة مغلقة أي ليست من ديانات الدعوة، وليست إلا تعبيرا طبيعيا لشعب خاص وجزءا من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء[1]

---

(1) احمد شلبي. مقارنة الأديان اليهودية. ص 186.

والذي يقرأ الأسفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بني إسرائيل كانوا مأمورين بدعوة غيرهم إلى ديانتهم. وكل ما في الأسفار منصبٌّ على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص[1].

ويقول العالم بري: لم يكن للعبرانيين تصور للعالم. ولهذا لم يصلوا إلى تصور إله غير محدود. ولقد كان عالمهم محدودا وكان إلههم محدودا كذلك[2].

وأسفار التوراة جميعها تفصح عن هذه العنصرية التي تتميز بها هذه العقيدة اليهودية. والواقع أن الديانة المتقوقعة المنحصرة لدى اليهود، أدت إلى دمج فكرة القومية بالدين. ومنذ ولدت الصهيونية السياسية في القرن التاسع عشر وهي تعمل جاهدة على تكوين شخصية اليهودي القومية. هذه الشخصية المختارة كان لا بد لها من أرض تأخذ بها أبعادها. والأرض المختارة أيضا حددها الرب في وعوده المتكررة لأنبياء إسرائيل ومن هنا كانت اليهودية قومية. كما كانت القومية اليهودية دينية. فلا فرق عند اليهودي بين دينه وقوميته. ولا معنى لأحدهما من دون الآخر، لأن هذين المقوِّمين يكوِّنان شخصيته الدينية والدنيوية. ومخطيء من يقول: إن اليهودية دين والصهيونية أرض لا خلط بينهما. أقول مخطئ من يدعي هذا القول، لأن الدين اليهودي يتضمن جميع المبادئ الصهيونية. والصهيونية متجذِّرة في الدين اليهودي. لا وجود لحدود فاصلة بين شريعة اليهود الدينية وبين مقومات قوميتهم، لأن الشريعة اليهودية تتلخص في تمجيد عنصرهم. وتقديس عرقهم. وتبشيرهم بأنهم شعب الله المختار ووعدهم بأرض يخطط حدودها الرب .

فاليهودية هي الديانة القومية للشعب اليهودي. والصهيونية تنحصر في

---

(1) محمد عزة دروزة. بنو إسرائيل في أسفارهم جزء 1 ص 73.

(2) بري. أساطير العالم. ص 31 نقلا عن احمد شلبي. اليهودية.

تأمين أرض لهذا الشعب، أو قاعدة إقليمية لهذه القومية[1].

اليهودية. النشأة. البيئة

من المتعارف لدى كافة الدارسين، أن تدوين التوراة قد تم بشكل نهائي أيام السبي البابلي. وقليل من الباحثين لم يتعرض لمشكلة تدوين التوراة. وبشكل عام فمسألة تدوين التوراة، أصبحت من المسائل التي لا تحتاج لجدال طويل أو مناقشة دائمة. فطبيعة التوراة نفسها، طبيعة الأسفار التسعة والثلاثين تفصح عن نفسها بشكل واضح.

فأسفار موسى الخمسة. التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين، اعتبرت أسفاراً أنزلت على النبي موسى عليه السلام أيام تلقي الرسالة السماوية. أما باقي الأسفار فقد ارتبطت بالأحداث التاريخية التي ارتبطت باليهود خلال حوالي سبعمائة سنة أو تزيد. وكما أوردت التوراة، فقد مات النبي موسى عليه السلام وانقطعت صلته بالسماء، وجاء سفر يشوع ليسجل حسب نص التوراة ملحمة العبور إلى أرض فلسطين. ملحمة الإبادة البشرية لشعب المنطقة الكنعانية .

ويبدأ تسلسل الأحداث ليخترق السنين، ويسجل تاريخياً ما جرى لهذه الفئة وعقيدتها من تقلبات وتغيرات وتطورات .

ولكن يبدو أن تناقضاً واضحاً يقع أكثر الباحثين فيه حول بداية اليهودية ونشأتها. فمن الباحثين من يعتبر أن جذور اليهودية بدأت منذ زمن النبي إبراهيم عليه السلام. بينما راح بعضهم يقول: إن بداياتها نشأت منذ النبي موسى عليه السلام. وآخرون يرون أن اليهودية نشأت كعقيدة بعد موسى بمائة

---

(1) جرجي كنعان. الوثيقة الصهيونية في العهد القديم. ص 154.

وخمسين عاماً. واختلفت الآراء حول ذلك، باختلاف الباحثين، واختلاف ثقافاتهم وخلفياتهم الفكرية والدينية واختلاف أهدافهم وغاياتهم .

ولو عدنا إلى نصوص التوراة ونصوص القرآن الكريم لوجدنا أن هذه العقيدة لم تكن موجودة قبل موسى. وباعتبار أن الأسفار الخمسة جاءت خاصة بالنبي موسى ومن اتّبعه. فهي في منشئها عقيدة توحيدية .

وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير بوضوح إلى نزول التوراة على موسى وليست على غيره. ومع نزول هذا الكتاب، تبينت العقيدة اليهودية، وظهرت معالمها وآفاقها وتشريعاتها التعبدية والمعاملات فيها. وبذلك تكون اليهودية أول رسالة سماوية كبرى سبقت المسيحية والإسلام وذلك حسب قول الإنجيل والقرآن الكريم .

والتوراة التي تفصّل في الأحداث التاريخية، تعطينا مؤشرات على زمن نزول التوراة على النبي موسى. وتعطينا ملامح واضحة لزمن هذا النبي. وقد اتفق الباحثون بشكل عام على أن النبي موسى وجد حوالي 1300 ق. م تزيد قليلاً أو تنقص وهذا يعني أن المسافة الزمنية بين موسى وعيسى هي 1300 عام. أما الزمن الفاصل بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام هو على تقرير المُجمِعين والمتفقين على التواريخ هو 570 عاماً. فإذا أضفنا 570 سنة إلى 1300 سنة فإن الفارق الزمني بين اليهودية والإسلام هو حوالي 1870 عاماً على أقرب تقدير .

ويشير القرآن الكريم إلى عدة سمات تاريخية لعصر موسى والتوراة الأصلية

- موسى يلتقي بالنبي شعيب نبي مدين ويتزوج من ابنته وذلك حسب قول المفسرين .

ـ موسى يأمر بنشر دعوته عند فرعون. ومن خلال معطيات القرآن الكريم نجد أن فرعون مصر قد بلغ ذروته من القوة والعظمة زمن موسى .

ـ قوم موسى يمكثون عشرات السنين في سيناء .

ـ وجود أقوام محيطة بسيناء ومنهم من وُصفوا بالجبارين .

ـ قصة البقرة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ودلائلها .

ـ الطلب من موسى أن يخاطب ربه لتنتج الأرض بعض المزروعات كالثوم والقثاء .

ـ سيناء وجبل حوريب .

فهذه المعطيات البيئية والتاريخية والجغرافية، تفتح للباحثين أبواباً تاريخية، يستطيع أن يقاطعها بمعطيات علم التاريخ والدراسات التاريخية كي يصل إلى عصر موسى وزمن نزول التوراة عليه.

الواضح من هذه المعطيات أن الفراعنة بلغوا شأناً عالياً في عقائدهم وقوتهم. فلديهم عبيد مسخَّرون. وبنو إسرائيل جزء من هؤلاء المسخَّرين والمستعبدين. وهذا ما دلت عليه آيات القرآن الكريم. وما دلت عليه نصوص التوراة. وما دلت عليه مخطوطات تل العمارنة والآثار المصرية الأخرى.

وإذا نظرنا إلى المحيط السكاني آنذاك وجدنا أن للفراعنة عقائد وثنية متعددة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأقوام التي سكنت سيناء، ومحيط الأردن، وسكان أرض كنعان، ولهذه الأقوام عقائدها. وبنو إسرائيل الذين لم ينفصلوا عن هذا المحيط، حملوا معهم عقائد الشعوب والأقوام المنتسبة لهذا المحيط. ولا شك أن الصراع بين الوحدانية والوثنية، هو صراع قائم منذ آدم عليه السلام. وشعيب الذي يلتقي بموسى عليه السلام، كان موحدا في قومه الذين رفضوه ورفضوا عقيدته التوحيدية. وعلى الجانب الآخر، كان الجبروت الفرعوني يرسّخ الوثنية والتعددية. بينما كان الشعب العربي الكنعاني، يحاول أن ينتقل

نقلة نوعية من التعددية إلى التوحيد. رغم مظاهر الوثنية لدى بعض قبائله. في هذا الجو المحيط، لم يكن لبني إسرائيل وبعض الفئات الأخرى التي آمنت بموسى وبعقيدته، أي علاقة أو اطلاع بعقائد ما بين النهرين آنذاك. ونستطيع أن نحصر في هذه الزاوية الفراعنة وعقائدهم. وبطون الشعوب الكنعانية الساكنة شمال سيناء وفلسطين، وبعض القبائل العربية التي تقطن بعض مناطق شرق الأردن كمدين وموآب وعمون.

وهذا ما يساعدنا في القول: إن نشوء اليهودية على يد موسى برز في هذه البيئة وبين هذه القبائل وهذه العقائد.

وعلى هذا التأسيس، يمكن دراسة نظرية الإنسان للعقيدة والخالق. ومن ثم يمكن دراسة المؤثرات الواقعية في العقيدة اليهودية أثناء تطورها بعد موسى. وقد تطرقنا في بداية هذا الفصل إلى عقائد كل من الكنعانيين والفراعنة والبابليين كما تطرقنا إلى عقائد شعوب أخرى كالهندوسية والبوذية وبعض عقائد الشرق الأقصى وفارس وما لها من علاقة بمفهوم الله.

ويمكن لنا ونحن ندرس نشأة اليهودية أن نسلط الضوء على عقائد الفراعنة والكنعانيين وعقائد بطون الشعوب العربية المنتشرة في شرق الأردن، وذلك أثناء بروز العقيدة اليهودية استنادا على ما قالته نصوص التوراة. وما يمنحنا إياه القرآن الكريم من إشارات حول ذلك.

تورد التوراة أن موسى عليه السلام عاش طفولته في مصر. ثم هرب منها في شبابه باتجاه سيناء. والتقى بالكاهن يثرون في مدين. ثم عاد إلى مصر، لإخراج بني إسرائيل من عذاب فرعون. وعند خروجه إلى سيناء، كانت تسكن المنطقة قبيلة عربية كنعانية. ثم في سيناء أنزلت التوراة على موسى. وعلى حدود فلسطين الجنوبية مات موسى دون أن تطأ قدمه أرض فلسطين .

و المدة التي مكث فيها بنو إسرائيل في سيناء وعلى أطراف أدوم، أبرزت عقائدهم بشكل جيد. وكانت سيناء مسرح تطور هذه العقائد. ولا سيما المرتبطة بطبيعة التصور العقيدي للإله. وحيثيات الواقع تدل بشكل كبير، على مدى ما استلبه بنو إسرائيل من عقائد الشعوب التي عاصرتهم، إنْ كان ذلك في مصر وأطرافها أو في شمال سيناء وجنوب الأردن.

الشعب المختار والإله القبلي المختار

استند المفهوم الديني لدى اليهودية على مقولة شعب الله المختار. وقد ورد هذا المستند في كثير من نصوص التوراة .

تقول التوراة: (وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً) .خروج 3/6

وفكرة الشعب المختار هي من اختراع سفر الإشتراع إضافة لما جاء في الأسفار الأولى من إشارة إلى الشعب المختار. وسفر الإشتراع، يلغي كل ما اقترفه الإنسان بحق الله (الخطيئة الأصلية التي تمرد فيها الإنسان على طاعة الله ـ مقتل هابيل على يد قابيل ـ ادِّعاء الإنسان بمساواة الله حينما شيد برج بابل... ليجئ الطوفان ويمحو كل هذه المعاصي ..الخ.

وتقول التوراة: (فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك إبنا وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده). تكوين إصحاح 18 ـ 19.

وجاء في سفر الخروج: وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً. إصحاح 6 ـ 7.

وقد أسس بنو إسرائيل تصورهم العقائدي للإله على أساس أنهم شعب خاص لإله، هذا الإله اختارهم لوحدهم ليكون لهم دون غيرهم .

من هذا المنطلق نسير مع رحلة التصور الإسرائيلي لهذا الإله الخاص .

في الإصحاح الثالث من سفر الخروج يبدأ كاتب التوراة بتصوير الإله. وتطور علاقته مع بني إسرائيل. فالله عندما يتجلى لموسى عليه السلام يقول له: (أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب) 3 ـ 6. وعندما يحاور موسى ربه يقول فإذا قالوا لي ما اسمه، فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم. وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد) خروج 3 ـ 13 ـ 14 ـ 15.

فالحديث الحِواري القائم بين موسى وربّه يبرز ثلاث تسميات لله. الله. أهيه. يهوه، فاسم الله معروف بشكل متواتر في العقائد كلها ولا سيما الكتابية منها. ولكن إذا نظرنا إلى المصطلحين الآخرين نجد غرابة ما تكتنفهما. فأهيه. ويهوه في صيغة المضارع الحاضر أي الكائن الآن ولا يفهم من التعريفين سوى ذلك.

ويبدأ تخصص الله لبني إسرائيل منذ هذا السفر. حيث يخصهم بالنسبة. وبالإضافة، تقول التوراة: هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي) خروج 5 ـ 1 وتقول: فقالا: (إله العبرانيين قد التقانا) خروج 5 ـ 3.

فالإله هو خاص هنا لبني إسرائيل. وهذا ما سيكون المحور المهم في العقيدة اليهودية فيما بعد، إذ أن الإله إله فئوي. وفي هذا الإطار يكون الإله العبراني عبارة عن تصوير بشري بحدوده وصفاته. وليس هو إلهاً مجرداً له خصوصيته المنفصلة عن التصور الضيق أو التصور الفئوي.

وقد ربط العبرانيون الإله المتصوَّر بوعد قطعه على نفسه بمنحهم أرضاً يسكنون فيها. وهذه العلاقة تجسد الطموح الذي كان عليه زعماء بني إسرائيل، وهم في الأسر البابلي أيام تدوين التوراة. ويأتي أمر الوعد في سياق خطاب النبي موسى لبني إسرائيل الذين بدأوا التمرد عليه منذ اللحظات الأولى للقائه بهم

بعد عودته من سيناء في الإصحاح الثامن من سفر الخروج يرد: (وقل له هكذا يقول الرب أطلق شعبي ليعبدني) 225

وفي الإصحاح التاسع: (وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني) 2 خروج

وجاء في الإصحاح 24 من الخروج (ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة...) 9

وفي سفر التثنية يرد: (الرب إلهنا كلمنا في حوريب) 1 ـ 61

ويرد: (الرب إله آبائكم يزيد عليكم) 1 ـ 12

ويرد: (كما أمرنا الرب إلهنا 1 ـ 19 ـ الذي أعطانا الرب إلهنا) 21

ويرد: (وعصيتم قول الرب إلهكم) 9 ـ 26

ويرد: (الرب إلهنا قطع معنا عهداً في حوريب) تثنية 5 ـ 2

وترد عبارة الرب إلهك أكثر من خمسين مرة في سفر التثنية وحده

وفي سفر يشوع 8: 30 (حينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبال عيبال)

وفي سفر يشوع 10: 4 (فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شارداً بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل)

وفي يشوع 10: 4 (لأن الرب إله إسرائيل حارب عن بني إسرائيل)

وفي يشوع 23: 3 (لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم)

وفي يشوع 32: 22 (إله الآلهة الرب إله الآلهة الرب هو يعلم وإسرائيل سيعلم).

في يشوع 32: 22 (مالكم وللرب إله إسرائيل).

يشوع 23: 1 (لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم).

يشوع 24: 1 (هكذا قال الرب إله إسرائيل).

يشوع 24: 23 (فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي وسطكم وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل).

فمن خلال هذه النصوص، يؤسس كتبه التوراة خصوصية الإله فهو إله إسرائيل دون سواهم. وهذا التأسيس بني عليه التصور التوراتي كله. ففي كافة الأسفار تظل خصوصية الإله الإسرائيلي مستمرة.

وتلعب هذه الخصوصية دورها العقيدي والنفسي في الشخصية اليهودية. فالدور العقيدي يعني تماماً رفض آلهة الشعوب الأخرى. صحيح أن الشعوب التي عاشت في فترة بروز اليهودية في غالبيتها شعوب وثنية، ولكن العقيدة اليهودية ترفض أن يكون الله الخاص بها هو ذاته الله في الرسالات الأخرى كالمسيحية والإسلام. وعلى المستوى النفسي فقد بنى هذا الاتجاه في الشخصية اليهودية تماهياً واضحاً بين الله والفرد اليهودي. حيث سنرى في نصوص أخرى أن اليهودي يأمر الله فيطيعه. فيصبح في حالة من الحالات هو الله والله الفرد. وهذا ما يشير لنا بوضوح إلى تأثر اليهودية الكبير بالعقائد الوثنية السائدة آنذاك.

وعندما نتذكر أن تدوين التوراة قد تم أيام السبي البابلي ندرك أن هذا التدوين ما كان ليتم دون تأثير المأثورات العقيدية البابلية والكنعانية وغيرها في العقيدة اليهودية.

فلجميع شعوب المنطقة آلهة قومية خاصة. وهذه هي طبيعة العقائد في الشعوب قبل الرسالات السماوية .

ففي بابل كان الإله الرئيسي مردوخ وقد أشرنا لذلك في صفحات سابقة وفي كنعان كان الإله الرئيسي إيل وفي مرتبة ثانية كان الإله بعل. وفي المدن الهامة أيضاً وجدت لدى الشعوب آلهة خاصة مفضلة على غيرها من آلهة الشعوب. فأهل بيسان كان إلههم الخاص (داجون). وفي نابلس وجد الإله بعل بريث (رب العهد) والإله ملكوم إله العمونيين. وكموش إله المؤابيين. ومولك أيضاً للعمونيين. ويبدو أن المنطقة التي تنقسم إلى مدن وقرى ومناطق لم تتوحد في عقائدها. ومجاراة من قبل بني إسرائيل لهذه الشعوب فقد خصصوا لهم إلها يختلف عن آلهة الشعوب كما يختلف بنو إسرائيل في تصورهم وعقائدهم ومسيرة حياتهم عن بقية الشعوب أو بقية الأقوام.

إله بني إسرائيل كما أراد كاتبو التوراة تصويره هو إله محلي وليس إلهاً عالمياً. وهذا طبيعي قياسا للمحيط الذي عاشوا فيه. ولكن طبيعة هذا الإله، تنسجم مع طبيعة النفسية التوراتية، النفسية اليهودية، النفسية البدوية وليست طبيعة النفس الزراعية المستقرة. لقد عاش بنو إسرائيل حياتهم متنقلين غير مستقرين. وهذا التنقل لا بد له من إله متنقل أيضاً .

إننا نلاحظ أن الآلهة المحلية لبقية سكان المنطقة تستقر في معابد المدن والقرى لأن السكان ذاتهم مستقرون في أرض، مرتبطون بها. أما بنو إسرائيل فلم يرتبطوا بأرض ولذلك كان إلههم متنقلا غير مستقر لا في طبيعته ولا في صفاته.

وحين سمحت لهم الظروف بعد تسرُّبهم إلى فلسطين، وتأسيس ما يسمى مملكة داود وسليمان، فقد ارتبطوا ارتباطا محدودا بهيكل يهوه. وقد اعتبروا أن الهيكل هو مقر إلههم. وقد أصبح الإله الأوحد لهم بعد أن شركوا معه في عبادتهم آلهة وثنية كثيرة. لقد خص بنو إسرائيل أنفسهم بالإله الخاص بهم ولم يقبلوا أحداً من سواهم في عقيدتهم.

تقول التوراة: (أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي) 20ـ 1 ـ 2

وهذا اعتراف توراتي، بأن إله اليهود لم يكن وحده إلها في هذا الوجود. وهذا يعني أن بني إسرائيل لم يعرفوا الإله الواحد إله الخلق أجمعين. لقد عبدوا إلها قوميا خاصا كما ذكرنا لا يقبل أحداً من الناس في عبادته سوى بني إسرائيل. تقول التوراة: (لا يدخل عمّوني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر. لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد.) تثنية 23: 2

ولو لاحظنا عقائد الشعوب الوثنية آنذاك وجدنا أن لا موانع أمام أي من البشر في دخول عقائدهم. بل إننا نرى بعض الشعوب القوية التي اجتاحت المنطقة، فرضت عقائدها وآلهتها على الشعوب التي احتلت أراضيها. وهذا يرمز إلى قوة الشعوب المستندة إلى قوة معبودها.

وإذا ما رحنا نستطلع طبيعة الإله المعبود الذي فهمه أنبياء بني إسرائيل من خلال القرآن الكريم، وجدنا النقيض تماما. وجدنا الله الذي عرفناه من خلال ديانة الإسلام وعقيدة التوحيد الإسلامية.

يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب. ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس. ولكن أكثر الناس لا يشكرون. يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه. ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سورة يوسف 37 ـ 40. والنبي يوسف هو آخر الأنبياء من سلسلة إبراهيم الذين انتهت بهم التواريخ إلى توقف الأخبار أربعمائة سنة حتى ظهور موسى عليه السلام. وبمعنى آخر فإن النبي يوسف الموحد

والذي عرف الله الواحد الأحد رب العالمين، انقطعت عنده هذه العقيدة ولم تظهر أية إشارة بعده إلى هذه العقيدة حتى ظهور موسى عليه السلام. وهذا يعني أن بني إسرائيل لم يدركوا عقيدة التوحيد بل اندمجوا بالعقائد المصرية، حيث عرفوا نمطاً آخر من الآلهة، هو نمط الآلهة القومية المحلية. والبعيدة عن الإله الواحد وعقيدة التوحيد.

ولهذا السبب نجد مفهوم الإله الذي استوعبه بنو إسرائيل، لم يكن ما يقصد إليه النبي موسى عليه السلام.

ويجيبنا القرآن الكريم على التساؤل الذي يقول: ما الذي كان يقصد به النبي موسى عليه السلام بمفهوم الإله.

تطالعنا الآيات القرآنية الكريمة بقولها: (قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السماوات والأرض وما بينهما أن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تسمعون. قال ربكم ورب آبائكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما أن كنتم تعقلون). سورة الشعراء 23ـ 28.

فالآيات توضح طبيعة الله في مفهوم النبي موسى وعقيدته التوحيدية. فالله ليس خاصاً ببني إسرائيل، إنما هو رب العالمين. خالق السماوات والأرض وما بينهما من نجوم وكواكب وإنسان وحيوان ونبات وجماد. وهو رب المشرق والمغرب وما بينهما، إنه رب البشر جميعا ما بين مشرق الكون ومغربه.

وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير بوضوح إلى طبيعة فهم موسى لله سبحانه وتعالى. والمدقق في بعض الآيات القرآنية يكتشف أن الحوار الذي كان يجري بين النبي موسى وبني إسرائيل يدل بشكل واضح على أنهم لم يفهموا هذا الإله ولم يعترفوا به إلهاً للجميع بل هو إله موسى وحده، وليس لهم علاقة به.

يقول تعالى: (وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض....) البقرة 61.

ويقول تعالى: (قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هي...) البقرة 68

وتتكرر هذه الآية. (قالوا ادعُ لنا ربك يبين ما هي...) البقرة 70. وفي قوله تعالى: (ربك). عبرةٌ ودرسٌ. وقد تعني الكثير من المقاصد. ومن هذه المقاصد أن بني إسرائيل يفصلون بينهم وبين رب موسى، ولا يعتبرونه ربا لهم إنما هو خاص لموسى.

وفي بعض الآيات القرآنية إشارات واضحة إلى ما آلت إليه نظرة التوراتيين المنحرفين إلى الله القومي الخاص بهم. فالله لن يعذبهم، ولن يحاسبهم طالما هم شعب الله المختار. يقول تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتّخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون.) البقرة 80

وقال تعالى: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيُّهم قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين.) البقرة 111

وهذا يدل بشكل واضح على أن الله القومي الخاص بهم يصنع لهم جنة خاصة بهم. وهذا طبيعي لأنه يترتب على البعد القومي الخاص للإله الذي تصوروه.

ويقول تعالى: (قل أتحاجُّوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون.) البقرة 139.

فهم يؤمنون بإله يبعث الأنبياء من بني جنسهم، فإن بعث الله نبيا آخر ليس من بني إسرائيل فإن هذا الإله ليس هو إلههم. وقد أنزلت هذه الآيات لترد عليهم عندما بعث الله سبحانه وتعالى محمدا بن عبد الله نبيا ليس من

بني إسرائيل. فهذا لم يكن في حسبانهم فرفضوا نبوته وجادلوا في اختيار الله له نبيا. حتى وصل بهم الحد إلى نكران الله الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا للعالمين.

وقال تعالى: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير.) المائدة 18.

فما تصوره بنو إسرائيل هو أن الله خاص بهم. فهم أحباؤه لأنه لهم وحدهم. ولن يعذبهم كبقية البشر لأنهم شعبه المختار.

ولما كان الإله المتصوَّر إلهاً خاصاً فإن علاقته ببني إسرائيل تتمدّد وتتّسع لتشمل كل القضايا الخاصة ببني شعبه.

فنرى هذا الإله يقسم ميراث النبي إبراهيم قسمة غير عادلة. فيخصص بالميراث إسحق وابنه يعقوب وينفي هذا الميراث عن إسماعيل وأبنائه. والميراث هنا مادي ومعنوي، يرتبط بأموال إبراهيم وممتلكاته من جهة وبنبوّة إبراهيم وميراثه الروحي من جهة أخرى.

تقول التوراة: (فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك إبنا وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده) تكوين 17: 19

وتقول: (فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق) تكوين 21: 11

وهذا يعني حسب تصور التوراة، أن الميراث من حق إسحاق ونسله. ونسلُه يعقوب والأسباط ويوسف وكل من يدّعي بعدئذ أنه من نسل يعقوب.

الإله التوراتي ـ نفي الثبات، ضياع الهوية

بعد انقطاع الخبر التاريخي التوراتي، منذ وفاة يوسف وحتى بروز موسى عليه السلام لم تبرز لنا عقائد بني إسرائيل ولم تظهر. وكثيرٌ من الباحثين يرون أن هذه الفترة التي تقدر بأربعمائة سنة تقريبا هي حلقة مفقودة في تاريخ هذه الجماعة التي أطلقت عليها التوراة بني إسرائيل.

والحديث الذي أبرزته التوراة هو قولها: مات يوسف وإخوانه وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل، فأثمروا وتوالدوا وكثر عددهم وامتلأت الأرض منهم ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فخشي من كثرة بني إسرائيل وانضمامهم للأعداء عند حدوث الحرب. فسخرهم واستعبدهم وأذلهم بالأعمال الشاقة ولم يشر القرآن الكريم إلى هذه الفترة أو الحلقة المفقودة، والذي يمكن أن نجده في التوراة والقرآن الكريم هو الحديث عن استعباد فرعون لبني إسرائيل وتسخيرهم وقتل أطفالهم الذكور المولودين حديثاً. واستحياء نسائهم .

أما عن عقيدتهم فلا نجد ذكراً لذلك خاصة الفترة التي بدأت منذ وفاة يوسف وحتى بدء ظهور النبي موسى. وهناك بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى موت يعقوب عليه السلام ووصيته لأبنائه بعبادة الإله الواحد .

يقول تعالى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي. قالوا نعبد ألهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون.) 133البقرة

يقول تعالى: (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين.)البقرة 135. (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى

وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منـــهم ونحـن لـه مسـلمون) البقـرة 136.

فهل بقي أبناء يعقوب على دين يعقـوب؟ وإذا كـان الأسـباط بمـا فيـهم يوسف عليه السلام قد تمسكوا بعقيدة التوحيد فهل بقي أبناؤهم وأحفادهم على هذه العقيدة؟ أم تداخلت عقائد الفراعنة في عقيدتهم وتشوهت؟ إن أربعمائة سنة من وفاة يوسف حتى بروز موسى خلت من الأنبياء. ولم يرد ذكر أي نبي جـاء لبني إسرائيل لا في التوراة ولا في القرآن الكريم. ويظل البحث في عقيدتهم ضمن الظن والتخمين، إذ ليس هناك أي برهان قاطع يدل على عقائدهم فمن المحتمل أنهم تأثروا بعقائد المصريين، ومـن المحتمـل أنـهم ظلـوا دون عقيـدة واضحـة، وربما بقي قسـم منـهم علـى ديانـة التوحيـد، وانحـرف بعضـهم الآخـر ولعـل الأحداث التي بدأت مع نبوة موسى عليه السلام قد تدلل على ما كانوا عليه .

تتحدث التوراة في سفر الخروج عن قصة ظهور ملاك الرب بلهب النار في وسط علّيقة ثم يسمع موسى صوت الله إذ يقول: إن موسـى غطـى وجهـه لأنـه خاف أن ينظر إلى الله. ويقول الرب لموسـى. لقـد رأيـت مذلـة شـعبي في مصـر ونزلت لأنقذهم وأصعدهم (إلى أرض تفيض لبنا وعسلا) خروج 3: 8.

وتذكر التوراة أمر الله لموسى ليتحدث لبني إسـرائيل مـن أجـل الخـروج وتقول التوراة وتقولون له (إن إله العبرانيين قد التقانا) خروج 3: 18.

فنلاحظ هنا أنه قبل الخروج من مصر كـانت التـوراة تسـتخدم لفـظ إلـه العبرانيين، وبعد الخروج أصبح إله إسرائيل دون العبرانيين .

ومهمة الله حسـب نـص التـوراة، هـي نزولـه مـن عليائـه لينقـذ شـعب العبرانيين بينما نجد أن القرآن الكريم يتحـدث عـن مهمـة موسـى الأولى وهـي دعوة فرعون إلى ديانة التوحيد.

يقول تعالى: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه 14

و يقول تعالى: (اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى) طه 43 ـ 44 ويدخل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون ويوضحان من خلال حوارهما معه ما هو الله. وأنه رب السماوات والأرض. والذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى. والله لا يضل ولا ينسى. وهو الذي جعل الأرض مهاداً وجعل فيها سبلاً وأنزل من السماء الماء إلى آخر ما هنالك من توضيحات.

وتبدأ قصة وتقلبات وضياع هوية الإله في عقلية بني إسرائيل مع بدء رحلة الخروج المشهورة .

تقول التوراة: (فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كفَّ عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية) خروج 14 : 10 ـ 13

ففي هذا الحدث يتجلى الأفق النفسي للعقيدة عند بني إسرائيل. فلمجرد أول امتحان أو أول هزة، يتعرضون لها يثورون بوجه موسى، لأنهم لا يريدون الموت، ولا يريدون مغادرة العبودية. فعقيدة التوحيد ليس لها وجود في نفوسهم أو عقولهم. وفي هذه النصوص يغيب الرابط بينهم وبين العقيدة .والنبي موسى عليه السلام هو الذي يعرف بنبوته وعقيدته أن الله معه. ويحاول جاهداً تعليمهم أن الله سيكون معهم لو آمنوا. ولكن لا جدوى، فالطبع العقيدي غير

التوحيدي يطغى على عقولهم. وهو الذي يمنع عقولهم، من التحرك لخوفهم الله وفهم التوحيد.

تقول التوراة: (ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى) خروج 14: 30

وهذه اللحظة بالذات تدل بشكل واضح أن الأيمان الذي آمنوا هو إيمان الخوف والرهبة. آمنوا بالرب بسبب فعله. أي أن الإيمان جاء كردة فعل آنية. وهذا طبيعي على المستوى النفسي. ولكن ردة الفعل (الخوف والرهبة)، دائما تزول عندما يفقد السبب.

فعندما يدخل بنو إسرائيل سيناء ويبتعد الحدث عنهم، يعودون إلى طبيعتهم السابقة أي طبيعة الكفر، أو الانقلاب على لحظة الإيمان العابرة.

ففي الإصحاح 16، وبعد أن يرنّم بنو إسرائيل للرب لأنه أغرق فرعون، يدخلون برية سين التي بين إيليم وسيناء. وبعد خمسة عشر يوماً من دخولهم الصحراء .

تقول التوراة: (فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فأنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع) خروج 16: 1 ـ 3

ومرة بعد مرة يثور بنو إسرائيل، ويتذمرون من موسى بسبب صورة الماضي التي تعني لهم العبودية لفرعون، ولشعبه مقابل امتلاء البطون بالخبز واللحم.

ثم في الإصحاح 17 تقول التوراة: (ولم يكن ماء ليشرب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء لنشرب... فلماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً. ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني) خروج 17: 1 ـ 2 فليس لله مكان في العقلية التي ركبت لدى بني إسرائيل. فالمسألة لا تعدو كونها صراعاً بينهم وبين النبي موسى عليه السلام.

وبعد هذا التذمر المتكرر تبدأ التقلبات العقيدية من حال إلى حال والدارس لتقلبات العقيدة في النفسية اليهودية، يراها قد أخذت في كل فترة منحى حاداً. وهذا ما يشير إلى أن العلاقة بينهم وبين التوحيد هي علاقة هشة ليس لها استنادات قوية في النفوس.

سنرى ماذا يقول القرآن الكريم :

يقول تعالى: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون) الأعراف 138

فهذا هو الحدث الانقلابي الأول بالنسبة للعقيدة. ولعلنا جميعاً نتساءل أين الله الذي عرّفهم موسى على قدرته وعالميته ؟. يبدو أن الفترة الزمنية التي عاشوها في مصر جعلتهم يتمثلون عقيدة الأقوام، لاسيما المصريون الفراعنة فهم يريدون إلهاً مثل بقية الشعوب. وهذا حق لهم ولكن هذا الإله الذي يريدونه هو أشبه بآلهة الأقوام التي مروا بها في سيناء. والواقع أن طلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهاً كالأصنام التي يعكف على عبادتها أقوام مروا بهم دليلُ إعجابهم المفرط بهذه الآلهة. وغيرتهم الزائدة أو حسدهم للأقوام الأخرى التي لها آلهة بينما هم بدون آلهة. !

ماذا كان يفعل موسى في تعاليمه لهم؟ ألم يقل لهم إن لكـم إلهـاً أنقذكـم من عذاب فرعون؟ ألم يقولوا هم أنفسهم أن الرب أمات جنود فرعون فخافوه؟

لكنها طبيعة التقلب العقيدي التي جبلت بها نفوسهم.

ولندخل في أعماق الصحراء معهم لنصل إلى قصة العجل الـتي تعتـبر مـن أهم القصص الحقيقية التي توضح ذلك التقلب .

فالتوراة تشير إلى هذه القصة بإسهاب .

والقرآن الكريم يتحدث عنها في أكثر من موضع. فما هـي حيثيـات هـذه القصة وما المفارقات فيها؟

فمع أول غيـاب للنـبي موسـى عليـه السـلام عـن بـني إسـرائيل، يبـدأ الانقلاب الكبير في العقيدة. فبنو إسرائيل الذين اعتادوا رؤية عبـادة المصريـين، لم يستطيعوا تقبل وحدانية الله. وغياب موسى يعني بالنسبة لهم غياب الإله.

تقول التوراة: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطـأ في الـنزول مـن الجبـل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنـا آلهـة تسير أمامنـا لأن هـذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هـارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهـب الـتي في آذانـهم وأتـوا بـها إلى هـارون. فـأخذ ذلـك مـن أيديهم. صوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هـذه آلهتـك يـا إسـرائيل التي أصعدتك من أرض مصر) خـروج 32: 1 ـ 5 وتقـول التـوراة: (صنعـوا لهـم عجلاً مسبوكاً وسجدوا لـه وذبحـوا لـه وقـالوا هـذه آلهتـك يـا إسـرائيل الـتي أصعدتك من أرض مصر) خروج 32 ـ 8. وتقول التـوراة: (وسمـع يشـوع صـوت الشعب في هتافه فقال لموسى صوت قتال في المحلـة فقـال لبـس صـوت صيـاح

النصرة ولا صوت صياح الكسرة بل صوت غناء أنا سامع. وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص) خروج 32: 17 ـ 19.

وتقول التوراة: (ولما رأى موسى الشعب أنه معرًى. لأن هارون كان قد عرّاه) خ: 32: 25. فالذي ترسمه التوراة في هذه الصورة كالتالي:

عجل ذهبي يصنعه هارون. يسجدون له وذبحوا له القرابين. ثم يغنون له ويرقصون حوله عراة .. فالصورة واضحة تحتاج لتعليق بسيط. وهو أن بني إسرائيل لا يبتعدون عما نسمعه عن الأقوام البدائية في مجاهل الغابات. فالصورة توضح أنهم في الحضيض من التخلف العقيدي والعقلي والنفسي. ولا تبتعد الصورة عما ترسمه الأفلام الأمريكية عن الهنود الحمر أو قبائل الماو ماو في أفريقيا. ولا شك أن سؤالاً يطرح نفسه يقول ما الذي جعل بني إسرائيل يختارون العجل الذهبي إلهاً؟

الواقع أن الطبيعي بالنسبة لبني إسرائيل أن يختاروا أحد الآلهة المرموز لها بالعجل، كما هو الحال عند المصريين والبابليين، والثور في الأسطورة البابلية أو المصرية رمز القوة في حراثة الأرض، ونقل بعض الأدوات عليه، كما هو الحال عند الهنود. وبنو إسرائيل الذين لم يمض على خروجهم من مصر الكثير من الوقت، ما يزالون يحتفظون في مخزونهم النفسي والفكري معتقدات المصريين وعقائدهم. إضافة لذلك فإن تدوين التوراة الذي تم في السبي البابلي، لم يكن بمعزل عن المؤثرات العقيدية الموجودة في بابل ثم في مدائن الفرس.

(وتعدُّ عبادة عجل آبيس Apis في منف من أقدم عبادات الحيوان في مصر، إذ أن عبادته قديمة قدم الأسرة الأولى، وتكشف عبادة آبيس عن تطور كان شائعا في الواقع. فهي تبدأ عبادة مستقلة بذاتها، ثم ترتبط عقائديا بعد ذلك بكبار الآلهة مثل رع وأوزوريس كما ترتبط باسم بتاح وكذلك بأهم آلهة منف. وقد تمت خطوة أبعد لا نظير لها. ففي بداية العهد البطلمي انتشرت

عبادة أوزوريس ـ آبيس عن وعي لإقامة عبادة جديدة هي عبادة سيرابيس. وربما قصد بها أن توجه للإغريق المقيمين في مصر، غير أن سيرابيس فقد بمرور الزمن هيئة الثور آبيس)[1].

وقد اهتم الهندوس بعبادة الثور والبقرة كثيرا وفي (رج فيدا) أنشودة تقول: (لتصعد أنشودتي الملهمة إلى فيشنو الثور ساكن الجبال، صاحب الخطى الكبيرة. نتوق للذاهب إلى حيث تسكن حيث توجد الأبقار النشيطة ذات القرون العديدة. ومن هناك يشع فيشنو علينا فيشنو الثور بخطوته العالية.)[2]. وقد أصبحت تماثيل البقرة في كل معبد ومنزل وميدان، ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها أو يستغل جلدها في أية صناعة من الصناعات وهي إذا ماتت وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين.)[3]

وقد أوضح القرآن الكريم قصة عبادة بني إسرائيل للعجل بشكل مسهب، ولا تكاد تختلف عما جاء في التوراة من حيث هي كحدث. ولكن الاختلاف الجذري يقع في اتهام التوراة لهارون بأنه هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، إضافة لبعض الجزئيات الأخرى التي يمكن اكتشافها من خلال مقارنتنا النص التوراتي بالنص القرآني.

يقول تعالى: (وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون) البقرة 51

ويقول تعالى: (وإذ قال موسى لقومه إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) البقرة 54

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 51 ترجمة امام عبد الفتاح امام.

(2) سر قبالي داداكر وشارلز مور. الفكر الفلسفي الهندي. ترجمة ندرة اليازجي 1967.

(3) سليمان مظهر قصة الديانات ص 86 الوطن العربي القاهرة ـ بيروت 1984.

ويقول تعالى: (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) الأعراف 148

ويقول تعالى: (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئس ما يأمركم به أيمانكم إن كنتم مؤمنين) البقرة 93

ويقول تعالى: (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً) النسأ 153

ويقول تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) الأعراف 150

ويقول تعالى: (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلّة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) الأعراف 152

ويقول تعالى: (فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى. أفلا يرون ألاّ يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً. ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا. ألا تتبعن أفعصيت أمري. قال يبنؤمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي. قال فما خطبك يا سامري. قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي. قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا) سورة طه 88 ـ 97

لقد وردت الإشارة إلى عبادة بني إسـرائيل للعجـل في تسـع مواضـع مـن القرآن الكريم وجميعها تشير إلى الحدث بوضـوح وتتقـاطع مـع قـول التـوراة في ذلك. لكن الاختلاف كما قلنا يقع في الحديث عن النبي هارون. فحسـب قـول التوراة، فإن هارون هو الذي يصنع العجل ليعبدوه. فهارون نبي بتصريح القرآن الكريم. وهو مكلف مثل موسى عليه السلام بتبليغ رسالة التوحيد. فلا يعقل أن يضل نبي عن عقيدته ليصنع عجلا من ذهب ليعبده قومه. والواقع أن السامري هو من صنع لهم هذا العجل وأمـا هـارون فنـهاهم عنـه ولكنـهم عصـوه وكـادوا يقتلونه حسب نص القرآن الكريم .

بعد موت يشوع يفتقد بنو إسرائيل للموجِّه والقائد، ويفتقدون بعد موسى عليه السلام للنبي الذي يواصل مسيرة الهداية بينهم. وبعد أن تسربوا إلى بعض أجزاء فلسطين، وجدوا شعباً كنعانياً متحضراً مستقراً، شـعباً زراعيـاً لـه مدنـه وقراه. وكان لابد للغزاة العبرانيين من النظر في عقـائد الكنعـانيين. ولاسـيما أن الشعب الكنعاني تحملهم وسكنوا في قراهم ومدنهم وهذا ما صرحت بـه التـوراة نفسـها.

وكأمثلة على ذلك تقول التوراة: وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أُورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين ولم يطرد منسـى أهـل بيـت (شـأن) وقراها ولا أهل (تعنك) وقراها ولا سـكان (دور) وقراهـا ولا سـكان (يبلعـام) ولا سكان (مجدو) وقراها وافرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في (جازر). زبلون لم يطرد سكان (قطرون) ولا سكان (تهلول). ولم يطرد أشير سكان (عكا) ولا سكان (صيدون ويحلب وأكزيب وحلبة وفيق ورحوب). ونفتاي لم يطرد سكان (بيـت شحى) ولا سكان (بيت عنا) بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض) القضاة 2: 22 و2 ـ: 27. و2: 30 ـ 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34.

وقبل أن ندرس ضياع هوية الإله عند بني إسرائيل يجدر بنا أن نصحح كلام التوراة الذي ورد في هذه النصوص .

فبدل قولها سكن اليبوسيون مع بني بنيامين يكون القول الصواب سكن بنو بنيامين مع اليبوسيين. كما ورد في قولها بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض. وهذه النصوص التي صرحت بها التوراة تفتح أمام أعيننا دراسة التأثر والتأثير بين الكنعانيين وبني إسرائيل، وإذا عدنا إلى نصوص التوراة نفسها، وجدنا أن التأثير من جانب واحد فبنو إسرائيل لم يؤثروا في الكنعانيين بل الذي حدث هو أن الكنعانيين هم الذين أثروا ببني إسرائيل. وكان من المفترض أن يؤثر أصحاب عقيدة التوحيد في عقيدة الوثنية، غير أن بني إسرائيل الذين ما انفكوا يتقلبون في عقيدتهم بل في عقائدهم، لم يكونوا قادرين على تمثل عقيدة التوحيد ولم يكونوا قادرين على التأثير في غيرهم من الشعوب. وبرهنت نفسيتهم على أنهم سرعان مايتمثلون عقائد الآخرين بمجرد رؤية طقوسهم ومعابدهم وعقائدهم.

تقول التوراة: على لسان الرب (لم تسمعوا لصوتي) لكن صوته يذهب أدراج الرياح .

تقول التوراة: (وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب) القضاة 2: 11ـ13.

(تركوا الرب وعبدوا البعليم وعشتاروت) القضاة 2: 14.

ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعا عن الطريق التي سار بها آباؤهم لسمْعِ وصايا الرب لم يفعلوا هكذا) القضاة 2: 17 ـ 18.

وتقول التوراة: فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري. القضاة 3: 7.

وتقول: (وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه.) قضاة 10: 6.

وقد تميزت آلهة الشعوب أو القبائل التي كانت تسكن المنطقة بأنها آلهة منقسمة فيما بينها. وحسب الأساطير الكنعانية فإن الإله بعل وهو من كبار الآلهة يمثل السطوة والقوة والشر، على الرغم من أنه يمثل أحيانا إله الخصب والأمطار والصواعق، باعتباره إلها زراعيا وكان في المقابل آلهة أخرى تمثل الجانب الخير في الأسطورة الكنعانية يمثله الإله إيل والإلهة عناة.

غير أن بني إسرائيل مالوا في عقيدتهم إلى الإله بعل ولم يميلوا إلى إيل والجانب الخير ونصوص التوراة تشير عشرات المرات إلى أن بني إسرائيل ساروا وراء البعليم ومن صفات بعل إنه يتلذذ بأرزاء البشر، يحب العقاب وهو الذي يأمر الأعاصير، ولا يتردد في النيل من الناس بيده حتى إنه لا يتردد في مصارعتهم.

ولم يكن لبعل أتباع رسميون في البداية، ثم انتشرت عبادته وصار له معابد، ولهذا الإله أتباع من خارج نطاق الشعب الكنعاني. ويقال إن زوجته تدعى عشتار، ويرد إنهما يدعوان للإباحية على العكس من الإله إيل والآلهة عناة، فهما يدعوان للمحبة والحفاظ على الأسرة، ويقفان في وجه الإباحية التي ينشرها بعل وعشتار. وفي عصر القضاة تعلق بعبادة بعل أكثر بني إسرائيل وبنوا له المعابد، ولذلك نجد أنه ينتشر كصنم في كثير من المناطق ويطلقون عليه عدة أسماء.

من ذلك نرى اسم (بعل فغور) (وبعل زبوب) (وبعل بريث) والأخير هو الذي يعبده الكنعانيون في نابلس، ويعبده بنو إسرائيل. وهناك أيضا (بعل تامار) أي إله التمور أو النخيل و(بعل جاد) و(بعل حاصور) و(بعل حرمون) أي إله جبل حرمون و(بعل صفون) أي إله الشمال، و(بعل فراصيم) آي إله الانفجارات و(بعل هامون) أي إله الجمهور وبعل معون أي إله السكن .

وليس مستغرباً أن يتبع بنو إسرائيل الإله بعل لأن تقلّبهم في العقيدة اقتضى منهم أن يكونوا على نقيض من تعاليم الله التي أنزلت على موسى عليه السلام. وهذه التعاليم تتقاطع في كثّير من القضايا الخيرة مع عبادة الإله إيل. ولذلك كان اختيارهم لبعل اختياراً لنوازعهم المنحرفة، وميلهم إلى الإباحية، ورفض كافة تعاليم السماء. وقد أوردت التوراة كما رأينا أن بني إسرائيل عبدوا البعل وآلهة أخرى وزنوا وراءها. وهذا ما يؤكد ميلهم إلى الإباحية التي مثّلها بعل في الأساطير الكنعانية. وقد تعاقبت عبادة الأصنام والآلهة الوثنية من الآباء إلى الأبناء وتورد التوراة أن الأبناء كانوا يفسدون أكثر من آبائهم في الذهاب وراء آلهة أخرى، يسجدون لها ويعبدونها.

وكان ربهم الأول ـ رب الجنود ـ قد حرَّم عليهم الاختلاط بالشعوب، لكن الشعوب كانت أقوى منهم وهذا طبيعي لأن المتخلف لا بد أن يتأثر بالمتحضر، والمتنقل يتبع المستقر، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت بني إسرائيل يتقلبون من عقيدة إلى أخرى الاختلاط العرقي مع الشعوب التي سكن بنو إسرائيل في وسطهم. وهذا الاختلاط جاء نتيجة التزاوج المستمر بينهم وبين تلك الشعوب .

تقول التوراة: (فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم) قضاة 3: 5 ـ 6.

وقياساً على هذا التزاوج فقد أوردت التوراة زوراً وبهتاناً أن النبي سليمان قد تزوج ألف امرأة وبنى لهن جميعاً معابد وصنع لهن أصناماً يعبدنها .

تقول التوراة: (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. موآبيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات .. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى وذهب وراء عشتروت وملكوم وكموش وبنى مرتفعة لهن على الجبل الذي تجاه أورشليم. وهكذا عمل لجميع نسائه اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن) الملوك 1: 11 ـ 4.

وتقول متهمة سليمان عليه السلام بالانحراف عن ديانة التوحيد: (وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه) ملوك أول 11: 5

وإذا نظرنا في سفر الملوك الثاني ونهاية سفر الملوك الأول لوجدنا تعاقب ملوك كثر على ما سمي دولتي إسرائيل ويهودا، ولوجدنا أن أكثرية هؤلاء الملوك تركوا عبادة إله إسرائيل واتبعوا عبادة آلهة الشعوب الوثنية، حتى أنها سيطرت تماما على عقائدهم جميعها، بمعنى أن عبادة الأصنام لحقها معتقدات دينية كثيرة، اختلطت بالسحر تارة ، وبالقرابين تارة أخرى والمحرقات تارة ثالثة. وهذه الملحقات كانت موجودة زمن النبي موسى عليه السلام، ولكن توجهها أصبح باتجاه الأصنام وليس باتجاه إرضاء إله بني إسرائيل.

ولعل أكبر تحول عقيدي أوردته التوراة، هو الذي حدث عندما تسلم المُلكَ على إسرائيل المدعو آخاب بن عمري. وحسب قول التوراة فإنه تملك اثنتين وعشرين سنة. وتقول التوراة: (وعمل آخاب بن عمري الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين من قبله وكأن سلوكه كان أمراً زهيداً قياساً بخطايا يربعام بن نباط، حتى اتخذ إيزابل ابنة اثبعل ملك الصيدونيين إمرأة وسار

وعبد البعل وسجد له ، وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة وعمل آخاب سواري وزاد آخاب في العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله) ملوك أول 16: 30 ـ 33

وقد صرّحت التوراة بأن من بقي من بني إسرائيل لم يسجد للبعل هم سبعة آلاف فقط فقالت على لسان الرب: (فقد أبقيتُ في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجثُ للبعل وكل فم لم يقبله) ملوك أول 19: 18

وفي سفر الملوك الثاني تزداد عبادة بني إسرائيل للأصنام غلواً، ويرى القارئ في هذا السفر أن العقيدة غابت تماماً من نفوسهم وأكثرية ملوكهم خرجوا عن عقيدة إله إسرائيل .

فعلى سبيل المثال تقول التوراة (كان منسّى إبن إثنتي عشر سنة حين ملك... وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل. وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقية أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل آخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها) ملوك 2: 21: 1 ـ 3 وتقول: (وعبرّ ابنه في النار وعاف وتفاءل واستخدم جانٌ وتوابعَ ، وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته. ووضع تمثال السارية التي عمل في البيت الذي قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه في هذا البيت) وفي أورشليم التي اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمي إلى الأبد ملوك 2: 21 ـ 5

وقد أشار القرآن الكريم إلى عبادة البعل من قبل بني إسرائيل، في سياق الحديث عن النبي إلياس.

يقول تعالى: (وإن إلياس لمن المرسلين. إذ قال لقومه ألا تتقون. أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين. الله ربّكم وربُّ آبائكم الأولين. فكذبوه فإنهم لمحضرون) الصافات 123 ـ 127. والنبي إلياس على أكثر الأقوال هو نفسه إيليا الذي ذكرته التوراة وذكرت صراعه مع آخاب بن عمري وزوجته إيزابل اللذين أشاعا عبادة البعل بين اليهود. ولاحقا النبي إيليا بسبب دعوته لعقيدة التوحيد .

الإله التوراتي، مسيرة التجسيم والتجسيد

لدى بني إسرائيل تجليات كثيرة في مسيرة تصورهم للإله. وعلى اعتبار أن الإله الذي أرادوه لأنفسهم خاصة، فلا بد أن يكون التعامل مع هذا الإله على أساس الخصوصية الإسرائيلية، وعلى أساس أنهم اختاروه بأنفسهم ليضفوا عليه تصوراتهم وتخيلاتهم، وعلاقتهم معه.

لقد بدأ هذا التصور منذ سفر التكوين، ولكنه راح يتكامل في سفر الخروج، ليؤسس فكرا دينيا خاصا لأتباع اليهودية فيما بعد.

يبدأ التصور بمسير الله أمامهم عندما هربوا من فرعون وجنوده، في طريقهم إلى سيناء، تقول التوراة: (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب). خروج 13: 21ـ 22.

وكما جسد كاتب التوراة الله في عمود سحاب وعمود نار، فإنه يتجاوز ذلك مع تطور تصوره، فلا حدود تمنعه من هذا التجاوز، ولا عقيدة توحيدية تسعفه في الحد من الغلو الذي يقع فيه:

تقول التوراة: (لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء) (وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل إلى الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب لملاقاة الله... وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخان كدخان الآتون. وارتجف كل الجبل جدا.. ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل) خروج: 19: 16 ـ 20.

وعندما نقارن هذه النصوص بنصوص بابلية أو كنعانية سنرى التصورات نفسها، التصورات اليهودية التي اقتبست من تلك الأساطير الوثنية. فالملك البابلي أو الكنعاني ينقلب إلى إله وما عدا ذلك فإن جميع الأمور تتشابه. نزول الإله على الجبل يشابه تماما نزول الإله الوثني بعل من السحاب إلى الأرض. وأصوات البوق والزمور من الأدوات المستعملة في المراسم الملكية. وخاصة البوق المصنوع من القرون الكبيرة.

والنص التوراتي الذي أوردناه من سفر الخروج لا يترك مجالاً للتفسير المجازي. فنزول الرب نزول مادي. عيون الشعب أيضا ليست رؤيا أو بصيرة. وصوت البوق والرعود والبروق والسحاب الثقيل. وملاقاة الله. وجبل سيناء يدخن. ونزول الإله بالنار ودخانه ثم نزول الرب على رأس الجبل. كل ذلك ليس ثمة فرصة لتفسيره تفسيراً مجازياً كما يدّعي بعض اللاهوتيين.

وتتمادى الرؤية التوراتية في وصف العلاقة بين بني إسرائيل وبين الله حتى تصل درجة التأكيد الاستمراري على الرؤية البصرية لله وهي رؤية جماعية. إن هذا يفتح الأعين على طبيعة التأسيس الكهنوتي في وصف الله والقوى الغيبية كالملائكة والجن. ولكن الدارس لطبيعة العقائد الوثنية، سيرى أن التأسيس الكهنوتي اليهودي لم يكن تأسيسا توحيديا إنما جاء تأسيسا وثنيا مخالفا لكل ما جاء به النبي موسى عليه السلام. تقول التوراة:

(ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا) الخروج: 24: 9 ـ 11.

وهذا تجسيد واضح وتشبيه لا خفاء فيه. وفد وردت عبارة أخرى في سفر العدد تقول: يا رب ظهرت لهم عينا لعين. وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر

أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلاً) العدد: 14 ـ 14. لكن معنى هذه العبارة يرد في نسخة أخرى من التوراة بقولها:

(وكان منظر عظمة السيد كنار آكلة في قرن الجبل يراه جماعة بني إسرائيل)، وهذا يدل على استمرار التحريف في التوراة من وقت لآخر[1].

في النص السابق يتضح التطوير اليهودي لصورة الله. لقد رأوا فيه عظمة وجبروتا، ولكن يجب أن يمنحوه أيضا جمالا وروعة تفوق جمال الإنسان. ومن الطبيعي جدا أن يجاري بنو إسرائيل الشعوب الأخرى في تصوراتها. فكتبة التوراة وجدوا ما كان عليه ملوك بابل وأصنامهم وما يحاط بها من هالة وتزيين. والواقع الجغرافي البيئي يقول لنا: إن بني إسرائيل الذين ما يزالون في صحراء سيناء، لا يرون سوى الرمال والحر والعواصف لا يمكن أن يأتوا بهذا الوصف للإله. خاصة بقول التوراة (شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف).

وفي مثل هذا النص يحددون خاصية لهذا الإله. فهو إله إسرائيل، ويجب أن يكون هذا الإله الخاص متميزا عن جميع الإلهة. وهذا طبيعي بالنسبة للشعوب والفئات الوثنية، فالتنافس في إضفاء الصفات الرائعة والمخيفة، الجميلة والجليلة، كان رفيق تلك الشعوب، وتلك الأزمنة. فكلما كان الإله يمتاز بصفات أكثر تضادا كلما كان أقوى وأكثر تفوقا، ويستحق التقدير. وتحضرنا الآن صورة الإله الهندوسي براهما ذو الأقانيم الثلاثة. فهو في أحد وجوهه إله الحرب، وفي وجه آخر إله الحب والرحمة. وهو في وجه ثالث إله خالق. لكنه إله واحد متعدد الوجوه، متعدد الصفات، مع ذلك فإن المأساة اليهودية تكمن في أن الإله الذي يتصوره بنو إسرائيل لم يكن هو الذي يضفي

---

(1) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص 255 من تعليق المحقق د: عبد الرحمن عميرة.

على نفسه صفات القوة والعظمة والجمال والجبروت. إنما هم من يصنعون هذه الصفات لتتناسب وتفكيرهم وتصوراتهم القادمة وظروفهم المستجدة.

أن العقلية الإسرائيلية في سفر الخروج تؤكد على الصلة المباشرة بينهم وبين الله، ففي أكثر من عشرة مواضع يركز كاتب التوراة على نزول الرب من علياته ولقائه ببني إسرائيل. وفي كل لقاء، يضفي كاتب التوراة على الجو المحيط هالة أسطورية مهيبة. تقول التوراة: (وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيدا عن المحلة. ودعاها خيمة الاجتماع. فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد في باب خيمته. وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة. وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة تنزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة. ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته. ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه) خروج 37: 7 ـ 11.

والواضح من خلال النص أن أفراد بني إسرائيل يدخلون إذا رغبوا إلى الخيمة واحدا بعد الآخر يريدون لقاء الرب. فإذا عدنا إلى بداية سفر الخروج نرى أن التوراة تورد أن الذين خرجوا من بني إسرائيل هم ستمائة آلف راجل فكيف يتسنى لهذا العدد أن يدخل لخيمة الاجتماع، أو نصفه أو ربعه. ولو كان الأمر مرتبطا بشخص نبياً كان أو غير نبي لاستحالت مقابلته لهم إلا بعد أشهر فكيف إذا كان هذا الذي يقابلهم هو الرب؟.

ويؤكد كلام الرب على وجود عمود السحاب الذي ينزل كلما دخل موسى الخيمة، ويذهب بعيدا إن خرج موسى من تلك الخيمة.

وموسى يكلم الرب وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه. فإن كان هذا من باب المجاز فنقول لماذا تصر التوراة على قولها كما يكلم الرجل صاحبه.

وإن قلت هذا من باب الحقيقة فإن الرب في هذه الحالة يتجسد شخصا عاديا، يجلس في الخيمة كالبشر. وهذا يتنافى حتى مع التوحيد الموسوي الذي أوضحه القرآن الكريم في كثير من آياته.

يقول تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني ـ أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه سوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا. فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) الأعراف 143.

وقد أشارت الآيات القرآنية الكريمة إلى أن موسى عليه السلام كان كليم الله. وهذا مما خصه الله سبحانه لهذا النبي. ولكن رؤية الله على الحقيقة أمر محال. وظاهر الآية يدل على ذلك. فموسى عليه السلام لم ير الله، ولن يراه، حتى تلقى رسالة السماء. وقد وجد بعض المفسرين وبعض قراء هذه الآية (ولما جاء موسى لميقاتنا...) إلى آخر الآية أنها تدل على جواز الرؤية لله. وقد رد بعض الدارسين على ذلك. وجاء في أحد الردود:

إن موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه، إنما سألها لقومه، فقد روي أن قومه طلبوا ذلك منه، فأجابهم بأن الرؤية لا تجوز على الله سبحانه وتعالى. فلجّوا به وألحّوا عليه في أن يسأل الله تعالى أن يريهم نفسه، وغلب في ظنه أن الجواب إذا ورد من جهته، جلت عظمته كان أحسم للشبهة وأنفى لها.

ويقوي هذا الجواب قوله تعالى: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) النساء 135.

ومنها قوله تعالى: (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) البقرة 55[1].

وإذا عدنا إلى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج نرى الكلام يجاري الصواب في مسألة رؤية موسى وذلك ما يناقض القول الأول ـ كما يكلم الرجل صاحبه ـ فتقول التوراة: فقال أرني مجدك...

وقال (لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش) الخروج 33: 18ـ 20.

ومع ذلك فإن التزيينات التوراتية، والزيادات التحريفية تأبى أن يبقى السياق توحيديا.

تقول التوراة: (وقال الرب هو ذا عندي مكان فتقف على الصخرة ويكون حتى أجتاز مجدي إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى) خروج33: 21 ـ 23.

وهذا يعني أن الرب أجاز لموسى عليه السلام أن يرى ظهر الله وقفاه، وأن لا يرى وجهه، وهذا تجسيد بشع من قبل التوراة، ووثنية واضحة، إذ جعلت الله محدودا مجسدا، له وجه وله ظهر، وهذا ما يتنافى كليا مع عقيدة التوحيد التي تنزه الله عن المكان والحدود. والتجسيد والتجسيم.

وتتابع التوراة هذا التجسيد بقولها (فنزل الرب من السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب فاجتاز الرب قدامه) خروج34: 5 ـ 6.

---

(1) أبو القاسم الحسيني الموسوي. تنزيه الأنبياء ص 111ـ 112.

إله الذهب اليهودي

في عقائد التوحيد وحتى بعض العقائد الإثنية كالزاردشتية يتنزه الإله عن الماديات مهما كان قدرها ومهما كانت قيمتها. ومن المعروف أن أساس العقائد هو الجنوح دوما نحو المعنويات. فالمادة في خدمة قيم الخير والعدل والجمال وما إلى ذلك، لكن طبيعة أتباع العقيدة اليهودية تأبى أن تكون العقيدة كذلك. ويأبى هؤلاء أن يكون الإله منزها عن الماديات.

فالذهب هو المعدن الأثمن، يصبح في العقلية اليهودية وسواساً وهوسا حتى يصل بهم الحد إلى إفصاح إلههم عن حبه للذهب ولو كان الذهب حراماً ومسروقاً. وضمن تسلسل سفر الخروج وما بعده. سنجد الذهب يلعب دوره بشكل قوي في العقيدة اليهودية وفي ميول الإله التوراتي.

هذا الإله يأمر بني إسرائيل أن يسرقوا المصريين آنية الذهب والفضة بحجة الاستعارة، وذلك قبل يوم من هروبهم باتجاه سيناء.

تقول التوراة: (طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) خروج 12.

ولكننا في الإصحاح الخامس والعشرين نرى الرب يأمر مباشرة بصنع تابوت العهد الذي ستحفظ به تعاليم التوراة. وسنرى كيف يلعب الذهب دوره المهم في صنع هذا التابوت.

تقول التوراة: وكلم الرب موسى قائلاً: (وهذه هي التقدمة التي تأخذونها منهم. ذهب وفضة ونحاس) خروج 25: 1و3.

فيصنعون تابوتاً من خشب السنط. وتغشيه بذهب نقي. من داخل ومن خارج تغطيه وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه. وتسبك له أربعة حلقات من

ذهب. وتصنع له عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب. وتصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف. وتصنع كروبين من ذهب. وأنا أجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة.

خروج 25: 10 ـ 11 ـ 12 ـ 14 وتصنع مائدة من خشب السنط، طولها ذراعان. وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع ونصف وتغشيها بذهب نقي. وتصنع لها إكليلاً من ذهب حواليها. وتصنع لها حاجبا على شبر حواليها. وتصنع لحاجبها إكليلاً من ذهب حواليها.

وتصنع لها أربعة حلقات من ذهب. عند الحاجب تكون الحلقات بيوتاً لعصوين لحمل المائدة. وتصنع العصوين من خشب السنط وتغشيهما بالذهب. وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التي يسكب بها من ذهب نقي تصنعها، وتصنع منارة من ذهب نقي. عمل الخراطة تصنع المنارة قاعدتها وساقها. تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها. وست شعب من جانبيها. من جانبها الواحد ثلاثة شعب منارة. ومن جانبها الثاني ثلاثة شعب منارة. وفي الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجرة وزهر. وفي الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية، بعجرة وزهر وهكذا إلى الست شعب الخارجة من المنارة. وفي المنارة أربع كاسات لوزية، بعجرها وأزهارها، وتحت الشعبتين منها عجرة. وتحت الشعبتين منها عجرة إلى الست الشعب الخارجة من المنارة تكون عجرها وشعبها منها جميعها خراطة واحدة من ذهب نقي. وتصنع سرجها سبعة. فتصعد سرجها لتضيء إلى مقابلها وملاقطها ومنافضها من ذهب نقي من وزنة ذهب نقي تصنع من جميع هذه الأواني وانظر فاصنعها على مثالها الذي أظهر لك في الجبل.

وتقول: (وتصنع خمسين شظاظاً من ذهب).

ففي سفر الخروج، وفي إصحاح واحد هـو الإصحـاح الخـامس والعشـرون ترد كلمة ذهب عشرين مرة. وكل ذلك، ليؤكد الرب عظمته وهيبته وقدسية مـا يقول النبي موسى ليحفظ تابوت العهد.

ولا شك أن هذه الفقرات المطولة توحي لنـا بكثـير مـن الأسـئلة. أولهـا: موسى وبنو إسرائيل في سيناء أي في الصحراء فمن أين يأتون بكل هذا الذهب؟.

ثانيها: إذا كان الذهب الذي يحتاجونه لهذا الصنع موجودا فهل يعـني أنهم سرقوا المصريين كل ذهبهم؟.

ثالثها: ما العلاقة بين الله والتوحيد من جهة، والذهب وتـابوت العـهد الذهبي من جهة أخرى؟.

والمدقق في حياة بني إسرائيل يرى أن الذهب يشكل فيها العنصر الأول. وعلى مدى التاريخ عرف اليهود بالإتجار بالذهب في كافة الأوساط الاجتماعيـة العالمية. وقد جاء ذلك من خـلال المخـزون النفسـي اليـهودي الـذي بـني علـى أساس إقتصادي صرف.

أما بالنسبة لما ورد في التوراة، فان المدونين في السبي البابلي نقلوا كل ما يمكن نقله عن البابليين، خاصة ما يتعلق بشؤون العبـادة والمعـابد وملحقاتـها، ومن الطبيعي أن يلعب أغلـى معـدن ـ وهـو الذهـب ـ دوره المـهم فيمـا يخـص المعبود عند بني إسرائيل. وسنجد ذلك أيضا، وبشـكل واضح عندمـا يصنعـون العجل الذهبي، ويعبدونه في غياب النبي موسى عليه السلام.

ويرد في سفر الملوك الأول والثاني عبارات كثيرة تدل بشكل واضـح علـى دور الذهب في حياة بني إسرائيل.

فحسب ما جـاء في التـوراة أن سـليمان بنـى هيكـل الـرب (بخشـب أرز وخشب سرو وذهب حسب كل مسرّته) ملوك اول9: 11

ثم يرد: (وأرسل حيرام للملك مائة وعشرين وزنة ذهب) ملوك 9: 14.

وتقول التوراة: (ولأجل المحراب عشرون ذراعا طولا وعشرون ذراعاً عرضاً. وعشرون ذراعاً سمكاً. وغشاه بذهب خالص وغشى المذبح بأرز. وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص. وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب وغشاه بذهب وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل المذبح الذي غشاه بذهب) ملوك أول 6: 20ـ 23.

وتقول: (وغشى الكروبين بذهب.) 6: 29.

وتقول: (وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج). 6: 30 ـ 31.

وتقول: (ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم وزهور وغشاهما بذهب، ورصّع الكروبيم والنخيل بذهب). 6: 32.

وتقول: (وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب المذبح من ذهب والمائدة التي عليها خبز الوجوه من ذهب والمنائر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص والأزهار والسرج والملاقط من ذهب، والطسوس والمقاص والمناضح والصحون والمجامر من ذهب خالص. والوصل لمصاريع البيت الداخلي أي لقدس الأقداس ولأبواب البيت أي الهيكل من ذهب). ملوك أول 7: 48ـ 51

وتقول: (وأدخل سليمان أقداس داود أبيه الفضة والذهب والآنية جعلها في خزائن بيت الرب..) 7: 50.

وتقول التوراة: (وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مائة وستا وستين وزنة ذهب ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض) ملوك أول 10: 14ـ 15.

وتقول: (وعمل الملك سليمان مائتي ترس من ذهب مطرق. خص الترس الواحد ست مائة شاقل من الذهب وثلاث مئة مجنّ من ذهب مطرق خص المجنّ ثلاثة أمناء من الذهب) 10: 16ـ 17.

وتقول: (وعمل الملك كرسيا عظيما من عاج وغشّاه بذهب إبرين) 10ـ 18.

وتقول: (وجميع آنية شرب الملك سليمان من ذهب وجميع آنية وعر لبنان من ذهب خالص لا فضة) ملوك أول 10: 21.

والواقع أن تركيز التوراة على الذهب كان الأهم من الحديث على أي أمر آخر. وقد تناست أو تقصّدت أن تتناسى مهمة النبي سليمان في الدعوة لديانة التوحيد. وكانت لمسات الملك وحدها هي الطاغية على شخصية النبي سليمان وليست لمسات النبوة.

وطالما أن التوراة افترت على النبي سليمان وادعت أنه انحاز عن طريق الله حينما أمالت نساؤه قلبه وراء الآلهة الوثنية. فليس غريبا أن تركز على اهتمام شخصية سليمان على عنصر الذهب وليس على عنصر التوحيد والعقيدة. إن تحليل الشخصية اليهودية عبر التاريخ يدلنا على أنها شخصية بنيت على علاقة اليهودي بدنياه وهذه العلاقة تستند إلى مقولة أن الإنسان في هذه الدنيا يخلق جنته وجحيمه بيديه. فليس هناك جحيم ولا جنة في الآخرة. وإن كان، فإن العقلية الكهنوتية اليهودية تحقن في نفوس اليهود مقولة إن الله لن يحاسب اليهود، وأنهم سيدخلون النعيم بغير حساب.

وعبر التاريخ بنيت بعض الخرافات والأساطير حول علاقة اليهود بالذهب. وهذه الخرافات والأساطير خلقها اليهود أنفسهم. فهناك مقولة إن الله أنزل بدل المطر ذهبا على بني إسرائيل لمدة سبعة أيام وما شبعوا. وفي مساحات فولكلورية كثيرة يقول بعض الجهلة إن اليهود من يوم أن أمطر الله عليهم الذهب وهم أغنياء يمتلكون ذهب العالم. وهناك خرافات أيضا تقول بأن كنوز

الذهب المدفونة في الأرض لا يعرف مكانها وأسرار كشفها سوى اليهود. وكم من قصة، وكم من إشاعة وإشاعة صدرها اليهود. تقول بأنهم بعد حرب 1967 قد حفروا مناطق كثيرة في الجولان وجنوب لبنان وحتى في سيناء ووجدوا كميات هائلة من الذهب.

ومع كل ما في هذه الأقاويل من خرافات ومبالغات فإن الثابت لدى الناس جميعاً حتى الأوروبيين بأن العقلية اليهودية عقلية مالية، وعلاقتها بالذهب علاقة وطيدة. وقد برزت هذه المقولات في الأدب الأوروبي بشكل عام. فمسرحية تاجر البندقية لشكسبير، أكبر دليل على عقلية اليهودي المحب للمال والذهب. فشايلوك اليهودي لم يثره هرب ابنته مع رجل مسيحي بقدر ما أثارته سرقة ذهبه وأمواله.

وقد أشاع اليهود منذ زمن بعيد أسطورة ما يسمى كنوز سليمان. وقد تناقلتها الألسن في التراث العربي بشكل واسع جدا وكذلك في التراث الأوروبي. وقد أضفت حولها كثيرا من الهالة والتضخيم حتى أصبحت في التفكير الشعبي شيئا لا يضاهى...

يهوه الإله المحارب

في أسفار التوراة الأولى، يبرز لنا سياق الأحداث الملحمي للقصص والحكايات التي تصور بداية صراع بني إسرائيل مع كثير من الأقوام التي كانت تقطن في شرقي الأردن وجنوب فلسطين. وهذه الأحداث التي تتطور، يتطور معها تصور بني إسرائيل للإله فهو أولا يأمرهم بالحرب، ويعدهم بسحق أعدائهم، ثم التدخل لصالحهم بقوة لا يمكن ردها ولو كانوا معتدين أو كانوا على باطل.

ويبلغ أوج الملحمة الأسطورية التوراتية في سفر يشوع، حيث تبدأ الصياغة بتسليط الضوء على طبيعة الإله المحارب.

ومن الطبيعي أن التصورات الإسرائيلية لهذا الإله تتجاوب مع الواقع الموضوعي والنفسي الذي يعيشه بنو إسرائيل في كل مرحلة من مراحل حياتهم.

وعلى الرغم من أن كثيرا من الدراسات تنفي ما تقوله التوراة عن الفتح الحربي الذي أجراه يشوع والإسرائيليون[1] إلا أن التدوين التوراتي يعطي لتلك الحروب التي قادها يشوع أهمية كبرى، باعتبارها تنفيذا لوصايا الرب ووعوده.

وبغض النظر عن صحة ما ورد في سفر يشوع أو عدم صحته، إلا أن التصورات التوراتية للإله تأخذ أهمية بالغة في هذا السفر. إذ يرى القارئ تحول هذا الإله إلى قائد عسكري دموي يقود مجموعة متوحشة من البشر باتجاه الإبادة للبشر والمدن والحضارة.

وترتكز صورة يهوه على الارتباط بما يسمى تابوت عهد الرب، فبه ينتصر إسرائيل وبدونه ينكسرون. وتركز الإصحاحات الأولى من سفر يشوع على وجود هذا التابوت باعتباره رمز العقيدة الإسرائيلية.

وتقول التوراة: (وأمروا الشعب قائلين عندما ترون تابوت عهد الرب إلهكم والكهنة اللاويين حاملين إياه فارتحلوا من أماكنكم وسيروا وراءه) يشوع 3 : 3.

وتقول: (وقال يشوع للشعب تقدسوا لأن الرب يعمل غدا في وسطكم عجائب) يشوع 3: 5.

ثم تقول (هو ذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابرا أمامكم في الأردن) 3: 11.

---

(1) ينفي فراس السوّاح دخول يشوع ارض كنعان ومن ثم ينفي كل ما حدث من مذابح على يد يشوع

ويرى بعض الباحثين المستندين على كلام التوراة أن يهوه إله حرب إقليمي، مثله مثل آلهة القبائل أو الممالك الأخرى، المنتشرة في الشرق القديم، اتخذه موسى إلها وجعله ينطق بما يشاء، ويضع الأوامر والأحكام على لسانه لتكتسب صفة المقدس وفرض عبادته على قومه بني إسرائيل بالإرهاب المصحوب بالقتل والتذبيح)[1] والواقع أن النبي موسى عليه السلام لم يدعُ إلى إله قبلي يذبح ويقتل ولكن التوراة المدونة هي التي شوّهت شخصية النبي موسى عليه السلام، بل شوّهت الإله، وجعلته إلها محاربا مزاجيا دمويا.

تبدأ قصة المحارب من هذه المستندات، والتصور التوراتي يحصر الإله في كونه قائدا عسكريا يخوض المعارك أمام بني إسرائيل

تقول التوراة: (وعبر بنو رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى متجهزين أمام بني إسرائيل كما كلمهم موسى، نحو أربعين ألفا متجهزين للجند، عبروا أمام الرب للحرب إلى عربات أريحا) يشوع 4: 12ـ 13.

والواقع الذي يشير إليه النص أن الإله قائد عسكري أعلى يستعرض صفوف الجند والمقاتلين ثم يبعث هذا الإله القائد نائبه ليلتقي يشوع شاهرا سيفه، ويلبس عدة الحرب ليخوض المعركة الدموية إلى جانب بني إسرائيل.

تقول التوراة: (وحدث لما كان يشوع عند آريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسار يشوع إليه وقال له هل أنت لنا أو لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له بماذا يكلم سيدي عبده فقال رئيس جند الرب ليشوع إخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس) يشوع 5: 13ـ 15.

---

(1) جرجي كنعان: وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص 43.

ويقود الرب المحارب بني إسرائيل في معارك عديدة، يفتح البلدان والمدن ويأمر بتصفية أبنائها. يقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والبقر والحمير، وتحرق المدن، وهذا ما تصرح به التوراة نفسها.

تقول التوراة: (لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم) يشوع 23: 3.

وتقول: (قد طرد الرب من أمامكم شعوبا كثيرة وقوية... رجل واحد منكم يطرد ألفا لأن الرب هو المحارب عنكم كما كلمكم) يشوع 23: 10.

وتقول التوراة: فبعد غزو الرب ويشوع لعشرات المدن يستعرضان مرة أخرى جنود بني إسرائيل (وجمع يشوع جميع أسباط إسرائيل إلى شكيم. ودعا شيوخ إسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم فمثلوا أمام الرب) يشوع 24 /1ـ 2.

وفي الملحمة اليشوعية التوراتية نرى أن الإله ذو نفس متصلبة قاسية، روحه عنيفة حاقدة، مرعبة، منتقمة، ونفسيته تشتعل بالثأر والانتقام، يسير أمام المحاربين لأنه رب الجنود، ويأمر بتدمير المدن وتذبيح البشر في هجمات بربرية وحشية.

ويبدو أن بني إسرائيل منذ اتخذوا يهوه إلَهاً لهم، جعلوه إلَهاً غاضباً ظالماً قاسياً يسر لرائحة المحرقات وينتشي برائحة الدم. ومسيرة الملحمة اليشوعية تظهر لنا طبيعة هذا الرب المحارب.

جاء في سفر يشوع (ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار. كقول الرب تفعلون) يشوع 8:8. ثم يعلّم الرب يشوع طرق الحرب وأساليبها وفنونها فقال الرب ليشوع مد المزراق الذي بيدك نحو عاي لأني بيدك أدفعها). يشوع 8: 18.

وتقول التوراة: (وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل). يشوع 10: 42

وتقول التوراة: (فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأني غدا في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعا قتلى أمام إسـرائيل فتعرقب خيلـهم وتحـرق مركباتـهم بالنـار) يشوع 11: 6.

ويأمر الرب يشوع أن يجعل بعض المدن ملجـأ للمجرمـين وقطـاع الطـرق فيقول:

(وكلم الرب يشوعاً قائلا كلم بني إسـرائيل قـائلا إجعلـوا لأنفسـكم مـدن الملجأ كما كلمتكم على يد موسى لكي يهرب إليها القاتل ضـارب نفس سـهوا بغير علم) يشوع 20: 3. وتكمل قولها: (فتكون لكم ملجأ من ولي الدم، فيهرب إلى واحدة من هذه المدن ويقف في مدخـل بـاب المدينـة ويتكلـم بدعـواه في آذان شيوخ تلك المدينة فيضمونه إليهم إلى المدينة ويعطونه مكانا فيسكن معـهم) 20: 4. وإذا تبعه ولي الدم فلا يسلموا القاتل بيده)20: 5.

وتقول التوراة: (وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الـرب إلهكـم بجميـع أولئـك الشعوب من أجلكم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم) يشوع 23: 3

وفي سفر القضاة ترد مقاطع كثيرة تشـير إلى أن الـرب إلـه إسـرائيل كـان يتدخل باستمرار إلى جانب بني إسرائيل في حروبـهم العدوانيـة ضـد الشـعوب والقبائل.

تقول التوراة: (فقالت دبورة لباراق قم. لأن هذا هو اليوم الذي دفـع فيـه الرب سيسرا ليدك. ألم يخرج الرب قدامك. فنزل باراق من جبـل تـابور ووراءه عشرة آلاف رجل فأزعج الرب سيسرا وكل المركبات...) قضاة 4: 15ـ 15.

وهكذا نجد الإله التوراتي قائدا عسكريا يخطط للمعـارك، ويتدخـل عنـد اللزوم لصالح بني إسرائيل، إن كانت حربهم عدوانية، أو كانت لأجل السـلب والتدمير أو القتل الجماعي والإبادة.

وقد أشرنا منذ البداية إلى أن هذا التصور التوراتي للإله المحارب، والمعارك الإبادية التي خاضها بنو إسرائيل لا يأتي على ذكرها القرآن الكريم. وقد تحدث القرآن الكريم عن صراع بين طالوت وجالوت. وجبن بني إسرائيل وفرارهم من المعركة أمام جيش جالوت. أما فيما يتعلق بالملحمة التوراتية اليشوعية، فان التوراة تنفرد بالحديث عنها.

وقد أكد الباحثون الآثاريون والمؤرخون عدم وقوع هذه الملاحم التوراتية اليشوعية وذلك بسبب عدم ورود أي دليل تاريخي أو أثري يدل على وقوعها.

وإذا كانت قد حدثت فإنها في كافة الأحوال تفصح عن العقلية التوراتية المتمسكة بالإله الخاص المحارب الذي يخص بني إسرائيل وحدهم.

التوراتيون والإشراك بالله

تحدثنا في صفحات سابقة عن التعددية في العقيدة التوراتية وكذلك عن الإله العنصري والقبلي، وكذلك تعرفنا على علاقة الإله التوراتي بالذهب، ثم تعرضنا لهذا الإله المحارب، الذي تصوره التوراة بالقائد العسكري والمخطط الحربي الاستراتيجي.

وفي هذه الصفحات نرى عقيدة التوراتيين وقد جعلت هذا الإله بين آلهة أخرى. ومن ثم افترض التوراتيون أن له ولدا أو أولادا. وما إلى ذلك من قضايا الإشراك بالله، التي تدل على العقلية التوراتية الأسطورية وتخلفها عن ديانة التوحيد.

ونستطيع أن نرى عدة اتجاهات للعقيدة التوراتية في هذا الاتجاه:

1ـ الطغيان الأسطوري على العقيدة.

2ـ الثنائية الإلهية بحيث يظهر الإله التوراتي ليس وحده في هذا الكون

3ـ نسب بعض البشر لهذا الإله.

أما الطغيان الأسطوري فإنه يظهر في سفر التكوين بشكل كبير وفي الأسفار الأخرى بشكل موجز.

يرد في سفر التكوين: (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت) تكوين 3: 8 ـ 9 ـ 10.

وجاء في سفر التكوين: (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها) تكوين 3: 22ـ 23.

ومن خلال هذين النصين نجد أن العنصر الأسطوري يطغى على كافة المفاهيم المطروحة وعندما نقول العنصر الأسطوري فإننا نعني به الاعتماد على عنصر الأسطورة المخالف لطبيعة التوحيد. فالله في النصين:

1ـ مجسد يتمشى لا يعلم أين آدم وامرأته يختبآن، فيقول النص أين أنت هو سؤال استفهامي وليس سؤالاً استنكاراً. والدليل على ذلك تجسيد القدرة الكلية المطلقة بقدرة جزئية، أو بعجز واضح.

2ـ وهو ليس له علم الغيب ولا القدرة على معرفة ماذا سيحصل مستقبلاً. لأن قول التوراة صار كواحد منا يعني أن آدم صار كالإله. ثم قولها لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ...

3ـ سبب كون الإله إلهاً يتجسد بالأكل من شجرة المعرفة وشجرة الحياة. فالله يبقى حيا لأنه أكل من شجرة المعرفة وشجرة الخلد وكل من يأكل منها يصبح مثله إلهاً. فهناك ثلاث صفات تنتقص من صفات الله الخالق.
وهي: أنه مجسد، وليس له علم بالغيب. ويخاف مما يتوقع حدوثه.

وهذه الصفات هي تخيل توراتي أسطوري لطبيعة الإله التوراتي. وهي تنم عن جهل في عقيدة التوحيد. وتنم عن إشراك بالله وبطبيعة الذات العلية له.

جاء في سفر التكوين: وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد. 6: 1 ـ 2

و تقول: (وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو إسم) 6: 4

وجاء أيضا في التكوين: (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب لأنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته) 6: 5ـ 7.

ومرة أخرى فالنصوص تنفي عن الله العلم المسبق المحيط بكل شيء. غير أن ذلك لا يتوقف هنا بل تصف الله أن له أولادا. وتعجبهم بنات البشر فيهبطون من عليائهم ليتزوجوهن. فمن هم أبناء الله؟. هل تقصد التوراة جنس الملائكة؟ أم تقصد أن أبناءه بشر أو لهم صفات البشر ينكحون ويعاشرون النساء. فإذا كان المقصود الأول فان النص لا يشير إلى أنهم ملائكة، ثم أن الملائكة أجسام نورانية ليس لها صفات البشرية فهي لا تشتهي وليس لها أعضاء تناسلية. وهي منزهة عن البشرية. لها طبيعتها الخاصة وإن كان المقصود أن لله

أبناء وهذا ما يشير إليه النص. فهم كالبشر ولهم شهوة وأعضاء تناسلية يقدرون على ممارسة الجنس مع النساء.

وفي الحالتين فإن التوراتيين يقعون في دائرة الشرك والكفر. ويضعون طبيعة الله في دائرة الحس الأسطوري الذي تناقلوه عن أساطير الشعوب الوثنية ثم إنه لو كان لله أبناء فلماذا لا يكون له بنات؟ يتزاوجون أبناء وبنات وينجبون أولادا لهم طبيعة الآلهة، طالما أن العنصر الإلهي مفضل على العنصر البشري؟.

إن النص التوراتي يريد أن يقول إن لله أبناء محرومين من الجنس ومن النساء. ولا يوجد نساء إلا بين البشر فاختار أبناء الله التنازل عن عنصرهم الإلهي وأرادوا أن يمارسوا مع البشر بشريتهم المتجسدة فقط في إعجابهم بالنساء البشريات ومن ثم ممارسة الجنس معهن وإنجاب أولاد منهن.

وعلى هذا أيضا لا نستخلص أن الأطفال المنجبين سيكونون ذوي نصفين في الطبيعة أي أنصاف آلهة وأنصاف بشر؟ أليس هذا هو التراث الأسطوري الذي استفاده التوراتيون من أساطير الشعوب التي تؤله ملوكها وأمراءها وقادتها الكبار، وفي سياق الطغيان الأسطوري الدال على الإشراك بالله تصور الإله ذا مزاج متقلب وتصور أفعاله بسبب ردة فعل آنية.

وتقول التوراة: (وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته) تكوين 8: 21.

وتقول التوراة: (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب وهو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة) تكوين: 11: 5 ـ 8.

ففي النص الأول يتضح أن الإله التوراتي صمم أن يقلع عن تدمير الأرض وإماتة البشر بعد أن يكون قد لعن الأرض لكثرة شرور بني البشر ووعد نوحا أن يبيد البشرية بالطوفان بعد أن أمره أن يبني فلكا يصعد فيه هو وأبناؤه.

أما النص الثاني ففيه أكثر من مظهر للإشراك بالله:

1ـ نزول الله من علياته ليرى ماذا يبني هذا الإنسان.

2ـ غيرة الله من بني البشر لأنهم لسان واحد ويريدون بناء مدينة عظيمة.

ويتضح من خلال النص أن بني آدم لو ظلوا على لسان واحد وعمل واحد لفعلوا المعجزات التي من شأنها الخروج عن قدرة الله وتسييره للكون

3ـ قول التوراة هلم ننزل... فإما أن كلمة هلم هي قول الرب لنفسه بينه وبين ذاته أو أنها قوله لجنده وأمرٌ بالهبوط من السماوات العُلى إلى الأرض.

4ـ يفترض هذا النص أن الله ليس له علم مسبق بما سيؤول إليه الإنسان وعمله في الأرض وهذا أيضا يفترض أن الله لم يكن قبل أن ينظر إلى الأرض يعلم أن بني البشر راحوا يسعون لبناء مدينة وبرج في بابل. وبمعنى آخر فإنه كان ساهيا أو غافلا أو ما شابه ذلك. وهذا ما يدل بشكل قاطع على الشرك بالله والكفر بعظمته وقوته المطلقة. وقد ظهرت الوثنية بشكل مريع في نصوص التوراة. ويظهر أن تعدد الآلهة كان سمة بارزة لدى الشعوب آنذاك فمنذ النبي يعقوب تبدأ نصوص التوراة بالحديث عن الآلهة الأخرى من دون الله وكأنها أمر مسلم به، وكأن الإله واحد من هذه الآلهة. جاء في سفر التكوين: (فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الإلهة الغريبة التي بينكم) 35:2.

جاء في سفر الخروج: (الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الإلهة) 18:11. وهذا القول جاء على لسان يثرون حمي موسى. وهو الذي وصفته التوراة

بأنه رجل صالح وزوج ابنته للنبي موسى. . وقوله أعظم من جميع الإلهة، هو مقارنة بين الإله والآلهة الوثنية المصنوعة بيد البشر. وهذا غير صحيح لا بالمقارنة ولا في سياق الإيمان بالإله المنزه الواحد وقد جاء في سفر الخروج: (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الأباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ) 20: 3ـ 5.

وجاء في سفر الخروج: (من مثلك بين الإلهة يا رب من مثلك معتزا في القداسة مخوفا بالتسابيح) 5: 11.

ونحن نريد أن نسأل مصنف هذا الكلام هل كان إله موسى بين الآلهة معتزا بالقداسة؟ وإذا كان كذلك فما موقعه فيما نبحث عنه في الأسفار الخمسة من الإشراك بالله. ويعلق عباس العقاد على ذلك بقوله: إن الوحدانية التي كان يدركها بنو إسرائيل في ذلك الزمن لم تكن وحدانية تفكير، ولكنها وحدانية تغليب لرب من الأرباب على سائر الأرباب. ولم يخط اليهود خطوة غير هذه الخطوة وهي أن لليهود إلها يعلو على آلهة غيرهم من البشر[1].

وجاء في سفر التثنية: (لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض) 6: 14ـ15.

و لقد أصبح التوحيد يعني الواحد بالمعنى الرياضي (إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) تثنية 6: 4.

(و لما كان النصر في المعارك هو انتصار الإله على الآلهة الأخرى حسبما

(1) عباس محمود العقاد. إبراهيم أبو الأنبياء. ص 60 دار الهلال القاهرة بدون تاريخ.

تمليه بيئة الطوطم الثقافية، قال الكهنة وهم يضاهئون أعدائهم (الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة) خروج 18: 11 كما قالوا لنفس، السبب (إن الله قائم في مجمع الله في وسط الإلهة يقضي) مزامير 82: 1 إنه زعيم الآلهة إنه أعظمهم، (من في السماء يعادل الرب من يشبه الرب بين أبناء الله) مزامير 89: 6 (فلله أبناء والطريق إلى الألوهية أسهل)[1].

ومن هذا الذي تقدم نرى أن الإله التوراتي يدل على قصور عقل بني إسرائيل، والكتبة الذين دونوا هذا التوراة، لم يدركوا حقيقة التوحيد، ولا عرفوها. وهذا الذي أتوا به يتناقض كلياً مع ما أوحي إلى النبي موسى عليه السلام. ويتناقض حتماً مع نظرته كنبي موحد للذات الإلهية. ولو عدنا إلى القرآن الكريم نجد أن صفات الله كما عرفها موسى ليست هي صفاته التي وردت في التوراة المدونة. وطالما نسبوا للإله أبناء يتزوجون من بنات الناس في الأرض، فقد سهل عليهم أن ينسبوا عزيراً إلى الله فقالوا إن عزيراً ابن الله.

يقول الله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) التوبة الآية: 3

يقول الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) التوبة: 31.

والواقع أن القرآن الكريم يوضح لنا أن من آمن بعقيدة موسى قليلون جداً وإيمانهم كان خوفاً ولم يكن إيمان عقيدة.

---

(1) عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد ص 143 مكتبة المبتدأ والخبر دمشق 1997 ط1.

يقول تعالى: (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين) يونس 83.

و يتضح أن المسافة بعيدة جداً بين فهم موسى عليه السلام لطبيعة الله سبحانه وبين فهم اليهود أو بني إسرائيل. ولذلك نجد أن موسى يتذمر منهم طوال دعوته بينهم. وقد نصت التوراة على هذا التذمر كما أن القرآن الكريم عرض لذلك في آياته البينات كما رأينا مما سبق.

تطور مفهوم الإله عند بني إسرائيل

بعد السبي البابلي حدث اندماج بين اليهود وبين البابليين. فكان لا بد من التأثير والتأثر. ولما كان الأقوى يؤثر بالأضعف فإن بني إسرائيل هضموا تراث البابليين العقيدي وحاولوا مجاراتهم العقيدية في كثير من أجزاء العقيدة.

ومنذ البداية عرفنا أن بني إسرائيل حملوا مفهوماً محدداً للإله الخاص بهم. وعندما استقروا مسبيين في بابل وجدوا أن الله الذي تمثلوه لم يكن سوى إله القومي صغير بالقياس إلى آلهة البابليين ولاسيما الإله الكبير مردوخ.

ولقد أدرك بعض أنبيائهم هذا التفاوت الكبير في طبيعة الفهم لذات الله، فكان لا بد من إعادة النظر فيها وصياغتها صياغة جديدة تتناسب مع تطور الفهم ذاته. لقد ظن بنو إسرائيل أن يهوه إله لا يقهر وشعبه لا يقهر. وعندما أصبح الانهزام أمراً واقعاً، وأصبح بنو إسرائيل أسرى بيد البابليين سقطت مفاهيم كثيرة ترتبط بالإله القوي يهوه. فشعبه يهزم ويسبى،ولذلك فإنه حسب رأي الكثير منهم إله مهزوم لا يقدر على الصمود أمام آلهة الشعوب

إن هذا ولّد لدى أنبيائهم ردود فعل نفسية وفكرية. فخرجوا بنظرة جديدة للإله. الإله الأعظم والأكبر، الإله الواحد الذي لا تحاربه آلهة ولا أصنام أو أوثان وقد تجلت هذه النقلة النوعية في مفهوم الإله منذ النبي إشعيا.

جاء في التوراة: (أنا الرب وليس آخر. لا إلـه سـواي. أنـا الـرب وليـس آخر، مصدر النور وخالق الظلمة، صانع السـلام، أنـا صنعـت الأرض وخلقـت الإنسان عليها) أشعيا: 45.

و تقول أيضاً: (هكذا يقول الرب خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض ورازقها ومعطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحاً... أنا الـرب وهـذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر) إشعيا24: 5 ـ 8.

و تقول أيضاً: (أنا الأول والآخر، ولا إله غيري، وكل شيء أنا أعلم به، أنا الرب صانع كل شيء. ناشر السماوات وحـدي، باسـط الأرض، مـن معـي؟ مبطل آيات المخادعين، وممحق العرافين، مرجع الحكماء إلى الـوراء، ومجـهِّل معرفتهم، مقيم كلمة عبده، ومتمم رأي رسله) إشعيا 44.

و قبل إشعيا بقليل كان النبي إرميا مـن أكـثر أنبيـاء التـوراة نقـداً لبـني إسرائيل وعقيدتهم وهو الذي أسس تقريبـاً لمفـهوم الإلـه العـادل المنصـف كلِّـي الجبروت.

جاء في التوراة أن يهوه أمره (أوصهم إلى سادتهم قائلاً: هكذا قـال يـهوه رب الجنود إله إسرائيل إني أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الـذي علـى وجه الأرض. وأعطيتها لمن حسن في عيني) إرميا 27: 4 ـ 5

و عند إشعيا الثالث تأكيد على أن يهوة ليس في شديد حاجـة إلى المعبـد (هكذا قال الرّب السماوات كرسي والأرض موطئ قدمي. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي) 66: 1

وعلى الرغم من هذا التحول فإن مفهوم الإله ظل معنياً به إله إسـرائيل، وليس إله كل الشعوب. صحيح أنه حسب هـذا التحـول إلـه خـالق السـماوات والأرض والإنسان والحيوان لكنه ظل هو يهوه أي إله إسرائيل الذي يخص بني

إسرائيل ويغضب على من سواهم.

و لم يستطع بنو إسرائيل التخلص من هذه النظرة، وقد انعكست على جميع تصوراتهم، حتى تلك التي برزت بعد السبي البابلي واستمرت طويلاً إلى يومنا هذا.

إن من يعتبر اليهودية ديانة توحيدية يكون مخطئاً. لأن مستندها كما هو معروف تخيلات وتصورات وروايات كتبها أحبار اليهود أيام السبي البابلي. في ديانة أقرب إلى الوثنية. وتختلف كلياً عن عقيدة النبي موسى عليه السلام التي وصفها القرآن الكريم وبين فيها ذات الله المتنزهة عن التجسيم والتجسيد والمحدودية البعيدة عن الوثنية، والتعددية وما إلى ذلك مما تخيله مدونو التوراة.

تطور مفهوم الله عند فلاسفة اليهود

لم تخل العقيدة اليهودية من آراء فلسفية لعبت دوراً ما في تطور مفهوم الإله. فقد كان لهذه الآراء دور في نقد العقيدة اليهودية مما آلت إليه من تراكمات وثنية كثيرة وقد حاول بعض فلاسفة اليهود تحديد بعض المفاهيم المتعلقة بإله كذات.

وأقدم فلاسفة اليهود الذين وفّقوا بين النظرة الدينية والأفكار الفلسفية هو فيلون الإسكندري الذي ولد في السنة العشرين قبل الميلاد وتوفي بعد الميلاد بنحو سبعين سنة. وهذا يعني أنه عاش ما يقارب التسعين سنة. وقد اطلع فيلون على الفلسفة اليونانية وهضمها، واستطاع أن يصل إلى بعض الأفكار التوفيقية بين العقيدة اليهودية والفلسفة.

و تجلى نقده للتوراة والعقيدة اليهودية برفضه للصفات التي ألحقها كتبة التوراة بذات الله وقد رفض التجسيم والتشبيه. ورأى أن الله في وجوده الكامل

المطلق أعلى من أن تحده صفة تدركها العقول. لقد تعلم فيلون من دينه أن الله ذات، وتعلم من الفلسفة أن الله عقل مطلق مجرد من ملابسات المادة.

و كان فيلون يرفض أقوال الرواقيين التي تشبه القول بوحدة الوجود، وتجعل الله من العالم والعالم من الله. ولكنه أيضاً كان يرفض مذهب أرسطو في تجريده الله عن المخلوقات وزعمه أن كمال الله يقتضي هذا التجريد. ويرفض فيلون زعم الزاعمين أن الله يحتويه مكان أو زمان لأنه محيط بكل مكان وكل زمان.

يقول (إن الله واحد ولكنه بقدرته خيّر وحاكم فبالخير صنع العالم وبالحكم يديره وثمة شيء ثالث يجمع بين القدرتين وهو الكلمة لأن الله بالكلمة يجود ويحكم. والكلمة كانت في عقل الله قبل جميع الأشياء. والواقع أن أقوال فيلون اليهودي كانت بمثابة ثورة دينية في بني إسرائيل. وقد أدت هذه الثورة إلى انقسام المجتمع اليهودي إلى قرائين ملتزمين بالنصوص وربانيين يجيزون التفسير والتوفيق بين النص ومعطيات العلم والفلسفة. وقد ظهرت بوادر هذا الانشقاق بعد فيلون بتسعة قرون أي في زمن شيوع الفلسفة الإسلامية واستفاضة البحث في مسألة القضاء والقدر على الخصوص لأنها هي المسألة التي استحكم عليها الخلاف بين القرائين القائلين بالقضاء والربانيين القائلين بالاختيار)[1].

وقد برز من بين اليهود الفيلسوف موسى بن ميمون القرطبي (1135 ـ 1204) وقد حضنته الحضارة العربية في الأندلس وبرع في الطب لكنه قرأ علوم الكلام وبحوث التوحيد الإسلامية واطلع على فلسفة اليونان باللغة العربية فألف كتابه الأول (دلالة الحائرين) وتناول فيه مسائل الفلسفة ببعض التفصيل، ولا سيما مسألة الذات والصفات ومسألة المعاني والنصوص. وقد نقد تفسيرات بعض الربانيين اليهود فيما نسبوه إلى الله وفسر النصوص تفسيراً مختلفاً عما

(1) عباس العقاد. الله في عقائد الشعوب صفحة 167.

عهدوه من التفاسير.

ففسر مثلاً قول التوراة (إننا نصنع إنساناً على صورتنا وشبهنا) بقوله: إن الناس قد ظنوا لفظ صورة في اللسان العبري يدل على شكل الشيء وتخطيطه فيؤدي ذلك إلى التجسيم المحض ورأوا أنهم إن فارقوا هذا الاعتقاد كذبوا النص. وقال عن صفات الله كلها: إنها وضعت بحسب الأفعال الموجودة في العالم. أما إذا اعتبرنا ذاته مجرداً عن كل فعل فلا يكون له اسم مشتق بوجه، بل اسم واحد مرتجل للدلالة على ذاته.

و يقول (تبرهن أن الله عز وجل واجب الوجود، لا تركيب فيه، ولسنا ندرك إلا آنيته لا ماهيته).

ويقول: إن الله صورة العالم وسبب وجوده لأن وجود الباري هو سبب لكل وجود، وهو يمد بقاءه بالمعنى الذي يكنّى عنه بالفيض.

و يقول ابن ميمون بحدوث العالم: (أما أنا فأقول إن العالم لا يخلو من أن يكون قديماً أو محدثاً فله مُحدِث بلا شك.

ويقول (الاعتقاد بأن الله ليس جسماً لا يعارض المعتقدات الدينية التي تقوم عليها الشريعة، في حين أن الاعتقاد بقدم العالم كما هو الحال عند أرسطو يقضي على أساس الشريعة أي أنه يثبت عدم الجسمية لله عز وحل ويثبت أن العالم حادث[1].

وخرجت لنا بحوث معاصرة قالت بأن فلسفة ابن ميمون تستند في غالبيتها إلى صوفية محي الدين بن عربي. وقد كشف بعض الباحثين الاسبان أن ابن ميمون قد سرق الكثير من فلسفة ابن عربي ونسبها إليه. فليس له الفضل في أي نظرة فلسفية حول العقيدة وخاصة تلك المرتبطة بذات الله وصفاته.

---

(1) دلالة الحائرين الفصل 25 ج2. نقلاً عن كتاب. نقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ص 55.

الفصل الثالث

معالم النبوة ومفهومها

بين التوراة والقرآن



الإيمان بالأنبياء جزء من العقيدة

من المعروف أن العقيدة لا تكتمل ما لم يكتمل الإيمان بالله، وملائكته وبكتبه، وبأنبيائه، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. وقد أوضح القرآن الكريم في كثير من آياته أن أركان الإيمان هي تلك التي أوردناها.

ولا يجوز الإيمان بالله والكفر بأنبيائه، ولا يجوز أن يكون الإيمان إلا بالأركان كلها. فهي تتكامل ومن ينتقص منها لا يكون مؤمنا.

يقول تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة الآية 285.

وكثيرة هي الآيات التي تشير إلى تكامل أركان الإيمان وتداخلها فيما بينها، وتحت هذه الأركان تندرج عشرات الأمور حتى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: الإيمان بضع وسبعون شعبة أولها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان.

وفي أصول العقيدة فإن أركان الإيمان ترتبط أولا بالإيمان بالله وحده. وما أمر الله به يصبح ملزما لمن يريد أن يصبح مؤمنا حقا. وقد فرض الله سبحانه الإيمان بكتبه ورسله وملائكته وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

معنى النبوة والرسالة:

قد يظن بعضنا أن النبي إنما سمي بذلك لأنه يتنبأ بالغيب، أو المستقبل. والواقع أن مدلول كلمة نبي لا يعني التنبؤ بالغيب، فالغيب محصور لله سبحانه وتعالى. وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنه لو يعلم الغيب لاستكثر من الخير وذلك في القرآن الكريم.

يقول تعالى في سورة الأعراف: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون. قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) الأعراف الآية 187- 188.

وهذا أبلغ تصريح بأن النبي لا يعلم الغيب ولا يتنبأ. إنما هو نذير وبشير لمن يؤمن.

أما النبوة فتعني معنى الإخبار وهو النبأ. والنبي هو الذي يوصل ويحقق ما أمر به الله عن طريق الوحي. ومهمة النبي على هذا الأساس هي علاقة قائمة بين الخالق والنبي. هذه العلاقة تحقق الإبلاغ والإنباء. وهي تهدف إلى إيصال الخير من الله إلى عباده عن طريق من اختاره وهو النبي)[1].

أما الرسالة فهي صلة ما بين الرسول والناس. ولهذا كانت النبوة مما يمكن أن يتحقق بها معنى الرسالة إذا كلف النبي بالتبليغ[2].

(1) د: عبد السلام التونجي. الإيمان بالأنبياء والرسل ص 31.

(2) المرجع السابق. ص 31.

حاجة الناس إلى الأنبياء :

منذ أن خلق الله سبحانه آدم عليه السلام أرادت حكمته أن يكون أول البشر نبيّاً فكان آدم عليه السلام أول نبي لبني البشر. وقد حفل التاريخ الإنساني بشخصيات كان لها من الميزات والصفات ما مكنها من قيادة المجتمعات إلى طريق الهداية وبناء الأرض بناء صالحاً. لقد وُجد المصلحون والمفكرون والقادة الاجتماعيون، ليؤثروا في مسيرة أبناء قومهم. بعث الأنبياء والمرسلون ليوضحوا الرابط بين الخالق والمخلوق، بين الدنيا والآخرة.

والنبي المرسل، هو حامل تلك العلاقة بين السماء والأرض، يتلقى تعاليم السماء عن طريق الوحي، ويبلغها للبشر كي يظل التوازن قائماً في الأرض. ومن الطبيعي أن الصراع بين الخير والشر بمفهومهما العام يحتاج لمن يدافع عن الخير ويتصدى للانحراف ولذلك كان الأنبياء قادة يدعون للخير والصلاح والعلاقات الإنسانية الطيبة.

والصراع بين الخير والشر، يرتبط بالحساب الأخروي. وقد قدم الأنبياء بشكل واضح، طريق النجاة الموصل إلى حياة أخرى بعد الموت وأوضحوا لبني البشر آلاف التعاليم والموازين، التي تفرق بين طريق الهلاك والندم، وطريق الرضا وراحة النفس. ولم يعد لبني البشر حجة على الله، بأن التعاليم لم تصلهم، أو لم يعرفوها، لأن الله سبحانه بعث الأنبياء موضحين شارحين كل السبل على شتى نتائجها. يقول تعالى :

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء 15.

وهذا هو الميزان المنطقي الذي لا يرفضه عاقل. فمهمة الرسول التبليغ وإظهار طريق الحق من طريق الباطل. وما كان الله ليعذب أحداً أو قوماً دون أن يبعث لهم رسولاً يرشدهم إلى طريق الحق. فإن أبوا كان العذاب الإلهي جزاءً

وفاقاً لهم. وعندما ننظر إلى كافة الأقوام التي وجدت عبر التاريخ نرى أن الله بعث لها الأنبياء والرسل والمصلحين.

وفي آيات القرآن الكريم ذكر لكثير من الأقوام ولأنبيائهم. يبين من خلال آيات القرآن الكريم منهج الدعوة عند الأنبياء جميعاً وكذلك يوضح كيف أن العذاب لا يحيق بقوم إلا بعد أن رفضوا دعوة الأنبياء للتوحيد والصلاح والخير.

اختيار النبي والرسول من قبل الله سبحانه:

النبي لا يختار نفسه ليكون نبياً والأمر عائد لاختيار الله سبحانه. فهو الذي يختار من يشاء ليكون نبياً مبلغاً. وهذا الاختيار لا يكون عبثاً أو عشوائياً. فالله سبحانه يعرف أين يضع الرسالة، وبعلمه الخاص يختار من يصلح ليكون نبياً. بل إن دراسة واعية لشخصيات الأنبياء نرى أن الله سبحانه يهيئ النبي ليكون نبياً منذ خلقه. فالأنبياء كأشخاص وبشر تميزوا قبل بعثتهم وقبل أن يكونوا أنبياء. ولقد نقّاهم الله ونقّى قلوبهم وعقولهم تنقية متميزة حتى يكونوا مهيئين للنبوة أو الرسالة، يقول تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس) سورة الحج 75 فالأنبياء صفوة أخيار، وقد أثبت القرآن الكريم علو فطرتهم وصحة عقولهم وصدق أقوالهم، وتبليغهم الأمانة التي عهد الله إليهم أن يبلغوها.

يقول تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) آل عمران 33.

ويقول تعالى: (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) آل عمران 179.

وهذا الاختيار الرباني منزّهٌ عن الخطأ، يعرف أين يضع أمانته ورسالته، فكم هو عدد الأنبياء والرسل نسبة إلى عدد أبناء البشرية؟ بالطبع فهم قلائل

لأن الصفات التي يحملونها هي صفات من اختيار رباني.

وطالما أن النبي يختاره الله ليكون مبلغا للرسالة كان لا بد له من قرائن دالة على نبوته. هذه القرائن منها ما يخصه هو، أي ما يميز شخصيته ونفسيته. فهو يتحلى بصفات كثيرة بين قومه كالصدق والأمانة والعفاف والمروءة والشجاعة، ومنها ما يخص رسالته أو دعوته، وتنحصر في الوحي والرسالة، فإما أن تكون عن طريق كتاب سماوي، أو يمكن أن تكون عن طريق تعاليم يوحيها الله إليه عن طريق الأمين جبريل أو عن طريق الرؤيا.

فالنظرة الموضوعية للحركة النبوية تتجلى بالفرق بين النبي الموحى إليه والنبي المحترف فالنبي الموحى إليه يقاوم بعنف فكرة الألوهية القومية للعقيدة الشعبية الوثنية ويدعو إلى فكرة الإله الواحد رب العالمين.

بينما مدّعي النبوة أو النبي المحترف لا يبشر بمبدأ شخصي بل ينتهز اتباع التيار الشعبي مجرداً عن أي أثر أخلاقي، بعيداً عن أي إلهام رباني[1].

معالم النبوة بين التوراة والقرآن الكريم

بعد تلك التمهيدات التي أوردناها في الصفحات القليلة السابقة، والتي عرفنا من خلالها الفرق بين النبوة والرسالة، والاختيار الرباني للنبي، ومهمة التبليغ والرسالة، ندخل صلب الموضوع المتمحور حول معالم النبوة، كما وردت في التوراة وكما وردت في القرآن الكريم لندرك مدى التوافق، إن وجد ومدى الاختلاف والتناقض بين ما أوردته التوراة وما أورده القرآن الكريم.

لقد أوردت التوراة أسماء عدد كبير من الأنبياء وكذلك أورد القرآن الكريم عدداً محدَّداً من الأنبياء.

---

(1) عبد السلام التونجي: الإيمان بالأنبياء والرسل ص28 سبق ذكره.

والأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن هم:

آدم. إدريس (أخنوخ) نوح. إبراهيم. إسماعيل. إسحق. يعقوب. يوسف. موسى. داود. سليمان. إلياس. وأيوب وشعيب (يثرون).

أما الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة ولم يرد ذكرهم في القرآن الكريم فهم: أشعيا. أرميا. حزقيال. دانيال. صموئيل.

والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن ولم يذكروا في التوراة صراحة فهم:

صالح. يونس. هود. عيسى. محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وقد أوردت التوراة أسماء نساء ادَّعينَ أنهن نبيات. مثل مريم أخت موسى وهارونٍ ودبورة التي عاشت في عصر القضاة.

وهناك أنبياء وردت أسماؤهم في القرآن الكريم بخلاف أسمائهم الواردة في التوراة مع أن الأحداث التي مروا بها تتشابه أو تتطابق. مثل أليشع. ذو النون. ذو الكفل. أما آدم عليه السلام فقد ورد في القرآن الكريم على أنه نبي. وكذلك أكدت نبوته أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين) آل عمران 33.

فآدم نبي اصطفاه الله سبحانه وتعالى مثل ما اصطفى نوحاً وبقية الأنبياء وقد وردت بعض الأحاديث المشيرة إلى نبوته.

فروى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر: جم غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم

قلت يا رسول الله نبي مرسل ؟ قال نعم خلقه الله بيده ثم نفخ من روحه ثم سواه قبلا)[1].

وقد أورد القرآن الكريم قصة خلق آدم وفيها طلب الله سبحانه من الملائكة السجود لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر. ومعنى السجود احترام ما خلق الله وليس سجود عبادة. ثم يورد القرآن الكريم قصة خطأ آدم. وبين أن آدم لم يكن له عزمٌ. وعلى هذا قيل إن آدم لم يكن من الأنبياء ذوي العزم.

على أية حال فإن مهمة آدم عليه السلام تبليغ عقيدة التوحيد لأولاده وأحفاده وتميزت منذ بدايتها بالاستغفار لله وطلب الهداية.

يقول تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) البقرة 37.

ويقول تعالى: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين) الأعراف 23.

أما التوراة فلا تشير إلى نبوة آدم وأنه صاحب رسالة. ويقتصر حديثها على أن الرب صنعه من تراب ووضعه في جنة عدن شرقا ثم خلق الله له حواء. ثم أغوت الحية حواء، فأكلت من الشجرة المحرمة. وأطعمت زوجها. ثم غضب الله عليهما وأهبطهما من الجنة إلى الأرض. وفي التراث التوراتي وكذلك التراث المسيحي، أن آدم سبّب بخطيئته لعنة الله على الأرض، فقد ورد في رومية 12 : 5 (يذكر الرسول بولس أنه بآدم دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس).

---

(1) ابن كثير: قصص الأنبياء ص 53.

أما أخنوخ والذي هو إدريس حسب كافة المصادر الإسلامية فإن التوراة تحدثت عنه بشكل عابر جداً فهي تقول (وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح. وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) تكوين 5: 21ـ 24.

أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكر النبي إدريس عليه السلام وأشارت الآيات إلى نبوته.

يقول تعالى: (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا. ورفعناه مكانا عليا) مريم 56ـ 57.

فقد أثنى عليه الله ووصفه بالنبوة والصدّيقية ويقال إنه أول نبي أعطي النبوة بعد آدم عليه السلام. ولم تتضح رسالته وقومه. إنما الإشارة تقتصر على نبوته.

أما نوح عليه السلام ففي التوراة تفصيل توراتي عنه، وقد ذكر في القرآن الكريم في سور عديدة. ويتضح منهج دعوته وطبيعة قومه وقصة بنائه السفينة ثم الطوفان، تشير التوراة إلى صلاح نوح تارة وفساده تارة أخرى، فتقول: (كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله)، وتشير التوراة إلى أن الله تحدث لنوح عن فساد الأرض والبشر: (فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم) تكوين 6: 13.

وهذه الإشارة تبين أن صلة ما كانت موجودة بين الله وبين نوح وهذه الصلة كما نعرف لا تقوم إلا عن طريق الوحي بين الله سبحانه وبين نبي.

إن التوراة لم تشر إلى نوح على أنه نبي باللفظ إنما الواضح أنها تكني عن النبوة بقولها ـ سار مع الله ـ.

وتقول التوراة: (وبنى نوح مذبحاً للرب) تكوين 8: 20.

ثم تقول: (وبارك الله نوحاً وبنيه) تكوين 9: 1.

وقد جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع بعض التشريعات التي فرضها الله على نوح.

تقول التوراة: (غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه. وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه. ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان. من يد الإنسان أخيه، سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه)تكوين 9: 4 ـ 7.

وتقول (وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم) تكوين 9: 9ـ 10.

وقد أشارت التوراة إلى أن نوحاً قد سكر وتعرى داخل خبائه :

(استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته) تكوين 9: 24ـ 25.

والفقرات التوراتية التي أشارت لتعري نوح وشربه الخمر ولعنته لكنعان. ملفقة عليه. وهي من صنع كتبة التوراة.

وقد ورد الحديث عن النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم في عدد من السور، فقد ورد الحديث عنه في سورة يونس وفي سورة هود. وفي سورة المؤمنين وفي سورة الشعراء. وفي سورة العنكبوت وفي سورة الصافات وفي سورة القمر ووردت سورة كاملة باسم سورة نوح. وورد الحديث عنه في سورة النساء وسورة الأنعام وسورة التوبة. وسورة إبراهيم. وسورة الإسراء. وسورة الأحزاب. وسورة غافر وسورة الشورى وسورة ق وسورة الذاريات وفي سورة النجم وفي سورة الحديد. وفي سورة التحريم. والآيات التي أشارت إلى نبوته كثيرة.

يقول تعالى: (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) سورة الحديد 26.

ويقول تعالى: (إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نـوح والنبيـين مـن بعـده) الأنعام 163.

ويقول تعالى: (إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) سورة نوح.

ويقول تعالى: (قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) الأعراف 61.

فالآيات تشير إلى نبوة نوح ورسالته. وتشير إلى الوحي الذي كان واسـطة الرسالة إليه. أما منهجه في الدعوة فنعـود لـه في صفحـات قادمـة لـنرى مـدى التناقض بين ما أوردته التوراة وما أورده القرآن الكريم.

ويعتبر إبراهيم من أكثر الأنبيـاء الذيـن تحدثـت عنـهم التـوراة وتحـدث عنهم القرآن الكريم.

وفي الاتفاق بين التـوراة والقـرآن فـإن النـبي إبراهيـم هـو أب لإسمـاعيل وإسحاق، وإسحق أنجب يعقـوب، ويعقـوب أنجـب الأسـباط ويوسـف عليـهم السلام. وقد ورد ذكر النبي إبراهيم عليه السلام في خمسة وعشرين سورة هـي: البقرة وآل عمران والنسـاء والأنعـام والتوبـة وهـود. يوسـف. إبراهيـم. الحجـر. النحـل. مريـم. الأنبيـاء. الحـج. الشـعراء. العنكبـوت. الأحـزاب. الصافـات. الشورى. ص. الزخرف. الذاريات. النجم. الحديد. الممتحنة. الأعلى.

وتتضح فيها نبوته ورسالته، ودعوته لديانـة التوحيـد. ومنهجـه في هـذه الدعوة. أمّا في التوراة فإن الحديث عن النبي إبراهيم يظهر مع بداية الإصحـاح الثاني عشر من سفر التكوين. حيث تورد قولها المتكـرر وقـال الـرب لأبـرام... تقول التوراة في سفر التكوين: (وقال الرب لأبرام اذهـب مـن أرضـك وعشـيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك) 12: 1.

وتقول (وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه) تكوين 13: 14.

وتقول بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلا لا/تخف يا أبرام أنا ترس لك. أجرُكَ كثيرٌ جداً) تكوين 15ـ 1.

وتقول: (في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا) تكوين 15 :8.

وتقول: (ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً) تكوين 17: 1 ـ 3.

وتقول: (وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي) تكوين 17: 9.

وتقول: (وظهر له الرب عند بلوطات ممرأ وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار) تكوين 18: 1.

وجاء في التوراة: (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء. قال بذاتي أقسمت يقول الرب) تك 22: 15ـ 16.

وجاء قبله: (فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هأنذا) تكوين 22: 11.

وجاء فيها: (وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب إبراهيم في كل شيء) تكوين 24ـ 1.

وجاء فيها (وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعانَ أياما وانضم إلى قومه) تك 25: 8.

ونلاحظ أن لفظة النبي وكذلك لفظة النبوة لم تردا في التوراة. إنما الذي دل على نبوته مناداة الله له أو مناداة ملاك الرب.

ومن خلال هذا النصوص التوراتية نرى أن إبراهيم لم يكن صاحب رسالة أو صاحب دعوة أو صاحب منهج معين في الدعوة. ولم تشر التوراة إلى أي رسالة سماوية تلقاها إبراهيم من ربه. ولم تتضح أية تعاليم تلقاها إبراهيم من ربه وكذلك لم نر أي تشريعات خاصة بديانة التوحيد.

ومن هنا نستطيع القول إن نبوة إبراهيم حسبما جاءت معالمها في التوراة هي نبوة ناقصة فيها عنصران هامان وتفتقد إلى عدة عناصر:

أ ـ عنصر الكلام بينه وبين الله والوحي.

ب ـ انصياعه لأمر الله في بعض القضايا واعتراف التوراة بأخلاقه الحميدة. بينما تفتقد نبوته إلى:

1 ـ الرسالة التي من المفترض أن يكون تلقاها من ربه.

2 ـ الدعوة إلى عقيدة التوحيد.

3 ـ منهج الدعوة كما عهدناها عند الرسل والأنبياء.

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم تتضح لنا معالم النبوة كاملة متكاملة. والآيات نفسها تبين ذلك.

يقول تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) الأنبياء 51.

ويقول تعالى: (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً) مريم الآية 41.

وهذا يدل صراحة بأن إبراهيم عليه السلام كان نبياً وصادقاً ودليل الرسالة التي تلقاها إبراهيم عليه السلام من ربه هو قوله تعالى:

(إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) سورة الأعلى أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قلت

يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب. قال مائة كتاب وأربع كتب. أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال أمثال كلها. أيها الملك المتسلط المبتلي المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض. ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات. ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع. وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات واستجماعاً للقلوب وتفريغاً لها. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه. فإن من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمّة لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم.. قلت يا رسول الله: هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى. قال يا أبا ذر نعم (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)[1].

أما قصة إبراهيم عليه السلام فهي الدليل على رفضه عبادة الأصنام ودعوته للتوحيد ثم جداله مع من ادّعى الألوهية، ثم هجرته بدعوته تاركاً قومه إلى قوم آخرين ثم بنائه للبيت الحرام ودعوة الناس للحج تلبية لأمر الله ثم إقراره لأمر الله بذبح ابنه.

فرفضه لعبادة الأصنام ظهر في عدة مواقع من القرآن الكريم يقول تعالى: (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) الأنبياء 52.

---

(1) السيوطي: الدر المنثور في التفسير.المأثور ص 571 المجلد 6.

ويقول تعالى: (قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) الأنبياء 56

ويقول تعالى: (قال تالله لأكيدين أصنامكم بعد إن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون.) الأنبياء 57 ـ 58.

وقوله تعالى في نجاته: (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء 71 ومحاجّته للملك الذي ادعى الألوهية.

يقول تعالى: (ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي الفوم الظالمين) البقرة 258.

أما هجرته بعقيدته ففي قوله تعالى:

(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم.) العنكبوت 26.

أما انصياعه لأمر ربه في ذبح ابنه ففي قوله تعالى :

(فبلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ترى. قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه أنْ يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) الصافات 102 ـ 105.

وهذه الدلالات لا وجود لها في التوراة. سوى ما حرفت فيه من أن الذبيح هو النبي إسحق عليه السلام.

أما بناؤه البيت الحرام فهو دليل آخر على نبوته لأن بناء البيت يعني تأسيس عبادة للموحدين جميعهم.

يقول تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) البقرة 127 ـ 128.

ويقول تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) الحج 26 ـ 27.

وترتبط نبوة النبي إبراهيم عليه السلام بنبوة ولديه إسماعيل وإسحق باعتبار أنهما عاشا مع النبي إبراهيم زمنا طويلا. أما إسماعيل عليه السلام فقد ورد ذكر نبوته صراحة في القرآن الكريم.

يقول تعالى: (واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) سورة مريم 54 ـ 55.

أما في التوراة فيرد حديث عن إسماعيل ليس فيه ما يدل على اعترافها بنبوته فقد ورد قولها: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. هأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا) تك 17: 20.

وجاء في التوراة: (فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما لك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة) تكوين 21: 17 -19.

وهذا الحديث الذي تكتفي بـه التوراة لا يشير من قريب أو بعيد إلى عقيدة إسماعيل أو نبوته أو رسالته أو أي دليل يدل على أنه نبي مرسل. أما في القرآن الكريم فقد أوضحت الآيات الكريمة الأمور التالية:

1ـ إسماعيل نبي بصراحة اللفظ في القرآن الكريم.

2ـ يقول الله تعالى: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) سورة إبراهيم الآية 37.

فمهمة إسماعيل إقامة الصلاة التي تعني رمزاً من رموز عقيدة التوحيد

3ـ اشتراك إسماعيل مع أبيه إبراهيم بإقامة قواعد البيت الحرام. وتعني إقامة البيت بناء صرح خاص لعقيدة التوحيد وهذا الصرح يرتبط بركن من أركان عقيدة الإسلام وهو الحج. يقول تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) البقرة 127.

4ـ واستقرار إسماعيل في وادي مكة يعني أن مهمته متابعة الدعوة التوحيدية التي بدأها أبوه في الخليل وما جاورها.

5ـ وقد صدق إسماعيل رؤيا أبيه وانصاع لأمره حين أمره أن يستعد للذبح.

6ـ طالما أن القرآن الكريم أشار إلى صحف إبراهيم فمن الحق أن يقال إن إسماعيل علم التشريعات التي وردت في هذه الصحف وطالما أشار القرآن الكريم إلى نبوته فهذا يعني أن رسالة التوحيد تعلمها على يد أبيه واستمر عليها.

أما إسحق فقد ذكر القرآن الكريم نبوته صراحة وذلك في قوله تعالى: (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين. وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) سورة الصافات 112 ـ 113.

أما في التوراة فقد وردت قصة إسحق من مولده إلى وفاته والإشارة إلى كرامة إسحق في التوراة واضحة دون ان تلفظ بلفظة النبوة الخاصة به.

تقول التوراة: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابنا) تكوين 17: 16

وتقول: (فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن) تك 18: 10.

وتقول: (وافتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما تكلم فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناَ في شيخوخته) تكوين 21: 1 ـ 2.

وتقول: (وصلّى إسحق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته) تكوين 25: 21

وتقول: (وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر) تكوين 26: 3.

وتقول: (فظهر له الرب في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك لا تخف لأني معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي) تكوين 26: 24.

فإسحاق منحة من الله سبحانه لإبراهيم بعد أن شاخ وهرم ويبشر الله إبراهيم وزوجته بالغلام الذي ستحمل به سارة، وإسحق يصلي لله سبحانه ويدعوه أن تنجب امرأته فاستجاب الله له وقد ظهر له الرب. أو ملاك الرب في الرؤيا بمعنى أن هناك صلة بينه وبين الله ويأتي نص التوراة صريحا بقول الله سبحانه أنا إله إبراهيم أبيك.

وكل ذلك يعني أن إسحق سار على منهج التوحيد الذي كان عليه أبوه النبي إبراهيم :

1ـ فولادته معجزة من الله باعتبار أن أمه كانت عجوزا حين حملت به وولدته.

2ـ وقد رأى الله سبحانه بالرؤيا أو سمع كلامه. أو أوحي له حسب قول التوراة.

3ـ وقد صلى لله وهذه صفة من صفات الموحدين.

أما في القرآن الكريم فيرد أن ملائكة الله سبحانه بشرته بغلام عليم. يقول تعالى: (وبشروه بغلام عليم) الداريات 28.

ويقول تعالى: (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) سورة هود 73.

ويقول تعالى: (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) الحجر 55.

ولم يصرح القرآن الكريم برسالة ما كلف بها إسحق، وكذلك لم تنص التوراة على ذلك وكان تركيزها على الوعد الذي زعمته بامتلاك إسحق ونسله لأرض كنعان وهذا ليس له صلة بنبوة أو رسالة، وتشير التوراة إلى وفاته بقولها (فأسلم إسحق روحه ومات وانضم إلى قومه شيخا وشبعان أياما ودفنه عيسو ويعقوب ابناه) تك 35: 29.

أما لوط عليه السلام، فهناك تناقض كبير حوله فيما ورد في التوراة وفيما ورد في القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) الأنبياء 71.

ويقول تعالى: (كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين) الشعراء 160 ـ 163.

ويقول تعالى: (وإن لوطاً لمن المرسلين. إذ نجيناه وأهله أجمعين) الصافات 133 ـ 134. فلوط نبي مرسل وهذا ما صرحت به آيات القرآن الكريم. وقد أرسل إلى قومه لأسباب كثيرة. إتيانهم الفاحشة وهي اللواط. وقطع السبيل. والإتيان بالمنكر في ناديهم. وتكذيبهم للرسل.

لقد بدأت رحلة الإيمان لدى النبي لوط عليه السلام منذ أن هاجر مع إبراهيم عليه السلام من أور إلى الأرض التي باركها الله للعالمين. وكانت مهمته كنبي إبعاد قومه عن تكذيب الرسل والرسالات. وإبعادهم عمّا ينافي الأخلاق الحميدة. ومن ثم نهيهم عن قطع السبيل وكانت العاقبة أن نجّاه الله ودمّر قومه تدميراً كاملاً. أما منهج دعوته فله صفحات أخرى.

أما التوراة فتورد أن الملاكين قد أتيا إلى سدوم مساء. (فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض) تك 19: 2.

وتقول التوراة (فقال لهما لوط لا يا سيد هو ذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي) تك 19: 18 ـ 19.

ولكن التوراة لا تشير إلى الصراع بين لوط وقومه سوى ما حدث عندما جاءه الملاكان وحاول قومه خلع باب بيته للوصول إلى الملاكين الذين على هيأة رجلين. ومع ذلك فإنها تلفّق على لوط ما يتنافى وأبسط قواعد السلوك البشري. ولم تمنحه أية عصمة بشرية أخلاقية. حيث قالت إنه زنى بابنتيه بعد أن سقتاه خمراً حتى ثمل وحملتا منه.

فلا علائم للنبوة ولا صفات إنسانية أخلاقية حميدة. إنما إلصاق التشويهات بشخص لا صلة بينه وبين ربه، أو عقيدة التوحيد التي تعلمها أساسا من عمه النبي إبراهيم عليهما السلام.

أما يعقوب فتتوسع الدائرة في الحديث عن نبوته إن كان ذلك في التوراة أو في القرآن الكريم. تورد التوراة أن إسحق بارك يعقوب ولكن هذه المباركة لم تتم إلا عن طريق الخدعة حيث كان إسحق قد فقد بصره وكان يحب ابنه الأكبر عيسو ويريد مباركته ولكن أم يعقوب تآمرت مع ابنه ليكذب على أبيه وينال بركته. وكل ذلك موجود بالتفصيل في التوراة.

وتقول التوراة: (ورأى حلما وإذا سلمٌ منصوبةٌ على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها. وهو ذا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق) تكوين 28: 12 ـ 13.

وتقول: (وها أنا معك أحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به) تكوين 28: 15.

وتقول: (وقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب...) تكوين 31: 11.

وتقول: (وأما يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله. وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله) تكوين 31: 2.

وتقول: (وقال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحق الرب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك) تكوين 32: 9

وتقول: (ثم قال الله ليعقوب ثم اصعد إلى بيت أيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحا لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك) تك 35: 1.

وتقول: (فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم) تكوين 35: 2.

وتقول: (وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل) تك 35: 9 ـ 10.

وتقول: (وقال له الله أنا الله القدير أثمر وأكثر. أمة وجماعة أمم تكون منك) تك 35: 11.

وتقول: (فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب فقال هاأنذا فقال أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر) تكوين 46: 2 ـ 3.

فمن خلال النصوص التي مرت معنا، نرى أن إسحق النبي بارك ابنه يعقوب ثم أن الرؤيا تكررت لدى يعقوب، رأى من خلالها ملائكة الله وسمع من خلالها نداء ربه، ويرد أن الله تعهد له بحفظه وأمره عدة أوامر فنفذها يعقوب تلبية لنداء ربه، ثم إن يعقوب يدعو أهله وبنيه لعبادة الله الواحد وعدم الإيمان بالآلهة الوثنية التي اعتبرتها التوراة غريبة عن إله يعقوب.

ثم إن الله سبحانه كلم يعقوب وغير اسمه إلى إسرائيل وهذه الكلمة تعني عبد الله. وجميع هذه المعالم هي من صفات النبوة عند يعقوب. إلا أن التوراة لم تشر صراحة إلى نبوته ولا إلى رسالته ودعوته وهذا ما رأيناه أيضاً من التوراة حين تحدثت عن بقية الأنبياء.

أما يعقوب في القرآن الكريم فتتضح معالم شخصيته النبوية بشكل آخر.

يقول تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفّه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) البقرة 130 ـ 132.

ويقول تعالى: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) البقرة 133.

فمن خلال الآيات السابقة ندرك أن يعقوب تلقى ديانة التوحيد عن إبراهيم وإسماعيل وإسحق. ثم وصى يعقوبُ نفسُه بنيه أن يظلوا على ديانة التوحيد فالله واحد أحد. والإيمان بوحدانية الله هو إيمان متصل لا انقطاع فيه.

ويقول تعالى: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة 136.

فهذه الآية توضح ثلاث نقاط تتعلق بنبوة يعقوب:

1ـ إن الله أنزل على إبراهيم وأبنائه ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى رسالة التوحيد.

2ـ هؤلاء لهم صلة بالنبوة.

3ـ عقيدتهم وعقيدة أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واحدة وهي عقيدة التوحيد ويقول تعالى: (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) الأنبياء 72 ـ 73.

فالواضح من الآية أن يعقوب مثلُ إسحق وإبراهيم إمامٌ في النبوة. وأوحي له كما أوحي للأنبياء قبله. وطبيعة الوحي أمرٌ من الله بفعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وعبادة الله الواحد الأحد.

ويقول تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا) النساء 163.

فظاهرة الوحي تخص الأنبياء ويعقوب أوحي له كما أوحي لغيره من الأنبياء. ويضاف إلى ذلك أن النبي يعقوب ابتلي بتغييب ابنه يوسف من قبل إخوته وصبر على المصيبة التي حلت به وقال في معرض صبره: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) يوسف 18.

ويقول تعالى: (وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) يوسف 67.

ويقول تعالى: (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف 87

فهذه الآيات تشير أيضاً إلى الإيمان الراسخ لدى النبي يعقوب عليه السلام. وهذا الإيمان لا يتحلى به سوى الأنبياء ومن سار على منهجهم.

والتفاصيل التي جاء على ذكرها القرآن الكريم لم نرها في التوراة، وعلائم النبوة التي رأيناها في آيات القرآن الكريم هي بمثابة الأدلة المتكاملة على نبوة متكاملة أيضاً. وتطالعنا نبوة النبي يوسف عليه السلام بعد النبي يعقوب عليه السلام باعتبار أن هذا النبي ورث عن أبيه وجده إسحاق والنبي الأسبق إبراهيم عليه السلام وقد وردت آيات كريمة تدل على نبوته.

يقول الله تعالى: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم) سورة يوسف الآية 6

ويجتبيك ربك يصطفيك ثم يفهمك من معنى الكلام وتعبير المنام مالا يفهمه غيرك ويتم نعمته عليك بالوحي. ويحسن إليك بالنبوة كما أحسن بها إلى إسحق وإبراهيم وقد أوحى الله ليوسف في عدة مواقع.

يقول تعالى: (وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون) يوسف 22.

ويقول تعالى: (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) يوسف 22.

وإتيان الحكمة والعلم من دلائل النبوة بعد أن اكتمل يوسف وأصبح مهيأ للنبوة وقد عصمه الله من الفحشاء عندما راودته امرأة العزيز. فهو من سلالة الأنبياء وقد حماه الله من مكر النساء.

وقد دعا يوسف صاحبيه في السجن إلى عبادة الله الواحد الأحد. وكانت دعوته لهما في هذا الحال في غاية الكمال.

يقول تعالى: (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف 39 ـ 40.

فهذه الدلالات إضافة لمسيرة حياة يوسف وهو يعمل عند ملك المصريين تدل بشكل واضح على نبوته.

أما في التوراة فتظهر كرامات يوسف وحرصه على عقيدته وأخلاقه من خلال رفضه ما دعت إليه امرأة قائد الحرس لدى ملك المصريين ودخوله السجن، ثم مقدرته على تفسير الأحلام، ثم عفوه عن إخوته الذين أتوا إلى مصر بسبب المجاعة ليأخذوا القمح إلى ذويهم. لكن التوراة لم تشر إلى نبوة يوسف لا من قريب ولا من بعيد. ولم تشر إلى دعوته إلى عقيدة التوحيد التي كلفه الله بها كما كلف الله بها آباءه وأجداده.

وبموت يوسف عليه السلام تنتهي مرحلة مهمة من مراحل النبوة الأولى التي بدأت بإبراهيم عليه السلام وانتهت بيوسف عليه السلام.

وعندما نتوقف عند النبي موسى سنرى الوضع يختلف تماما فسيرة موسى تأخذ مساحة واسعة في التوراة وكذلك في القرآن الكريم.

ومعالم نبوته تكــاد تتطـابق في مـا بـين التـوراة والقـرآن الكريـم. وتعتـبر شخصية النبي موسى مـن أهـم الشـخصيات النبويـة في تـاريخ الأنبيـاء. وذلـك لأسباب كثيرة أهمها :

1ـ أن النبي موسى صاحب رسالة ونزل عليه كتاب هـو التـوراة وهـو مـن بـين أربعة كتب نزلت علـى أنبيـاء مشـهورين. وهـي التـوراة والزبـور والإنجيـل والقرآن الكريم.

وقد وضحت التوراة تشريعات دينية كثيرة وهي مبثوثة في أسفار الخروج. واللاويين والعدد والتثنية.

2ـ أن النبي موسى كلم الله سبحانه وتعالى، وهذا ما نصت عليه التـوراة ونـص عليه القرآن الكريم إضافة لما أوحي إليه بواسطة الوحي أو ملاك الـرب كمـا تقول التوراة.

3ـ أن النبي موسى ظل على رسالته مجاهداً موحداً على الرغم مما لاقاه من بني إسرائيل من كفر وانحراف ونفاق.

4ـ لقد صرح القرآن الكريم وكذلك التوراة بنبوته بل إن التــوراة لم تصـرح بنبـوة أحد من الأنبياء الأوائل سوى موسى عليه السلام.

5ـ في القرآن الكريم وكذلك في التوراة قصة وضع موسى في صندوق وإلقائه في اليم ونجاته بقدرة الله.

6ـ في القرآن الكريم يرد أن الله اصطفاه نبياً لنفسه.

7ـ في القرآن الكريم منهج نبوي واضح لدى موســى خاصـة في الدعـوة إلى ديانـة التوحيد وهنا يوجد اختلاف بين القـرآن الكريـم والتـوراة حيـث أن التـوراة تركز على أمر واحد هو إنقاذ بني إسرائيل من ظلم بني فرعون.

يقول تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين) القصص 7.

ويقول تعالى: (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) طه39

ففي الآيتين السابقتين إشارة واضحة إلى أن موسى عليه السلام سيكون من المرسلين وأنه قد رعاه الله رعاية خاصة واصطفاه.

يقول تعالى: (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) وهذه طبيعة رسالة التوحيد فالله سبحانه يهيىء من يريده أن يكون نبياً. ثم عندما يبلغ أشده ويصبح مؤهلاً لتحمّل الرسالة يؤتيه الله الحكمة والعلم والحكم ويقول تعالى: (لبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى. واصطنعتك لنفسي) طه 40 ـ 41 وقد من الله على موسى عليه السلام بأن منحه معجزة العصا. ومعجزة يده التي أمره الله أن يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء.

يقول تعالى: (ما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى. قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى. واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) طه 17 ـ 22 وقد عرف عدد من الأنبياء بمعجزات يقومون بها بإذن الله ومعجزة موسى عليه السلام كانت في العصا وفي يده.

ويقول تعالى: (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا) الإسراء 2.

ويقول تعالى: (فلما أتاها نودي يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه 11 ـ 14.

ناداه وكلمه دون وحي ولذلك يقال موسى كليم الله. استناداً إلى قوله تعالى: وكلم موسى تكليما.

ويبين القرآن الكريم دعوة موسى إذ يقول تعالى:

(اذهب إلى فرعون إنه طغى) طه 4 فموسى عليه السلام دُعمت نبوته بكتاب وهو التوراة.

ويقول على لسان موسى: (كي نسبحك كثيراً. ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) طه 33 ـ 36.

ومن علامات نبوة موسى عليه السلام قوله تعالى:

(وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) الأعراف 142.

ومن علامات نبوة موسى عليه السلام إيذاء بني إسرائيل له. يقول تعالى: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) الصف5 فمن سمات الأنبياء أن أقوامهم كانوا يعاندونهم ويؤذونهم ويتمردون عليهم.

ويقول تعالى: (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا. ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) مريم 51 ـ 53.

وفي هذه الآية وغيرها من الآيات إشارة واضحة إلى نبوة موسى عليه السلام وكذلك نبوة هارون عليه السلام.

أما في التوراة فتتجلى نبوة موسى عليه السلام على الشكل التالي:

١ ـ (وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقه) خروج 3 ـ 2 (فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العلّيقة وقال موسى موسى فقال هاأنذا. فقال لا تقترب إلى ههنا إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب) خروج 3: 4 ـ 6.

وتقول التوراة: (فقال له الرب ما هذه في يدك فقال عصا قال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها ثم قال الرب لموسى مد يدك وأمسك بذنبها...) خروج 4: 2 ـ 4

ثم قال له الرب أيضا أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه ثم أخرجها فإذا يده بيضاء مثل الثلج) خروج 74: 6 ـ 7.

ومن علامات النبوة أيضاً أن بني إسرائيل تذمروا على موسى وكادوا يقتلونه وهذا ما وجدناه في آيات القرآن الكريم أيضاً.

تقول التوراة: (وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الربْ قائلاً ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني) خروج 17: 3 ـ 4.

وعن توراة موسى تقول التوراة:

(فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده) خروج 32: 15.

وتقول التوراة في نبوة موسى:

(ولم يقُم بعدُ نبّيٌ في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه) تثنية 34: 10 ـ 12.

وقد تكررت عبارة وكلم الرب موسى في هذا السفر عشرات المرات، لتؤكد أن موسى عليه السلام. كان يكلم الله تكليماً في أغلب أوقاته دون وحي. وقد وردت بعض المقاطع في التوراة تدل على أن موسى عليه السلام قد التقى ملاك الرب.

ومما مر معنا في نصوص القرآن الكريم وفي نصوص التوراة نستدل على أن هناك اتفاقا شبه كامل فيما ورد في الحديث عن النبوة لدى موسى عليه السلام. أما منهج الدعوة عنده فهو مجال اختلاف جذري بين الذي ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم.

أما النبي هارون عليه السلام فقد ورد الحديث عنه في سياق آيات القرآن الكريم وفي نصوص التوراة.

وقد ورد الحديث عن نبوته صراحة في آيات القرآن الكريم يقول تعالى: (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) مريم 53.

وقد كانت رسالته رسالة التوراة التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام وقد رافقه في معظم حياته النبوية، حيث ترافقا معا في دعوة فرعون إلى ديانة التوحيد وكان موسى عليه السلام يلقنه تعاليم التوراة يوما بعد يوم.

غير أن التوراة لم تشر إلى نبوة هارون بل اتهمته بأنه هو الذي كان وراء صنع العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل أثناء غياب موسى عليه السلام للقاء ربه. و ادعت التوراة أن هارون كان وراء مقتل أخيه حسب ادعاء بني إسرائيل.

وعندما نصل إلى معالم النبوة عند النبي داود عليه السلام. نجد أن القرآن الكريم يشير إلى أن الله سبحانه منحه النبوة والملك. وقد أنزل الله عليه

كتابا اسمه الزبور. إلا أن التوراة ركزت على ملكه، واستثنت الحديث عنه كنبي له رسالة وله منهج.

يقول تعالى: (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) البقرة 251.

و يقول تعالى: (وآتينا داود زبورا) النساء 163

ويقول تعالى: (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) الإسراء 55.

وهذه الآيات الكريمة تشير إلى نبوة داود بشكل واضح، وتشير أيضاً إلى أن الله سبحانه أنزل على داود كتابا اسمه الزبور.

ومن علامات تأييد الله سبحانه لنبوة داود تسخير الجبال والطير يسبحن له.

يقول تعالى: (مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين)

ويقول تعالى: (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير) سبأ 10 ـ 11.

ويقول تعالى: (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) ص 17.

ويقول: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق. والطير محشورة كل له أواب. وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ص 18 ـ 20.

وقوله تعالى: وآتيناه الحكمة أي آتيناه النبوة.

ويقول تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فـاحكم بـين النـاس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سـبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ص 26.

وداود عليه السلام كان أعدل الناس في عصره وهذه منحة من الله سبحانه له وتقوية لعلائم نبوته.

أما في التوراة فترد بعض النصوص التي تشير إلى إيمان داود عليه السلام بالله منذ صغره.

تقول التوراة: (لأنه عير صفوف الله الحي) صموئيل الأول 17: 26.

وتقول: (وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسـرائيل) صموئيـل 171: 45.

وتقول على لسان داود: (هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطـع رأسك) 46.

ثم تأخذ التوراة بالحديث عـن سـؤال داود للـرب فيمـا يتعلـق بحركاتـه وتحركاته، ثم تقول التوراة: (وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا علـى بيت يهوذا) ص2 : ا/ 4.

ثم تقول: (وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حـبرون فقطـع الملـك داود معـهم عـهدا في حـبرون أمـام الـرب ومسـحوا داود ملكـاً علـى إسـرائيل) صموئيل الثاني 5: 3.

وتتوالى الفقرات التي تشير إلى أن الله قد تحدث لداود وأرشده في شؤون الحرب والقتال. وفي الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني مقاطع تدل علـى مناجاة داود لربه وصلاته له.

وتقول: (فدخل الملك داود وجلس أمام الرب وقال: من أنا يا سيدي الرب وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى هنا وقل هذا أيضاً في عينيك يا سيدي الرب) ص2 7: 18 ـ 19.

وتقول: (لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا) صموئيل الثاني 7: 22.

وتورد التوراة أقوالا منسوبة إلى النبي داود تدل بشكل واضح على صلته القوية بالله. ليس صلة الملك وإنما صلة الأنبياء على الرغم من أن التوراة تصر على تحييد النبوة عن داود وتركز على كونه ملكا. تقول: (وحي داود بن يسّى ووحي الرجل القائم في العلا مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو. روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني.. إذا تسلط على الناس بار يتسلّط بخوف الله) صموئيل الثاني 23: 1 ـ 2 ـ 3.

ويأتي في التوراة أن داود وصى سليمان عندما قربت وفاته وتقول التوراة: (احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت) ملوك أول 2: 3.

ومن خلال ما تقدم نرى أن كثيراً من الدلائل تشير إلى أن داود كان مع الله وكان الله معه لكن التوراة لم تشر إلى نبوته. وإنما أشارت إلى مزامير داود التي هي عبارة عن أناشيد وأدعية قالها على آلة موسيقية. ولم تشر إلى أن الله سبحانه أنزل عليه كتابا اسمه الزبور. ويعتقد كثيرون أن ما قاله داود عليه السلام في المزامير ليس سوى الزبور نفسه. ولكن آخرين نفوا ذلك إذ أن هذه المزامير من صنع داود ولم تنزل على داود من لدن رب العالمين.

وترتبط شخصية سليمان النبوية بشخصية داود عليهما السلام. فقد استلم سليمان الملك في أواخر حياة أبيه وتمتع من صغره بالفطنة والذكاء مما أتاح له التعلم من أبيه أصول ديانة التوحيد والحكمة والعلم والملك. يقول تعالى:

(ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين) سورة النحل 15 ـ 16.

والمراد بقوله (من كل شيء) كثرة نعم الله تعالى عليه ومنها تعليمه كلاما لا يعلمه سواه وهذه المنحة لم تذكر في كتب أهل الكتاب. وإنما يذكرون أن سليمان كان عظيم الحكمة ولذلك يسمونه سليمان الحكيم ولا يلقبونه بالنبي أصلاً[1].

ومن نعم الله عليه لتقوية معالم نبوته تسخير الله له الريح يقول تعالى: (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) سورة ص 36.

وقوله تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة تجري إلى الأرض التي باركنا فيها) الأنبياء الآية 81. وقد آتاه الله ملكا لم يعطه لنبي قبله أو بعده.

قال تعالى: (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهّاب) ص 35.

وكذلك فقد أسال الله له عين القطر أي النحاس ليدعم به ما بناه. وقد منَّ الله تعالى عليه وهداه إلى ما لم يهتد إليه أحد من قبله والتوراة خالية من ذلك[2]

(1) عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء صفحة 346.

(2) عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء صفحة357.

وسخّر الله له الجن. يقول تعالى: (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجراب وقدور راسيات) سبأ الآية 13.

ولم يمنح نبي قط تسخير الجن له. وهذه ما تخص نبوة سليمان دون غيره من الأنبياء.

ومن نعم الله عليه أنه دعا ملكة سبأ إلى عقيدة التوحيد فآمنت. وكذلك من نعم الله عليه أنه عندما وافته المنية لم يعرف أحد من الجن والإنس أنه مات وما دلهم على موته سوى دابة الأرض. كما جاء ذلك في القرآن الكريم ولم يرد في التوراة.

وقد أوردت التوراة بعضاً من النصوص التي تشير إلى علاقة سليمان كملك بربه.

تقول التوراة: (وأحب سليمان الرب سائراً في فرائض داود أبيه) ملوك أول 3: 3.

وتقول: (في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلا وقال الله اسأل ماذا أعطيك فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك) ملوك 3: 5 ـ 6.

(فأعط عبدك قلبا فهيما لأحكم على شعبك) ملوك 3: 9 (وأميز بين الخير والشر) .

وتقول التوراة: (ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك خافوا الملك لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم) ملوك أول 3: 28.

وتقول التوراة: (وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع الناس) ملوك أول 3: 28.

وتقول: (وكان صيته في جميع الأمم حواليه. وتكلم بثلاثة آلاف مثل وكانت نشائده ألفا وخمسا) 33. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته) ملوك أول 4: 34.

إذا فقد تبين لنا أن سليمان رأى الله في منامه. بمعنى أنه أوحي إليه. ومنحه الله الملك ووسعه. وأعطاه منه ما لم يعط غيره وكان حسب قول التوراة أحكم الحكماء. ومع هذا كله فإن التوراة لا تقول بنبوته إطلاقا ولا تأتي على ذكر دعوته التوحيدية وهذا ما يتناقض مع الحقيقة التي أوردتها آيات القرآن الكريم وفصلت في ذكرها.

لقد أوردنا ماذا قال القرآن الكريم بشأن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة وكذلك في القرآن الكريم وتبين لنا أن ما أتت به آيات القرآن الكريم عن نبوة الأنبياء لم تأت به التوراة باستثناء النبي موسى عليه السلام. إذ هو النبي الوحيد المعترف عليه من بين أنبياء العهد القديم أي الأنبياء الذين بدأهم النبي إبراهيم وانتهوا عند النبي سليمان.

وتجدر الإشارة إلى أن التوراة جاءت على ذكر كثير من الأنبياء وسمتهم ولكن هؤلاء الأنبياء كانوا خاصين لبني إسرائيل يخدمون الرب عن طريق تمسكهم بشريعة النبي موسى عليه السلام.

من هؤلاء صموئيل. حزقيال. دانيال. وإرميا. وهؤلاء لهم أسفار في التوراة. وهناك ذكر لأنبياء جاء الحديث عنهم عرضاً مثل النبية مريم أخت موسى وهارون. ودبورة والنبي ناثان الذي كان مع النبي داود عليه السلام. وإيليا التشبي "إلياس". وأليشع. ونحميا. وأيوب. وأشعياء. ويوئيل. وعاموس. وعوبديا. ويونان بن أمتاي. وميخا. وناحوم. وحبقوق. وصفنيا ، وحَجي. وزكريا وملاخي.

ويرى الكثيرون من المفسرين وبعض المهتمين بالدراسات التوراتية أن إيليا هو النبي إلياس. وأن أيوب هو نفسه الوارد ذكره في القرآن الكريم. وأن يونان هو يونس عليه السلام. ولكن زكريا ليس زكريا النبي الذي ورد ذكره في قصة مريم. وبعضهم يرى أن كاهن مدين يثرون هو شعيب عليه السلام باعتباره والد زوجه موسى عليه السلام. وكما قلنا ينفرد القرآن الكريم بذكر صالح وهود وشعيب وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام:

1 ـ هل النبي شعيب هو نفسه يثرون كاهن مدين؟ ما معالم نبوته في التوراة؟ وما معالم نبوته في القرآن الكريم؟

2 ـ هل النبي إيليا هو النبي إلياس؟

3 ـ هل النبي أيوب هو نفسه النبي أيوب الذي ورد ذكره في القرآن الكريم؟

4 ـ هل النبي يونان بن أمتاي هو النبي يونس؟

جاء في التوراة أن النبي موسى عليه السلام عندما هرب من مصر بعد قتله المصري توجه نحو مدين ووجد فتيات يستسقين لغنمهن فساعدهن، وظهرت أخلاقه الحميدة أمامهن وعندما عدن تحدثن إلى أبيهن. فبعث واحدة منهن لتجلب موسى إليه. وقد ذهب موسى إلى ذلك الرجل الذي أطلقت عليه التوراة اسم يثرون ووصفته بأنه كاهن مدين. ثم تزوج موسى من ابنته التي تدعى صفوره. ثم يعود موسى إلى فرعون ليخرج بني إسرائيل من مصر. وعندما يعود إلى الصحراء مع قومه يتذكر حميه يثرون فيزوره ويروي له ما فعل الله بفرعون وجنوده. فحمده يثرون ثم أشار عليه أن يقضي لبني إسرائيل ولم تزد التوراة عن ذلك شيئاً.

والواقع أن قصة زواج موسى من بنت يثرون تشبه تماماً القصة التي وردت في القرآن الكريم. فمن المحتمل أن يكون هو شعيب عليه السلام باعتبار

أن حدث الزواج ووجود اسم مدين هو نفسه في نص التوراة ونص القرآن الكريم. ومع ذلك لم تبرز أية معالم للنبوة عند يثرون سوى مدحه لإله موسى الذي نجاه من الظالمين.

بينما نجد في القرآن الكريم معالم النبوة لدى شعيب عليه السلام. فهو نبي مرسل، ودعا قومه إلى عقيدة التوحيد فرفضوا فصعقهم الله جزاء على رفضهم دعوة نبيهم.

يقول تعالى: (كذب أصحاب الأيكة المرسلين. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون) الشعراء 176 ـ 179.

فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن شعيب كان نبياً مرسلاً.

وعقيدته واضحة من خلال الآيات الكريمة فهو يدعو إلى الله الواحد وعبادته.

يقول تعالى: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) هود 90

ثم نهاهم عن فعل السوء الذي تجلى في قوله تعالى: (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) هود 85 .

وقد أشار القرآن الكريم في عدة مواضع إلى أن النبي شعيباً بعث لقومه من أهل مدين بقوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيباً. قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم. فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) الأعراف 85 ويروي المفسرون أن قومه كانوا يعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها. وكانوا يقطعون السبيل ويخيفون المارة. ومن أسوأ

الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما. ويأخذون بالزائد. ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلاً هو رسول الله شعيب عليه السلام[1].

ثم حاول قومه أن يطردوه إذا لم يعد إلى ملتهم وضلالهم. ولكن النبي شعيب رفض كفرهم فعاقبهم الله بعد ذلك (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) الأعراف 91

و هذا الذي نراه في القرآن الكريم لا نراه مطلقاً في التوراة.

أما النبي إلياس كما ورد اسمه بهذا اللفظ في القرآن الكريم فقد ورد اسمه في التوراة باسم إيليا. وقد ورد في القرآن الكريم صراحة أنه من المرسلين قال تعالى: (وإن إلياس لمن المرسلين) الصافات123 وقد بعث إلى قومه الذين هم قسم من بني إسرائيل يدعونهم إلى عبادة الله الواحد وإلى ترك عبادة البعل.

تقول بقية الآيات: (إذ قال لقومه ألا تتقون. أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الأولين. فكذبوه فإنهم لمحضرون. إلا عباد الله المخلصين. وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين. إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) الصافات 124 ـ 132

وتورد التوراة حديثاً موسعاً عن إيليا وصراعه مع عبدة البعل. وتقول إنه وجد في زمن الملك الإسرائيلي الوثني آخاب بن عمري الذي تزوج من إيزابيل بنت ملك صيدا وتورد التوراة أن ملاك الرب التقى أيليا عدة مرات ونصره ضد عبدة البعل. وأمره بالهروب من وجه آخاب الوثني فهرب وكان الرب معه. وقد ورد أنه أشفى ابن امرأة بعون الله. تقول التوراة (وقال أيليا انظري ابنك حي. فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق) ملوك أول 17: 24

---

(1) ابن كثير. قصص الأنبياء ص 186.

وظل الصراع قائماً بين إيليا وعبدة البعل حتى انتصر عليهم وأزال عبادة الأصنام. أما أيوب عليه السلام فقد أوردت آيات القرآن الكريم أجزاء صغيرة من قصته. وهو نبي بصريح العبارة في القرآن الكريم.

يقول تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب) النساء 163 وركزت الآيات على ابتلاء أيوب وصبره وحبه لله تعالى.

يقول تعالى: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه إني مسني الشيطان بنصب وعذاب) سورة ص 41

يقول تعالى: (رب إني مسّني الضر وأنت أرحم الرحمين) الأنبياء 83

وقد رافقت نبوة أيوب معجزة الماء البارد الذي اغتسل منه فشفي من جميع مرضه يقول تعالى: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب) ص 42 أما التوراة فقد أفردت للنبي أيوب سفراً خاصاً أما معالم نبوته في التوراة فإنها لا تظهر إلا في بعض الأمور الجزئية.

تقول التوراة: (كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب. وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر) أيوب 1:1

و تقول التوراة: (فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب) أيوب 1: 8

و تقول: (وقال عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب اخذ فليكن اسمه الرب مباركاً. في كل هذا لم يخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة) أيوب 21/1 ـ 22

و تقول: (أالخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل. في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه) أيوب 2: 10

وهذه الأقوال تدل بشكل واضح على إيمان أيوب بالله إيماناً كاملاً. فهو كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. ثم وصفه الله بأنه عبده. وهو مؤمن بخلق الله له وموته وبعثه ثم هو يقبل الابتلاء والخير من الله.

و بدءا من الإصحاح الثالث تنسب التوراة لأيوب أقوالاً هي أقرب إلى التجديف على الله والكفر به

أما في الإصحاح الأخير وهو الثاني والأربعون فتورد التوراة أن الله رد لأيوب عافيته ووهب له ضعف ما كان له من الأولاد والأموال تقول التوراة: (وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاده...)أيوب: 42: 12

(وعاش أيوب بعد هذا مئة وأربعين سنة ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال ثم مات أيوب شيخاً وشبعان الأيام) أيوب 42: 16.

وإذا أخذنا أقوال التوراة الأولى عن أيوب على سبيل المجاز لا توضح لنا أنه نبي من الأنبياء وخاصة قولها كان كاملاً مستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر. لكن المدهش أن في كلام التوراة تناقضاً فادحاً خاصة عندما تنسب له التجديف على الله.

أما النبي يونس عليه السلام فقد ورد في القرآن الكريم عنه وعن نبوته

يقول تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين. فالتقمه الحوت وهو مليم. فلولا أنه كان من المسبحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون. فنبذناه بالعراء وهو سقيم. وأنبتنا عليه شجرة من يقطين. وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون. فآمنوا فمتعناهم إلى حين) الصافات 139 ـ 148.

من خلال هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن: يونس

أ ـ كان نبياً من المرسلين

ب ـ و كان يسبح الله رغم ابتلائه العظيم

جـ ـ و قد أرسل إلى قوم يدعوهم إلى ديانة التوحيد

أما في التوراة فتورد أن يونان بن أمتاي قد تنبأ في أيام برعام الثاني ملك السامرة وتنبأ برد حدود السامرة. وكان موضوع نبوءته إنقاذ لبني إسرائيل من ظلم الآراميين السوريين.

وتورد التوراة قصة الحوت الذي ابتلع يونان. وفي سفر يونان رموز إلى أمور مستقبلية كقيامة المسيح وتبشير الأمم

ويقول السفر: (أن الله أمر يونان بالذهاب إلى نينوى عاصمة الآشوريين ليعلن خرابها وحاول التخلص من هذا الواجب. فعاقبه الله بأن ركب في سفينة وقعت في عاصفة قوية فألقاه أهل السفينة في البحر بعد إجراء القرعة. فابتلعه حوت عظيم وبعد ثلاثة أيام قذفه الحوت إلى البر. وبعدها صلى يونان إلى الله شكراً. وأطاع أمر ربه فذهب إلى نينوى فأصغى له سكانها وآمنوا وتابوا وصفح الله عنهم)[1]

ويعلق مؤلف الكلام في قاموس الكتاب المقدس بقوله: (وليس في سفر آخر في العهد القديم ما يظهر محبة الله بطريقة اعجب من المحبة التي يظهرها هذا السفر. إنه يحمل رسالة دينية لجميع العصور. إنه احتجاج على العصبية والعنصرية اليهودية الضيقة ومقتها للشعوب الأخرى مقتاً بشعاً ظهر بنوع خاص بعد عصر السبي. إن الله في نظر مؤلف هذا السفر يهتم بجميع الناس ويغفر

(1) قاموس الكتاب المقدس صفحة 1128.

لجميع التائبين إليه سواء كانوا أمماً أو يهوداً)[1].

ولعل الاتفاق على شخصية النبي يونس ـ يونان بين التوراة وبين القرآن الكريم تقع في نبوته. وابتلاع الحوت له. وصبره وإيمانه الراسخ بالله. ثم إرساله إلى قوم يدعونهم إلى التوحيد فآمنوا به ولو إلى حين.

وقد قال أكثر المفسرين المسلمين بأن يونس هو نفسه يونان. ويلقب أحياناً بذي النون أي صاحب الحوت كونه اشتهر من خلال قصة ابتلاع الحوت له.

أنبياء في القرآن الكريم لا وجود لذكرهم صراحة في التوراة

ورد في القرآن الكريم ذكر أنبياء لم توردهم التوراة أو تُحَدِّث عنهم. ولعل السبب الأساسي في ذلك أن التوراة دونت تاريخ الأنبياء الذين ينسبون أنفسهم إليهم فلم يذكروا هوداً وصالحاً وقد ذكرهما القرآن الكريم وذكر نبوتهم.

وباعتبار أن التوراة دونت قبل ميلاد المسيح عليه السلام فإنها لم تأت على ذكر النبي زكريا والنبي يحيى والنبي عيسى على الرغم من أن الثلاثة من أنبياء بني إسرائيل وكذلك لم تأت على ذكر رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وبسبب عدم ذكرهم في التوراة فإننا سنقتصر في الحديث عن معالم نبوتهم بشكل مختصر لنلقي الضوء على معالم النبوة لديهم جميعاً.

أما هود فهو نبي بصريح العبارة وذلك في قوله تعالى:

(كذبت عاد المرسلين. إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين) الشعراء 123ـ125. ودعا هود إلى عبادة الله الواحد الأحد وذلك في قوله تعالى: (فاتقوا الله وأطيعوه) الشعراء 126. (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) هود الآية 50 ويذكر القرآن

(1) قاموس الكتاب المقدس صفحة 1128.

الكريم أن الله عاقب قوم هود ونجاه. يقول تعالى: (فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الشعراء 139 ويقول تعالى: (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً في يوم نحس مستمر) القمر 19. أما النبي صالح عليه السلام فقد بعث لقوم ثمود يقول تعالى: (كذبت ثمود بطغواها. إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها) سورة الشمس 11ـ13. يقول تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحا) الأعراف 73. ويقول تعالى: (كذبت ثمود المرسلين. إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الشعراء 141ـ142. ودعا صالح إلى عبادة الله الواحد. يقول تعالى: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الأعراف 73. ويقول تعالى: (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالح أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون) النحل 45. وقد دعم الله نبوته بمعجزة الناقة: يقول تعالى: (قال هذه ناقة لها شرب يوم معلوم)الشعراء 155 ويقول تعالى: (إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر) القمر 31. ويقول تعالى: (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشعراء 53.

ويرتبط النبي زكريا والنبي يحيى برباط واضح في آيات القرآن الكريم. فيحيى هو ابن زكريا ويستدل من آيات القرآن الكريم أنهما وجدا في الفترة نفسها التي وجد فيها السيد المسيح عليه السلام. ومن خلال آيات القرآن يستدل أن زكريا أوحي إليه من لدن رب العالمين وذلك في قوله تعالى: (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) مريم الآية 7.

ويصفه القرآن الكريم بأنه عبد الله. في قوله: (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) مريم 2 وقد منحه الله ابنه يحيى وهو رجل عجوز وامرأته عاقر. وكان يصلي في المحراب تعبداً لله الواحد الأحد.

أما يحيى فيأتي القرآن الكريم على ذكره بانه نبي مرسل وذلك بقوله تعالى: (يا زكريا إنا نبشرك بغلام إسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) وهذا مفسر بقوله تعالى: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين) آل عمران 39

فيحيى نبي بصريح عبارة القرآن الكريم ثم هو مكلف بتطبيق الكتاب (التوراة) بقوة يقول تعالى: (يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) مريم 12 وكان يحيى براً والديه وكان تقياً.

وقوله يرثني ويرث من آل يعقوب: يعني يرثني بالنبوة والحكم في بني إسرائيل.

وقوله من آل يعقوب: أي كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي. وتروي روايات المفسرين المسلمين أن مهمة زكريا ويحيى كانت عبادة الله الواحد ونشر الدعوة لبني إسرائيل الذين خرجوا عن ديانة التوحيد وحاربوها.

وقيل: إن بني إسرائيل قد قتلوا زكريا ويحيى، لأنهما حاولا إصلاح العقيدة اليهودية بعد أن أفسدوها. ودنسوا معبد الرب في القدس. وقيل: إن اليهود تعاونوا مع الرومان الوثنيين على قتل زكريا ويحيى. وترى الأناجيل أن يحيى هو الذي عمّد المسيح في نهر الشريعة. وهو الذي مسحه بالزيت المقدس على اعتبار أنه نبي قادم لبني إسرائيل. وبعض المفسرين اعتبروا نبوة زكريا ويحيى تمهيدا لنبوة المسيح عليه السلام.

أما عيسى عليه السلام فقد تحدث عنه وعن نبوته القرآن الكريم بشكل مسهب ومفصل وذلك باعتباره ينتمي إلى بني إسرائيل، ولأن الله سبحانه أنزل عليه كتاباً هو الإنجيل. وبسبب دعوته العالمية.

ومعالم نبوة المسيح عليه السلام جاءت متكاملة في القرآن الكريم. وإذا نظرنا إلى أخباره في الإنجيل وجدنا أن نبوته أيضاً واضحة على الرغم من المحاولات التي أرادت أن تضفي عليه صفة الألوهية. وقد تناول سيرته التلمود بالذم والبهتان والشتم واعتباره مارقا خارجا عن ديانة بني إسرائيل.

ويصرح القرآن الكريم بنبوة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وذلك في عدة مواضع. يقول تعالى: (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا)

مريم31. ويقول تعالى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولا إلى بني إسرائيل إني جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله) آل عمران 7ـ8. فهو نبي رسول بصريح العبارة في القرآن الكريم وقد بُعث إلى بني إسرائيل. ثم يصرح القرآن الكريم بأن الله سبحانه يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل فهو صاحب رسالة والكتاب الذي أنزل عليه هو الإنجيل.

ثم إن في خلقه من دون أب معجزة لم تحدث إلا مع آدم عليه السلام. وقد صُرح بذلك في القرآن الكريم: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) آل عمران 59.

وكرم الله عيسى عليه السلام بأن وصفه بكلمته ألقاها إلى مريم وهو روح منه. ووصفه بالعبد لله وكذا دأب الأنبياء فأفضل صفة لهم بأنهم عباد الله.

ثم كرمه الله سبحانه بأنه رفعه إليه. ولم يستطع اليهود صلبه، وأنزل الله له ولأتباعه مائدة من السماء، وقد باركه الله وأمره بالصلاة والزكاة ما دام حيا. وكان برا بوالدته ولم يجعله جبارا عصيا أو شقيا. وقد منحه الله سبحانه بعض المعجزات كإحياء الموتى وشفاء المرضى وقد أوحي إليه من قبل الله سبحانه بواسطة جبريل عليه السلام وهذه المعالم جميعها كانت رداً على من شكّك بنبوته أولا وعلى من ادعى ألوهيته ثانيا.

وقد بشر المسيح عليه السلام بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ونجد ذلك صريحاً في القرآن الكريم. يقول تعالى: (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الصف 6.

أنبياء في التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم

للتوراة أنبياء كما سمّتهم. وهؤلاء الأنبياء لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم. إلا أن نبوءاتهم، وما أوردته التوراة عن صلتهم بالله وبملاك الله، يوضح أن لهم

منزلةً معينة عند بني إسرائيل، امتازوا بها من خلال عملهم اللاهوتي وإرشاداتهم وغضبهم على بني إسرائيل لعبادتهم آلهة الشعوب والابتعاد عن عبادة رب إسرائيل.

وتستخدم التوراة للنبي عادة التسمية العبرية (نابي) جمعها نابيم وهذه الكلمة يمكن ترجمتها بأشكال مختلفة منها (المنبئ) أو الذي ناداه الله. وقد ظهرت هذه التسمية متأخرة بعد تسرّبهم إلى فلسطين. وقد رأينا أن التوراة تجاهلت نبوة إبراهيم وأبنائه وأحفاده، واقتصرت على الاعتراف بنبوة موسى فحسب. وتطلق التوراة أحياناً على النبي الرائي. وقد ورد ذلك في سفر صموئيل الأول الإصحاح 9 الفقرة 9 وفي سفر القضاة وجد أنبياء رجال ونبيات من النساء مثل دبورة. وكان بنو إسرائيل يذهبون إليها للقضاء.

أما أنبياء التوراة فهم كثيرون، أول من ظهر منهم النبي صموئيل. ثم النبي عاموس. ثم النبي هوشع. ثم النبي إشعيا. والنبي ميخا. والنبي صفنيا والنبي ناحوم. والنبي إرميا والنبي حبقوق. ثم النبي حزقيال. إشعيا الثاني. ثم إشعيا الثالث. ثم النبي حجي ثم النبي زكريا. ثم النبي زكريا الثاني. ثم عوبديا. ويونان. وملاخي، ثم نحميا وعزرا. ثم دانيال. أما النبي صموئيل فقد أشارت له آيات القرآن الكريم دون التصريح باسمه. وارتبطت قصته باختيار ملك لبني إسرائيل يقودهم في الجهاد.

يقول تعالى: (ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا. فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين). البقرة 246.. وفي الآيتين 247 ـ 248 تتمة للحديث عن هذا النبي الذي أنبأهم أن الله اختار طالوت ملكا عليهم وبين أن آية ملكه أن يأتيهم التابوت الذي فيه بقية من التوراة.

وقد وافقت قصته في القرآن ما جاء في التوراة. لكن التوراة أوردت اسمه بينما القرآن الكريم لم يورد اسمه. وقد قال أكثر المفسرين المسلمين القدامى إن هذا النبي هو صموئيل أو شموئيل ومعناه سمع الله. وأهم علامات نبوة صموئيل حسب نصوص التوراة أن أمه وهبته لمعبد الإله. وقد تفرغ لعبادة الإله وخدمة معبده.

تقول التوراة (وكبر صموئيل وكان يهوه معه ولم يدع شيئاً من كلامه يسقط على الأرض وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر السبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا) صم 3 ـ 19 ـ 20.

ثم قضى لبني إسرائيل طوال حياته. وأشارت التوراة كثيراً إلى أن الرب كان يكلم صموئيل. أما النبي عاموس فإن التوراة تشير إلى نبوءات له وذلك أيام الملك الإسرائيلي يربعام.

تقول التوراة (لست أنا نبيا ولا أنا ابن نبي بل أنا راع وجاني جميز فأخذني يهوه من وراء الضأن وقال لي يهوه اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل) عاموس 7: 14 ـ 15 وقد حذر عاموس بني إسرائيل لكثرة خطاياهم فتنبأ بأن الله سيحلّ عقابه بهم عن قريب وقد تنبأ بموت يربعام بالسيف وسبي بني إسرائيل.

فيرى أيضاً (لقد أتت النهاية على شعبي إسرائيل لا أعود أصفح له بعد) عاموس 2: 8.

والإله عند عاموس هو إله على كل الكون خالق ومدبر العالم. فهو الذي خلق النجوم في السماء والجبال على الأرض والذي يخلق الليل والنهار ويصنع الرياح وعنه تصدر الزلازل حين تطمو الأرض مثل ماء النهر) عاموس 4: 13 ـ 5، 908: 5.

ويتضح من خلال بعض الفقرات في سفر عاموس أن هذا النبي كان يحذر بني إسرائيل من يوم الآخرة حيث الحساب والعقاب. فهو يشير إلى أن الإله سوف يدق الخاطئين بالسيف شخصيا ولن يهرب منه أو ينجو أحد. ويرى

عاموس أن الطبيعة ستقاسي صدمة رهيبة، ستغيب الشمس ظهراً ويغطي الظلام الأرض التي ستبدأ بالارتجاج وهو يعبر عن يوم القيامة بتسمية يوم يهوه أو ذلك اليوم للدلالة على يوم الحساب والعقاب.

أما النبي هوشع فتشير التوراة إلى نبوته بقولها (قول يهوه الذي صار إلى هوشع بين بئيري في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهودا وأيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل، وقد عكست نبوءاته الأحداث العاصفة التي جرت في مملكة إسرائيل وقد تنبأ بيوم الله الذي يعاقب فيه بني إسرائيل لأنهم خانوا إلههم. ويعنّف هوشع بني إسرائيل، ويقرعهم، لأنهم ذهبوا وراء الأصنام، وعبدوا العجلين، ويرى أن انحرافهم سقوط أخلاقي للشعب. ويتنبأ هوشع بسقوط إسرائيل بيد الآشوريين، والإله عند هوشع هو إله قبلي متطور. إذ أنه بنظر هوشع يعاقب من يخالف من بني إسرائيل.

ويقول: (من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها وأما المنافقون فيعثرون فيها) ملوك 142: 9ـ10.

أما النبي إشعيا فهو من أكثر الأنبياء الإسرائيليين شعبية ويتنبأ هذا النبي بسقوط بابل لأن ملكها كان ظالما على حد قوله وتقول التوراة إنه بدأ يتنبأ في سنة وفاة الملك عزيا وأشعيا نفسه يروي ذلك.

تقول التوراة: (رأيت يهوه جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل... عندها أصيب إشعيا بالهلع فقال: ويل لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا يهوه رب الجنود) ملوك 62: 9 ـ 12.

وبقية الأنبياء ميخا وصفنيا وناحوم وحبقوق وأشعيا الثاني وأشعيا الثالث والنبي حجي وزكريا وعوبديا ويوئيل وملاخي ونحميا وعزرا تنبؤوا بأمور سيئة ستحدث لبني إسرائيل لأنهم خرجوا عن تعاليم الرب وانحازوا إلى عبادة

الأصنام. وكان صراع مستمر قد حدث بينهم كأنبياء وبين الملوك الذين تسلطوا على يهودا وإسرائيل.

وقد اقتصرت نبوءاتهم على هذا الجانب، فكانوا إصلاحيين يريدون أن يعود اليهود إلى عبادة الرب الواحد والابتعاد عن عبادة الأوثان والأصنام.

ويبرز لنا ثلاثة أنبياء كبار لدى بني إسرائيل كان لهم دور في تطوير مفهوم الألوهية وقد تنبأ الواحد منهم بأمور كثيرة. وقد وصفتهم التوراة بأنهم كانوا مع الله وقد تراءى لهم جميعاً ملاك الرب. وعانوا الويلات من عذاب وسجن من قبل ملوك اليهود وهؤلاء الأنبياء هم إرميا. وحزقيال. ودانيال.

أما إرميا، فيروي هو نفسه كيف أصبح نبياً فقد كانت إليه كلمة يهوه في أيام يوشيا ابن آمون ملك يهوذا. ويعرض إرميا مضمون كلمة يهوه بقوله (قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً لشعوب. فقلت آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد. فقال: يهوه لي لا تقل: إني ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به) إرميا 1: 5 ـ 8.

وقد انتقد إرميا اليهود انتقاداً عنيفاً لأنهم انحازوا عن طريق الرب واعتبرهم زناة مع الآلهة الغريبة. ويهاجم إرميا أخلاقهم وظلمهم الاجتماعي. ولم ينج من لسانه بعض الذين ادعو النبوة. فانتقد جمعهم للمال وممالأتهم للملوك وخيانتهم لتعاليم الشريعة وقد نقل إرميا بعض الأمور في العقيدة اليهودية إلى تطور جديد حينما يصف الله بأنه كلي الجبروت وحكيم وعادل ومنصف. يعاقب على الشر ويكافئ على الخير. وقد تنبأ إرميا بسقوط الإسرائيليين في يد البابليين باستمرار. حتى أن الملك الإسرائيلي يهوياقيم قد سجنه في بئر. وعذبه وأراد قتله. إلا أن مجيء البابليين إلى فلسطين خلصه من الموت. أما حزقيال فقد تنبأ أيام السبي وكان من بين المسبيين. وقد أوردت التوراة في سفر حزقيال. أول لقاء بين حزقيال وبين الرب أو ملاك الرب.

وعندما رأى حزقيال ربه، خر ساجداً على وجهه، لكنّ الإله أمره بالنهوض وقال له (يا ابن آدم قم على قدميك أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت علي. هم وآباؤهم عصوا علي إلى ذات هذا اليوم. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا لأنهم بيت متمرد فإنهم يعلمون إن كان نبيا بينهم) حزقيال 2: 1 ـ 5 وقد أوحى الإله له مرات عدة وهو على ضفاف الفرات وقد عنف حزقيال سلوك بني إسرائيل. خاصة انحرافهم إلى العبادات الوثنية وتركهم إلههم. ويشخص أورشليم والسامرة كزانيتين تخونان على الدوام زوجهما (يهوه) مع عشاق آشوريين ومصريين. ويرمز حزقيال بذلك إلى خيانة الإسرائيليين لعقائدهم.

أما دانيال فتقول التوراة: إنه حكيم ونبي عاش في القرن السادس قبل الميلاد في بابل وقد حافظ على ديانة التوحيد رغم أنه شغل مناصب عدة في بلاط ملوك وثنيين وقد تنبأ دانيال بسقوط بابل وانتقالها إلى يد الفرس وتحطيم الدولة الفارسية من قبل الإسكندر المقدوني وتفكك المملكة بعد موته. والحروب التي جرت بين الذين شقوا دولته.

وقد تنبأ دانيال بمجيء المسيح المخلص. وكذلك بالقيامة والحساب والعقاب تقول التوراة (كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية. وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي) دانيال 12: 2 وفكرة قيامة الموتى تعتبر تطورا هائلاً في العقيدة اليهودية. إذ أن التوراتيين يبتعدون كثيراً عن تصور يوم البعث.

ومن خلال قراءتنا لأسفار التوراة التي تتحدث عن أنبياء بني إسرائيل نرى أنهم جميعاً حاولوا جاهدين إرجاع بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد ولم يفلحوا إلا في فترات زمنية قليلة. والواقع أنهم بعد نزول توراة النبي موسى عليه السلام لم ينزل عليهم كتاب آخر. وقد كانت سمة التنبؤ لديهم تكمن فقط في قولهم: إن الرب تراءى لهم وأمرهم بتصحيح اعوجاج قومهم.

منهج الدعوة عند الأنبياء في التوراة والقرآن

من خلال قراءتنا المتواصلة للقرآن الكريم، ومن خلال ما توصل الباحثون والعلماء والدارسون نستطيع أن نتعرف على منهج الدعوة عند الأنبياء جميعاً. والقرآن الكريم الذي تناول سيرة الأنبياء، يوضح لنا أن دعوة الأنبياء واحدة في كل الأزمان والعصور.

وعلى الرغم من اختلاف الازمنة بين الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم، إلا أنهم جميعاً تلقوا تعاليم واحدة، مصدرها الوحي الذي يأمره الله أن يبلغ هؤلاء الأنبياء مهماتهم لدى شعوبهم أو لدى الأمم جميعا.

ويمكننا أن نتعرف على منهج الدعوة لدى الأنبياء من خلال محطات واضحة.

1 ـ الدعوة إلى عقيدة التوحيد.

2 ـ التعريف بالله من خلال مظاهر الخلق الكونية والبشرية.

3 ـ الاعتبار بالأمم السابقة وكيف كانت عاقبتها.

4 ـ الترغيب والترهيب بالأمور الدنيوية والأمور الأخروية كالحساب والموت والبعث والجنة والنار.

5 ـ الدعوة إلى الأخلاق الحميدة والابتعاد عن الأخلاق السيئة.

ونستطع أن نتعرف على الأسلوب النبوي في نشر الدعوة من خلال:

1 ـ روحانية الدعوة وواقعيتها.

2 ـ الإخلاص في الدعوة والاتكال على الله.

3 ـ وضوح الرؤية وبساطة لغة التخاطب.

4 ـ صدق القول واستقامة العمل.

5 ـ الأمانة وإبعاد الكذب في القول والعمل.

6 ـ تبيان إن الأجر على الله ولا وطمع بمال أو بجاه أو بسلطان.

فنوح وهو أول الأنبياء الذين بعثوا إلى أقوامهم، دعا قومه إلى عبادة الله الواحد كأول أمر من أمور الدعوة.

يقول تعالى: (أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) هود 26.

ويقول تعالى: (ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلاّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون) هود 29.

ويقول تعالى: (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين) هو 31.

ويقول تعالى: (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) هود 32.

ويقول تعالى: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل الماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) نوح 10 ـ 12.

ويقول تعالى: (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا. وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً) نوح 15 ـ 18.

فمن خلال هذه الآيات الكريمة نرى أن نوح:

1 ـ دعا قومه إلى عبادة الله الواحد.
2 ـ بيّن لهم أنه لايملك خزائن الأرض ولا يعلم الغيب.
3 ـ جادلهم طويلاً بالتي هي أحسن حتى ضجّوا من مجادلته لهم.
4 ـ واستخدم أسلوب الترغيب الدنيوي والأخروي.
5 ـ ودعاهم إلى التفكير في الكون وخلق الله وفي أنفسهم.

6 ـ بين لهم أنه لا يريد أجرا ولا مالا ولا سلطانا فأجره على الله.

7 ـ بين لهم أن الذين آمنوا به وإن كانوا فقراء مستضعفين فهم خير من بني قومهم الذين لم يؤمنوا بالله وبرسالة نوح.

لقد كان نوح عليه السلام مدركا ماهية الدعوة فهي تنطلق من روحانية ترتبط بالإيمان بالله ومن واقعية ترتبط بالحياة الدنيا ومعيشتها ونستطيع أن نستشف صدق دعوة نوح عندما بين لهم أنه لا يريد أجرا على دعوته. وأنه في الوقت نفسه لا يملك المال والذهب حتى يُغرقهم بهما. فهو واقعي وروحاني في الوقت نفسه. ثم توضح الآيات الكريمة مدى إخلاص نوح في دعوته فهو لا يكل عن مجادلتهم كي يقتنعوا لقد كانت رؤية التوحيد واضحة لدى نوح، وهو متكل على الله ولغته بسيطة ليس فيها غموض. ثم إن قوله صادق ولو كان فيه كذب لتوضحت مصلحة هدايتهم نفسها. وبعد هذا الوضوح الذي نراه في منهج الدعوة عند النبي نوح عليه السلام نتساءل هل كان لنوّح منهج دعوة في التوراة؟.

في سفر التكوين الإصحاح السادس والسابع والثامن والتاسع لا تذكر التوراة أي دعوة توحيدية لنوح، ولا تذكر قومه، ولا جداله معهم. وتنفرد التوراة بذكر ميثاق كتبه الله بينه وبين نوح وبنيه فحسب. فلا خصائص للنبوة. ولا منهج لدعوته. ولا وجود لقوم يجادلهم ويدعوهم إلى ديانة التوحيد وإذا دققنا النظر في سلوك نوح كما أوردته التوراة لوجدنا أنه يرتبط بسلوك إنسان شاذ. فهو كما تقول التوراة قد تعرى داخل خبائه وشرب الخمر حتى ثمل. ثم لما استيقظ من سُكره أخذ يصب اللعنات على ابن ابنه حام كنعانَ. وكل ذلك التشويه والتلفيق لأَجل أن يتعلم اليهود سياسة القتل في أبناء كنعان الذين ستسبى أرضهم من قبل التوراتيين المنحرفين فيما بعد.

إن النبي نوح عليه السلام، نموذج حي لواقع جميع الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم وإذا نظرنا مليا في منهج الدعوة لدى الأنبياء نرى الواقع نفسه يتكرر مما يدل على أن الدعوة واحدة لديهم جميعاً، وكذلك الغاية والأسلوب.

فإبراهيم عليه السلام يدعو إلى عبادة الله الواحد وترك عبادة ما دونه وما سواه.

بقول تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) الأنبياء 51 ـ 56. فإبراهيم يدعو إلى عبادة الله الواحد، ثم يعرف بالله من خلال مظاهر الكون.

ويقول تعالى: (وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون) الأنعام 80.

فإبراهيم يجادل قومه ويحاججهم. والمحاجة أسلوب عقلي في الإقناع. وهو أيضاً ثابت العقيدة لا يخاف مما يعبدون لأنهم يعبدون ما لا يقدر على الدفاع عن نفسه. وإبراهيم في دعوته يتحاشى الاصطدام مع أبيه لأن من أخلاق النبي بل المسلم بشكل عام أن يكون باراً لوالديه وإن كانا في ضلال.

يقول تعالى: (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) مريم 47. وإبراهيم صادق القول ثابت العزيمة أمين على رسالته.

يقول تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفروالله لايهدي القوم الظالمين) البقرة 258. ويستدل من ذلك الحجة العقلية التي تمتع بها النبي إبراهيم والتي هي أحد الأسس في منهاج الدعوة لدى الأنبياء.

أين منهج الدعوة عند إبراهيم في التوراة؟

إبراهيم يلبي دعوة ربه في الهجرة من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان والغاية أن يملّك الله إبراهيمَ أرضا.

تقول التوراة: (فذهب إبرام كما قال له ربه وذهب معه لوط) تكوين 12:4.

ويعز على إبراهيم أن يهلك الله جميع الناس في سدوم وعمورة.

تقول التوراة: (فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه. حاشى لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم حاشا لك) تكوين 18: 24 ـ 25.

وإبراهيم صاحب عهد لا ينقض عهده مع من عاهده وفي ذلك تقول التوراة (وحدث في ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشه كلما إبراهيم قائلين الله معك في كل ما أنت صانع. فالآن احلف لي بالله ههنا أنك لا تغدر بي ولا بنسلي وذريتي كالمعروف الذي صنعته إليك تصنع إلي وإلى الأرض التي تغربت فيها. فقال إبراهيم أنا أحلف) تكوين 21: 24 وتقول التوراة (فقطعا كلاهما ميثاقا) تك 21: 27 وإبراهيم بسلوكه واستقامته عامله شعب الأرض التي تغرب فيها معاملة تليق به. فعندما ماتت روجته سارة أراد أن يدفنها فذهب إلى حبرون وطلب أن يشتري قطعة أرض فيها مغارة كي يدفن زوجته فيها. وبسبب من استقامته وصدقه حاول أهل الأرض أن يمنحوه الأرض هدية فرفض إلا أن يدفع ثمنها أربعمائة قطعة من الفضة.

تقول التوراة: فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له: (إسمعنا يا سيدي أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا إدفن ميتك) تك 23: 5 ـ 6.

وهذا ما يمكن أن نجده في صفات الداعي، إن كان نبياً أم غير نبي وإذا قارنا بين ما جاء به القرآن الكريم، وما جاءت به التوراة لوجدنا الفرق شاسعا واسعاً ففي التوراة لا دعوة مباشرة من إبراهيم إلى عقيدة التوحيد. فهو لم يدعُ آباه وقومه إلى عبادة الله الواحد. ولم يستعمل الحجة العقلية في حجاجه مع الملك الذي ادعى الألوهية. ثم هو لم يظهر أي صلة بينه وبين أبيه الذي كان

على غير عقيدة التوحيد.

وطبيعة الاختلاف تكمن في الاختلاف الجوهري في الأحداث. فما أورده القرآن الكريم يختلف عما أوردته التوراة. وغاية القرآن الكريم ليس تبيان التاريخ وتفاصيله إنما تبيان الألوهية والأدلة عليها ثم تبيان مظاهر النبوة وغاياتها. بينما التوراة تهدف ـ خاصة في الحديث عن إبراهيم وسلالته ـ إلى صلة الوعد الإلهي المزعوم بهذه السلالة. فهي لا هم لها سوى التركيز على منح أرض كنعان لنسل بني إسرائيل. أما قضايا التوحيد والدعوة إلى عقيدة التوحيد فليس من شأنها ولا في غاياتها، وكذلك فإن معالم منهج التوحيد مفقود في التوراة لدى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ويوسف. وكما رأينا فإن التوراة لا تصف أيا منهم بالنبي. وقد اعتبرت التوراة أن موسى عليه السلام، هو النبي الذي لم يأت مثله في بني إسرائيل، ونفت صفة النبوة عمن سبقه من الأنبياء. وعلى هذا الاعتبار لابد لنا أن نتوقف عند منهج الدعوة لدى هذا النبي لنرى مدى تركيز الآيات القرآنية عليه ومدى ما حرفت التوراة في منهجه، على الرغم من أنه هو الذي نزلت عليه التوراة. وبيّن لبني إسرائيل التعاليم والتشريع اللذين يجب اتباعهما.

فقبل أن يبعث الله موسى نبياً تعرض لمشكلة أودت بحياة أحد المصريين. فلام نفسه كثيراً وقال (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي. فغفر له إنه الغفور الرحيم. قال ربي بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) القصص 15 ـ 17. فتميز موسى أول ما تميز بأنه لوامٌ نفسَه واعتبر أن عمله من عمل الشيطان.

إن منهج الدعوة عند النبي موسى يتضح بشكل جلي عندما بعث إلى فرعون. فهو يدعوه أولا إلى عبادة الله الواحد قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) الشعراء 23 ـ 24.

ثم إنه صبور في دعوته ينفذ أمر الله كما هو. لقد أمره الله أن يجادل

فرعون بالتي هي أحسن. فقال له. فقل له قولاً لينا. وهذا ما شاهدناه من حوار بين موسى وفرعون ثم أن النبي موسى يعرف حدود قدرته فيطلب من الله أن يكون أخوه هارون معه كي يساعده في دعوته. ولا يتخلى موسى في دعوته عن الاتكال على الله (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) يونس 84.

وموسى ثابت العزيمة ثقته بربه كاملة لا تتزعزع. يقول تعالى (قال كلا إن معي ربي سيهدين) الشعراء 62.

وعندما رجع من ميقات ربه وجد قومه يعبدون العجل فكان موقفه حازما تجاههم فقرعهم وأنّبهم بل أخذ برأس أخيه هارون يجره ليحاسبه على ما جرى في قومه:

يقول تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال يا بن أمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) الأعراف 150.

ثم أن موسى راح يذكر قومه باستمرار بنعم الله عليهم. وهم ينحرفون ولا يقتنعون بعقيدته تمام الاقتناع.

ثم هو يستعين بالله في كل ظرف وموضع لأنه كنبي داع يعرف ويدرك بإيمانه أنه بدون الاستعانة بالله، لا يمكن أن ينتصر أو يحقق دعوته التوحيدية.

يقول تعالى: (قال: رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وين القوم الفاسقين) المائدة 25 ومن خلال دعوته يستشهد بما صنع الله في السماء والأرض (الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى).. طه 53.

ولعل أهم محطات منهج الدعوة عند النبي موسى عليه السلام ما ورد في

القرآن الكريم من أحداث مختصرة بينه وبين العبد الصالح.

فموسى عليه السلام على الرغم من نبوته وإنزال التوراة عليه أراد أن يتعلم من العبد الصالح فكان مثال التلميذ مع أستاذه فلم يتذمر أو يرفض متابعة المسير مع العبد الصالح على الرغم من أنه لم يكن يدرك معنى الأفعال وأبعادها التي نفذها العبد الصالح بأمر من الله سبحانه وتعالى: (قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً) الكهف 66.

ثم قال: قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) الكهف 69.

ثم قال: قال (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) الكهف 73.

ثم قال: قال (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) الكهف 76.

وإذا نظرنا في سفر الخروج وجدنا أن النبي موسى عليه السلام تمتع أيضاً بكافة المستلزمات التي من شأنها تبليغ الدعوة.

فهو الصابر دوما في دعوته خاصة في مجادلته لفرعون حتى قضى الله له بالخروج من أرض مصر وهو الصابر دوما على بني إسرائيل الذين تمردوا عليه وعلى عقيدته.

وهو الذي لم ينقطع عن لقاء قدرة ربه يتلقى التعاليم ويعود بها إلى بني إسرائيل يبلغها وينشرها بينهم.

ثم هو المستمع إلى نصائح حميه (يثرون) (والذي قد يكون النبي شعيب نفسه) فيأخذ عنه كيفية القضاء بين بني إسرائيل.

تقول التوراة: (فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانع للشعب قال ما هذا الأمر الذي أنت صانع للشعب) خروج 18: 14.

وتقول التوراة: وسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال) خروج 18:

24..

ويحارب موسى كل العقائد الوثنية التي جبل عليها بنو إسرائيل فلا يكل ولا يمل من توضيح هذه الانحرافات وعقابها الإلهي.

تقول التوراة: فجاء موسى وحدّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام) خروج 24: 3.

نظرة إجمالية في منهج الدعوة عند الأنبياء

لا يختلف منهج الدعوة بين نبي وآخر. فجميعهم مكلفون بتبليغ رسالة الله سبحانه. وقد اصطفاهم الله لمهمة التبليغ لأنهم أهل لها.

يقول تعالى عن النبي هود عليه السلام: وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) هود 50.

(يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) هود 51. (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) هود 52.

(قال إني أشهد الله واشهدوا إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) 54 ـ 56.

(فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا. إن ربي على كل شيء حفيظ) هود 57.

فهذه الآيات الكريمة ترشدنا إلى المنهج الذي طبقه النبي هود وهو ينحصر بـ:

الدعوة إلى التوحيد، وعدم طلب الأجر الدنيوي، والأجر على الله، طلب الاستغفار فبسببه ينزل الله الغيث، ويزيدهم قوة. وتبرؤه منهم ومن عبادتهم

وسلوكهم. والتوكل على الله والثقة به. والتذكير لهم بأنه بلغ رسالته، والإنـذار لهم بأن الله سيستخلف غيرهم إن ظلوا على كفرهم.

وفي نفس السورة يذكر القرآن الكريم ما كان مع النبي صالح وقومه. يقول تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وهـو أنشـأكم مـن الأرض واسـتعمركم فيـها فاسـتغفروه وتوبـوا إليـه إن ربـي قريـب مجيب) هود 61.

وكذلك قص علينا القرآن الكريم ما كان مع شعيب عليه السلام وقومه.

(قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. ولا تنقصوا المكيـال والمـيزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيـط. ويـا قـوم أوفـوا المكيـال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسـدين. بقيـة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) هود 84 ـ 86.

ويقول تعالى: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قـوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد) هود 88 ـ 89.

ويقول تعالى: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليـه إن ربـي رحيـم ودود) هـود 90.

فمنهج الدعوة يستند في أسسه الأولى على الدعوة إلى التوحيد وعبـادة الله الواحد والإيمان به، ثم إلى الإصلاح الاجتماعي والبعد عن الفساد والاتكال على الله، والعبرة من الأقوام السابقة التي كانت برهانا واضحاً علـى مـا جـرى لهـا بسبب عنادها لأنبيائها. وبسبب بعدها عن عقيدة التوحيـد والكفـر بـالله وفعـل المنكرات الضارة بالناس وبالمجتمع بشكل خاص.

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والقرآن

محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وآخر سلسلتهم. ورسالته أكمل الرسالات وأعمها جاءت لتجمع كافة خصائص التوحيد التي سبقت منذ آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام حتى المسيح عليه السلام.

وقد نص القرآن الكريم على نبوته وعالمية دعوته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة. أنزل عليه القرآن الكريم من الله سبحانه عن طريق الوحي الأمين جبريل عليه السلام خلال ثلاث وعشرين سنة.

وانتشر الإسلام في كافة أصقاع الدنيا وجميع المسلمين يرفعون شعار التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وتمتاز خصائص نبوته بشموليتها وتكاملها، إن كان ذلك على المستوى الشخصي، أو كان على المستوى الغيبي، أو على مستوى الدعوة

1ـ فقد اصطفاه الله سبحانه ليكون آخر الأنبياء وخاتمهم.

2ـ حياته قبل النبوة أربعون عاماً من التعبد والتفكير والحماية الإلهية.

3ـ أوحي إليه وكان الوحي جبريل عليه السلام.

4ـ اصطفاه الله بكتاب هو القرآن الكريم الذي تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله.

5ـ بدأ الدعوة فرداً وصمد في وجه الكفار حتى النهاية. ونشر الدعوة حتى عمت فأصبح الإسلام عقيدة إنسانية لا تقتصر على أمة أو شعب.

وعلى مدار التاريخ البشري عرفنا أنبياء حدثنا عنهم القرآن الكريم فوجدناهم بشراً، ولكنهم يختلفون عن البشر، حيث اصطفاهم الله سبحانه ليكونوا أنبياء. ومن يصطفيه الله سبحانه لا بد أن يكون محل الاصطفاء.

فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام اختاره الله سبحانه ليكون نبي آخر الزمان وخاتم النبيين ولم يدّعِ من نفسه النبوة أو يتمثلها بدافع شخصي ذاتي.

يقول تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الأحزاب الآية 4

فالآية الكريمة توضح أن الله اختار هذا الإنسان ليكون خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.

ويقول تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سبأ 28.

وهذا الاختيار الرباني لا يأتي عبثاً، فالنفوس التي يختارها الله لتحمل رسالة السماء هي نفوس تربيها الذات الإلهية تربية خاصة مميزة. وقد تربى النبي صلى الله عليه وسلم لا أماً ترعاه ولا أباً. وكانت رعاية الله هي التي حفظته لأنها اختارته ليولد في هذا العالم ليكون أول نبي وآخر نبيٍ يبعث للناس كافة وليس لقوم محددين، والفرق بين من يختاره الله ليكون نبياً، وبين من يظن ظنا أنه سيكون نبياً فرق شاسع فقد انتظر بعض الموحدين أن ينزل عليهم الوحي، ومن هؤلاء أمية بن أبي السلط ولكن إرادة الله التي أوجدت محمداً اصطفته ليكون نبياً. وخلقت ظروفا اجتماعية وتاريخية ونفسية ليكون خاتم الأنبياء هو الشخص بعينه.

في تاريخه قبل البعثة، عرف بالصدق والأمانة والاستقامة. ام يعبد الأوثان والأصنام. ولم ينحرف في مسيرة حياته، فكان المثل الأعلى في المجتمع الجاهلي المكي، وكانت تلك المسيرة الكريمة حجة على قريش والعرب والناس جميعاً. فصاحب الرسالة معروف بنسبه وسلوكه وأخلاقه.

لم يكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يعرف أنه سيكون نبي آخر الزمان، وخاتم المرسلين، فلذلك راعه وأرعبه نزول الوحي عليه فذهب إلى زوجته يرتجف.

قال تعالى: وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين) القصص 86.

فالتطلع إلى الرسالات العظيمة ليس بالتمني والأمل ولكن بالاختيار الرباني والطاقة عليها. وكم من طامحين لا يملكون إلا الجرأة على الأمل. وكم من راسخين يطويهم الصمت حتى إذا كلفوا أتوا بالعجب العجاب.

نزل عليه الوحي وهو في سن النضج والاكتمال سن الأربعين وأنزل الله عليه القرآن ليتحدى ويعجز العقول والألباب. وتوالى نزول القرآن على قلبه حتى اكتمل بعد ثلاث وعشرين سنة.

امتاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شاهد ومبشر ونذير. وقد عرف ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى فأكثرهم حرّف الصدق وقليل منهم أنصف وصدّق.

لقد أنزلت التوراة الحقيقية على موسى عليه السلام قبل نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بحوالي 1800 عام. وأنزل الإنجيل على المسيح عليه السلام قبل نزول القرآن بحوالي 570 عاما. ولكن سلسلة الأنبياء الربانيين سلسلة واحدة. عقيدتها التوحيد. وكل نبي يمهد الطريق أمام النبي الآتي بعده ويبشر قومه بقدومه ولو بعد زمن طويل.

وهذا ما حدث فعلا.

لقد بشرت التوراة بقدوم سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. وكتبت أوصافه في ذلك الكتاب. وجاءت هي نفسها الأوصاف التي جاء بها

القرآن الكريم. وبشر بقدومه المسيح عليه السلام. ولكن اليهود أنكروا وهم يعرفون وأخفوا الحقائق وهم يدركون.

ومما بشرت به التوراة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما ورد في سفر التثنية في الإصحاح الثامن :

تقول (وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به. ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه. فأما النبي الذي يجترئ علي بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل. وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك إن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب. يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه) وقد قال اليهود إن هذه البشارة ليوشع بن نون. ولكنهم يعرفون أن يوشع ليس كموسى. ومع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبيا آخر غير المسيح. وقد أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت إيليا فقال: لا فقالوا أنت المسيح فقال: لا فقالوا أنت النبي فقال: لا فقالوا ما بالك إذا تعمد إذا كنت لست إيليا ولا المسيح ولا النبي. فهذه تدل على أن التوراة تبشر بإيليا والمسيح ونبي لم يأت بعد وحتى زمن المسيح. ثم أن التوراة تقول في صفة النبي إنه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفتري على الله يقتل. ونبينا مكث بين أعدائه الألداء المشركين واليهود ثلاثة وعشرين سنة يدعوهم فيها إلى الله. ومع ذلك عصمه الله منهم كما قال تعالى: (والله يعصمك من الناس) المائدة 76. وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الإخبار بما سيأتي. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها كغلبة الروم على الفرس.

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمر بن العاص عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الأحزاب 33. إذ تقول التوراة وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)[1].

وتقول التوراة في ذلك: (نابي أقيم لا يقيم مقارب أحيهم كاموخا إيلا وتشماعون) وتفسيره (نبيا أقيم له من وسط أخوتهم مثلك به فليؤمنوا)

ويعلق السموأل بن يحيى المغربي[2] على ذلك بقوله إنما أشار إلى أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن قالوا: (إنه قال من وسط اخوتهم، وليس في عادة كتابنا أن نعني بقوله اخوتكم إلا بني إسرائيل. قلنا: بلى قد جاء في التوراة اخوتكم بني العيص وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله: أنتم عابرون في تخم اخوتكم بني العيص المقيم في سعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم).

فإذا كان بنو العيص اخوة لبني إسرائيل لان العيص وإسرائيل ولدا إسحق فلذلك بنو إسماعيل اخوة لجميع ولد إبراهيم. وإن قالوا إن هذا القول إنما أشير به إلى شموايل النبي عليه السلام. لأنه قال من وسط اخوتكم مثلك وشموايل كان مثل موسى من أولاد ليوي، يعنون من السبط الذي كان منه

---

(1) رواه البخاري في البيوع باب كراهية الصخب في الأسواق رقم 2125.

(2) السموأل بن يحيى المغربي. حبر من الأحبار اليهود في القرن السابع الهجري أسلم ورد على اليهود بكتاب مهم جدا اسمه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. وفي توفي في مراغة من أعمال أذربيجان.

موسى فلنسألهم. فإن كنتم صادقين فـأي حاجـة بكـم إلى أن يوصيكـم بالإيمـان بشموايل وأنتم تقولون أن شموايـل لم يـأت بزيـادة ولا بنسـخ أشـفق مـن أن لا تقبلوا لأنه أرسل ليقوي أيديكم علـى أهـل فلسـطين ولـيردكم إلى شـرع يخـاف تكذيبكم من ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم. فالوصية بالإيمـان بـه ممـا لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن بموسى حاجـة أن يوصيكـم بالإيمـان بنبـوة يرميا ويشعيا. وغيرهما من الأنبياء. وهذا يدل علـى أن التـوراة أمرتـهم في هـذا الفصل بالإيمان بالمصطفى عليه السلام وأتباعه)[1].

ويرى البروفيسور عبد الأحـد داود[2]. أن الكلمـات الـواردة في التـوراة في الفصل 33 والجملة 2 تنص على ما يلي :

وجاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ قادماً مـن جبـل فـاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم.

ولم تكن لأي واحد من الإسرائيليين بما فيهم المسـيح أيـة علاقـة بفـاران فإن هاجر مع ولدها إسماعيل تجوّلا في متاهات بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك في قفار فاران.

وقد أفرد البروفيسور عبد الأحد داود كتاباً خاصاً تحت عنوان. محمد في الكتاب المقدس. حلل فيه كافة النبوءات والإشارات التوراتيـة والـتي تشـير إلى رسول الله محمد صلى الله عليـه وسـلم. كمـا حلـل نصـوص الإنجيـل المرتبطـة بالنبوءة الخاصة التي تقول: بمجيء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد فضح القرآن الكريم تزييـف أهـل الكتـاب للحقـائق المتعلقـة بنبـوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فهم يعرفون صفاته ومهماته من خلال كتابهم

---

(1) غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموأل بن يحيى المغرب. مخطوط ص 27 .

(2) عبد الأحد داود هو كاهن مسيحي آشوري اسمه الأصلي بنجامين كلدانـي. أستاذ في علم اللاهـوت وقس سابقا. وهو من ديجالا في إيران. إعتنق الإسلام عام 1905 في استانبول.

التوراة ومن خلال وصايا أنبيائهم باتباعه والسير على طريقه.

يقول تعالى: (الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون.) البقرة 146.

ويقول تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الـذي يجدونـه مكتوبـا عندهم في التوراة والإنجيل يـأمرهم بـالمعروف وينـهاهم عـن المنكـر ويحـل لهـم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنـوا بـه وعـزروه ونصـروه واتبعـوا النـور الـذي أنـزل معـه أولئـك هـم المفلحون) آل عمران 157.

ويقول تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنـون بمـا أنـزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنـون بـالله واليـوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) النساء 162.

ويقول تعالى: (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلما تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين.) البقرة 91.

ويقول تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معـهم وكـانوا مـن قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علـى الكافرين) البقرة 89.

ويقول تعالى: (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتـم تشـهدون. يـا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمـون) آل عمـران 70ـ 71.

ويقول تعالى: (كيـف يـهدي الله قومـا كفـروا بعـد إيمانـهم وشـهدوا أن الرسول حق وجاءتهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) آل عمران 86.



الفصل الرابع

عالم المخلوقات الخفية
بين التوراة والقرآن
الملائكة. الجن. إبليس. الشيطان



يأخذ عالم الغيبيات حيزاً واسعاً في الكتب السماوية والديانات جميعها. وبنظرة إجمالية، فإن العقائد لدى كثير من الشعوب تُعيد عالم الغيبيات إلى صنفين يمثلان الخير والشر، وأساس هذا التصور قديم قدم الإنسان، إذ هو يقوم على الصراع بين قوى تمثل الخير وقوى تمثل الشر.

وتتضح صورة هذا الصراع بشكل أوسع في العقائد الثلاث اليهودية المسيحية والإسلام إذ أصبح فيها تصنيف واضح، فالملائكة تمثل جانب الخير في عالم الوجود الغيبي. والشيطان أو إبليس يمثل جانب الشر بكل أبعاده النفسية والدينية.

غير أن القرآن الكريم أوضح كثيراً من طبيعة هذه المخلوقات ومهماتها. وكذلك فقد حوت نصوص التوراة كثيراً من الأحاديث عن هذه المخلوقات.

ويعتبر الإيمان بالملائكة جزءاً من العقيدة الإسلامية إذ أن العقيدة تربط بين الإيمان بالله وبرسله وبملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وقد تلاقت نصوص القرآن مع نصوص التوراة في الحديث عن بعض المواقف الواقعية والأحداث، وما للملائكة من دور فيها. ولكنها اختلفت فيما بينها في كثير من الصفات والمهمات أيضاً. إضافة لما ورد في العقيدة اليهودية من ميل إلى تقديس إبليس ومن عداء للملاك جبريل.

وقد اختلط على كتبة التوراة أو هم خلطوا بين عمل الله سبحانه وعمل الملائكة والجن. فنسبوا أعمال الله إلى إبليس تارة ونسبوا أعمال إبليس إلى الله

تارة أخرى. وقد ورد ذلك في عدد من نصوص التوراة. ولا يأخذ الجن حيزاً واسعاً في التوراة كما هو في القرآن الكريم. بل أننا نجد أن التوراة تتحدث أحياناً عن استعانة بعض ملوك بني إسرائيل بالجن أو بالعرافات والعرافين الذين يدعون أن الجن يخدمهم، وينفذ أوامرهم .

وفي عدد من نصوص التوراة نعثر على ما يسمى الكروبيم وهي جمع لكلمة كروب ، ويمثلون لهذه المخلوقات بأجسام لها أجنحة وأشكال غريبة. وقد يرمزون بها إلى قوى قد تكون من الملائكة أو من غيرها.

ويمكن لنا أن نرتكز في ذلك على عدة أمور، يمكن أن نعتبرها مفتاح المقارنة والدراسة .

أ ـ الملائكة وأصنافهم ومهماتهم

ب ـ إبليس أو الشيطان. طبيعته ومهامه

ت ـ الجن

ث ـ الكروبيم والتجسيد

ج ـ اختلاط أعمال هذه القوى المخلوقة بأعمال الله في التوراة.

عالم الملائكة

من خلال ما تعلمناه من القرآن الكريم نرى أن عناصر المخلوقات العاقلة ثلاثة أنواع: الإنسان. الملائكة. الجن .

وقد ورد الحديث عن الملائكة في القرآن الكريم عشرات المرات بصيغة الجمع ومرات عديدة بصيغة المفرد ـ ملك ـ .

ولعلّ أول ذكر للملائكة في السياق الزمني هو الذكر المرتبط بخلق آدم. وهذا يعني أن الله خلق الملائكة قبل أن يخلق آدم عليه السلام. يقول تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد

فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) ـ البقرة 30

فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن الملائكة يسبحون الله ويقدسون لـه وهـذه هي مهمتهم الأولى بشكل عام.

ويقول تعالى: (وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) البقرة 31 ـ 32

ثم يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة 34

وفي الآيتين 31 ـ 32 يبين القرآن الكريم محدودية علم الملائكة. فهم لا يعلمون إلا ما علمهم إياه رب العالمين.

أما الآية 34 فتدل على أن الملائكة ينفذون أمر الله دون اعتراض.

فالحديث عن الملائكة يرتبط هنا بحدث محدد وهو خلق الله لآدم. ولو راجعنا نصوص سفر التكوين التوراتي الذي تحدث عن خلق الإنسان لما وجدنا أي ذكر لهذا الحدث ولا أي ذكر للملائكة.

ففي اليوم السادس يخلق الله الإنسان بعد أن خلق السماوات والأرض والوحوش والنبات.

تقول التوراة: وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) تكوين1: 26

وعن تعليم الله لآدم الأسماء تقول التوراة:

(وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء وأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو

اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية) تكوين 2: 19ـ 20.

ونلاحظ أن لا وجود للملائكة في عالم خلق الله. وقد اعتبرت أن آدم أول مخلوق يتحدث أو يعقل. وهذا يدل على أن كتبة التوراة يتجاهلون خلق الملائكة ويعتبرون أن الإنسان الأول آدم العاقل هو الأساس في المخلوقات الحية العاقلة. وقد نضع هنا سؤالا استفهاميا حول ذلك التجاهل. لماذا التجاهل؟ ما أسبابه؟ ما غاياته وأهدافه؟

الملائكة والوحي

أوضحت آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يكلف الملائكة بمهمات، كل ملك له مهمة، وجبريل عليه السلام كان مكلفا بتبليغ رسالة السماء. فهو الذي يحمل معه آيات القرآن الكريم ويلقنها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وقد وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى أشكال الوحي الذي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول الله تعالى: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين. من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين.) البقرة 97ـ 98

ويقول تعالى: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) التحريم ـ 4 ـ

وهذه هي المرات الثلاث التي ورد ذكر جبريل صراحة فيها. وقد وُصف الملك جبريل بعدة أوصاف في القرآن الكريم. منها الأمين. والروح القدس. والروح. والروح الأمين. يقول تعالى: (وانه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) الشعراء 192ـ 195.

ويقول تعالى: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) النحل 102.

ويقول تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) النحل 2.

فجبريل أو الروح القدس أو الروح الأمين أو الروح. جميعها تطلق على جبريل عليه السلام وهو المكلف بتنزيل الرسالات وتبليغ أمرِ الله لأنبيائه ورسله.

أن هذا ما لا تعترف التوراة به ولا في أي موضع منها. فجبريل لم ينزل بالرسالة على أي من الأنبياء.

وقد أورد المفسرون المسلمون سبب نزول قوله تعالى: قل من كان عدوا لجبريل... فاجمعوا على أن حديثا نبويا ورد من عدة أوجه يوضح المسألة: أخرج عن ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي. قال: (سلوني عما شئتم ولكن إجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني. قالوا فذلك لك. قالوا أربع خلال نسألك عنها. أخبرنا أي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة. واخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة وكيف الأنثى منه والذكر. وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة. فأخذ عليهم عهد الله لئن أخبرتكم لتتابعني. فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا طال سقمه. فنذر نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا: اللهم نعم. فقال اللهم اشهد قال أنشدكم بالذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة

أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله. أن علا مـاء الرجـل كـان ذكرا بإذن الله وإن علا ماء المرأة كان أنثى بإذن الله. قالوا اللهم نعم. قال اللهم اشهد. قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن النبي الأمي هذا تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا نعم. قال: اللهم اشـهد عليـهم. قـالوا أنـت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك. لو كـان وليـك سـواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه قالوا: هـو عدونـا فأنزل الله تعالى: من كان عدوا لجبريل ... إلى قوله كأنهم لا يعلمون. فعند ذلك باؤوا بغضب على غضب.)[1].

وفي حديث آخر أخرجه سفيان بن عيينه عـن عكرمـة: كـان عمـر يـأتي يهودا يكلمهم فقالوا: إنه ليس من أصحابك أحد أكثر إتيانا إلينا منك فاخبرنـا من صاحب صاحبك يأتيه بالوحي فقال: جبريل. قالوا: ذاك عدونا من الملائكة ولو أن صاحبه صاحب صاحبنا لتبعناه. فقال عمر: من صاحب صاحبكم قالوا: ميكائيل. قال وما هما. قالوا أما جبريل فينزل بالعذاب والنقمـة وأمـا ميكـائيل فينزل بالغيث والرحمة وأحدهما عدو لصاحبه. إلى آخر الحديث)[2]

واستنادا على ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم المسـتند على آيات القرآن الكريم ندرك أن جبريل عليه السـلام ولي لكافـة الأنبيـاء دون سواه. ولذلك تحاشت التوراة ذكر جبريل وذكر تـنزيل آيـات الكتـب السماوية على الأنبياء. وآيات القرآن الكريم تشـير لنـا أن جـبريل عليـه السلام مكلـف بمواصلة الاتصال بكافة الأنبياء، لأن كل ما يأمره الله به هو وحي يجب تبليغه تنفيذا لأمر الله عز وجل.

(1) السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور ص 173- 174.
(2) السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور ص 174.

أورد القرآن الكريم أنه أوحى إلى نوح. ولم تتضح كيفية الوحي أهي بواسطة الملاك أم في الرؤية.

فقال تعالى: (وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) هود 36.

لكن التوراة تورد مرارا قولها: وقال الله لنوح. وقال الرب لنوح. وكلم الله نوحا. وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا...) (وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا). ولم تشر إلى وحي أو إلى الطريقة التي أوحى لنوح فيها.

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه قد أوحى إلى الأنبياء. وقد خاطب القرآن الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقوله:

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) النساء 163ـ 164.

والوحي له طرق وأساليب فما أوحاه الله لإبراهيم يختلف عما أوحاه للأسباط مثلا. والوحي بالكتاب غير الوحي بالتعاليم الشفوية. ونحن نعرف أن الله سبحانه لم ينزل كتبا على كافة الأنبياء. والوحي كما هو معلوم من خلال الآيات الكريمة تختص به الملائكة وجبريل تحديدا .

وقد يشمل الوحي تبشيرا للأنبياء أو إنذارا.

يقول تعالى: (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) هود 69.

ويقول تعالى: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) آل عمران 39.

ويقول تعالى: وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين) آل عمران 42.

ويقول تعالى: (إذ قالت الملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) آل عمران 45.

هذه الآيات توضح أن من مهمات الملائكة أيضا أن تبشر الأنبياء ببشارات كبرى ترتبط بالمعجزات ولا تخضع لناموس البشر أو قانون العقل الإنساني المحدود.

أما في التوراة فيظهر ملاك الرب كما تسميه التوراة لهاجر زوجة النبي إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام عند عين ماء في البرية.

تقول التوراة: (فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين) تكوين 16: 7ـ 8.

وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فستلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك) تك 16: 11. ثم يظهر لها ملاك الرب مرة أخرى (فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو) تك 21: 17.

ويرد أيضا: فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هأنذا) تك 11: 22.

ويرد أيضا ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء) تك 22: 15

وهذا ما يدل على أن ملاك الرب أو جبريل عليه السلام كانت له مهمة البشرى والتدخل لدى الأنبياء بأمر الله سبحانه وتعالى .

وفي القرآن الكريم يرد أن الله سبحانه بشر إبراهيم بإسحاق نبيا. والبشرى كما ورد في الآيات السابقة كانت بواسطة الملائكة. فهم الذين بشروا مريم وزكريا وكذلك بشروا إبراهيم عليهم السلام جميعا.

ومن مهمات الملائكة أيضا أن الله سبحانه يرسلهم لمعاقبة الأشرار من الأقوام والأفراد. وقد أورد القرآن الكريم قصة النبي لوط وقدوم الملائكة إليه ينذرونه بأنهم سيعاقبون قومه. وقد صدر أمر الله بذلك. وقد وردت قصة قوم لوط في التوراة أيضا:

تقول التوراة: وجاء الملكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض.

وتقول التوراة: ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باسم المدينة) تكوين 19: 15.

ويقول القرآن الكريم:

(ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) هود 77.

ويقول تعالى: (قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) هود 81.

وتتفق نصوص التوراة مع آيات القرآن الكريم في توضيح مهمة ملائكة الله ورسله في تدمير قوم لوط ومساكنهم.

وقد وردت في القرآن الكريم إيماءات وإشارات إلى أن الملائكة موكلون من قبل الله بعقاب الضالين والكافرين من الأقوام السابقة.

ويتكفل الملائكة بأمر الله سبحانه بتبليغ الاطمئنان للمؤمنين والتبشير بالجنة جزاء على إيمانهم وإخلاصهم لعقيدتهم.

يقول تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا والآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) فصلت 30ـ 31.

ويؤيد الله المؤمنين بإنزال ملائكته يقاتلون معهم في حربهم ضد المشركين.

يقول تعالى: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم.) الأنفال الآية 9ـ 10.

ويقول تعالى: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان.) الأنفال 12.

وللملائكة أيضا مهمة قبض الروح.

يقول تعالى: (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) النحل الآية 32 .

ويقول تعالى: (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) النحل 28 .

ويقول تعالى: (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) الأنعام 61.

ويقول تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) السجدة 11.

أما في التوراة فليس هناك إشارة إلى مهمة الملائكة بقبض الأرواح. وأعتقد أن مرد ذلك يعود إلى الارتباط الضعيف بين اليهود وبين الإيمان بما بعد الموت.

ويمكن أن نستعرض نصوص التوراة جميعها التي جاءت على ذكر الملائكة بمواقف شتى فمنها أن الله بعث رئيس الملائكة ليحارب مع جيش يشوع عند أريحا (أنه رفع عينه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسارع يوشع إليه وقال له هل لنا أنت أم لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت) يشوع 13ـ 14.

فهنا يشار إلى الملاك بأنه رئيس جند الرب أرسله الله للقتال إلى جانب يشوع.

وتقول التوراة: (وكان رجل من صدعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي. ولكنك تحبلين وتلدين ابنا والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكرا ولا تأكلي شيئاً نجساً) قضاء 13: 2 – 3

وتقول التوراة: (فتكلم دانيال مع الملك يا أيها الملك عش إلى الأبد. إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرني لأنـي وجدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً) دانيال: 6: 21 – 22

ويرد في التوراة إشارة إلى قوة الملائكة :

تقول التوراة: (باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه) المزمور 103: 20

تقول التوراة: (فقال منوح لملاك الرب ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك. فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب) قضاة 13: 17

وتقول: (فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران) قضاة 13: 20

وقول التوراة يدل في مضمونه على سرعة حركة الملائكة :

وتشير التوراة إلى بعض أسماء الملائكة

فجاء فيها: (ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً وهو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي) دانيال 10: 13 ـ 14

ويرد اسم الملاك ميخائيل مرة أخرى عند قول التوراة

(ولكنني أخبرك المرسوم في كتاب الحق ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسهم) دانيال 10: 21

ويرد أيضا أسمه في قولها :

(وفي ذلك اليوم يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر) دانيال 12: 1

ويرد اسم الملاك جبرائيل في قول التوراة: وسمعت صوت إنسان بين الاي فنادى وقال يا جبرائيل فهّم هذا الرجل الرؤيا) دانيال 8: 16

والغريب في الأمر أن اسم الملاك ميخائيل (ميكائيل) واسم الملاك جبرائيل لم يردا في التوراة إلا في هذا الموقع. والغريب أيضا أنهما لم يذكرا حتى مع الأنبياء الهامين في التوراة كإبراهيم وموسى وداود باعتبار أن الملاك جبريل هو الذي ينزل الكتب من لدن الله سبحانه على هؤلاء الأنبياء المرسلين .

ويلفت النظر اعتماد التوراة على قولها إن ميكائيل رئيس الملائكة ولم يرد ذلك في القرآن الكريم ولا يعترفون بأن جبريل هو ولي الأنبياء الذي هو الصلة

بين الله وبينهم. ولكن كما أشرنا سابقاً إلى أن اليهود يكنون عداوة للملاك جبريل. ويعتمدون ميكائيل رئيسا للملائكة ووليا للأنبياء .

ويرد في التوراة اسمان يطلقهما التوراتيون على الملائكة وهما السرافيم. والكروبيم تقول التوراة: (في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس رب الجنود مجده ملءُ كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصراخ وامتلأ البيت دخاناً)إشعيا 6: 1 - 3

ولا يخفي علينا التجسيد لذات الله وملائكته. فقد رأى حزقيال السيد (أي الرب) جالساً على كرسي عال مرتفع وحوله الملائكة ذوو الأجنحة. وهذا دأب التوراة بالتجسيد وبالتأثر بأساطير الشعوب القديمة التي تصنع من مخيلتها هالة ملموسة ومحسوسة حول الله ومعاونيه .

أما الكروبيم فيرد ذكرهم في عدة مواقع من التوراة .

تقول التوراة: (ثم نظرت وإذا على المقبب الذي على رأس الكروبيم شئ كحجر العقيق الأزرق كمنظر شبه عرش) حزقيال 10: 1 وفي هذا الإصحاح العاشر من سفر حزقيال، يرد وصف كامل للكروبيم. ويشطح الخيال والتجسيد بكاتب التوراة ويصف الكروبيم بأوصاف يراها المرء أمامه مجسدة. فالكروب يمد يده إلى النار التي بين الكروبيم. (هذا هو الحيوان الذي رأيته عند نهر خابور) حزقيال 10: 15

ويقول كاتب التوراة: (وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكروبيم. فرفعت الكروبيم أجنحتها وصعدت عن الأرض قدام عيني) حزقيال 10: 18

ثم يقول: (هذا هو الحيوان الذي رأيته تحت إله إسرائيل عند نهر خابور) حزقيال 10: 20

ونستشف من هذا الكلام تجسيداً لذات الله وملائكته أن الله يركب على حيوان ملائكي له أربعة وجوه وله أجنحة يطير من الأرض إلى السماء وهو يحمل الله على ظهره .

ويرى كتاب قاموس الكتاب المقدس أن كروبيم جمع كروب. وهم ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى كما أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها.

تقول التوراة: (فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة) تكوين 3: 13 ويقال عنهم إنهم ذوو أجنحة. أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد وقد ورد ذلك في سفر الخروج 25: 18 و19 وسفر أخبار الملوك الثاني 3: 10ـ 13. وكان جناحا الكروبيم يظللان التابوت. وجاء في المزمور 18: 10 أن الملك داود قال إن الله ركب على كروب لما ظهر بمجده على الأرض. وكما رأينا كانت الكروبيم تحت عرش الله لما ظهر لحزقيال. وكان في هيكل سليمان كروبان كبيران مغشّيان بالذهب يظلل جناحاهما التابوت الذي كان بينهما وبين قدس الأقداس. وحيطان البيت كانت منقوشة بكروبيم مع نخيل. وكذلك مصراعا الباب كانا منقوشين بكروبيم. ملوك 6: 27 ـ 29

وكان وجود الكروبين فوق التابوت لتظليل مجدَ الله عن الناظر. حزقيال 19: 9 و16 و24[1].

(1) قاموس الكتاب المقدس 1. حرف الدال 358ـ 359. حرف الكاف ص 779. حرف الحاء ص 302ـ 303.

وقد خلطت التوراة أعمال الله بأعمال الملائكة أحياناً، وأحياناً أخرى خلطت أعمال الملائكة والله بأعمال الشيطان. ووقع كتّاب التوراة في خطأ قاتل حين وصفوا الله بأوصاف الملائكة ووصفوا الملائكة بأوصاف الله عز وجل .

ومن الاختلاطات التي وقعت فيها التوراة بين ذات الله والملائكة ما ورد في سفر التكوين حين وصفوا الملائكة بأبناء الله.

تقول التوراة: وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد) تكوين 6: 1ـ 3.

ومن الاختلاطات الواضحة ما حدث في قصة النبي إبراهيم عليه السلام. تقول التوراة: وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت النهار فرفع عينيه ونظر فإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض) تكوين 18: 1ـ 2. ويقول قاموس الكتاب المقدس (ويظهر أن الرب كان واحدا منهم.)[1].

ومن الاختلاطات أيضا ما يخلطون به عمل الملائكة بالشيطان والإنسان.

والمراجع لسفر صموئيل الثاني يرى أن بعض الصفات الملتزمة للملائكة تلصق بالإنسان، أو إلى أناس. وبعض الأعمال الخاصة للملائكة تنسب إلى بشر وليس إلى أرواح سماوية. وقد رد القرآن الكريم على من زعموا أن لله بنات أو أولادا في آيات قرآنية كثيرة.

يقول تعالى: (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) الزخرف آية 16.

ويقول تعالى: (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) الأنعام الآية 100.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 921 باب الجيم.

ويقول تعالى: (ويجعلون له البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) النحل 57

وجاءت هذه الآيات رداً على مَن زعم أن الملائكة أبناء وبنات الله. وعندما تنسب التوراة لله بنين فإنها بذلك تكفر بأبسط قواعد الإيمان.

وفي سفر أخنوخ الذي لم يدوّن في التوراة حديث طويل عن الملائكة.

وقد جاء فيه أن الأرض أخذت تنتحب وامتلأت بصيحات الأسى فآثرت الأم الأرض في أربعة من الملائكة الأصدقاء الذين طلبوا من يهوه وضع حد لتلك المهزلة وفي الوقت نفسه نشأ نزاع بين السيد أزازيل وهو ملاك متزوج من فتاة أنسية والأمير سيميازاس. فتلقى هذا الأخير بضع لكمات على فكيه، فقد منصبه على إثرها وحل أزازيل زعيماً بدلاً منه فأرسل يهوه رفائيل ليقضي على أزازيل وحاصره في أحد الكهوف.[1]

ودرجات الملائكة عند اليهود عشر درجات 1- كادوشيم أو المقدسون الطاهرون. 2- أفاميم أو السريعون. 3- أوراليم أو الأقوياء. 4- شاسماليم أو المتوهجون. 5- سيرافيم أو الشرارات. 6- مالافيم أو الرسل. 7- آلوهيم أو الإلهيون. 8- بن آلوهيم أو أبناء الله. 9- كيروبيم أو الثيران. 10- إبشم أو المتحمسون[2].

عالم الجن بين التوراة والقرآن

يأخذ عالم الجن والشياطين مساحة واسعة من القرآن الكريم. فهو مخلوق من مخلوقات الله سبحانه. أشار القرآن بوضوح، أنه خُلق من مارج من نار. وأفاضت آيات القرآن الكريم في الحديث عن الجن بأنهم أقوام مثلنا، وفيهم

---

(1) ليوتاكسل: التوراة كتاب مقدس ام جمع من الأساطير. ترجمة د. حسان اسحق ص59.

(2) المصدر السابق، أعلاه ص 60.

الصالح وفيهم الكافر وقد جاء في التوراة أيضاً بعض الأحاديث عنهم وعن العرّافين والعرّافات الذين استعانوا بهم ظناً منهم أن لهم قدرات خارقة .

أما إبليس فقد أخذ الحديث عنه مساحات واسعة. واقترن اسمه بالشيطان الذي يضل الناس ويعيث في الأرض فساداً.

ومنذ الحضارات الأولى تبرز صفات الشيطان على أنه يمثل الشر المطلق. ودراسة الشيطان إنما هي العودة إلى تاريخ الأخلاق وتاريخ الإنسانية وأن من الممكن استخلاص تاريخ الأخلاق الإنساني من تاريخ الشيطان[1].

كيف تحدث القرآن عن الجن ؟

لو عدنا إلى تسلسل الأحداث الزمنية في القرآن الكريم وجدنا أن الحديث عن الجن سبق الحديث عن آدم والبشر. وقصة الخلق الأولى الواردة في القرآن الكريم توضح أن الله سبحانه أمر الملائكة بالسجود احتراماً لآدم الذي خلقه رب العالمين فسجدوا إلا إبليس كان من الجن .

يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) الكهف 50. وهذا يدل على أن الله سبحانه خلق الجن قبل أن يخلق آدم.

وفي التكوين التوراتي لا ورود لكلمة جن أو إبليس أو الشيطان وقد رمز كتاب التوراة إلى إبليس بالحية التي أغوت حواء فأكلت هي وزوجها من شجرة الخلد. تقول التوراة: (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 6.

للحية من ثمر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكم وتكونان كالله عارفين الخير والشر) سفر التكوين 3: 1 ـ 6. وهذه إشارة إلى سير سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية. وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان نلاحظ فيه المشابهة بين نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز[1].

وقبل أن نتعرض لدراسة ظاهرة الشيطان في القرآن الكريم والتوراة نعود إلى مسألة الجن وعلاقتها بالعقيدة. وكيف جاء الحديث عنها في القرآن الكريم والتوراة. فالجن كما ورد في آيات القرآن الكريم مخلوق من مخلوقات الله. والإيمان بوجوده هو إيمان بما قاله الله سبحانه وتعالى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن غاية الله من خلقه للجن والإنس هي عبادته.

يقول تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ) الطور 56.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الله بعث رسلا إلى الإنس والجن.

يقول تعالى: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) الأنعام 130.

فالجن والإنس سواء في التكليف وسواء في الحساب. لقد جاءتهم رسلهم تبلغهم رسالة التوحيد فكفروا، فحق عليهم العذاب.

وفي السياق نفسه تورد الآيات القرآنية بما سيؤول إليه الجن والإنس بسبب كفرهم وانحرافهم.

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94.

يقول تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.) الأعراف 179.

وتوضح آيات القرآن الكريم عجز الجن عن التنبؤ بالغيب. ومحدودية قوتهم أمام قوة الخالق عز وجل.

يقول تعالى: (فلما قضينا عليه بالموت ما دلهم عليه موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين). سبأ 14.

وفي سورة الجن تحدد الآيات الكريمة صفات للجن .

لقد استمعوا لآيات القرآن الكريم فآمن بعضهم .

وقد استعان بهم بعض الإنس فزادوهم رهقا وتعبا.

وأن الجن حاولوا اختراق الفضاء لاستراق السمع فوجدوها ملئت حرساً شديداً من الملائكة.

واعترفوا أنهم لا يعرفون من أسرار السماء شيئا.

يقول تعالى: (وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) الجن 8

ويقول تعالى: (وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) الجن 10

وقد تحدى الله سبحانه الأنس وتحدى الجن في أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم فقال تعالى: (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الإسراء 88 وتناولت آيات

القرآن الكريم العلاقة بين الجن والإنس في الخروج عن تعاليم الله عز وجل ونشر الفساد والشر ومن ثم عاقبتهم جميعا بما كانوا يعملون.

(ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الأنس وقال أولياؤهم من الأنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) سورة الأنعام 128.

ويوضح مرة أخرى عاقبتهم لما فعلوه من إضلال بعضهم.

يقول تعالى: (قال ادخلوا في أمم خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادَاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) الأعراف 38. فالآيات جميعها التي وردت آنفا تشير بوضوح إلى أن الجن مخلوق، وأن فيهم رسلا يبلغون عقيدة التوحيد. فمنهم الصالحون المؤمنون ومنهم الكافرون. وسيحاسبون يوم القيامة ويعذب الكافرين منهم. وهم عاجزون أمام قدرة الله وعاجزون عن استشراف الغيب. ومساعدة غيرهم من الأنس الذين يستعينون بهم .

أما قصة الجن في التوراة فتختلف اختلافا كليا عما ورد في القرآن. ففي سفر التكوين لا وجود ولو لإشارة توحي بأن الله خلق الجن من مارج من نار. ولا ترد قصة سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس الجني على أمر الله.

وليس هناك إشارة إلى أن الجن أقوام وشعوب مثل الأنس، ثم لا يرد أنهم مكلفون بالإيمان وأن فيهم رسلا يدعونهم إلى عقيدة التوحيد. ثم لا وجود لذكر حسابهم في يوم الدين.

وقد أوردت التوراة قصة عن استعانة الملك شاؤل بامرأة عرافة تستعين بالجن تقول: (فقال شاؤل لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فاذهب إليها

وأسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور. فتنكر شاؤل ولبس ثيابا أخرى فذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا وقال اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك فقالت له المرأة هوذا أنت تعلم ما فعل شاؤل كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فَلِمَ إذاً تضع شِرْكاً لنفسي لتميتها...) صموئيل أول 28: 47 .

وقد جاء في التوراة حكم بالقتل على من كان به جان.

فتقول: (وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل. بالحجارة يرجمونه دمه عليه) لاويين 20: 27.

وجاءت توصيات من الرب لموسى عليه السلام تحذره بأن لا يكون في قومه من يستعين بالجان (ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى) تثنية 18: 11.

إبليس في التوراة والقرآن

إبليس في القرآن الكريم اسم لجني معروف بعصيانه أمر الله سبحانه بالسجود لآدم، وقد جاءت آيات القرآن الكريم موضحة القصة بتفاصيلها في عدة سور قرآنية، ومن خلال سياقها نعرف أن إبليس خلق قبل خلق آدم. إذ انه والملائكة كانوا مخلوقين، حاورهم رب العالمين في قصة خلق لآدم. وهذا يعني أن الجن مخلوق قبل آدم وإبليس من صنف الجن.

يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة 34.

وقد ورد ذكر إبليس في القرآن الكريم إحدى عشر مرة، تسع مرات ارتبطت بمسألة السجود واثنتين لم ترتبطا، إنما ارتبطتا بعالم الغيب قبل خلق

الإنسان.

يقول تعالى: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين) الحجر 30ـ 31 .

ويقول تعالى: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) ص 73ـ 74.

ويقول تعالى: قال: يا إبليس مالك ألاّ تكون من الساجدين) الحجر 32.

ويقول تعالى: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) طه 116.

ويقول تعالى: ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) الأعراف 11.

ويقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) الإسراء 61.

ويقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) الكهف 50.

ويقول تعالى: (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) سبأ 20.

ويقول تعالى: (وجنود إبليس أجمعون) 95، وسبقها قوله تعالى: (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون. فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون) الشعراء 92ـ 95.

ولو دققنا في سياق الآيات لوجدنا أن إيراد لفظة إبليس في هذا السياق لم تأت عبثاً. والواضح فإن إبليس كان عابداً لله موحداً، وقد حضر مع الملائكة

عندما أبلغهم الله عز وجل أنه سيخلق خليفة له في الأرض. وأمره بالسجود لـه فسجدوا إلا إبليس. فإبليس قبل هذه المسألة لم يكن من الرافضين لوحدانية الله وأوامره بل كان من المقربين. وطالما أن الأمر متعلق بأمر غيبي لم يكن البشر مخلوقين فإن لفظة إبليس هي المناسبة لهذا المقام. إذ لم يحصل الصراع بين الشر والخير بعد. حتى يطلق على إبليس اسم الشيطان. فإبليس هو الاسم الذي أطلقه الله على هذا المخلوق عندما كانت الوقائع تجري في السماء ولم يكن بشر بعد في الأرض، والآية التي تشير إلى جنود إبليس توضح أن جنوده هم من اتبعوه من الشياطين والأنس. وقد تحدث الله سبحانه عن ذلك في سياق يوم الآخرة، والحساب والعقاب فقال فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون. أي أنهم كبكبوا في نار جهنم. والنار والجنة أمران غيبيان لم يرهما بشر رؤية العين. إذا فالحديث عن إبليس في أمر السجود أمر غيبي لم نره، والحساب والنار أيضاً أمر غيبي لا نراه. وهذا يقودنا إلى القول إن بداية إبليس غيبية ونهايته المحتومة غيبية بالنسبة لنا ثم في قوله تعالى: أتتخذونه وذريته أولياء من دوني. تشير إلى اتخاذ بعض البشر إبليس إلهاً باعتباره قوة قديمة خلقها الله قبل آدم ويزعم بعض عبدة الشيطان أن إبليس كان ذا قوة تضاهي قوة الله وإلا لما عارض ورفض إطاعة أوامره .

ونخلص من ذلك إلى أن مجيء إبليس في تسع آيات ترتبط بالغيب. أما الصراع بينه وبين الإنسان يأتي بعد مرحلة خلق آدم وغضب الله على إبليس، بعد أن رفض أمر الله. فأصبح الصراع بينه وبين الإنسان على الأرض فأطلقت عليه الآيات إسم شيطان. لأنه خرج من الجنة ومهمته الجديدة اختلفت عن مهمته وهو في عالم الغيب. لقد اقتصرت مهمته في الغيب في رفض أمر الله فحسب بينما توسعت مهمته في الأرض بعد إنزاله من السماء. وتعددت وسنرى في آيات القرآن الكريم التي جاءت على ذكر الشيطان مهمات عديدة للشيطان

حتى أننا نستطيع القول إنه مثل الشر المطلق على الأرض. بل مثل أحد طرفي الصراع في الوجود الأرضي. بحيث مثل الإنسان طرفاً والشيطان مثل طرفا آخر .

وهناك أحاديث كثيرة في السنّة النبوية وفي روايات ابن عباس وغيره من الصحابة تشير إلى أن إبليس كان ذا مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى. وقال بعضهم إنه كان من الملائكة واسمه عزازيل وذلك قبل ان يعصي أمر به.

ورفْضُ إبليس السجود لآدم كان أمراً مفترضاً لأنه حكم على ظاهر الأمور. فآدم مخلوق من طين وإبليس مخلوق من نار، ورأى نفسه أعلى مرتبة من آدم فرفض أمر ربه ولكنه لما تبين أن الله سبحانه نفخ في آدم من روحه أدرك أن آدم هو أفضل منه. ولكنه حق القول عليه فلم يرجع عن كفره وغيه وكبريائه، وأصبح العدو الأول لبني آدم بعد أن أصبح آدم في الأرض، وكثر نسله وبدأ الصراع بينهم وبين إبليس ونسله من الشياطين .

إن جهل إبليس بعلم الله جعله يحكم على الأمور بظاهرها. وهذا بالطبع دليل قصور ومحدودية في قدرته لأنه مخلوق. والمخلوق مهما تفوق يظل مخلوقاً من صنع الإله .

ولم تظهر كلمة إبليس في العهد القديم (التوراة) وإنما وردت كلمة شيطان. وقد اختلط المصطلحان ببعضهما، ورمز له بالحية في سفر التكوين. وقد أورد العهد الجديد الإنجيل شيئاً عن إبليس وعداوته لله وللإنسان والمسيح. ولهذا سندرس الشيطان وصفاته وأعماله كما وردت في القرآن الكريم والتوراة، كما سنضيف رؤية التلمود للشيطان باعتباره شرحاً لأحبار اليهود الذين ادعوا أن التلمود من الله أوحى به للأحبار .

ورد اسم الشيطان في القرآن الكريم ستين مرة بصيغة المفرد شيطان. وثماني عشرة مرة بصيغة الجمع شياطين .

ويمكن أن نلخص صفات الشيطان وأعماله على الشكل التالي :

1- إنه عدو لله والإنسان.

2- إنه يفسد العقول والنفوس ويوسوس فيها.

3- وعود الشيطان كاذبة وتودي إلى التهلكة.

4- يزين الأمور أمام الأعين فيضل الناس.

5- ينهى عن الخير ويحض على فعل الشر بكل أشكاله.

6- يتدخل الشيطان في النفس والعقل فينسي الإنسان ذكر ربه وينسيه الأمور.

7- للشيطان أولياء وجنود وأتباع وحزب.

8- يحذر الله سبحانه من الشيطان.

9- يحذر الله سبحانه من عبادة الشيطان لأن ذلك كفر بالله.

10- هناك شياطين من الجن وآخرون من الإنس مهمتهم الإفساد بين البشر.

11- مصير الشيطان وأتباعه نار جهنم.

12- جعل الله في السماء شهباً لرد الشيطان عن سرقة أخبار السماء.

13- ليس للشيطان سلطان على عباد الله المؤمنين.

وأمثلة على ما قلناه نرى الآيات القرآنية الكريمة التالية.

يقول تعالى: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) الإسراء 27

يقول تعالى: (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) يوسف 5

يقول تعالى: (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) يوسف 42

يقول تعالى: (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) النساء 120

يقول تعالى: (وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال: لا غـالب لكـم اليـوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنـي بـريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) الأنفال 48

يقول تعالى: (إنما يريـد الشـيطان أن يوقـع بينكـم العـداوة والبغضـاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة 91

يقول تعالى: (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحـر عجبا) الكهف 63

يقـول تعـالى: (وإن الشـياطين ليوحـون إلى أوليائـهم ليجـادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) الأنعام 121

يقول تعالى: (استحوذ عليهم الشـيطان فأنسـاهم ذكـر الله أولئـك حـزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) المجادلة 19

يقول تعالى: (ومن يتخذ الشيطان وليـاً مـن دون الله فقـد خسـر خسـراناً مبيناً. يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) النساء119 – 120

يقول تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحـي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفـترون) الأنعام 112

يقول تعالى: (فوربك لنحشرنّهم والشياطين ثـم لنحضرنّـهم حـول جـهنم جثيا) مريم 68

يقول تعالى: (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير) الملك 5

يقول تعالى: (وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً) الجن 8

يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً. قال أرأيتك هذا الذي كرمت لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لاحتنكنَّ ذريته إلا قليلا. قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً. واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجِلِكَ وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً) الإسراء 60 ـ 65

فمن خلال آيات القرآن الكريم ندرك أن الشيطان له مهام كثيرة، أهمها الإفساد بكل وجوهه. ولكن تبعية ذنب الإنسان التي يحمّلها للشيطان ليست سوى تبعية الإنسان نفسه. فهو يتبع الشيطان وما زين له من مفاتن. ولكن ليس للشيطان سلطان جبري قدري على الإنسان. وهو مخلوق مثله مثل الإنسان.

يقول تعالى: (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) الصافات 30. والشيطان يأمر بالكفر الإنسان فإذا ما أوقعه في الكفر تخلى عنه وتبرأ منه.

يقول تعالى: (كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) سورة الحشر 16

ويقول تعالى: (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَّ إني كفرت بما أشركتمون. من قبلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم) إبراهيم 22

ويربط القرآن الكريم الجن بالسحر وآثاره الضارة السلبية على الإنسان فعلم الغيب والسحر لدى الشياطين ليس إلا خداعاً للحس وفتنة للنفس تخيل إلى المخدوع ما ليست له حقيقة قائمة في غير وهمه[1] وعندما أتى القرآن الكريم على قصة هاروت وماروت وقصة الشياطين الذين كفروا لأنهم راحوا يعلمون السحر للناس بما يضرهم فإنه فند الزعم بأن الشياطين والجن يعلمون بالغيب أو يستطيعون ضرر الناس بدون إذن الله عز وجل.

يقول تعالى: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر. فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) البقرة 102.

هذا هو الشيطان وهذه هي الشياطين كما علمناها وعلمنا أخبارها من القرآن الكريم ولكثرة الآيات الكريمة التي تحدثت عن الشياطين سبب واضح هو أن الشيطان يمثل الشر المطلق ، وهو أحد طرفي الصراع في هذه الحياة الدنيا .

أما التوراة فإنها تناولت الشيطان في مواقع قليلة من أسفارها. وكما أن مفهوم الإله المطلق لم يكن واضحاً لدى بني إسرائيل، فإن مفهوم الشر والشيطان لم يكن واضحاً أيضاً، ويرى الكثيرون من الباحثين، أن مفهوم الشيطان لم يعرفه بنو إسرائيل، إلا بعد السبي البابلي بعد أن تأثروا بعقائد شعوب بابل وما بين النهرين .

(1) عباس محمود العقاد. إبليس صفحة 127.

وتتضح شخصية الشيطان في التوراة بشكل كبير في سفر أيوب حيث تورد أنه دخل مع أبناء الله على حضرة الله فحاوره الله حتى أسفر الحوار عن قصة امتحان العبد أيوب.

تقول التوراة: (وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها. فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجاناً يتقي أيوب الله ..الخ) سفر أيوب ١: ٦ ـ ٩ .

ويستمر الحوار حسب زعم التوراة بين الله والشيطان طويلاً ويلقاه مع أبناء الله أكثر من مرة. فالشيطان في هذه القصة التوراتية حسود لا يحب الرجل التقي المستقيم ويستطيع ـ حسب زعم التوراة ـ أن يقنع الله كي يمتحن عبده أيوب .

وعلى الرغم مما في القصة من إلحاد وأسطورة وخرافة إلا أن ما يهمنا هنا الكشف عن طبيعة الشيطان كما نجدها في النص وكما تتكشف من تسليط الضوء عليها.

وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الأنبياء حديث عن أيوب وما مسه من ضر بينما وردت في سورة (ص) أربع آيات تتحدث عنه ومنها آية يذكر الشيطان فيها.

يقول تعالى: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) ص 41.

وقد ورد اسم الشيطان صراحة في التوراة في قصة إحصاء داود عليه السلام للشعب.

تقول التوراة: (ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل) أخبار الأيام الأول 21: 1

وكان ذكر الشيطان على الوصف لا على التسمية فجاء مرة بمعنى الخصم في القضية وجاء مرة أخرى بمعنى المقاوم في الحرب وأطلق مرة على الملك الذي تصدى لبلعام في طريقه لأنه كان بمعنى المعترض أو الضد أو الخصم المقاوم. ولم يذكر بصيغة العلم إلا حين قيل في الإصحاح 21 من سفر الأيام الأول (إنه وقف الشيطان ضد إسرائيل)[1].

وفي قصة أيوب التي ذكرناها سابقاً .

ويعلق العقاد قائلاً: (لم يشعر العبريون الأوائل بما يدعو إلى عزل الشيطان أو إسناد الشرور إليه لأنهم كانوا يتوقعون من الإله أعمالاً كأعمال الشيطان، وكان العمل الواحد عندهم ينسب تارة إلى الشيطان وتارة إلى الإله كما حدث في قصة إحصاء الشعب، على عهد داود)[2] ففي المرة الأولى كان الشيطان هو الذي أغوى داود وفي المرة الثانية كان الإله هو نفسه الذي أمر داود بإحصاء الشعب (حمي غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امض وأحص إسرائيل ويهودا) صموئيل[3].

وللشيطان قصة طويلة في كتاب التلمود، الذي يراه اليهود أهم من كتاب التوراة فيرى التلمود أن الله خلق الشياطين يوم الجمعة، عندما خيم الغسق ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس، لأن يوم السبت كان قريباً. وما كان لديه الوقت

(1) عباس محمود العقاد. ابليس ص 94 – 95.

(2) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94 – 95.

(3) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94 ـ 95.

الكافي ليعمل كل ذلك. وعلى حسب رواية أخرى لم يخلق لهم أجساداً عقاباً لهم لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بلا جسد.

وحسب تفسير التلمود فإن الشيطان على جملة أنواع. فبعضهم مخلوق من مركب مائي وناري، وبعضهم مخلوق من الهواء، وبعضهم من الطين، أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها .

ويرى التلمود أن بعض الشياطين من نسل آدم، لأنه بعدما لعنه الله، أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلا تعيساً، فيحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين .

وجاء في التلمود أن آدم كان يأتي شيطانة مهمّة اسمها ليليت مدة 130 سنة فولد منها شياطين.

وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين. والشياطين حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون .

وأمهات الشياطين المشهورات أربع، استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهن من السلطة وكان يجامعهن .

قال التلمود: (إن إحدى هؤلاء النسوة امرأة الشيطان المسمى (شماعيل) تذهب مع بناتها في مقدمة مائة وثمانين ألف شيطان بصفة رئيسة عليهم ليضروا الناس في ليلتي الخميس والسبت، وليليت السابق ذكرها، عصت آدم. فعاقبها الله بموت أولادها. فهي تنظر كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها. ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الأطفال التي لها عليهم السلطة إذا تليت عليهم ثلاث أسماء من أسماء الملائكة. وهي تعوي دوماً كالكلاب ويصحبها مائة وثمانين ملكاً من الأشرار .

وتوجد شيطانة أخرى من الأربع المذكورات، دأبها الرقص دون أن تستريح وهي تصحب معها مائة وتسعاً وسبعين روحاً شريرة.

أما محل سكن الشياطين، فقال الحاخامات: (إن بعضهم يسكن في الهواء. وهم الذين يسببون الأحلام للإنسان). وبعضهم يسكن في قاع البحر وهم الذين يتسببون في خراب الأرض إذا تركوا وشأنهم وبعضهم يسكن في أجساد اليهود المتعودين على ارتكاب الخطايا.

ويرى التلمود أن اثنتين من الشيطانات تسكنان في جبال الشرق المظلمة اسمهما إذا ـ وإذائيل. وهما اللتان علمتا السحر لبلعام وأيوب. وكان يحكم الملك سليمان على الطيور والشياطين بواسطتهما وكانتا السبب في حضور بلقيس إليه[1].

من خلال ما تقدم نرى أن كلام التلمود هو أقرب إلى الهذيان والأسطورة. وفيه من معالم الكفر ما لا يعد ولا يحصى.

ونلاحظ أن ما عجزت التوراة عن ذكره عن الشياطين، قدمه التلمود ولكن بأسلوب خرافي أسطوري يعبق برائحة الكفر والإشراك بالله والتجني على آدم وحواء .

(1) يوسف نصر الله. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 62 ـ 63.

الفصل الخامس

الموت والبعث واليوم الآخر
النعيم والجحيم
في التوراة والقرآن الكريم



عرفت جميع العقائد والديانات الموت باعتباره إحدى القضايا الأساسية التي تمس الإنسان والحيوان والنبات. فكانت لكل عقيدة نظرتها وفلسفتها وقد صاغت كل الشعوب فلسفتها حول الموت من خلال سؤال طرحه الإنسان منذ وجوده الأول وهذا السؤال يقول ما هو الموت؟ لماذا الموت؟.

وتوسع العقل البشري في تساؤلاته حتى صار سؤاله موجهاً نحو ما وراء الموت. كيف ركب الإنسان؟ ما الروح وما الجسد؟ ما علاقتهما ببعضهما؟. ما الذي يفنى وما الذي يبقى؟.

وتصور العقل البشري حياة غير مفهومة للإنسان بعد الموت. فتارة يرى أن هذا الإنسان ينتقل إلى حياة أخرى فلذلك وضعوا معه عند موته الطعام والشراب واللباس وتارة تصوروا أن الروح تنتقل إلى إنسان آخر في بلد آخر فيما سمي بعدئذ بالتناسخ. وقبل سبعة آلاف عام اعترفت ملاحم وأساطير بلاد الرافدين القديمة بفشل الإنسان في قهر الموت. وبعد أ ن عجز عن النصر اعترف أن سر الحياة بقي للآلهة. وأنه عجز عن امتلاكه.

أما الديانات الهندية فرأت أن الجسد وحده يموت أما الروح فهي خالدة. و في نهاية المطاف ستتحد روح الإنسان الصالح بروح الإله.

وقد آمنت أكثر الديانات القديمة بوجود عالم آخر. فحسب عقائد بلاد الرافدين فإن العالم الآخر عالم فظيع تسكنه الأطياف ويهوي إليه الموتى. ويرون في العالم الآخر عالما سفليا، مظلما. ولم يفكروا بخلود الصالحين في جنة نعيم.

بل رأوا أن الإنسان ينتقل إلى العالم المظلم ويبقى فيه إلى الأبد. ويتساوى البشـر في هذا العالم. الملوك والناس العاديون كلهم سواسية في عالم الموت المظلم.

وقد تميزت عقائد المصريين بتطور مهم في مفهوم الموت وما بعد المـوت. فقد آمنوا بالحياة بعد الموت والحساب والنشور والجنة والنار. وأكدوا فكرة الخلود. وللروح شأن مهم في عقائدهم. فهي ذات منفصلة عن الجسم إلا أنها تحل فيه بشكل متصل ومنقطع. وهي جوهر خالد يشكل صلة الوصل بين الإنسان والإله. وتتصل الروح بعالم الآلهة ما دام الإنسان على قيد الحياة. ويمكن للأرواح أن تتصل بعالم الأحياء بعد الوفاة وتنبئ الأحياء بأسرار المستقبل. وتحذرهم من الأخطار. ويرى المصريون القدماء أن الروح تزور الجسد بين الحين والأخر.

ويرون أن الموت بداية الطريق إلى اليوم الآخر. فإما إلى الخلود والنعيم وإما إلى الجحيم وفي الديانة المصرية آلهة للحساب والميزان. فمن كانت أعماله الصالحة أكثر من سيئاته دخل النعيم وأما إذا كان العكس فإن مأواه الجحيم. وصورت النقوش المصرية الإله أوزوريس وهو يزن قلب الإنسان ليرى ما فيه من خير وشر، وما الذي يزن اكثر من الآخر حتى يجازى صاحبه حسب أعماله.

مفهوم الموت في التوراة والقرآن

يظهر مفهوم الموت في التوراة منذ سفر التكوين أي السفر الأول من هذا الكتاب. وترى التوراة أن آدم حكم على نفسه بالموت عندما خيره الله بين أكل ثمر الشجرة المخلَدة وبين عدم أكلها. واختار آدم أكل ثمرة الشجرة، شجرة المعرفة. فلذلك عصى أمر ربه فطرد من الجنة وأصبح معرضاً للموت.

جاء في سفر التكوين (من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت) التكوين 2: 16-17.

ويرى بعض الباحثين أن اليهودية تركت أمام آدم إمكانية الاختيار بين شجرة معرفة الخير والشر ومعها الموت، وبين شجر الجنة الآخر ومعه الخلود. فاختار المعرفة والموت. وهكذا فقد خلق آدم في البدء غير فان ولا خالد. فاختار الثمر المحرم وعزف عن الخلود وصار فانيا. ومنذ تلك اللحظة تقرر الموت على البشر أي منذ بدء الخلق. وباختيار البشر أنفسهم ممثلين بآدم.

والواقع أن المسألة تأخذ أبعاداً أكثر دقة وأكثر عمقا في القرآن الكريم.

فالآية القرآنية التي تقول: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. تشير لنا بوضوح أن الله سبحانه قرر في علمه المسبق أن آدم سيكون في الأرض وليس في الجنة، وأن قصة الخطيئة ليست سوى ربط السبب بالنتيجة. فعلم الله المسبق أمر يختص الله سبحانه به ولكن الخطيئة بشرية أي أن الإنسان الأول مال نحو عصيان أمر الله فأنزل إلى الأرض. صحيح أن آدم اختار الطريق الذي سيؤدي به إلى النزول إلى الأرض والموت. ولكن آدم نفسه لم يختر الطريق عن علم وإرادة بل اختاره عن جهل بالمصير وقد تناسى وتجاهل تحذير الله سبحانه.

وبعيدا عن الخوض في هذه المسألة الشائكة بين العلماء والمتكلمين والفلاسفة المسلمين نعود لمسألة الموت كما بيّنها الله سبحانه في القرآن الكريم.

فالموت نهاية كل حي. نهاية من يحمل في تركيبه الجسدي عناصر فنائه. ولا خلود لمخلوق. فالله سبحانه هو الخالد الباقي.

يقول تعالى: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن 26ـ 27. وقد وردت كلمة الموت ومشتقاتها في القرآن الكريم 161 مرة.

ولو نظر الإنسان بشكل دقيق في طبيعة الحياة والموت لأدرك أن المخلوق في أساسه كان في عالم الموت. ثم أحياه الله في رحم أمه. ثم خرج إلى الدنيا ثم توفاه الله. فالحياة في هذا الإطار دورة إنسانية متكاملة.

يقول تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) البقرة 28. فالموت حتمية المخلوق. والإيمان بهذه النهاية من مستلزمات الإيمان للإنسان المسلم. فمن ينكر الموت ينكر الواقع وينكر هذه الحتمية. وبالتالي هو ينكر عنصراً من عناصر الإيمان بالله. لأن الموت بداية لليوم الآخر ونهاية للوجود الدنيوي.

لقد تحدثت آيات كثيرة عن حتمية الموت، وذلك لتجعله يقينا أمام عين وبصيرة الإنسان يقول تعالى: (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) الأنبياء 35. فلا خلود لنفس مخلوقة مهما كانت درجة صاحبها من النبوة أو الملك. فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليسوا خالدين باعتبارهم بشرا مخلوقين وهم أقرب الناس إلى الله سبحانه وتعالى فكيف بالناس العاديين؟.

يقول تعالى: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون) الأنبياء34 والموت باعتباره حتمية لكل مخلوق فلا حواجز تمنعه ولا حصون ولا تحصين.

يقول تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) النساء 78 وقد عُرف بعض الأقوام كالدهريين الذين قالوا إن الموت نهاية المطاف، ولا شيء بعده. يقول تعالى واصفاً إياهم:

وقالوا: (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) الجاثية 24.

فاعتقادهم بأن الموت نهاية لا شيء بعده، لم يأتهم عن علم، لأنهم وغيرهم لم يروا أو يحسوا بما بعد الموت، فقولهم هذا، ليس إلا من قبيل الظن والتخمين وقصر النظر. وقد كانت حجتهم عندما يرفضون الإيمان بآيات الله - أن أرجعوا لنا آباءنا - . يقول تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات. ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) الجاثية 25.

وقد تساءل الناس عن كنه الموت فلم يجدوا جواباً. وقد حير الموت المفكر والإنسان العادي. وقد كان أكثر الناس تساؤلا الذين كذبوا الأنبياء ورفضوا الإيمان بالله وبوحدانيته.

وقد أورد القرآن الكريم قصص هؤلاء مع أنبيائهم الذين دعوهم للإيمان بالله سبحانه فرفضوا وكانت حججهم بأن أخبار آبائهم والأولين انقطعت عنهم فماذا يمكن أن يقنعهم طالما أن أحداً لم يعد إلى الدنيا بعد موته؟.

وطالما أن الله سبحانه هو الخالق الناشئ فهو القادر على الموت والحياة بعد هذا الموت، وقد وردت آيات كريمة كثيرة تشير إلى هذا الأمر.

أما تساؤل الإنسان عن الموت وإحياء الموتى فقد ورد في آيات كريمة أخرى.

يقول تعالى: (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا. أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئا؟) مريم 67.

وما من نبي إلا وتعرض لجدال قومه حول مسألة الموت. وقد ارتبط - كما نعرف - مفهوم الموت بمفهوم البعث والحساب ويوم القيامة. وهذا الأمر كان وما

يزال من أهم الأمور التي تشغل الإنسان. فلذا نجد الأقوام التي بعث إليها الأنبياء تساءلت عن الموت وكذّبت رسلها.

لننظر إلى قوله تعالى: (أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون. هيهات هيهات لما توعدون. إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) سورة المؤمنون 35 ـ 37.

وقد وصف القرآن الكريم عنادهم وإصرارهم على رفض البعث بعد الموت.

يقول تعالى: (وأقسموا بالله جهد إيْمَانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) النحل 38.

وتؤكد الآيات الكريمة أن النفس التي أراد الله موتها لا يتقدم وقتها ولا يتأخر. فهي معرَّضة للموت نهارا وليلا وكل الأمر عائد إلى الله سبحانه.

يقول تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إنَّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الزمر 42.

أما الأرض فقد قضى الله سبحانه أن بني البشرية سيحيون فيها ثم يموتون فيها ثم يبعثون منها.

يقول تعالى: (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو لكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) الأعراف 24ـ 25.

وتؤكد الآيات أيضا أن الله سبحانه يرسل ملائكته حفظا للبشر حتى إذا قضى على الإنسان بالموت جاءته الملائكة بأمر الله وتوفته. يقول تعالى: (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون.) الأنعام 61.

وقد كان الإيمان بحتمية الموت راسخا لدى الأنبياء، خاصة وهم يجادلون أقوامهم في هذا الشأن، وقد جاءت تعاليم الله واضحة لأنبيائه في ذلك.

يقول تعالى: (وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا) النجم 41ـ 42ـ 43.

يقول تعالى في قصة جدال إبراهيم مع من كفر بربه: (إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت) البقرة 258. ويقول تعالى: (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) آل عمران 156.

ويقول تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف 158. ويقول تعالى: (إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) التوبة 116.

وقد وصف الله سبحانه في كتابه العزيز شدة الموت في أربع آيات:

يقول تعالى: (وجاءت سكرة الموت بالحق) ق 19.

يقول تعالى: (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت) الأنعام 93 ويقول تعالى: (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الواقعة 83.

ويقول تعالى: (كلا إذا بلغت التراقي) القيامة 26.

إن هذه الآيات الكريمة تؤكد شدة الموت على الإنسان. فنزع الروح التي رافقت هذا الجسد منذ ولد حتى الموت تنسل منه انسلالاً ولا يستطيع عقل تصور ذلك من خلال تصوره أو تخيله. ولا يعرف هذا الإحساس إلا من وقع فيه أي إلا من دنت منيته وأخذ في النزع. أما الموت في عقيدة التوراة فهو لا يرتبط بثواب أو عقاب. إذ إنه كما يتضح في نصوص التوراة ليس إلا نهاية الإنسان الحي ونهاية كل حي وفي المنظار الظاهري فإن الموت نهاية لهذا الجسد. ولم

يكن التوراتيون على يقين بأن الموت مرحلة، وهذه المرحلة لا بد لها من مرحلة قادمة.

وبسبب عدم التعمق التوراتي بمسألة الجسد والروح فقد أشارت نصوصهم إلى الروح بأنها كانت منفصلة عن الجسد. وتارة يعتبرون أن الروح تدخل الدم. فإذا ما فقد الإنسان دمه فقد روحه. وجاء في التوراة: (وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطكم يأكل دما أجعل وجهي حدّ النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها لأن نفس الجسد هي في الدم) لاويين 17: 10ـ 11.

وجاء أيضاً: (لأن نفس كل جسد هي دمه كل من أكله يقطع) لاويين 17: 14 وهناك إشارات في بعض أسفار التوراة إلى أن الإنسان عندما يموت يرجع جسده الترابي إلى التراب وتعود الروح إلى الله .جاء في التوراة: (فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها) سفر الجامعة 12: 7.

وفي سفر الجامعة كلام للنبي داود عليه السلام يشير فيه إلى الحياة والفناء للفرد والمجموعة.

يقول: (ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس) جامعة: 1: 3.

(ليس ذكر للأولين. والآخرون أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم) الجامعة 1: 11.

ويرد في هذا السفر أيضاً قول التوراة على لسان داود: (لأن يحدث لنبي البشر يحدث للبهيمة. وحادثة واحدة لهم. موت هذه كموت ذاك ونسمة واحدة للكل. فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما) جامعة: 3: 19 ـ 20.

ويقول: (من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى الأسفل إلى الأرض فرأيت أنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله لأن ذلك نصيبه) جامعة 3: 21 ـ 22.

فهذه النصوص تؤكد حتمية الموت كما يراها داود والأنبياء عليهم السلام. وتوضح أن التراب مصير كل جسد إنساناً كان أو بهيمة. وهذه المعاني نجدها في القرآن الكريم واضحة في عشرات الآيات القرآنية.

ويرى النبي داود في سفر الجامعة أن (يوم الممات خير من يوم الولادة) جامعة 7: 1 فالموت راحة للإنسان والحياة تعب وعناء.

ومع ذلك فإن النهاية التي ترد في التوراة تتوقف عند الموت فحسب.

تقول التوراة على لسان النبي داود: لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت. لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم قد نسي. ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس) جامعة 9: 4 ـ 6.

فإذا أخذنا هذا الحكم في الموت على محمل الحياة الدنيا فإن الإنسان ينقطع عن الحياة إذا مات. وبالموت لم يعد له مجال لعمل الخير ونبذ الشر. وهذا ما يتوافق مع النظرة الإسلامية في ذلك.

أما إذا أخذنا المسالة على محمل ما بعد الموت سنجد أن القرآن الكريم يوضح أن الأموات إن عملوا صالحاً في دنياهم فإنهم سيجدون نعيماً خالداً. وهو في كل الأحوال أفضل مما في الدنيا.

يقول تعالى: (للآخرة خير لك من الأولى) سورة الضحى 4.

يقول تعالى: (والآخرة خير وأبقى) الأعلى 17.

ويختلط مفهوم الموت بمفهوم القبر عند التوراتيين. ولكن المفهوم يبقى غامضاً حيث نرى أن القبر ليس سوى نهاية. وهو الهاوية.

جاء في التوراة: (لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً لأنك لم تترك نفسي في الهاوية) مزامير 16: 9.

جاء في التوراة أيضاً: (مثل الغنم للهاوية يساقون. الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون غداة وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني) 49 : 14 ـ 15.

فهذه النصوص تقر بالموت وتخرج من دائرة المنظور إلى دائرة الإحساس بالحتمية حتمية الموت. وباعتبار أن المزامير تنسب إلى النبي داود فقد جاء الإحساس بالموت مختلفاً وهذا ما يجعل المرء يتوقف عند هذه النصوص لأنها تعبر عن نفس مختلف عما كتب في أسفار أخرى في التوراة.

فعلى الرغم من إن الفقرات التي وردت تشير إلى حتمية الموت إلا أن بعضها يشير إلى اطمئنان غير عادي للمصير. فالنبي داود عليه السلام يقول: إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني. وعلى الرغم من غموض الخلفية إلا إن قناعة الإيمان بالله تصل عنده إلى حدود أن الله سيأخذه. وإذا حملنا المسألة على محمل التأويل أو التفسير فإن الله سيأخذه في ملكوت الخلد والنعيم والرضا الإلهي.

إن هذا يقودنا للحديث عن مفهوم البعث بشكل واسع في القرآن الكريم وفي التوراة فهل الموت نهاية كل حي؟ هل تبقى الأجساد في الأرض؟ هل تفنى ولا تعود؟ ما معنى البعث والنشور وقيامة الأموات؟ ما معنى يوم القيامة؟ وكثيرة هي الأسئلة التي تدور حول ذلك. وما أكثر أجوبة القرآن الكريم عليها.

في التوراة نرى كثيراً من النصوص التي تناقض مفاهيم بعضها بعضاً. فالموت عند بعض الأنبياء والشخصيات الدينية الوارد ذكرها في التوراة هو تلاش وفناء ولا عودة ولا بعث. وعند بعضهم نشور، قيامةٌ وبعث من عالم الأموات، ويبدو دوما أن مدوِّني التوراة خضعوا بشكل ما إلى مؤثرات نفسية واضحة، انعكست على اللغة والمفاهيم ونبعت من قناعات شخصية للمدوِّنيين.

وعندما نلاحظ ما ورد في سفر أيوب مثلا نرى أن الشعور بالعدم يسيطر عليه فالموت ظلمة ورطوبة وعفونة ويأس من كل شيء.

جاء في التوراة: (هذا يموت في عين كماله. كله مطمئن وساكن. أحواض مملوءة لبنا. ومخ عظامه طري. وذلك يموت بنفس مرة. ولم يذق خيرا، كلاهما يضطجعان معا في التراب والدود يغشاهما) أيوب 21: 22ـ 26.

وفي يأس عارم يجتاح أيوب في التوراة يقول: (الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعبا يخرج كالزهر ثم ينحسم، ويبرح كالظل ولا يقف، فعلى مثل هذا حدقت عينيك وإياي أحضرت إلى المحاكمة معك. من يخرج الطاهر من النجس. لا أحد إن كانت أيامه محدودة وعدد أشهر عندك. وقد عينت أجله فلا يتجاوزه فاقصر عنه ليسترح إلى إن يسر كالأجير بانتهاء يومه) أيوب 14: 1ـ 6.

ويقول: (هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد لا يرجع) أيوب 7: 9ـ 10.

وحسب قول التوراة المدونة فإن أيوب يرى في الموت ظلمة أبدية لا غير. تقول: إلى أرض ظلمة، وظل الموت، أرض ظلام مثل دجى ظل الموت. وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى). أيوب 10: 21.

ويتساءل أيوب: أما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح فأين هو قد تنفذ المياه من البحرة والنهر ينشف ويجف والإنسان يضطجع ولا يقوم ولا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات ولا ينتبهون من نومهم) أيوب 14: 10ـ 12.

وتورد التوراة بعض الفقرات في سفر الجامعة تدفع الإنسان لإشباع رغباته الدنيوية قبل أن يموت ويفنى تقول: (كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأن ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها) الجامعة 9: 7ـ 10.

وتكثر مثل هذه النصوص في المزامير 6 و15 و88 وسفر الجامعة وجميعها تشير بشكل واضح إلى أن النهاية في الموت والتراب.

تقول التوراة: (عد يا رب نج نفسي. خلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك في الهاوية من يحمدك) مزمور 6: 4ـ 5.

وتقول: (ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت) مزمور 115ـ 17.

وتقول: (أفلعلك للأموات تصنع العجائب؟ أم الأخيلة تقوم تمجّدك سلاه. هل يحدّث في القبر برحمتك أو بحقك في الهلاك. هل تعرف في الظلمة عجائبك وبرّك في أرض النسيان) مزمور 88: 10ـ 11.

وكثرة استعمال لفظة الهاوية تدل على استفادة كتبة التوراة كثيرا من الأسطورة البابلية جلجامش. ومن أساطير الكنعانيين. وفي كلا النمطين من الأساطير هاوية وأرض ظلمة ورطوبة وما إلى ذلك.

وتأتي بعض المقاطع التي تشير إلى يوم القيامة وأهوالها. ولكنها بالقياس لما يرد عن الهاوية ونهاية الإنسان والموت تشكل حساً ضعيفاً جداً بالبعث والنشور وذلك بسبب قلتها بل ندرتها في التوراة.

ففي أشعيا يرد: (تحيا أمواتك تقوم الجثث، إستيقظوا ترنحوا يا سكان التراب) 26: 19.

ويرد أيضا: (وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي) دانيال 12: 2.

واذا عرفنا أن دانيال من أنبياء التوراة في السبي البابلي أدركنا مدى التطور الذي حدث في العقيدة اليهودية. او على الأقل مدى التطور الذي حدث لدى الأنبياء. وقوله هؤلاء إلى الحياة الأبدية. وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي يذكرنا بتأكيد القرآن الكريم على أن المؤمنين هم خالدون في النعيم. بينما الكافرون خالدون في الجحيم. وقد ورد ذلك مرارا في القرآن الكريم.

إن الإشارات التي وردت عن قيام الأموات من الأرض تبقى في إطار الإشارات ولم تدخل في تفاصيل دقيقة كما وردت في القرآن الكريم.

وهناك شاهد واحد ورد في سفر الجامعة يصف بعض معالم يوم القيامة من أحد الجوانب، ونرى فيه الربط بين التوجيه الديني باستغلال الوقت في التقوى وعبادة الله قبل أن يأتي ذلك اليوم. ومن المعروف أن سفر الجامعة جاء على لسان داود عليه السلام.

تقول التوراة: (فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور. قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر. في يوم يتزعزع فيه حفظة البيت وتتلوى رجال القوة وتبطل الطواحين لأنها قلت. وتظلم النواظر من الشبابيك. وتغلق الأبواب في السوق. حين ينخفض صوت المطحنة ويقوم الصوت العصفور وتحط كل بنات الغناء. وأيضا يخافون من العالي. وفي الطريق أهوال واللوز يزهر والجندب يستثقل والشهوة تبطل لان الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي. والنادبون يطوفون في السوق. قبل ما ينفصم حبل الفضة أو ينسحق كوز الذهب أو تنكسر

الجرة على العين أو تنقصف البكرة عند البئر فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها) الجامعة 12: 1ـ 7.

فهذا المقطع الذي لا شبيه به في التوراة يتقاطع بشكل كبير مع ما ورد في القرآن الكريم وفي كثير من السور والآيات الكريمة، بما يخص وصف يوم القيامة.

يقول تعالى: (إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت) التكوير 1ـ 4.

ويقول تعالى: (فإذا برق البصر. وخسف القمر. وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر) القيامة 7ـ 10.

ويقول تعالى: (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) الحج آية 2.

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم وجدنا الكثير من الآيات التي تشير بوضوح إلى بعث الناس من القبور إلى يوم الحشر.

يقول تعالى: (وإذا القبور بعثرت. علمت نفس ما قدمت وأخرت) الانفطار 4ـ 5.

ويقول تعالى: (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور) العاديات 9.

ويقول تعالى: (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) الحج 7.

فبداية الأمر بعد الموت الطويل هو بعثرة القبور وخروج من فيها إلى قضاء الله.

وقد تساءل الكفار والذين خامرهم الشك في الإيمان بالله واليوم الآخر بأن هناك بعثاً وقيامةً بعد الموت. ويظهر جليا أن مقياسهم في ذلك هو مقياس مادي محسوس فما لم يحسّونه أو يشاهدونه فلا يؤمنون به.

يقول تعالى: (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون. بل قالوا مثلما قال الأولون. قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) المؤمنون 80ـ 83.

ففي ميزان المادية ومقياس الحس البشري المحدود اعتبروا أن البعث والعودة من الموت إن هو إلا خرافة وكلام ليس له أساس من الصحة. ويستشهدون على ذلك بقولهم إن آباءهم وُعدوا بالعودة كما وُعدوا هم فلا عاد آباؤهم ولن يعودوا هم وهذا هو المقاس الضيق الذي قاسوا فيه الموت والبعث والحياة.

ويقول تعالى إشارة إلى ذلك: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين. قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون.) الجاثية 25ـ 26.

وقد رأى الإنسان العظام الآدمية قد نخرت ثم تباعدت أجزاؤها. فتساءل سؤاله الأكبر. هل يعقل أن تجمع العظام مرة أخرى ويبعث أصحابها للحساب؟.

يقول تعالى: (وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديد) الإسراء 49.

ويقول تعالى: (يقولون أإنا لمردودون في الحافرة أإذا كنا عظاما نخرة) النازعات 10ـ 11.

ويقول تعالى: (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) المؤمنون 35.

ويقول تعالى: (أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه) القيامة 3.

ويقول تعالى: (وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون) المؤمنون82.

وهذا التساؤل المتكرر قابله رب العالمين بأجوبة عقلية فيها الحوار العقلي المقنع الذي لا يدع مجالا للشك في يوم البعث أو جمع العظام وإنشائها من جديد.

ويقول تعالى: (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) يس 79.

ويقول تعالى: رداً على تساؤلاتهم في سورة المؤمنون (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) 84 ـ 85.

ويقول تعالى: (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير) فصلت 39.

ويقول تعالى: (وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور) الحج 66.

ويقول تعالى: (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) الروم 40.

وعندما يصف القرآن الكريم البعث والنشور يفصل في الوصف حتى لتصبح المشاهد وكأنها محسوسة مرئية أمام الناظر.

ويوضح القرآن الكريم البدايات كما يوضح النهايات. وتقريباً للذهن البشري تورد بعض الآيات صوراً لمجريات قد أحس بها الإنسان إحساساً مادياً.

يقول تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها. يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها. يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم) سورة الزلزلة 1ـ 6.

ويقول تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) الحج 1ـ 2.

ويقول تعالى: (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت. وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت) الانشقاق 1ـ 5.

ويقول تعالى: (القارعة ما القارعة. وما أدراك ما القارعة. يوم يكون الناس كالفراش المبثوث. وتكون الجبال كالعهن المنفوش) القارعة 1ـ 5.

ويقول تعالى: (كلا إذا دكت الأرض دكا) الفجر 21.

ويقول تعالى: (فإذا جاءت الصاخة. يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) عبس 33ـ 37.

فهناك مظاهر ترتبط بالطبيعة. فلا الجبال تبقى جبالا. ولا السماء تبقى سماء وكذلك كافة معالم الأرض والكون المادي تتغير وتنقلب.

وهناك مظاهر ترتبط بالإنسان. فالأجداث تخرج من القبور. ويتساءل الإنسان عما بعثه وعمن بعثه ولم يخرج مرة أخرى إلى الحياة؟.. وبعد هذا الاندهاش والانبهار والتعجب ينتشر الناس ملايين ملايين كل منهم يبحث عن مصيره، عن شأنه الخاص الذي يعنيه ولا يعني غيره. فأقرب الناس إليه لا يعرفهم أو لا يتعرف ولا يريد أن يتعرف عليهم. فلا نفس تغني عن نفس شيئا.

ولهول هذا اليوم لا تستطيع المرأة الحامل تحمّل مشاهده، فتُسقِط لو شاهدته، وتنهار. أما الناس فهم كالمخمورين يترنحون من هول الصدمة، وعظمة ما يشاهدون، من مظاهر لم يألفوها. ولم يعهدوها في حياتهم الدنيا، بهذه العظمة وهذه المشاهد. وقد أفرد سيد قطب كتابا خاصا بعنوان مشاهد القيامة في القرآن الكريم. عرض فيه كافة تلك المشاهد الأخروية وذلك من خلال سور عديدة في القرآن الكريم. وقد سبقه إلى الكتابة في مثل ذلك السلف الصالح من العلماء المسلمين البارزين وكذلك من جاء بعدهم. وأبرزهم كان الإمام القرطبي الذي كتب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وابن القيم الجوزية في كتابه الروح. وغيرهما الكثير الكثير.

استطراد

يمر معنا في بعض أسفار التوراة نصوص لأنبياء بني إسرائيل تشير إلى يوم عظيم هو أشبه بيوم القيامة. ولا يستطيع المرء أن يجزم أن هذه الإشارات ليوم القيامة، لأن ما فيها أيضاً يشير إلى خصوصية هذا اليوم لبني إسرائيل، وإله بني إسرائيل. ولذلك يحار المرء في هذه الأوصاف، ولا يستطيع الجزم بها ومثل ذلك ما يقوله إشعيا: (هو ذا الرب يخلي الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها.) إشعيا 24: 1ـ 2.

ويقول: (ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة. والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ. لأن ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت، انسحقت الأرض انسحاقاً. تشققت الأرض تشققاً. تزعزعت الأرض تزعزعاً. ترنحت الأرض ترنحاً كالسكران وتولولت كالعرزال. وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم) إشعيا 22: 18ـ 20.

وإلى هذا الحد من النص نرى التوافق كبيراً بين ما قاله القرآن الكريم وما قاله النبي إشعيا في التوراة.

ثم يتابع القول: (ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء في العلاء. وملوك الأرض على الأرض. ويجمعون جميعاً كأسرى في سجن. ويغلق عليهم في حبس ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون ويخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم وقدام شيوخه مجد) إشعيا 24: 21ـ 23.

ويقول متابعاً: (ويقال في ذلك اليوم هو ذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه. لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل. ويداس موآب في مكانه كما يداس التبن في ماء المزبلة. فيبسط يديه كما يبسط السابح ليسبح فيضع كبرياءه مع مكايد يديه. وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه يضعه يلصقه بالأرض إلى التراب) إشعيا 25: 9ـ 12.

ونبوءات إشعيا تقترب جميعها من هذا الخط النبوي. فهي تحذر من يوم قادم. هوله عظيم. ومعالمه شديدة التغيير قياساً بما شاهده بنو البشر.

لكن الملاحظ أن كتبة التوراة يخلطون ما هو مرتبط بيوم القيامة بيوم خاص لإلههم وتجلياته على جبل صهيون.

ويطالعنا مثل ذلك في نبوءات دانيال، وقد أشرنا إلى ذلك في صفحات سابقة حيث يقول: (في ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك، ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت ينجّى شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر، وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور) دانيال 13: 1ـ 3.

ولا تبتعد نبوءات بني إسرائيل كثيراً عما استقاه المسيحيون البروتستانت الذين فسروا التوراة تفسيراً حرفياً.

فهم يعتقدون أن حرباً كونية ستقع يطلقون عليها (هرمجدون) يقاتل فيها الرب ضد الكفار وينزل المسيح المنتظر ويقيم مملكة الله على الأرض. ويرون أن أنسب مكان لقيام حرب هرمجدون هو (فلسطين).

وتقضي النبوءة الإنجيلية بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه وذلك تمهيداً لبناء مملكة الله على الأرض[1]

وفي التلمود نصوص تشير بشكل ما إلى الجحيم والنعيم وليس إلى يوم البعث والقيامة تحديداً.

ويرى اليهود السامريون أنّ في توراة موسى نصاً على يوم القيامة. وأن العبرانيين حرفوه إلى يوم جزاء. قد يكون يوم القيامة وقد يكون يوماً من أيام هذه الحياة الدنيا. وهذا النص موجود في سفر التثنية بقوله: (أليس ذلك مكنوزاً

---

(1) النبوءة والسياسة. غريس هالسل. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ومجلة رسالة الجهاد الليبية. ترجمة محمد السماك.

عندي. مختوماً عليه في خزائني في النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم) تثنية 32 :34.

يقول التلمود: (النعيم مأوى الأرواح الزكية. ومأكل المؤمنين في النعيم هو لحم زوجة الحوت المملحة كما علمت ويقدّم لهم أيضاً على المائدة لحم ثور بري كبير جدا كان يتغذى بالعشب الذي ينبت في مئة جبل.

ويأكلون أيضاً لحم طير كبير لذيذ الطعم جداً ولحم أوز لذيذ للغاية. أما الشراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم المعصور ثاني يوم خليقة العالم.) سنهدرين ص 8.

ولا يدخل الجنة إلا اليهود. أما الجحيم فهو مأوى الكفار. ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين.

ويرى التلمود أن الجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين والذين لا يختنون كالمسيحيين. الذين يحركون أصابعهم (يفعلون إشارة الصليب) يبقون هناك خالدين[1].

أما في القرآن الكريم وضوح للجحيم والنعيم. وتكثر الآيات الكريمة في الحديث عنهما

تشير الآيات الكريمة أن الله سبحانه يأمر بالنفخ في الصور فيقوم الناس جميعا من القبور متسائلين عن هذا اليوم العظيم. وتوضع موازين **القسط في** محكمة إلهية لحساب بني البشر على أعمالهم فمن كانت حسناته **أكثر من** سيئاته أدخل الجنة ومن كان كافراً يدخل النار.

---

(1) الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة د. يوسف نصر الله. صفحة 68ـ 69 دار القلم دمشق ط1 1987.

وفي الحديث عن الجنة والنار هناك مئات الصور الحسية حول ذلك. وهناك أمور غيبية لا يعلمها إلا الله سبحانه وقد أشار لها في آيات القرآن الكريم.

ويمكن أن نجمل بعض الصور الحسية والغيبية فيما يلي :

1ـ خلود أهل الجنة بما عملوا من حسنات وخلود أهل النار بما عملوا من سيئات.

2ـ في النعيم كل ما لذ وطاب وكل راحة نفسية وروحية وفي الجحيم أصناف من العذاب كثيرة ومتنوعة.

3ـ لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى فكل نفس بما كسبت رهينة. ولا تزر وازرة وزر أخرى.

4ـ دخول الجنة تصديق لوعد الله الذي وعده في الحياة الدنيا وكذلك الجحيم.

وهناك من الجزئيات الكثير فيما يتعلق بالنعيم والجحيم وقد أتت على ذكرها بعض الكتب الإسلامية وقد أشرنا إلى بعضها ككتاب مشاهد القيامة في القرآن الكريم. والتذكرة وغيرها....

وقد خلت التوراة من التفصيل فيما يرتبط بالجحيم والنعيم. بل هناك غموض كامل حولها وقد ربطت بعض نصوص التوراة العمل الحسن بطول العمر في الدنيا فلا جنة ولا جزاء على فعل الخير.

ففي الوصية التي هي أكرم أباك وأمك قرنت الطاعة بوعد طول الحياة فحسب ولا جزاء من الله في يوم الآخرة.

وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم أحرص الناس على الحياة الدنيا بسبب قلة أيمانهم بل كفرهم بالله ويوم الآخرة.

يقول تعالى: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) البقرة 94- 95.

(ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) البقرة 96.

ويقول تعالى: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) البقرة 111.



الفصل السادس

تطور العقيدة اليهودية
على يد الأحبار والفلاسفة
من التحريف إلى الإلحاد



تطور العقيدة اليهودية على يد الأحبار والفلاسفة

خضع تطور العقيدة اليهودية لظروف كثيرة، منها ما هو على الصعيد الذاتي اليهودي، ومنها ما هو على صعيد المؤثرات الخارجية المادية والثقافية.

فبعد أن سمح كورش مللك الفرس لبعض أتباع اليهودية بالتسرب إلى فلسطين وجد أحبار اليهود أنه لا بد من تطوير في العقيدة اليهودية حتى تتناسب والظروف الجديدة والمستجدة.

لقد مكث اليهود في السبي البابلي ما بين 50 ـ 70 عاما كانت كفيلة بأن تصنع في النفسية اليهودية تأثيرا واضحا. إن كان ذلك في العقيدة أو السلوك أو الفكر أو كان في طبيعة القوانين الحياتية والتشريعية وما إلى ذلك.

لقد تأثر المسبيّون بمعتقدات أهل بابل والفرس وانحاز بعضهم كليا إلى آلهة هذه الأقوام الوثنية. وحاول أنبياء التوراة الإصلاح في عقيدتهم. لكن طبيعة الشخصية اليهودية المتقلبة، جعلت من الصعب محو الآثار العقيدية الجديدة من نفوس اليهود.

ولذلك وجد بعض المصلحين اليهود أنَّ دمج الحس العقيدي بالحس السياسي، أمرٌ لا مفر منه لاستعادة وحدة المشتتين وعقيدتهم. فالعودة بالعقيدة اليهودية، يستدعي عودة إلى الروح المتوثبة نحو استعادة استعمار القدس، الرمز الذي كان فيما سبق مجداً لبني إسرائيل وملكهم حسب التوراة. وابتدأ الأنبياء

التوراتيون الجدد، والمصلحون الدعوة للعودة إلى فلسطين حيث يقام الهيكل مرة ثانية ويعود مجد رب الجنود إلى سابق عهده يرعى شعبه المختار ويعيد بناء دولته المنقرضة.

ولعب الكهنة دورهم في تغذية الشعور بالعودة لدى جماهير المسبيين.. إذ أن العودة تعني المملكة الواحدة. وتعني المجد وتعني الحرية وتعني الانعتاق حسب ما يظنون.

وحسب ما تشير إليه نصوص التوراة فإن الكاهن يصبح في وقت من الأوقات قائدا دينيا وسياسيا. فهو يشرّع وهو يوجه الجمهور إلى قضايا سياسية تخصّه وتخص مكانته والأرض التي ينزل عليها.

لقد عاش آخر أنبياء التوراة في القرن الخامس قبل الميلاد وقد أوردت التوراة آخر سفرين باسم حجي وزكريا. وبعدهما لم يعد هناك أنبياء، وهذا يعني أن دوراً جديداً سيلعبه رجال جدد ليسوا أنبياء إنما هم كهنة وأحبار.

وقد أشارت التوراة إلى فقدان شعب إسرائيل للأنبياء وذلك في المزمور 74 الذي قال أكثر الباحثين إنه أُلِّف في القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد وقد جاء فيه (آياتنا لا ترى. لا نبي بعد. ولا بيننا من يعرف حتى ومتى) المزمور 74.

في هذه الفترة قام اللاهوتيون اليهود بإجراء تطهير فريد من نوعه، فانتقوا من بين المؤلفات النبوية القديمة التي تجمعت خلال قرون، تلك التي كانت برأيهم تستحق ذلك أكثر من غيرها. أي التي كانت تنسجم أكثر من غيرها مع المذهب الأرثوذكسي اليهودي الذي كان قد توطدت معالمه إلى حينه. وهكذا كان ما يسمى بقانون الأنبياء (أي طاقم الكتب النبوية التي تم اعتبارها أسفارا مقدسة) قد تكوّن هو أيضاً بشكل أساسي في أوائل القرن الثاني[1].

---

(1) احمد يوسف. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ص 266. ترجمة آحو يوسف م. ريجسكي.

وبدءا من القرن الثاني ق.م انتشر بين اليهود على نطاق واسع نوع خصوصي من المؤلفات الدينية يسميه دارسو التوراة المعاصرون (Pseudoepigraphe) أي التوقيع الكاذب. حيث كان مؤلفو تلك الأعمال يستخدمون بطيبة خاطر الأسلوب الأدبي للأنبياء القدامى المناضلين من أجل ديانة (يهوه). وكان الدافع وراء ذلك الخوف من المراجع اللاهوتية. أنه لم يعلن المؤلفون عن أسمائهم بل نسبوا ما كتبوه إلى الأنبياء القدامى.

وهذه الأعمال تختزن في نفسها قيمة مهمة، وهي أنها تفصح عن تطور العقيدة اليهودية في القرنين الثاني والثالث قبل المسيح. والتي تجلت من خلال الصراع الذي حدث بين المسيح عليه السلام وبين أتباع العقيدة اليهودية.

وقد فسح الظرف الجديد ـ أي قبل بعثة المسيح عليه السلام ـ لرجال الكهنوت اليهودي أن يصبحوا المرجع الديني والسياسي لعامة اليهود. وهؤلاء الرجال أطلقوا على أنفسهم كهنة ومفردها كاهن. وراحوا يغيرون كثيرا من المفاهيم العقيدية اليهودية، ويفسرون التوراة تفسيرات مغايرة لمقاصدها، على الرغم من تحريف كلامها من موضع لآخر كما أشار لذلك القرآن الكريم في بعض آياته.

وفي هذا الظرف أيضاً، برزت بشكل واضح كتابات جديدة أطلقوا عليها التلمود. وقد اجتهد أحبار اليهود وكهنتهم في التفسير، فأخرجوا تلمودين أطلق على أحدهما التلمود البابلي وأطلق على الآخر التلمود الأورشليمي. وقد اعتمد اليهود بشكل أساسي على التلمود البابلي باعتباره الأوسع في الأحكام والأوسع في الشرح.

وقد انقسم التلمود إلى مشنا وجمارا. أي إلى سند ومتن. ويقال إن الجمارا أصبحت تنوء بحملها الجمال لكثرة ما ألف فيها وما شرحه الكهنة من نصوص المشنا.

وقد تناول التلمود نظرة اليهود لغيرهم من البشر. وتعاملهم بين بعضهم. وامتلأ بالقوانين البشرية كالزواج والطهارة والأعياد..... وبالقوانين الزراعية والصناعية ولكن الأهم من ذلك كله، طور النظرة العقيدية للدين اليهودي. وجاءت التفسيرات واسعة جدا حتى يكاد يكون التلمود كتابا عقيديا جديدا يختلف عن التوراة جذريا.

التوراة وتعدد نسخها المختلفة :

عندما دونت التوراة في زمن السبي البابلي، فإنها كتبت حسب ما قاله أكثر المؤرخين باللغة العبرانية المستندة على الحرف الآرامي المربع. ولكن دراسة التوراة بشكل دقيق أوصل الباحثين إلى أن التوراة كتبت بثلاث لغات، وصلت إلى العصر الحديث وهي التوراة السامرية. والتوراة العبرانية. والتوراة اليونانية.

والتوراة السامرية نسبة إلى السامرة التي تقع بجوار مدينة نابلس في فلسطين.

السامريون لا يؤمنون بالتوراة التي دونت من تسعة وثلاثين سفرا، إنما يعتقدون أن التوراة هي أسفار موسى الخمسة وهي التكوين. والخروج، والعدد. واللاويين، والتثنية. ويرون أن ما عدا هذه الأسفار ليس منزلا من قبل الله على موسى إنما دوّن تاريخ بني إسرائيل ولذلك فالأسفار الباقية ليست مقدسة ولا يعترف عليها.

والتوراة السامرية لم يعرف عنها شيء إلا القليل، حتى عام 1584 إفرنجي عندما عثر العلامة سكاليجر في القاهرة على تقويمين للسامريين. كما وجد في غزة مخطوطات خاصة بهم. فوضع على إثر ذلك أول رسالة علمية في السامرة وتاريخها وتقاليدها. وبعد ذلك بحوالي نصف قرن. نشر عالم إيطالي النص الأصلي لنسخة التوراة الأصلية كان قد عثر عليها في دمشق. فأثار نشرها

اهتمام المحققين وكتبوا عنها البحوث المطولة، ولا يزال النقّابون يعثرون بين حين وآخر على آثار وكتابات سامرية قديمة، فيها ما يلقي ضوءا جديدا على تاريخ هذه الطائفة التي استطاعت أن تحافظ على كيانها مدة زمنية طويلة.

وقد ترجمت التوراة السامرية من قبل الكاهن السامري أبو الحسن إسحق الصوري.

أما التوراة اليونانية أو السبعينية فقد دوّنت في عهد بطليموس فيلولفاوس 285 ـ 247 ق. م. وترجمت من العبرانية إلى اليونانية. وقد قام بالترجمة اثنان وسبعون عالما من علماء اللاهوت اليهود، وانتهي منها في إثنين وسبعين يوما. وكان اليهود الذين تسربوا إلى فلسطين يعتبرونها مزيفة. لكثرة التحريفات، والزيادة التي جاء بها النسّاخ. وحسبوا اليوم الذي تمت فيه ترجمتها يوم نحس بالنسبة لهم. وهي تحتوي على أسفار الأبوكريفا. أي الأسفار المنوعة أو غير القانونية.

ويرى سايكل سل (أنها وضعت ثلاث ترجمات يونانية في سبيل تصحيح الترجمة السبعينية. وهي:

1 ـ ترجمة أكيلا. وكان قد اعتنق المسيحية. غير أن ترجمته هذه كانت حرفية لدرجة أنها جاءت غير صحيحة.

2 ـ ترجمة سيماغوس. وهو يهودي تنصر إلا أنه بقي محافظا على شريعة موسى. وقد وضع ترجمته بلغة يونانية أنيقة.

3 ـ ترجمة ثيودوسيوس. وكانت تنقيحا للترجمة السبعينيه، على أساس النص العبري الصحيح.

وقد ظهرت ترجمات أخرى للتوراة بعضها شبيه بالعبري، وبعضها شبيه باليوناني. منها:

1 ـ الترجمة السريانية وهي المعروفة بالبشيتا وهي مشابهة للسبعينية

2 ـ الآرامية وهي المعروفة باسم (ترجوم) وأهم الأقسام فيها ترجمة أنكيلوس المتهود، لأسفار موسى الخمسة. وترجمة يوناثان لأسفار الأنبياء وهي مشابهة للأصل العبري)

3 ـ اللاتينية وهي المعروفة باسم (فولجات) وهي الترجمة الرسمية للكنيسة الرومانية وقام بها (إيرونيموس)

وتختلف هذه الكتب فيما بينها في مسائل كثيرة أما اختلافاتها في مسائل العقيدة فتبرز في مسألة خلق الله للسماوات والأرض.

ففي التوراة العبرانية (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع) تكوين 2: 2

وفي السامرية: (وكمل الله في اليوم السادس صناعته التي صنع)

وتختلف التوراة السامرية عن العبرانية، في الحديث عن الزمن الذي يفصل بين الأنبياء، وفي بعض الأماكن التي ورد اسمها مغايرا كما في التوراة العبرانية. ثم تختلفان في المكان المقدس الذي يجب أن يتجه اليهود إليه. ففي السامرية يجب أن يتوجه اليهود نحو جرزيم وهي قرب نابلس، بينما اليهود الآخرون يعتبرون عيبال المكان المقدس الذي يجب التوجه نحوه وقد ورد في ذلك في التوراة العبرانية.

وترى التوراة العبرانية (فنزل الرب في السحاب) بينما في السامرية (وانحدر ملاك الرب في الغمام).

وهناك اختلافات أخرى بين التوراة العبرانية والتوراة اليونانية وهي كثيرة في الألفاظ وتوجد زيادات هنا ونقص هناك أم ما يتعلق بأمور العقيدة فنرى ما يلي:

تقول التوراة العبرانية (وكلم الرب موسى قائلا: إصنع لك بوقين من فضة مسحولين تعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلاّت. وإذا ضربتم هتافاً ثانياً ترتحل المحلات النازلة إلى الجنوب هتافاً يضربون لرحلاتهم) عدد 10: 1 ـ 6.

وعقب الآية السادسة في اليونانية هذا النص: وإذا نفخوا مرة ثالثة يرفع الخيام القريبة للارتحال. وإذا نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال) وهذا لا يوجد في العبرانية.

ومن أمثلة ذلك في العبرانية (أن الرب التقاه) خروج 4: 24 وفي اليونانية أن ملاك الرب التقاه. وكثيرة هي الاختلافات.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن بني إسرائيل واليهود قد حرفوا الكلم عن مواضعه في عدد من الآيات والمواضع.

يقول تعالى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّا بألسنتهم وطعنا في الدين.) النساء 46.

ويقول تعالى: (....ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه...) المائدة 41.

والتوراة المعتمدة لدى غالبية اليهود اليوم هي التوراة العبرانية المحرفة التي تجمع أسفار موسى عليه السلام مع بقية الأسفار في ما يسمى العهد القديم أو التوراة.

الفرق والمذاهب اليهودية والرؤية المختلفة في العقيدة

من المعروف أن النبي سليمان عليه السلام ترك بعد موته فئتين متناحرتين.

الفئة الأولى كانت في بعض مناطق القدس، وتسمى المملكة **الجنوبية**. والفئة الثانية وجدت في منطقة قرب نابلس، تسمى السامرة أطلق عليها جزافا المملكة الشمالية. وأدى التناحر بين الفئتين إلى اختلاف في العقيدة. حيث اعتمد السامريون توراة موسى أو كما يسمونها أسفار موسى الخمسة، بينما اعتمد الجنوبيون التوراة العبرانية. وبعد أن طوِّرت هذه التوراة وزيد عليها بعد السبي البابلي ظل السامريون يعتمدون توراتهم الموسوية بينما أصبحت التوراة الأخرى العبرانية تضم تسعة وثلاثين سفراً، اكتملت كتابتها قبل ميلاد المسيح عليه السلام ببضع مئات من السنين. ولأسباب سياسية وأخرى عقيدية، برزت للوجود فرق يهودية ومذاهب مختلفة، كل فرقة تفسر التوراة حسب مفاهيمها وحسب المؤثرات الداخلية والخارجية فيها.

وقد عُرف من هذه الفرق والمذاهب

1ـ السامريون

2ـ القراؤون

3ـ الفرّيسيون ـ الكتبة

4ـ الصدوقيون

5ـ الأرثوذكسيون ـ المتعصبون

6ـ فرق أخرى

وعرف من بين الفئات المذهبية عدد كبير أيضاً من هذه المذاهب :

1ـ مذهب علماء التنائيم، الأمورائيم، السبورائيم، الغاؤونيين، سورا وعلماء فومبديثه.

أما السامريون فينتسبون إلى السامرة، ولا يؤمنون سوى بأسفار موسى الخمسة.

والفرّيسيون طائفة من الكتبة تدّعي غيرتها على شريعة موسى وقد كانوا ألد أعداء المسيح عليه السلام، لأنهم كذابون على الله وعلى الناس والكتبة وسموا بذلك لأن عملهم كتابة الشريعة والتشريع وهم متّهمون بالتحريف. وقد عرف الفرّيسيون بأنهم من حرف في التوراة لأجل مصالحهم الدنيوية.

والصدوقيون. وهم من الفرق اليهودية التي لا يؤمن أتباعها بقيامة الأموات وينادون بفصل الدين عن السياسة.

وقد صنف الشهرستاني لبعض الفرق اليهودية كالعيسوية واليوذعانية والعنانية. والعيسوية ونُسبوا إلى أبي عيسى إسحق بن يعقوب الأصفهاني. وكان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في أواخر العصر الأموي. وقد ادّعى اليهود له معجزات وكرامات. وقد زعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر. وزعم أن للمسيح خمسة رسل يأتون قبله واحدا بعد واحد. وزعم أن الله كلّمه، وكلّفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم والعاصين والملوك والظالمين. وحرم في كتاب له، الذبائحَ كلها ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق طيراً كان أو بهيمة. وأوجب عشر صلوات. وأمر أصحابه بإقامتها وذكر أوقاتها. وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة)[1].

أما اليوذعانية أو المقاربة. فقد نسبوا إلى يوذعان من همدان وقيل كان اسمه ياهودا. كان يحث على الزهد وتكثير الصلاة وينهى عن اللحوم والمسكر. وكان يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً. وخالف بتأويلاته عامة اليهود. وخالفهم في التشبيه ومال إلى القدر وأثبت الفعل حقيقة للعبد وقدر العقاب والثواب عليه وشدد في ذلك. ومنهم الموشكانية أصحاب موشكان. وكان على مذهب يوذعان غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال

(1) الشهرستاني. الملل والنحل الجزء الأول صفحة 217 ـ 218.

معهم. وذكر عن جماعته من الموشكانية أنهم أثبتوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود لأنهم أهل ملة وكتاب.

وزعمت فرقة من المقاربة أن الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بواسطة ملك اختاره. وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم وقالوا كل ما في التوراة وسائر الكتب من وصف الله تعالى، فهو خبر عن ذلك الملك وإلا فلا يجوز أن يوصف الله بوصف. وقالوا إن الذي كلم موسى تكليما هو ذلك الملك وتعالى الله عن أن يكلم الله أحدا من البشر. وقيل أن (بنيامين النهوندي قرر لهم هذا المذهب وأعلمهم أن الآيات المتشابهات في التوراة كلها مؤولة. وأنه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر. ولا يشبه شيئا من المخلوقات. ولا يشبهه شيء منها)[1].

أما الفرقة العنانية، فتنسب إلى رجل اسمه عنان بن داود. وهذه الفرقة تخالف اليهود في السبت والأعياد. وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد ويذبحون الحيوان على القفا ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وإشاراته ويرون أنه لم يخالف التوراة البتة بل قررها ودعى الناس إليها. وهو من بني إسرائيل المتعبِّدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام. إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته.

وقد أسس عنان فرقة القرائين التي ظهرت زمن الخليفة العباسي جعفر المنصور. ومن تلامذة عنان أخوه حنانيا وعمه سلمون بن حسداي. وقد رفض عنان التلمود، ويرى أن التوراة وحدها التي لها القدسية، وليس للتلمود أية قدسية، إذ هو بدعة ابتدعها الحاخامون ولفّقوها، وقد قالوا للناس بأنها شريعة شفوية حيث طلبوا منهم أن يؤمنوا به ويقدسوه. وقد كتب عنان في اليهودية

(1) الشهرستاني. الملل والنحل الجزء الأول صفحة 216.

كتاباً اسمه (سفرها مصفووت) أي كتاب الفرائض وقد استعمل فيها اللغة الآرامية لأنها اللغة الطاغية في التلمود. وقد جعل التوراة مصدره الوحيد فيه.

ولعنان آراء في العقيدة اليهودية وعبادتها. وعندما مات خلفه الحاخام بنيامين بن موسى النهاوندي ت 860 إفرنجي. ويعتبر النهاوندي الرجل الثاني في القرّائين.

وقد تعرض القراؤون لهجوم شرس من قبل التلموديين واتهموهم بالخروج على اليهودية وسمّوهم بالخوارج وظل الجدال قائماً بينهم إلى وقت متأخر.

ويلاحظ أن القرّائين قد تأثروا بالثقافة الإسلامية حتى أن التلموديين قد اتهموهم بهذا التأثر. وكان أحد أسباب تأثرهم بالفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية عموماً هو أن فرقتهم كانت بحاجة إلى قاعدة كلامية وفلسفية تعتمد عليها وتركن إليها في رد هجوم التلموديين ونقدهم لهم فكانوا أن وجدوا مبتغاهم في الفكر الإسلامي ومدارسه[1]. وقد حدثت صراعات بين التلموديين والقرّائين على مدى قرون عديدة.. فحصلت نزاعات بينهم في إسبانيا وبيزنطة وتركيا وبولنده. وفي روسيا حدثت نزاعات بين الفرقتين حتى فترة متأخرة وكان زعيم القرّائين في روسيا إبراهيم فرقوفيتش الذي توفي عام 1874 إفرنجي قد نادى بإبعاد التلموديين عن الحدود الروسية ، وذلك من أجل إيقافهم عن التهريب والمتاجرة في السوق السوداء كما قال. واقترح على الحكومة الروسية أن تغريهم بالزراعة وتبعدهم عن التجارة والصناعة حين اتهمهم بالغش والخداع ، وقبل الكيان الصهيوني في فلسطين كان القراؤون بأعداد كبيرة في شبه جزيرة القرم وبولندا وتركيا ومصر وبأعداد أقل في إيران والعراق[2].

(1) جعفر هادي حسن. مقال في جريدة الحياة 197/1/13. اليهود القراؤون.

(2) جعفر هادي حسن. مقال في جريدة الحياة 197/1/13. اليهود القراؤون.

أما في المسائل العقيدية والتشريعية فيختلف القراؤون عن التلموديين الأرثوذكس في الزواج والطهارة والطلاق لاختلافهم في قضايا الألوهية والنبوة.

فالكنيس القرائي يختلف عن الكنيس الأرثوذكسي التلمودي، إذ لا توجد فيه كراس بل عادة ما يكون مفروشاً ببسط تتسم بسمة شرقية من أجل أن يسجد عليه القرّائي. وقبل الدخول إلى الكنيس ينزع القرّائي حذاءه. وهم بهذا يختلفون عن التلموديين الذين يصلون بأحذيتهم[1].

أما طبقات العلماء فقد عرف من اليهود طبقة (التنائيم) الذين شرحوا أحكام التوراة ودوّنوا قوانينها وبوّبوا شرائعها في المشنا. وكان على رأسهم الحبر الأكبر يهودا بن شمعون الملقب بالربن الأقدس175 ـ 220م. إفرنجي. ثم نشأت طبقة ثانية من الأحبار يعرفون بالأمورائيم أي الأساتذة المحدثين. وأخذوا يدرسون المشنا ويعلقون عليها التعليقات الإضافية ويشرحون متونها شرحاً وافياً. وقد جمعت هذه التعاليم فيما يسمى التلمود الأورشليمي. وقد فرغوا منه في أواخر القرن الثالث الميلادي.

وقد نشأت مدارس يهودية فقهية في العراق بعد أن هاجر اليهود إلى العراق بسبب ضغط الرومان عليهم في بلاد الشام ومن هذه المدارس مدرسة (سورا) بجوار الحلة وفي. (فومبيديثة) بجوار الأنبار. وهناك استطاع (الأمورائيم) أن يتوسعوا في شرح (المشنا). فيما يسمى التلمود البابلي. ومن مشاهير أحبار اليهود في ذلك، الحبر (أبا أريخا) مؤسس مدرسة (سورا) المتوفى سنة 247م والحبر (مار صموئيل) الفلكي 165 ـ 275 م مؤسس مدرسة (فومبديثه) وكان ختام التلمود البابلي سنة 499م بعناية الحبرين (آش) المتوفى 427م و(ربينة بن هناء) المتوفى سنة 490م وبهما انتهى دور الأمورائيم.

---

(1) جعفر هادي حسن. مقال في جريدة الحياة 197/1/13. اليهود القراؤون.

ثم جاء دور العلماء المسمين بالسبورائيم أي الأساتذة الشارحين واستمر نشاطهم العلمي في سورا وفومبديثه من سنة 500 ـ 550م وعلقوا على التلمود ونظموا أبوابه ثم جاءت طبقة أخرى تسمى الغاؤونية وكانت أهم أعمالهم إصدار الفتاوى الدينية ليهود الشرق والغرب[1].

الفلاسفة ودورهم في تطوير العقيدة اليهودية

عرفت العقيدة اليهودية تطوراً ملحوظاً مستمراً منذ نشأتها الأولى، وحتى وقتنا الحاضر، وكما لعب الأحبار دورهم في هذا التطور فقد لعب الفلاسفة دوراً مهماً أيضاً في تطوير كثير من القضايا العقيدية اليهودية. وقد اشتهر من بين فلاسفتهم فيلون السكندري. وموسى بن ميمون. والسموأل بن يحيى المغربي وغيرهم.

أما فيلون الإسكندري فقد أسس قنطرة الاتصال بين الدين والفلسفة وقد ولد في السنة العشرين ق.م وتوفي بعد ذلك بنحو سبعين سنة.

وقد تأثر فيلون بالفلسفة اليونانية، والمعارف المصرية في عصره وأهم ما تعلمه أن الله ذات من عقيدة اليهودية وتعلم من الفلسفة اليونانية أن الله عقل مطلق مجرد من ملابسات المادة.

فلم يقبل الصفات والأنباء التي أسندت إلى الله في كتب اليهود، بدلالتها الحرفية، ونصوصها الظاهرة، ولم يستطع أن يجاري الفلاسفة في عزلهم بين الله ومخلوقاته، ورفعهم عناية الله من الاشتغال بأحوال هذه المخلوقات. إلا أنه كان على اقتناع بتنزيه الله عن صفات التشبيه والتجسيم. وكان يرى أن عقل الإنسان لن يستثبت من صفات الله شيئا غير أنه موجود. ولكنه في وجوده

(1) أحمد حجازي السقا. نقد التوراة أسفار موسى الخمسة صفحة 42 ـ 43.

الكامل المطلق أعلى من أن تحده صفة تدركها العقول)[1].

وهو لا يرفض كتب الأنبياء ولكنه يقبلها على المجاز والرمز. ويقول إنها تنطوي على حقيقة أعمق من الحروف والنصوص. يفهمها المستعدون لها على درجات.

وكان فيلون يرفض أقوال الرواقيين التي تشبه القول بوحدة الوجود، وتجعل الله من العالم والعالم من الله. وكان يرفض مبدأ أرسطو في تجريد الله عن العمل للمخلوقات وزعمه أن كمال الله يقتضي هذه التجريد. ويرفض كذلك زعم الزاعمين أن الله لا يحتويه مكان أو زمان لأنه محيط بكل مكان وكل زمان ويرفض من يزعم أن الله لا يستجيب للصلاة لأن الصلاة أصل من أصول العلاقة بين الإنسان والله.

وقد كان مذهب فيلون مبدأ ثورة دينية في بني إسرائيل، فتابعه أناس في التأويل والتغيير، وقد أدت فلسفته إلى انشقاق بين اليهود القرّائين واليهود التلموديين فيما يتعلق بإجازة تفسير النصوص أو عدم إجازة تفسيرها.

أما موسى بن ميمون، الذي ولد في قرطبة عام 1135ـ وتوفي عام 1204 إفرنجي. فقد جاء في وقت بلغ الجدل أوجه بين القرائين والتلموديين. واطّلع بن ميمون على الفلسفة الإسلامية واليونانية وتأثر جدا بصوفية محي الدين بن عربي. فألّف كتابه المشهور دلالة الحائرين. وتناول فيه مسائل الفلسفة ببعض التفاصيل. ولاسيما مسألة الذات والصفات. ومسألة المعاني والنصوص. ويرى ابن ميمون أن الله صورة العالم وسبب وجوده. ويقول بحدوث العالم ولكنه يرى أن إثبات الحدوث بالبرهان عسير. أما الملائكة فإنه يرى أنهم موجودون بدليل النص. وأن وجودهم لا يمنعه العقل. ويقول موسى بن ميمون: (الاعتقاد بأن الله

---

(1) عباس العقاد الله ص 164 ـ 165.

ليس جسما لا يعارض المعتقدات التي تقوم عليها الشريعة. في حين أن الاعتقاد بقدم العالم يقضي على أساس الشريعة)[1].

وقد ظهر فيلسوف آخر في الأندلس هو سليمان بن جبيرول الـذي ولـد في مالقة سنة 1020 إفرنجي وألّف كتاب ينبوع الحياة وربما كان له أثر في توجيـه سبينوزا أكبر فلاسفة اليهود ومن أكبر فلاسفة الغرب على العموم.

وهناك فيلسـوف عربـي يديـن باليهوديـة إسمـه اسحق الإسرائيلي بـن سليمان كان في القيروان. وقد أنكر عليـه ابـن ميمـون اسـم فيلسـوف وأكـد أنـه طبيب فقط. ولكن أفكاره المبثوثة في مؤلفاته الفلسفية تؤكد أنه فيلسوف يـهودي على الرغم من أن تأثيره فيمن أتى بعده كان ضعيفـا. يقـول إن المـادة والصـورة تصدران عن الله. وهما يولدان العقل. ومن العقل ينبثق عالم النفوس. أي النفس العاقلة والحيوانية. يأتي بعد كل هذا عالم الكواكب ثم عالم ما تحت القمر مـع العناصر الأربعة ومكوناتها. والوجود حدث بالفيض أي بواسـطة فعـل ضـروري تحتل فيه النفس العاقلة أعلى المراتب لأنـها تصبـو دومـا إلى الاتصـال بـالعقل وبلوغ الكمال[2].

بعض الطوائف اليهودية المعاصرة ودورها في تشعب العقيدة اليهودية

من المعروف أن اليهود تشتتوا في كل بقاع العالم، وأوجدت كل فئة منهم مرجعية دينية حاخامية، تعود إليها في مسألة العقيدة والفكر والتوجه السياسي والاجتماعي وأكثر الفرق بروزا في هـذا فرقـة الحسـيدية وفرقـة حـراس المدينـة (ناطوري كارتا).

---

(1) موسى بن ميمون. دلالة الحائرين الفصل 25 ص 2.

(2) موسوعة أعلام الفلسفة. إعداد روني ايلي الفا ود. جورج نخل ص 86 الجزء الأول.

فالحسيدية انتشرت بداية على حدود بولندا وقد أدت عدة عوامل لظهور هذه الطائفة أهمها جفاف النظام التعليمي التلمودي ومؤسس هذه الحركة هو إسرائيل اليعيزر ويرى المحللون أن الطائفة الحسيدية كانت دعوة شاذة لأسلوب في الحياة. وقالت تنظيرات الطائفة إن عمل الإنسان مهما كان نوعه هو عمل مقدس. وقد دخلت في الحسيدية خرافات كثيرة، منها إصرارها على أن القوة المقدسة كامنة في حروف الرب (يهوه) وإيمانها بظهور المسيح وتأكيدها الخاص بوجود الملائكة وعبادتها. وأهم ما يميز صلاة أفراد هذه الطائفة الصلاة المرحة بصورة مخيفة، والصخب والرقص العنيف الانتشائي. والتمادي في الشراب. وتجيز الطائفة الحسيدية الصلاة في أي مكان. وترى أن الأهمية لا تكمن في إقامة الشعائر، بل في الصحوة الداخلية التي تسعى إلى البحث عن الذاتية)[1].

ويسمى زعيم الطائفة الصِديق وليس الحاخام. وتؤكد هذه الفرقة أن الخلاص يبدأ بالسلوك اليومي للإنسان الذي يسبق الخلاص الإعجازي.

وأصبحت الهجرة إلى فلسطين تجسيد العلاقة بين خلاص الفرد وخلاص الشعب. والصِديق، أي الزعيم الروحي لهذه الطائفة له القدرة على إلغاء الأحكام الإلهية. فهو تحل عليه روح القدس ومكانته تفوق مكانة الملائكة. ويطلق عليه اليوم في الكيان الإسرائيلي اسم (أمور) وتعني سيدنا وأستاذنا ومعلمنا.

ومن أهم الفرق الحسيدية فرقة (حبد) وقد عُين لها حاخامات ومن أهم الحاخامات لهذه الطائفة الحاخام مناحم شنيؤورس.

---

(1) د. رشاد عبد الله الشامي. القوى الدينية في (إسرائيل) عالم المعرفة الكويتية ص 246.

وله بعض الآراء الدينية البارزة في الحياة اليهودية. فهو يعارض الإجهاض وتشريح جثث الموتى. ويطالب بتعديل قانون من هو اليهودي؟ ويرى أن تعديله ضروري لبقاء العرق اليهودي نقياً. وينطلق من منطلق عنصري متعصب حتى في أوساط اليهود أنفسهم. وأهم ما يطرحه هذا الحاخام الإيمان بظهور المسيح المنتظر وقدوم الخلاص وأعلن عند توليه منصبه أن الفترة التي نعيشها هي الفترة التي يجب أن يأتي فيها المسيح[1].

ومن الفرق الدينية الهامة والمؤثرة في فهم العقيدة اليهودية فهماً مغايراً للتلموديين فرقة الطائفة الحريدية. فهم حسب زعمهم. وحدهم الذين يملكون الحقيقة لفهمهم واطّلاعهم على الكتب اليهودية المقدسة وبصفة خاصة التلمود، ويشنون حرباً ضد العلمانيين بقوة السلاح والمتفجرات ويعتبرون قتلهم لليهود الآخرين بأنهم يشنون عليهم حرباً مقدسة باسم الرب. وتتألف هذه الحركة من عدة جماعات حسيدية أهمها طائفة ذرية هارون. وطائفة ساطمر. والمدرسة الدينية اليشيفا. ولا تعترف هذه الحركة بالصهيونية بل وتشن حرباً عليها. وهي لا تشارك في الانتخابات ولا تتعامل اجتماعياً مع العلمانيين واليهود التلموديين الأرثوذكسيين.

أما حراس المدينة أو ناطوري كارتا. فهي أيضاً ناضلت ضد الصهيونية ولا تتعامل مع الدولة وترى أن إعلان (دولة إسرائيل) نقض أسس الشريعة اليهودية وللحركة مجلس توراة سباعي مؤلف من سبعة حاخامين يصدرون الفتاوى لأتباعهم من اليهود. ويعتبرون أن الصهيونية حركة تدنيس للشريعة اليهودية، ومناقضة لها. ويرون أنه ليس من واجبهم زيارة ما يسمى حائط

(1) د: رشاد الشامي. القوى الدينية في إسرائيل ص 283 سبق ذكره.

المبكى، أو البلدة القديمة من القدس أو منطقة أخرى جرت السيطرة عليها بالقوة لأن ذلك يعتبر تجاوزاً[1].

الحركات الانحرافية في العالم تفريخ يهودي مستمر

ليس عجبا أن نسمع بين الحين والآخر عن عملية انتحار جماعي يقوم بها أناس يثيرون العجب بما يطرحونه من أفكار وتساؤلات. ومن الواضح أن أكثر الجماعات تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية.

وأحدث التقارير تشير إلى وجود ما يقارب الألفي حركة من هذا القبيل. ولكل منها أفكارها ومعتقداتها وأساطيرها.

لقد كانت شبه القارة الهندية توصف بأنها مخزن الديانات والمعتقدات بسبب التنوع الجغرافي والسكاني والديني فيها ويقولون: إن أكثر من 600 فرقة وحركة تنتشر في الهند ولكل منها تعاليم ومعتقدات خاصة حتى برزت الولايات المتحدة الأمريكية في المقام الأول، من حيث عدد هذه الحركات وتنوع معتقداتها وخلفياتها الدينية.

والمدقق في تعاليم هذه الحركات الأمريكية المشار إليها يرى أن استنادها الديني الأول الذي ترتكز عليه مستقى مما تصدره تعاليم التوراة ورموزها. وهذا يعني الكثير الكثير ليس لدينا فحسب بل لكافة شعوب العالم على شتى دياناتها ومعتقداتها.

1 ـ جذورها في التاريخ :

منذ أن بدأ انتشار المسيحية في أوروبا، وتبني الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية دأب حاخامات اليهود على إدخال بعض التعاليم اليهودية

(1) د: رشاد الشامي. القوى الدينية في إسرائيل ص 283 سبق ذكره.

الغامضة وبعض التعاليم الأسطورية إلى العقيدة المسيحية الأوروبية حتى شقت الديانة النصرانية إلى مذاهب متصارعة، وقد حرص بعض رجال اللاهوت القادة والسياسيون الرومان على اضطهاد المذاهب المسيحية المخالفة لمذهب الإمبراطور وحاشيته. وقد جرت مذابح كبيرة وكثيرة بحق هؤلاء المسيحيين في القرن الثالث الميلادي وبعده.

أما في شرقنا الإسلامي فقد لعبت اليهودية الدور الأبرز في تشكيل الحركة البهائية في إيران في القرن الماضي وأخذوا ينقلون تعاليمها مع بداية هذا القرن إلى مناطق عالمية أخرى. واليوم نجد أن المركز الرئيسي للبهائية هو في فلسطين المحتلة وتحديدا في مدينتي حيفا وعكا. ويدعي زعماء هذه الحركة أن زعيمهم هو الباب أو الله. والله حل في زعيمهم الأول البهاء. وأهم التعاليم في البهائية تهديم العقيدة الإسلامية من خلال رفض القرآن ورفض النبوة.

ثم نشأت الحركة القاديانية التي بدأها الميرزا غلام أحمد في قاديان بالهند. وبمساندة القوات البريطانية الاستعمارية آنذاك، تطورت القاديانية، وطورت مفاهيمها حتى أصبح مركزها الأساسي في مدينة حيفا المحتلة ترعاها القيادة الصهيونية في الكيان المغتصب وتلقى البهائية والقاديانية رعاية فائقة من جانب البريطانيين والصهاينة. أما تعاليم القاديانية فتقوم على أساس أن الميرزا غلام أحمد هو مسيح المسلمين كما أن عيسى بن مريم مسيح بني إسرائيل. ويدعي صاحبها أن الله أنزل الوحي عليه بكتاب مثل القرآن. وتنتشر الحركة في كثير من دول أفريقيا وبعض الدول الأوروبية. كما تمدها الحكومة البريطانية بالمال والتبرعات والتسهيلات والانتشار. وغاية ذلك هو تهديم العقيدة الإسلامية.

ومع بدء القرن التاسع عشر راح زعماء اليهود وبشكل مدروس يؤسسون الحركات والتنظيمات الفكرية المعادية للأديان. وما إن حلت بداية القرن

العشرين، حتى وجدنا في العـالم منظمـات لا تحصـى ترفـع شـعارات ظاهرهـا الإخاء والمحبة والإنسانية وإلغاء التعصب وباطنها إزالة العقـائد والقيـم لاسـيما العقيدة الإسلامية ومن ثم تخريب العقل البشري ونفسيته وضياع الإنسان وجعله يعيش في فراغ روحي قاتل.

نشأت الحركة الشيوعية في روسيا على يد كبـار المفكريـن اليـهود حتـى قامت ثورة أكتوبر الشيوعية عام 1917 إفرنجي وكان قادتها من اليهود. ونشرت تعاليم الإلحاد في مساحات شاسعة من أوروبا الشرقية حتى وصلت هذه التعاليم إلى وطننا آلعربي والإسلامي.

ثم ظهرت الماسونية وانتشرت بشكل سريع في العالم. وتقوم تعاليمها على هدم العقائد والأديان وإنشاء الدولة العالمية تحت قيادة اليهود.

وفرخت الماسونية منظمات وحركات كثيرة كمنظمة بناي برث التي كـان عالم النفس اليهودي الشهير فرويد عضواً بارزاً فيـها. ومنظمـة البونـد. وأنديـة الروتاري التي باتت منتشرة في كثير من بلدان العالم وبعض البلدان العربية. وقد أشارت كافة الدراسات المتخصصـة إلى أن زعامـة هـذه الحركـات تقتصـر علـى اليهود.

ثم ظهرت حركة شهود يهوه كأشهر الحركات المرتبطة باليهودية والـتي تضم في صفوفها كثيرا من المفكرين والزعمـاء الغربيـين والأمريكـان وتدعـو هـذه الحركة إلى إقامة الهيكل اليهودي الثالث حسب ما يزعم أعضاؤهـا وذلـك بعـد تهديم المسجد الأقصى المبارك.

هذا باختصار شديد ما يمكن أن نشير له عـن جـذور الحركـات الهدامـة التي ابتدعها اليهود قبل أن تبرز الحركات الجديدة في أمريكا والغرب.

2 ـ أمريكا والوباء الحركي الهدام :

معروف لدى الجميع أن الغزاة الأوروبيين، احتلوا أرض الهنود الحمر قبل حوالي خمسمائة عام وأبادوا السكان الأصليين إبادة لم يشهد مثلها التاريخ. وحتى يشكل الرواد المستعمرون الأوائل دولة ومجتمعا جديدا فتحوا باب الهجرة على مصراعيه فذهب إلى القارة الجديدة أناس من كافة الأجناس والعروق. وكل منهم يحمل تراثا دينيا مختلفا ومعتقدات عقيدية وأسطورية. تراكمت في عقولهم ووجدانهم عبر آلاف السنين.

ويعتبر اليهود من أكثر الجاليات في أمريكا، ولهم التأثير الأول في السياسة الأمريكية والفكر الديني البروتستنتي وينتشرون تقريبا في كافة الولايات المتحدة ولهم آلاف المؤسسات الدينية والأندية والصحف ومحطات الإذاعة والتلفاز على مساحة الولايات المتحدة الأمريكية كلها. وبسبب من التفريغ الروحي والقيمي الذي يمارسه اليهود وبعض الحركات العنصرية البروتستانتية وبسبب من طغيان الفردية والمادية على غالبية أبناء هذا التجمع الأمريكي الكبير، فقد وجد اليهود في ذلك مرتعاً خصباً لنشر الأفكار والمعتقدات والأساطير، التي أصبحت وحسب المنظور تتبناها فئات وحركات يصل عددها المئات كما أشرنا سابقا.

وتنفيذا للتوجه اليهودي المستند على التلمود أولا وعلى مقررات دهاة صهيون ثانيا فقد بدأت الحركات اليهودية في العالم بنشر التعاليم الهدامة بشكل مخطط ومدروس.

فالقرار الرابع عشر من قرارات حكماء صهيون يتحدث عن معاداة اليهود للأديان التي يجب أن تشوه ومن ثم تباد. ويجب خلق مساوئ معينة للصقها بالديانات وكره الناس لها ومحاربتها مما يتيح للشعوب عدم الثقة بها والعودة

إلى القول: إن اليهودية هي أفضل الأديان بل هي الدين الوحيد الذي يجب أن يدعو له الناس.

وفي إحدى القرارات يرى الصهاينة أنه يجب إبعاد الناس عن دياناتهم وعدم قبولهم في الدين اليهودي. فيظلوا تائهين بدون عقيدة.

وقد دأبت المنظمات اليهودية العالمية على إدخال تعاليم التحلل الخلقي في المجتمعات الإسلامية ولاسيما بين الشباب. وبعد الاتفاقات الموقعة بين الصهاينة وبعض الدول العربية أصبح المجال مفتوحاً أمام اليهود أكثر من ذي قبل ليتغلغلوا في المجتمع وينشروا التعاليم الفاسدة المدمرة. وقد رأينا آخر ما صدَّرهُ الصهاينة إلى مصر من تعاليم (عبدة الشيطان) الذين لاحقهم أمن الدولة المصري وألقى القبض على جل عناصرهم.

الفرقة الداودية: اختلف المحللون حول نشأة هذه التسمية. لكنهم اتفقوا جميعا أن هذه الفرقة أنشأها أحد أساتذة الجامعات. حيث جمع حوله عددا كبيرا من الأتباع واستمدت هذه الحركة تعاليمها من تفسيرات توراتية أوصلت زعيم الحركة إلى القول إنه مسيح آخر الزمان. لكن المصادر قالت أن أعضاء الحركة وكلّهم من الولايات المتحدة كانوا يقومون بطقوس غرائبية ويبيحون الممارسة الجنسية مع الأخت والأم وأية أنثى مهما كانت صلة القربى بها شرط أن تكون من أتباع الطريقة الداودية.

وتبين أن من بين أعضائها أشخاص ينتمون إلى عدة أجناس وعروق. وقد قيل أيضاً إن هذه الحركة أنشأت لها معبداً خاصاً في ضواحي نيويورك وامتلأ هذا المعبد بجماجم وعظام وتماثيل وصور عراة وتخيلات لصور شياطين وما شابه ذلك.

وقد راقبت السلطات الأمنية الأمريكية تحركات هذه الحركة حتى أتى اليوم الذي أحاطت الشرطة الأمريكية به. وطوق المعبد بمئات من رجال الشرطة

حيث كان يحتفل أتباع الطريقة بأحد أعيادهم. حيث روقبوا وهم يمارسون الإباحية واللواط ويقومون بحركات لا تصدر إلا عن جو غامض تلفه الشياطين.

وحاولت الشرطة اعتقال من في المعبد لكن الأبواب أوصدت بشكل محكم. فسلطوا عليهم الغاز المسيل للدموع من شقوق بعض النوافذ. واستمر حصارهم زمناً طويلاً من الساعات. وفجأة خرج دخان كثيف من المعبد ورائحة شواء لحم بشري. فاقتحم رجال الشرطة المعبد عنوة وخلعوا الأبواب. وكانت المفاجأة حين عثر على أكثر من مائة رجل وامرأة وهم منتحرون حرقا.

وتبين من التحقيقات أن زعيم الطائفة الداودية كان قد أمر أتباعه بالانتحار الجماعي وتبين أنه هو نفسه قد انتحر.

ومن خلال الدراسات التي أقيمت حول هذه الحركة تبين أن مصادر تعاليمها تستند على بعض رموز التوراة وبعض المبتدعات الأسطورية المميزة للإباحية المطلقة.

وقالت بعض الدراسات إن اسم الحركة جاء من إسم زعيمها، بينما راح بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث قال: إنهم سموا بهذا الاسم انتسابا لداود عليه السلام، باعتبار أن الأساس الواضح لتعاليمهم هو التوراة.

وأوضحت بعض المصادر أن للحركة أتباعا مخفيين في عدة ولايات أمريكية. وتتطور تعاليمهم كل يوم بحيث يُدخِلون فيها كثيراً من العقائد الوثنية والسحر. والسبب أن اتباعها ينتمون إلى عدة أجناس بشرية ولا تقتصر على الأمريكان وحدهم.

وقد بدأت دعوة عبادة الشيطان الجديدة منذ ما قبل عام 1996 إفرنجي في ولاية سان فرنسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية وكانت بداية هذه الحركة على يد شخص أمريكي يهودي يدعى (أنطون شيلدز ليفي) وابتدأ نشاطه حين

افتتح معبداً للشيطان في العاشر من نيسان ـ "إبريل" من عـام 1996 م ف، وراح يدعـو إلى عبـادة الشـيطان. ثـم خرجـت دعوتـه إلى خـارج الولايـات المتحـدة الأمريكية ووجدت لها أصداء قوية في أوروبا واستراليا لكنها ظلـت عـاجزة عـن اختراق الأقطار الإسلامية والشرق الأوسط والواقع أن هذه الحركة لهـا جذورهـا الغربية. وكانت بوادرها قد ظـهرت مـع الهيبيـة أو الهيـبز وقـد اسـتغل عبـدة الشيطان الهيبيين ليدخلوا تعاليمـهم بـين شـبابهم وفتياتـهم وعلـى الرغـم مـن التحلل الذي امتازت بـه الهيبيـة إلا أن عبـدة الشـيطان فشـلوا في محاولاتـهم لبشاعة ما يدعون إليه

ومع مرور الوقت وجد أتباع الشيطان في بعض البلاد العربية مرتعاً خصباً خاصة بعد الانفتاح الذي دعت إليه بعض هذه الأقطـار. وكـانت مصـر الهـدف الأول في حوض المتوسط.

أما مذهب عبدة الشيطان فيقوم على ادعاء أن الله ـ وحاشى الله ـ قد ظلم إبليس، وإبليس ملاك تعرض للظلم علـى الرغـم أنـه رمـز القـوة. وينكـر عبـدة الشيطان الأديان جميعها. ويطالبون بدليل مادي على وجود الله. أمـا الشـيطان فالأدلة عليه كثيرة وآثارها موجودة وقوته الخارقة تظهر وتنتقل للتـابعين وكـان أبرز سمات معبد الشيطان (و هو ما يدعو إليه عبدة الشـيطان في مصـر) تمجيـد القوة والاستمتاع بكل ما حرّمته الأديـان. والاسـتعانة بالسـحر والسـحرة وعـدم قبول الأدلة فكل شخص يدخل المعبد هو إله بحد ذاته.

ورافق هذه التعاليم استخدام موسـيقى مـن نـوع خـاص. موسـيقى عنيفـة تسمى (بلاك ميتل) وتصاحبها رقصات عنيفة أثناء ممارسة الطقوس.

وبعد التحقيقات التي أجريت مع جماعة عبدة الشيطان في مصر تبين أن كل فرد ينتمي إلى هذه الحركة يجب أن يضع شعاره تسع وصايـا. موجـودة في

أساسها على شبكات الإنترنت. والوصايا التسع تدعو لكل ما هـو ضـد الأديـان والبوهيمية والتحرر من كل قيم وأخلاق. والوصايا هي:

أ ـ الشيطان يمثل الانغماس الذاتي وإطلاق المرء العنـان لأهوائـه ورغباتـه وشهواته بدلاً من الامتناع عنها.

ب ـ الشيطان يمثل التواجد الحيوي بدلاً من الأمل الكاذب والوهمي.

ج ـ الشيطان يمثل الحكمة غـير المشـوّهة وغـير الملوّثـة بـدلاً مـن خـداع النفس بأفكار زائفة.

د ـ الشيطان يمثل الانتقامية بدلاً من إدارة المدى الآخر.

ه ـ الشـيطان يمثـل الشـفقة لمـن يسـتحقونها بـدلاً مـن مضيعـة الحـب للحاقدين وجاحدي الجميل.

و ـ الشيطان يمثل مجـرد حيـوان مختلـف أحيانـاً وفي أغلـب الأحيـان أشـرس مـن الحيوانـات الـتي تمشـي علـى أربـع. والـذي بسـبب روحانيته الرائعة ونموه الذكي أصبح أعنف حيوان على الإطلاق.

ز ـ الشيطان يمثل المسؤولية تجاه الشخص المسـؤول بـدلاً مـن مصاصي الدماء المعتوهين.

ح ـ الشيطان يمثل كل ما يطلق عليه خطايا أو آثام لأنها تؤدي كلها إلى الإشباع العضوي والعقلي والعاطفي.

ط ـ الشيطان يمثل أعز صديق للمعبد وذلك لأنه أبقى.

يستخدم عبدة الشيطان ما يسمى موسيقى الموت لجذب الأعضـاء الجـدد إلى عالمهم. يدعونهم لسماع الموسيقى. وعلى أنغامها يمارسون الطقوس الغريبـة. وأثناء ذلك يتعاطون المخـدرات ويمارسـون الدعـارة والشـذوذ، وجميـع أشـكال الموسيقى المستعملة مصدّرة مـن امريكـا والغـرب الأوروبـي والكيـان الصـهيوني. يصنعها شذاذ يتعاطون حبوبـاً للهلوسـة. ويتبـين أن هـذه الموسـيقى تصـدَّر إلى

الشرق العربي الإسلامي وتطبع على أسطوانات بالآلاف، ولعل التقليد الأعمى لدى الشباب كان الأساس في دخول هذا الشذوذ إلى المجتمعات العربية الإسلامية. فالغرب الذي أصبحت الفوضى فيه كاملة، صدّر إلى الشرق العربي مفاهيمه من خلال موسيقى الصخب والرقص الغربي الذي هو أشبه بالجنون. ولعل أشهر أنواع هذه الموسيقى ما تسمى (هيدى متيل) المعدن الثقيل وتصنعها فرقة يهودية إنجليزية، واسم الفرقة السبت الأسود وقد مزجت هذه الفرقة بين المسيحية واليهودية. وكان ظهورها في ولاية تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية وتحتوي كلمات أغاني هذه الفرقة على دعوة للانحراف والشذوذ والوقاحة والجرأة على الأديان والقيم. وقد صدّروا هذه الموسيقى إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي والقصد من وراء ذلك تخريب فئة الشباب تخريباً كاملاً.

وعندما وضعت أجهزت الأمن المصرية يدها على أفراد هذه الفرقة التدميرية، تبين أنهم، أي أفراد عبدة الشيطان يستخدمون شبكة الإنترنت للحصول على تعاليم عبادة الشيطان وأن كل أعضاء الحركة لديهم في منازلهم أجهزة كمبيوتر مرتبطة مع شبكة الإنترنت حتى أن إحدى الفتيات من أتباع هذه الحركة كان لديها في المنزل خمسة أجهزة كمبيوتر. وقالت مصادر الأمن المصرية إن الضباط استخدموا نفس الشبكة للوصول إلى تعاليم هذه العبادة. وفوجئ جهاز الأمن حين اكتشف أن لدى هذه العبادة 37 ألف و495 موضوعاً على الشبكة وقد تفرغ عدد من الضباط للحصول على تعاليم وطقوس عبادة الشيطان من خلال الإنترنت. وقد تم طبع آلاف الأوراق التي نشرت كثيراً من طقوسهم التي كانت تبدو غامضة على فرق البحث في البداية.

ووضّح الإنترنت أن سبب اقتناء عبدة الشيطان القطط والكلاب، عائد إلى احتياجهم للدم أثناء احتفالاتهم الخاصة عندما يرسمون بها شعاراتهم ويلطخون بها جسد إحدى الفتيات التي تتجرد قبل ممارسة الجنس معها بالتناوب.

وقد كشفت التحقيقات أن هناك العديد من اللقاءات التي تمت بين بعض الصهاينة القادمين من فلسطين المحتلة وتنظيم عبدة الشيطان. وكانت سيناء مقراً لهذه اللقاءات.

واكتشفت أن المبنى الرئيسي لعبدة الشيطان، قصر يدعى قصر البارون. وقد بني هذا القصر عام 1905م ف وتعرض للنهب عدة مرات وأصبح مع مرور الوقت مكاناً مهجوراً. ويُحاط القصر بسور من السلك الحديدي المخرب. وقد تحول هذا القصر المخرب إلى وكر لمتعاطي المخدرات وتجّارها ولقاءات الشاذين جنسياً. وقد قبض على عدد من المدمنين على المخدرات وأبلغت السلطات المختصة بذلك ووصل عبدة الشيطان إلى هذا القصر وراحوا يقيمون حفلاتهم وطقوسهم الخاصة فيه، حتى تنبه الجيران لهذا الصخب لاسيما في الليل حيث تم في أحد الليالي إلقاء القبض على أفراد هذه الحركة.

وقد اعترف أعضاء الحركة بأنهم كانوا يقيمون حفلاتهم في هذا القصر.

وبالرجوع إلى جذور تحرك هذه المنظمة الشيطانية تبين أن (المعادي) كانت من أولى المناطق التي ظهر فيها عبدة الشيطان ويعتبر المدعو عمر عبد الغفّار صالح من أول الذين عبدوا الشيطان واتخذ مطعماً شهيراً في المعادي مقراً للاجتماع فيه أو أمامه.

ويتميزون بملابسهم السوداء وتتميز الفتيات (بروج) أسود اللون على شفاههم. وكانت أشكالهن مستفزة للمارة، وقد اعترف أحد المهندسين وصاحب محل قريب من المقهى الخاص بهم، أن عبدة الشيطان موجودون وما تزال بقايا ملابسهم السوداء ورسوماتهم التي تشير إلى الشيطان. ويتواجدون باستمرار في

المنطقة. ويأتون بأفعال غريبة وشاذة ويقيمون حفلاتهم في إحدى الفيلات المهجورة. كما يستأجرون حديقة الفيلا، وكثيراً ما يستمرون حتى الفجر وتذكر الأخبار أن بقايا عبدة الشيطان مازالوا يقفون أمام المطعم بملابسهم المميزة وتبين أثناء المراقبة والبحث، أن هناك عدة محلات تخصصت في بيع الملابس السوداء التي يرتديها عبدة الشيطان، وكذلك أغطية الرأس وتبين أن أحد أتباع الحركة هو صاحب محل لبيع هذه الملابس، ومحله في مصر الجديدة، وتبين أن شقيقه كان عضواً في هذه الحركة، ومن محلاتهم أيضاً محل الملابس القطنية بميدان الكوربة في مصر الجديدة وآخر في شارع الميرغني. وآخر بأحد المراكب الكبرى لكورنيش النيل إضافة للملابس، فهناك ميداليات عليها رسومات لهياكل عظيمة وأسطوانات ليزر وأشرطة تبين أن جميعها مستورد من الخارج.

أما عن هيكلية التنظيم فتبين أن الزعيم اليهودي (ليفي) الأمريكي الأصل، قد أناب شاباً عنه يدعى عبد الله عبد الحليم أبو عظمة وقد أطلقوا عليه لقب الكاهن. وقد بدأ عمله بالترويج لعبادة الشيطان من خلال الفرق الموسيقية.

ولعل أغرب طقوسهم الدخول إلى المقابر وفتح بعض القبور والنزول إليها حيث يمارسون الجنس والإباحية والمخدرات. ويعتبرون أن ذلك تحدٍ للموت الذي فرضه الله على خلقه.

وإضافة لهذه الطقوس فإن بعض شعارات عبدة الشيطان تبرز واضحة في كل أماكن تواجدهم، سواء كان ذلك في أمريكا والدول الغربية أو في بعض الأقطار الأخرى التي وصلوا إليها. فمن الشعارات الشائعة بين أفراد هذه الحركة الصليب المعقوف، والنجمة السداسية والجمجمة ويعبر الصليب المعقوف عن تقديرهم للأفكار النازية الإرهابية.

أما النجمة السداسية فهي تعبر عن تعلقهم بزعيمهم اليهودي (ليفي) أما الجمجمة فهي تعبير لأعضاء الحركة عن الموت أو القتل كأحد طقوسهم الغريبة، إضافة لما ترمز له الجمجمة من تعاطي المخدرات وخاصة الهيروويين والكوكايين.

والخطير في دخول هذه الحركة إلى عالمنا الإسلامي والعربي أنها تأتي نتيجة غير مباشرة لأساليب التطبيع التي يخططها الصهاينة وينفذونها على أرض الواقع.

والخوف الأكثر خطراً أن تتسرب هذه الحركات إلى كافة أقطار الوطن العربي تحت ستار الانفتاح على الآخرين ونظام العالم الجديد الذي ابتدعته الولايات المتحدة الأمريكية وراحت تروج له في كافة وسائل الإعلام.



ملحق

الرسالة السُبعية
بإبطال الديانة اليهودية
للحبر الأعظم
إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص لذاته العلية بقوله السامي: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وجعل الناس أحزابا وفرقا. وقد تراهم بجهل وعلم كافة إليه يسألون. وأرسل إليهم رسلا وأنبياء جمة، وأحصى معناهم بمحمد خاتم المرسلين. وأمرنا بالصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد فهذه الرسالة المسماة السبيعية الحاوية لسبعتين من القضايا التنبيهية قد تتعلق بجواب يفيد معرفة واستدلالا لزوميا للأحكام التوراتية بالشرائع القرآنية. على سؤال يرد من أحبار اليهود البواقي، من الملة الإسرائيلية، إلى رجل مهتد إلى الديانة المحمدية.

صورة السؤال

ألا يا حبيبي: ما الذي ألجأك إلى أن تترك دين آبائك وأجدادك وتوراتهم وشريعتهم، وتنتقل إلى دين الكوئيم دين الإسلام، الذي كنت تبغضه وتشنؤه. كما نحن الآن جماعة اليهود، ونكره الدخول فيه؟.

صورة الجواب

ألا يا بني إسرائيل، يا أقربائي وبني جنسي: إني أعلمكم بأن الذي ألجأني إلى أن أترك ما عندكم وأدخل في دين الإسلام هو مركب من سبعة قضايا:

أولها: أني فحصت الفحص البليغ، وتركت الفرض والعناد القبيح، فوجدت كلام الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم عن هذا النبي العظيم محمد، الذي أتبعته: هي منطبقة عليه من كل الجهات ،ثم هذه النبوءات التي رأيتها في كتب الأنبياء وسمعتها. فعلى ظني أن ليس عليهم رد مطلقاً، ولا ناقض بوجه الحق، وهي من سيدنا موسى وإشعيا وداود وزكريا وغيرهم.

ثم مفردات هذه الشهادة مفندة في محلات كثيرة من كتب المباحثات والمجادلات في هذا المعنى مأخوذة من التوراة عينها.

فمن جملة ما ذكرت التوراة في سفر التكوين المسمى بالعبراني

(باراشيب) بأن لسيدنا إسحاق جد الأنبياء بركة واحدة، وذكرت لسيدنا إسماعيل جملة بركات، وعليكم يا أحبائي بمراجعتها.

وثانيا: إن قبل مطالعتي لهذه البراهين كان دائما يخطر لفكري ـ كما الآن يخطر لفكركم ـ وكنت أقول لذاتي بأن توراتنا وزبورنا ونبوات أنبيائنا لم يوجد فيها أدنى إشارة عن نبي المسلمين.

ولكن بعد مدة مديدة من الزمان راجعت ذاتي وقلت في عقلي: ويه ويه. كيف نبي مثل هذا الذي تبعته ألوف وكرات ومليونات وشعوبه وأمته أكثر بكرات من شعوب موسى، وتبشيره للناس وإنذاره بترك الكفر والحث على الإيمان بالله، ومجاهدته وغيرته الشهيرة، أيهمل ويترك، وينسى من الذكر عند أنبياء بني إسرائيل؟ فهذا القول بهذا الشكل الذي يعلمنا فيه أحبارنا والحاخاميم هو مضاد لكل عقل سليم، بحيث أن أنبياء بني إسرائيل أنبأوا عن أشياء كثيرة كلية وجزئية، والإشارة عن هذا النبي هي من الأشياء الكلية اللازمة، فكيف يتركونها وينسونها؟ ويه ويه. أنا لا يقبل عقلي كلام الحاخاميم الباطل وتأويلهم.

فالتزمت عندما امتلأ فكري من هذا الميزان أن أفتش وأفحص بزيادة عما كنت أفحص من قبل، فوجدت كما قدمت. وقلت: إن معاني كثيرة وإشارات غزيرة موجودة في التوراة تشير إلى هذا النبي العظيم محمد، وهذه هي التي كانت من جملة الأسباب التي أحوجتني أن أترك الشريعة التوراتية، وأتبع الشريعة القرآنية المهندمة بغاية الهندام، والمنتظم إليها أخص ما يوجد في الشرائع السابقة.

وثالثها: اعلموا يا أقربائي وبني جنسي، أني أخبركم أن الذي حملني بعد ذلك أن أتبع هذا النبي الجليل محمد: من كوني نظرت أن جماعة اليهود على بكرة أبيهم في كل مصر ومكان هم عائشون بغير شريعة التوراة ولا عاملون بأحكامهم اللازمة لكون غير ممكنهم العمل بها، لا بل ممتنع. وقد تصرّمَتْ عنهم بالطبع وتلاشت وهي باقية بالورق فقط. ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد استخدمها إلى أزمنة معلومة محدودة، غير راض بخلودها، لا بل أنه راض بانقضائها وتبديلها.

والبرهان على ذلك هو من المشاهدات والمتواترات والتجريبات والحدسيات والأوليات، إذ أننا نرى أن أعمدة وأركان هذه الشريعة الموسوية التي كانت مسندة عليها وفيها قوامها واستيلاؤها قد انهدمت بالكلية وعدمت، مثل إبادة الملك والرياسة، وعدم وجود الأنبياء، وإبطال الكهنوت، وخراب الهيكل السليماني، وهدم المذبح واندثار الذبائح، ومحق الأسباط وما يتعلق بهم، لأن هذه الأعمدة والأركان كان قد ربط بها الله سبحانه وتعالى جميع ما يلزم من القضايا الدينية المشروعة في التوراة، حتى والأحكام المدنية، لكي إذا عدمت هذه اللوازم الركنية وبطلت ـ كما هو مشاهد الآن ـ نستدل من انعدامها على بطلان الديانة جميعها، بحيث تعلق الديانة بها. والبرهان على ذلك واضح جدا، وأجلى من ضياء الشمس بضحاها، ومشاهد تحت حواسنا بفناها.

إذ أن الله سبحانه وتعالى قد نزع الملك منكم، والاستيلاء الذي به كنتم تجرون الأحكام الدينية والمدنية وأبطل وجود الأنبياء من سلسلتكم على الإطلاق التي كانت تسوسكم وتنصحكم وتعلمكم وتنبئكم على ما كان وما يكون، وتصنع المعجزات لكي تثبت لكم أن الذي كانت تخاطبكم به هو وحي من عند الله. وهذه الكثرة من الأنبياء قد كانت موجودة خاصة عند أمتكم بالحصر، وليست عند من سواها، وأباد الكهنة ورؤساء الكهنة والكهنوت الذين كان لا يتم الخلاص لليهود ولا الغفران إلا بهم وعلى أيديهم، حتى ولا يجوز العمل الذي كانوا يعملونه في الإستغفارات والتخلص من السيئات إلا بواسطتهم، وهدم الذبح والهيكل الذي عمره سليمان اللذين كانا لا تتم أعمال القرابين إلا بهما.

ومحق الله سبحانه وتعالى وهدم معرفة الأسباط ورتبهم ووظائفهم المتعلقة بالخدمات الدينية، والأحكام الحرسية والملكية.

ورابعها: وهي الأغرب من كل ما ذكرناه ـ أن ((أشداى أصباؤت أهية شراهية)) حينما وضع شريعة التوراة وفرضها قد جعل على الأمة اليهودية شرائع ووصايا يجمع عددها ستمائة وثلاثة عشر وصية، وهذه الوصايا الحاوية على هذا العدد قد ربطها، وحكم حكما صارما على من لم يعملها بستمائة وثلاث عشرة لعنة. لأنه يقال في سفر التثنية، الاشتراع في الإصحاح السابع والعشرين والثامن والعشرين (ملعونا يكون من لا يعملها واحدة واحدة) ثم أن هذا الإله سبحانه وتعالى الذي من جملة أسمائه بالعبراني "الألوهيم" "الأدوناي" قد وضع على من يخالف هذه الوصايا ولا يعمل بها واسطة للتخلص من تلك اللعنة المترتبة على المخالف: تطهيرات وتكفيرات وغفرانات وذبائح وقرابين بأعداد من الحيوانات والطيور ومعلومات. وحصر هذا الألوهيم الياهو في هذه المذكورات أن تصنع وتقرب ضمن الهيكل والمذبح ورسم أيضا بأن من يقدم قرباناً خارج الهيكل يقتل. وأمر بأن تكون القرابين مقدمة له تعالى على أيادي الأحبار

ورؤساء كهنتهم. وكان كل من يتعدى ويخالف وصية من هـذه الوصايا وتلزمه لعنة من هذه اللعنات يخلص منها بواسطة الكهنة ورؤساء الكهنة والهيكل والمذبح وباقي المذكورات. كما سبق القول.

وأما الآن يا أقربائي وبني جنسي، قد رأيت أن عامة اليهود الباقية من بني إسرائيل عندما يخالفون وصية من هذه الوصايا وتلزمهم لعنة من هذه اللعنات المشروحة من سيدنا موسى في التوراة ليس لهم وجهة للتخلص منها مطلقا. وهم حزنانون من كونهم غير ممكنهم العمل بكامل الوصايا المشروحة، ومتحققون أنهم تحت مخالفتهم وثقيل عليهم حمل اللعنات الموضوعة عليهم. ويمتنع أيضا فرارهم بالتطهيرات والتخلص من قصاصاتها ما داموا تحت نيرها. لأن الباب مسدود بواسطة ما أنا عازم على شرحه ويه ويه. يا أسفاه، ويا حسرتاه. لأن الهيكل الذي عمَّره سليمان الذي هو مثال القبة الموسوية مع المذبح اللذين لا تكون هذه القرابين إلاّ بهما قد خربا وانهدما والذبائح والقرابين مع الكهنة ورؤساء الكهنة الذين كانوا يعملونها في الهيكل والمذابح للفداء والتطهير مع باقي ما ذكرناه من النبوة والملك والأسباط ومتعلقاتهم قد اضمحلوا وتلاشوا، وما بقي لهم أثر بالكلية. فمن انعدام ما ذكرناه إفرادا وإجماعا، وبطلانه، ما عاد يمكن للباقي من الشعب الإسرائيلي التخلف من الخطايا ومن المرتب عليها من القصاصات. لا بل وممتنع عليكم يا أحبائي التقرب الى الله، بحيث التزمتم تبعة لعنات شريعتكم التوراتية مع عدم مكنتكم ايضا التطهيرات المربوطة عليها وهذا القول ليس هو قولي، ولا يجوز عندي أن ألعن بل هي لعنات شريعتكم وتوراتكم، فإني قصدت أن أذكركم إياها للتخلص منها إن شئتم كما تخلصت أنا منها بدخولي إلى الديانة المحمدية المبين عنها من موسى والأنبياء.

لأنه لو كان قصد الله خلود هذه الشريعة الموسوية وحفظها ودوامها لما كان هو ذاته سبحانه ربطها في كذا قضايا تنظر إبادتها وإعدامها عياناً، ظاهراً

في كل حين وآن، عند العالم والغبي والعاقل والجاهل، والشيخ والشاب، وجميعهم بالسواء قد ينظرون بأنها قد أعدمت وبطلت ومضى على بطلانها مئات كثيرة من السنين وكل عاقل يرغب ثواب الآخرة قد يستدل على أن الانتقال منها الى شريعة نبينا محمد المصطفى ﷺ هو أمر ضروري ولازم.

وخامسها: يا أحبائي. ليس خافيكم أن في الزمان الماضي قد جاء سيدنا عيسى فاستكبرتم عليه وتكلمتم في حقه ألفاظاً غير جائزة ومحرمة. لا سيما أنها مبنية على التزوير والبهتان والكذب التي بسببها مع غيرها قد ورد عليكم القصاص في القرآن الشريف أكثر من أربع مرات، بألفاظ متعددة ومفزعة جداً. ومضمونها تكرار ما وضعه سيدنا موسى عليكم على مخالفتكم الوصايا المار شرحها. ولكن مع هذا كله إن أناساً كثيرين من اليهود اتبعوا دين عيسى الأصلي الصحيح وإنجيله السليم، وهم ألوف وكرات ومليونات. وتخلصوا من لعنات الشريعة التي ذكرناها. وقد وعد سيدنا عيسى بمجيء محمد ﷺ المصطفى، وأشار عنه بإشارات كثيرة.

ومنها: أنه قد سماه (الفارقليط) وهي كلمة يونانية وترجمتها للعربي: الداعي. وهي ـ أي الداعي ـ من جملة أسمائه الشريفة. وقد نظرت هذه اللفظة مع جملة براهين مؤلفة من علماء النصارى وأحبار اليهود المهتدين. وهي بحق تصدق الدين المحمدي ومسندة على التوراة والإنجيل والزبور. وهذه البراهين من هذه الكتب قد كان يتردد فيها بعض حاخاميم اليهود في زمان المصطفى ويتبعونه، ويدخلون في دينه، الذين منهم عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار وغيرهم كثيرين.

وسادسها: وإذ رأى الأحبار والحاخاميم الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين في تلك الأعصار تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين، وما

بقي عندهم إلا قليل من الناس، كما هو مشاهد فقد شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشهادة الواردة في التوراة بحقهما.

واخترعوا آراء مستحدثة، حتى قد رأوا أن يبقوا الباقين في دينهم الى الآن. ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم كنت أرى أن بعضاً منكم مذبذبين ومنقسمة آراؤهم في الكثير مما ذكرته، وهم من الأناس العقلاء. وبعض منهم عارفون الحق لكنهم مربوطون في وظائفهم الدينية والأموال والأولاد والعيال. وبعضهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة، بحيث غير ممكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات. مع عدم إمكان عمل الوسائط بالقرابين التي كانت تخلص الناس منها.

ثم ومن أقوى هذه الآراء المستحدثة قد اخترعوا لهم رأياً أبتر ليس له عندهم سند في التوراة مطلقاً، لا من موسى عليه السلام، ولا من الأنبياء وهو التقميص. أعني أن الإنسان اليهودي عندما يموت وهو غير مكمل الوصايا المشروحة، ومديون إلى الكثير منها ووقع تحت هذه اللعنات. فيلزمه الرجوع إلى الدنيا ثاني مرة، أو ثالث مرة أو إلى أكثر من ذلك، إلى أن يكمل كل الوصايا ويتخلص من جرثومة هذه اللعنات رويداً رويداً. ثم لما فحصت ودققت وتوصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة وليس لها سند في التوراة، كما تكلمت سابقاً، فقلت لنفسي: ويه ويه، ما الذي يحملك على قعودك في هذه الشريعة الغير ممكن إتقانها، والعمل بها. لا بل وممتنع أيضا، وأنك مع جماعة اليهود أبناء جنسك واقعون تحت قصاصاتها المحررة في التوراة.

ثم حدثت نفسي وقلت: إذا كان غير ممكن العمل بكامل الوصايا وممتنع أيضا التطهير للواقع تحت مخالفتها وديانة التوراة هي مربوطة بالوجهين، ومن لا يعمل بهما فهو كالذي بغير دين .فكيف أقعد أنا بغير دين ولا شريعة؟

وكيف أنسب نفسي أني يهودي وتحت شريعة موسى والتوراة وأنا عار منهما، وبريء؟ وهما بعيدان عني بعدا كبعد السماء من الأرض؟ وبذلك أكون بلا شك لا سمح الله من أهل العذاب لأنه ممتنع علي أن أعمل الوصايا، ولا أقدر أن أجري ما فرضه الله علي من التطهيرات والتكفيرات كما سبق من القول.

ومن هنا أدركت أن الذي بناها بحكمته هو الذي هدمها بحكمته، واحد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. إذ أن مقاصد الحكمتين بعيدة عن معرفة عقولنا.

وسابعا: أني قلت لنفسي: يا هل ترى، ما الذي يمنعني عن اتباع الحق؟ فقلت: لا مانع لك.

ثم قلت: وما هو الفرق الحاصل بين ديانتي وبين الديانة المحمدية؟ فأجبت ذاتي وقلت: إن الفروقات الباقية اللازمة والضرورية في هذا المعنى غير المتقدم شرحه. هنَّ سبع:

الفرق الأول: هو ترك فرائض المأكولات التي حرمتها الحاخاميم وأثقالها.

الثاني: هو التخلص من هذه اللعنات ونكباتها.

الثالث: أن اطرح الكلام الرديء، والتجديف الذي كنت أتكلمه وأعتقده بحق عيسى وأمه وغيرهما من حواريه وتعليماته.

الرابع: أن اقر بأنه نبي ورسول من عند الله برسالة معلنة بأفرادها.

الخامس: أن أقلع البغضة المزروعة في قلبي بحق الأمم من الناس. وهي معي عن آبائي وأجدادي، وبحق محمد المصطفى ﷺ بنوع أبلغ، الحاوي أكثر المحامد وصفاتها.

السادس: أعترف بأنه نبي عظيم، ورسول من عند الله، وشفيع للقائلين له: أنت لها، أنت لها.

السابع: أعترف أنه جاء بشريعة عدلية، وفضيلة كاملة، حاوية معنى جوهريات ما جاء في الشرائع السابقة، وأحسن القصص، مهندمة إياها بالاستثناء اللازم لها.

هذا هو الذي يزيد علي ويلزمني، إذ أن إيماني بوحدانية الله تعالى هو هو. وختاني بطهوري هو هو. وبعدي عن المرأة في أوقات معلومة هو هو. وتطهيراتي وإسقاط غسلي هي هي. وكثير من الأحكام التوراتية. كأوجه الزواج المربوط بالقرابات عدا وجهين زائدين هي هي. واعترافي بموسى ونوح وإبراهيم وباقي الأنبياء هو هو. والشرائع العدلية كالعين بالعين والسن بالسن هي هي. وقد رأيت كل ما يلزم ويتعلق اتباعه لذلك هو هو. محرر في القرآن الشريف، زائد الهندام، حسن التوقيع، مرتبط بأظرف عبارة، ومتعانق إليه كل ما يلزم من الأمور العائدة لإصلاح الدنيا والآخرة.

فهذا وأمثاله هو الذي أحوجني أن أترك الدين اليهودي المتروك بالطبع، إذ نراه كميت لا يتحرك. واتبع الدين المحمدي الحي المتحرك والمحبوب صافيه ومخلصه عند كل عاقل، وأجهر بصوتي وأقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

فأنتم يا جماعة اليهود البواقي من بني إسرائيل إن كان الأحبار طلبوني من كل قلوبهم بسؤالهم أن يروا ما رأيته. وما الذي حملني على ذلك ويسمعوا ما سمعتم واهتديت به فليكرروا مطالعة رسالتي هذه التي سميتها "السبيعية الحاوية الضوابط الإرشادية" وليراجعوا الشهادات التي عرفت عنها المأخوذة من كتبهم الدالة على اسمه المصطفى نبينا ﷺ وصفاته، وتشكيلاته وأعماله، مع شرح بعض التحريف الموجود في كتبكم المجموع بعضه في كتاب: "البحث الصريح في

الدين الصحيح" المنسوب إلى المرحوم الشيخ زيادة في الباب الرابع والخامس.
ومن بعد وقوفكم على جوابي هذا أرجو أن تعذروني، وإن كان يغيب عنكم شيء اطلبوا إلى الله تعالى أن يرشدكم ويأتيكم بالبيان.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين.

القسم الثاني

العبادات والمعاملات



الفصل الأول

مدخل تاريخي
في العبادات والمعاملات
لدى شعوب المنطقة



لاشك أن كافة شعوب الشرق القديم عرفت العبادات منذ بداية عهدها بالثبات في أمكنة محدودة. وكذلك أوجدت لنفسها قوانين تحدد المعاملات بين الناس وتنظم شؤون حياتهم بكافة أشكالها.

وقد ارتبط صنع القوانين الدينية والحياتية بعدة عوامل، كالعامل المناخي والجغرافي والعامل النفسي والاجتماعي، فكانت عبادات الشعوب الزراعية والمدنية أرقى طورا من عبادات الشعوب البدوية المتنقلة.

وقد عرفت المنطقة عدة بطون من الشعب العربي كالكنعانيين والبابليين والمصريين وعرب اليمن والحجاز، وكذلك عرفت المنطقة دخول عدد من الشعوب غير العربية إلى أرض الوطن العربي حاملة معها عباداتها وطقوسها، وكذلك قوانينها وتفكيرها، وحين نحاول إلقاء الضوء على عبادات ومعاملات تلك الأقوام نضع في حسباننا أن التوراتيين قد تأثروا كثيرا بعبادات الأقوام الذين احتكوا بهم. حتى أن بعض الفترات الزمنية شهدت استناداً كلياً من قبل التوراتيين على غيرهم في العبادات والطقوس والمعاملات والقوانين.

وحين نستعرض بعض تلك العبادات والمعاملات لا بد لنا أن نضع في الميزان المقارن عملية التأثر الكبيرة من قبل أتباع التوراة ومن سموا باليهود فيما بعد، حتى ندرك أخيرا أن مئات السنين مرت قبل أن يستقر هؤلاء اليهود على عبادات معينة، وقوانين ضابطة لحياتهم وارتباطاتهم بالشعوب والأرض والسماء.

لا شك أن أكثر احتكاك تم بين بـني إسـرائيل وغـيرهم، هـو الاحتكـاك بينهم وبين المصريين القدامى فحسب النص التوراتي وجد بنو إسرائيل في مصر منذ يوسف عليه السلام وحتى ظهور موسى عليه السلام والخروج. وهذه الفـترة الزمنية الفاصلة بين العهدين تقدر بأربعمائة سنة على أقل تقدير.

وقد عرف من خلال ما كتب على ألواح تل العمارنة وأوراق الـبردي، أن الديانات المصرية تطورت كثيراً من عصر إلى عصر، وأوجدت لأتباعها كثيرا من أنواع العبادات والمعاملات. وصنع المصريـون القدامـى المعـابد الضخمـة والمقـابر وأوجدوا التحنيط إيماناً منهم بعودة الميت إلى حياة أخرى. ووجد لهـذه المعـابد كهنة ورجال دين ورافق العبادات طقوس كثيرة قد تتعقد في بعض الأحيان. وقد تكون بسيطة في أحيان أخرى.

والمصريون القدامـى بشـكل عـام لهـم عبادتـهم وطقوسـهم اليوميـة. وقـد أشارت بعض نسخ الكتب المقدسة المصرية إلى أن العبادات اليومية تبدأ بتطهير الكاهن في البحيرة المقدسة القائمة بجوار المعبد. وعندما يدخـل الإنسـان المعبـد يوقد ناراً ويُعدُّ مبخرة مـزودة بـالفحم والبخـور ثـم يتجـه نحـو تمثـال الإلـه في المحراب الداخلي. ويقوم الفرد بصلـوات محـددة فيـها سـجود وركـوع وتقديـم قرابين واجبة.

ويقوم المتعبد بخلع ثياب تمثال الإلـه ويطـهره ويزينـه بثيـاب وشـارات مناسبة، ويعقب ذلك إقامة مأدبة مقدسة قبل أن يوضع التمثال مـرة أخـرى في هيكله.

وترتبط بهذه القرابين فكرنان إذ ينظر إليهما كهدايا سارة تتحد مع عين حوريس أي عين الشمس وفي أوقات أخرى تتحد مع أعداء حوريس وأوزوريـس إذا كانت الضحايا مما يذبح.

وترافق طقوس دينية الأعياد المصرية، وخاصة فيما يسمى أعياد فرعون أو أعياد الآلهة. ففي عيد الملك اليوبيلي المسمى (سد) يعاد الاحتفال الطقسي الذي تم فيه توحيد الوجهين في مصر على يد الملك مينا. ويصل الاحتفال ذروته برقصة يؤديها الملك وهو يرتدي تنورة قصيرة يعلق عليها ذيل حيوان من الخلف. وقد كانت المسيرة أو الموكب أو ظهور الإله مظهراً ملفتاً للنظر في الاحتفال بأعياد الآلهة إذ يحمل فيه الكاهن تماثيل الآلهة إلى أماكن أخرى مقدسة كما تزور آلهة أخرى، أو تقوم بأداء دور في قصة أسطورية ترتبط بهذه الأماكن.

ومن الأعياد التي يحتفل بها المصريون القدامى، عيد الإله آمون إله مدينة طيبة وتقوم طقوس هذا العيد على زيارة يقوم بها الإله آمون مع زوجته وابنه من معبد الكرنك إلى الأقصر. ويشاركهما الرحلة جمع غفير من المصريين. وهناك عيد آخر للإله آمون يسمى عيد الوادي الذي يعني عبور نهر النيل لزيارة معابد الموتى من الفراعنة في الضفة الغربية لنهر النيل. ويبدأ الاحتفال بتقدمة يرفعها الملك أمام قارب آمون أي أمام محرابه المحمول قبل أن يغادر هذا المحراب معبد الكرنك. ثم يخرج الموكب من صرح المعبد والكهنة يحملون القوارب فوق أكتافهم[1].

وقد اهتم المصريون القدامى بطقوس الجنازة واهتموا كثيرا بالاحتفال بدفن الموتى، فالميت يدفن ولا تحرق جثته أبدا. ومن الطقوس أن يفتح فم الميت. وتشتمل هذه الطقوس على ممارسات التطهر والقربان. ولكن أهم الطقوس هو لمس الفم بقدوم صغير لاعتقادهم أن هذا العمل يؤدي إلى تجدد الحياة لجميع قدرات الجسد، أما التحنيط فقد اهتم به المصريون دون غيرهم. فكانوا ينظفون

(1) جفري بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب عالم المعرفة الكويتية العدد 173 ـ 1993.

الجثة من الأمعاء والمخ ويزيلون الأعضاء التناسلية إذا كان المتوفى ذكراً. ويبقون القلب دون سائر الأحشاء لاعتقادهم أن القلب أداة الفهم الروحي.

وتعتبر العقائد الجنائزية المصرية خليطاً من الأفكار والخيالات. وقد كان الميت يزود بتعاويذ وفصول تكتب على أوراق البردي من كتاب الموتى. وقد كثرت التمائم واختلفت أصنافها. وزاد عدد التماثيل الجنائزية حتى كان يودع منها مع الميت مئات في بعض الأحيان[1].

ونرى أن الكهنة لكثرتهم في المعابد المصرية كانوا يشكلون طبقة مؤثرة على مسيرة العقائد والطقوس الدينية. وقد كانوا يسمون خدم الآلهة. وقد عرفت بعض النساء الكاهنات، ففي طيبة كانت الكاهنة الرئيسية لآمون تحمل لقب زوجة الإله. وكانت مهمة الكاهنة العزف الموسيقي ويُنظر إليهن على أنهن حريم الإله.

وقد اهتم المصريون بطقوس السحر وخاصة السحر المرتبط بالموتى وقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بأن ذلك كله لم يتجاوز حدود السحر البدائي.

وقد أوضحت آيات القرآن الكريم عند الحديث عن النبي موسى عليه السلام وصراعه مع فرعون أن فرعون اعتمد السحرة في صراعه وجلبهم من كل أنحاء الإمبراطورية المصرية.

أما بالنسبة للأموات فقد رأى بعض الدارسين أن أثبت العبادات وأعمها وأقواها إلى آخر العصور فهي عبادة الموتى والأسلاف. فإن عناية المصري بتشييد القبور وتحنيط الجثث وإحياء الذكريات لا تفوقها عناية شعب من الشعوب[2].

(1) سليمان مظهر. قصة الديانات صفحة 38 الطبعة الأولى 1984 دار الوطن العربي بيروت.

(2) عباس محمود العقاد. الله في عقائد الشعوب صفحة 69.

وأكثر ما عرف من صلوات أخناتون تلك التي تعرِّف بصفات الله الذي دعا إلى عبادته. وقد قام العالمان (هنري برستيد) و (آرثر ويجال) بمقارنة بين صلوات أخناتون وأحد المزامير التوراتية فاتفقت المعاني بينهما اتفاقا لا ينسب إلى توارد الخواطر والمصادفات.

ومن أمثلتها قول أخناتون (إذا ما هبطت في أفق المغرب أظلمت الأرض كأنها ماتت.. فتخرج الأسود من عرائنها والثعابين من جحورها)

ويقابله المزمور الرابع بعد المائة وفيه (إنك تجعل ظلمة فيصير ليل يدب فيه حيوان الوعر وتزمجر الأشبال لتخطف ولتلتمس من الله طعامها).

ويتابع المزمور قوله (تشرق الشمس فتجتمع وفي مآدبها تربض والإنسان يخرج إلى عمله والى شغله في المساء. ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت. والأرض ملآنة من غناك وهذا البحر الكبير الواسع الأطراف).

ويقابل ذلك في صلوات أخناتون (ما أكثر خلائقك التي نجهلها أنت الإله الأحد لا إله غيره. خلقت الأرض بمشيئتك. وتفردت فعمرت الكون بالإنسان والحيوان الكبار والصغار).

وعرف المصريون المفاهيم الأخلاقية التي هي أشبه بالأعراف والقوانين المتفق عليها بين الناس. وقد تعلّم المصريون الصبر وضبط النفس والحكمة والعدل والمثول للقضاء أمام رجال الدين، وقد عبّروا عن ذلك بالميزان بعد الموت الذي توضع فيه أعمال الإنسان من حسنات وسيئات.

وقد جاء في كتاب الموتى الكثير من التعاليم الأخلاقية، فموضوع يوم الحساب حوى عدداً من إعلانات البراءة. مثل لم أسرق حصص الخبز ولم أتطفل على شؤون الآخرين ولم أضاجع امرأة متزوجة (لم أزن) وكان ينبغي على كل ميت وهو يدخل مملكة الموت أن يعلن أنه طاهر مبرأ من كل إثم، حتى

يتمكن من أن يستقبله الإله العظيم سيد القضاء أوزوريس وهو أشبه بإعلان المتهم الآن أمام المحكمة أنه غير مذنب حتى يمكن محاكمته[1].

وقد ابتدع الكهنة المصريون ما يسمى بالزيجات الخاصة. فقد ورد أن الفرعون كان يتزوج أخته. فالفرعون الإله أوزوريس تزوج من أخته إيزيس والفرعون ست ـ الإله تزوج من أخته نفتيت. وقد كانت الضرورة والمصلحة الذاتية تدفعان الكهنة والملوك الذين يدعون أنهم أبناء الإله للقيام بالزواج على هذا النمط وغاية هذه الزيجات أن يبقى لديهم منهج لضمان الملك وموالاته للكهنة وعدم خروجه على أصحابه.

وقد شاع هذا التقليد أي تقليد زواج الأخ من الأخت بين المصريين القدامى ولم يعد مقتصرا على الملوك بل اتبعه كثير من عامة الشعب.

وكما لعب الكهنة دورهم في هذا التقليد فقد لعبوا دورا خطرا آخر حين استخدموا كل شي كوسيلة لمنافعهم ولذاتهم. حتى نساء المعابد التي تقدم للآلهة في الظاهر كنّ في الحقيقة لمتعهم الخاصة بل وخيروهن بين مضاجعة التيس والعجل وبين مضاجعة الكاهن فقد (كانت النساء يقدمن أحيانا لهذه الآلهة زوجات لهن) وكان العجل وهو الذي يتقمص أوزوريس صاحب هذا الشرف العظيم بنوع خاص وقد عرف عن المصريين أن أجمل نساء منديس كن يقدمن لمضاجعة التيس المقدس وقد بقيت هذه الشعائر من بداية الأمر إلى نهايته عنصرا أساسيا قوميا في الديانة المصرية[2].

وقد انتشر تقديم القرابين في مصر القديمة. حتى أنهم في بعض السنين كانوا يقدمون للنيل أجمل فتاة من فتيات مصر قربانا حتى لا يفيض عن حده

(1) د. امام عبد الفتاح امام. المعتقدات الدينية لدى الشعوب صفحة 58.

(2) غمر لطفي النجار. العقل والايحاء صفحة 36 ـ 37.

ويغرق البساتين ويهدم البيوت ويخرب المعابد. وظلت هذه العادة لديهم حتى دخول الإسلام إلى مصر.

أما الكنعانيون وهم الذين عرفوا الغزوة العبرية وعايشوها حربا وسلما فإنهم من أكثر الشعوب العربية القديمة التي عرفت العبادات والمعابد والمعاملات الدينية والحياتية.

فالديانة الكنعانية ترتبط بأساطير وبطقوس ومعتقدات كثيرة كبقية أساطير تلك الشعوب التي عاشت فيما قبل الميلاد. وجميعها يدخل ضمن هذا التراكم النوعي والكمي لتلك الديانة. وتقديس الكنعاني للآلهة جعله يصنع لها المعابد والهياكل ويقيم فيها الشعائر والطقوس.

وقد كثرت المعابد والهياكل حتى أن الكنعانيين أوجدوا في كل مدينة وقرية هياكل وتماثيل ترمز لأشكال آلهة كبيرة كانت أم صغيرة مهمّة كانت أم ثانوية.

وعادة ما تقام المعابد في الأماكن المرتفعة فلكل إله معبده. والآلهة إن كانت تمثل الذكور أو الإناث فهي جميعها أبناء الإلهة عشيرة.

ومن المعتقدات الكنعانية أن حرق المعبد يعتبر خطيئة كبيرة. وكانت معابد أولاد الإلهة عناة تقام في الساحات العامة من المدينة أو البلدة.

ويعتقد أن قصر الملك عبارة عن معبد تقام فيه الشعائر. فقد ورد في النصوص أن القصر الملكي كان يعج بالتماثيل التي ترمز للإله إيل والإلهة عناة وكذلك بقية الآلهة وجميعها داخل القصر.

إن ذلك سيذكر بما قالته التوراة عن هيكل سليمان وكيف كان يعج بالتماثيل التي تشير إلى بعض الآلهة التي ادعت التوراة أن الملك سليمان بناها إرضاء لنسائه اللواتي بلغن الألف امرأة.

ومن أهم معابد الكنعانيين معبد في بيسان وقد ورد أن الفلسطينيين عندما انتصروا على الغزاة العبرانيين وردوهم على أعقابهم قتلوا ملكهم شاؤول وعلقوا رأسه في المعبد وذلك بسبب اعتدائه مع اليهود على أراضي العرب الكنعانيين. وكان معبد للإله بعل في عقرون شمال فلسطين.

أما عن بناء المعبد فقد ورد أنه كان يحاط بأعمدة كبيرة الحجم، وهي غالبا من الحجارة الكلسية. وقد بني معبد للإله بعل في وادي جبعون وأقيم فيه عدد من الطقوس ويعتقد أن مكانه اليوم (رأس السناه) ويرد أن الفلسطينيين كانوا يمارسون إقامة الأصنام والنصب في الغابات.

وقد ورد في نصوص أوغاريت أن معبدا أقيم للإله أيل بين نابلس والقدس لكنه كان يغص بالتماثيل والأصنام التي تمثل الآلهة المعاونة للإله الأكبر. كما عثر على معبد آخر للإله بعل في جبل الكرمل وبعض مناطق الساحل الشمالي لفلسطين إضافة للمعبد الكبير الذي أقيم للإله بعل في أوغاريت زمن الملك الكبير.

ويرى بعض العلماء أن هذه المعابد كانت تغص بالكهنة والنساء المقدسات. ومن أهم الكهنة الذين ورد ذكرهم في لوحات أوغاريت الكاهن الأكبر إيلو ملكو وهو كاهن أوغاريت. وكان رئيس مقدمي القرابين والمطهرين. ومن الكهنة أيضا ملكي صادق الذي أوردت التوراة عنه أنه التقى بإبراهيم عليه السلام وباركه باسم الإله. أما الطقوس والعبادات لدى الكنعانيين فهي كثيرة وترتبط بالمعابد وبما يسمى المحرقات ويعتبر الخمر من أهم الأشياء التي تقدم في معابدهم ولعل صبه موصى به لأن السماء تتلذذ به حسب عبادة الكنعانيين ويرتبط تقديمه بأسطورة تقول إن تقديمه ينهي حال الجفاف.

وتعتبر صلاة الكنعاني العنصر الأساسي في العبادة. ومن طقوسها التضرع والصراخ أمام الآلهة. ولا تقتصر تأدية الصلاة على الناس بل تشاركهم بقية

الآلهة.ويعتقد الكنعانيون أن الحجارة والنباتات تؤديان الصلاة، ويجب تكرار الصلاة حتى تكون مجدية. وتبدأ الصلاة بعرض الحالة الحاضرة، ومن ثم يأتي تعداد الصفات الإلهية، مع الإشارة إلى حالة المتضرع. وتتركز الدعوات على طلب إنهاء المصائب وعودة الازدهار والبعث من جديد. وتكون الصلاة خالية من أية دعوة ضد الآخرين إلاّ في حالة توجيهها للأبالسة[1].

ولعل التطهير من أهم العادات الطقسية. ويتم بغسل اليدين والوجه. وهو مفروض على جميع الناس. وعادة ما يأتي التطهير بعد حدوث المعارك. ويقصدون به الاغتسال من جريمة سفك الدماء حتى ولو كان صاحبها من الأعداء.ويلحق التطهير الغرف والبيوت والأدوات.

وعند الصلاة يرفع المصلي عينيه إلى السماء وهو واقف. ثم يركع وأخيرا يرتمي على الأرض وعند الصلاة للإله يجب على المصلي خلع ثيابه وتعليقها بجواره ولا بد للكنعاني من التعري بشكل كامل حتى تكون صلاته صحيحة.

ومن الطقوس عند الصلاة الجماعية في المعابد أنهم يحرقون البخور. ويقصد منه طرد الأبالسة. وهو طقس شعائري ظلت آثاره الإعتقادية إلى وقتنا الحاضر.

والى جانب البخور يقدم الكنعانيون الطعام والنذور للآلهة.

ومن الطقوس المحببة للإله الكنعاني إتلاف أصنام الشعوب الأخرى. وكان الكنعانيون يقدمون القرابين من الخبز والطحين ويذبحون الحيوانات ويصبون الخمور فوق الأضرحة لاعتقادهم أنها تسقي أمواتهم الذين هم في العالم الآخر أو العالم السفلي ومن المرجح أن دم الذبائح كان يصب في المقابر[2] والأضاحي

(1) دبل ميدكو. اللآلي نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوس صفحة 36.

(2) المرجع السابق صفحة 129.

والقرابين تقدم من الأغنام والثيران والأيائل والوعول والظباء وكانوا يصطادونها حية.

ويعتقد الكنعاني باستحضار روح الميت، ويعتبر هذا الاستحضار جزءا من الديانة الكنعانية، فكانوا يعملون على إيقاظ روح الميت. وقد انتشرت عبادة الأرض والأموات والآباء والأجداد لفترة زمنية طويلة بين أبناء الكنعانيين.

ومن المعتقدات الهامة عند الكنعانيين تلك المتعلقة بالدهان والمسح ويرون أن لبعض الألوان التي يدهن بها الإنسان جسده قوة سحرية ويعتقدون أن الكلام قوة لا تتزعزع وهي بمثابة حكم قضائي حتى أن الإله أيل إذا ما نطق بخبر شيء فلا بالمستطاع محوه إلا بموجب عملية التطهير.

أما بالنسبة للمعاملات فهي عند الكنعانيين كثيرة ومتنوعة. فالشعب الكنعاني يؤمن بالعدالة الإنسانية مثل العدالة الإلهية وهي سريعة التطبيق فالقاتل بظلم يقتل بالرجم كما ترجم الجواميس. وبالضرب على الجبهة كما تضرب الجراذين أو كما تسحق تحت الأرجل.

ومن حيث الرمز فإن سلوك الناس تجاه الخطايا والرذائل كتصرفهم بالنسبة للآثم، فالمطلوب أن يرمزوا إلى ذلك بطردها بحد السيف وإحراقها بالنار وسحقها في الرحى. ودفنها في الحقول وذرها في البحر ويتراءى لنا هنا أننا أمام طقس ديني كان يقام فعلا فربما كانوا يكتبون على لوحة خطايا الإنسان التي سجلت عليه ومن ثم تطبق على اللوحة ما ذكر أعلاه.

ويمكن أن يكون اليهود ورثوا هذه العادة مكتفين باصطياد تيس من الصحراء يحمل كل خطايا الشعب[1].

---

(1) ويل ميدكو. الآلىء نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص 181 ـ 182.

أما نظرة الكنعاني لغيره من بني الإنسان فتتميز بالتسامح واحترام الحق، والتواضع والنبل. فعند الكنعاني (إن عدم التسامح لا يقود إلا للخراب) وإن العطف يصلح من هو في الضلال. فالمجتمع الكنعاني مجتمع متسامح مسالم. فهو يرى أن الأحمق يزداد حماقة إذا ما اشتد الضغط عليه. فهذه النظرة نابعة من الوجود الإنساني المتطور.

وعُرف الكنعانيون بأنهم يحترمون قول الحق ويرفضون عدم الوضوح حتى لا يقع الإنسان في التشويش والضلال. إنهم يرفضون تجزئة الحقيقة.

والتواضع من صفات الكنعاني، فالإله أيل الذي يتصوره الكنعانيون يعاقب من يتباهى بثروته. وإيل نفسه لا يستجيب لذي حاجة إلا إذا تخلى عن خيلائه وبالتواضع يتجلى إيمان الإنسان بالآلهة، ويشجب الكنعاني تكديس الذهب والفضة معتقدا بأن التعلق بالذهب يزيد من أطماع العدو[1].

ويحترم الكنعانيون المرأة لأنهم يعتبرونها كالآلهة فهي جميلة وعالمة. ويرى الكنعاني أنه يجب عدم الإقتراب من المرأة بأفكار سيئة. ومن المناسب كبح جماح العواطف ورفع اليد عن زوجة الآخر. ويجب الظهور بمظهر العفة إزاء النساء لأن الزوجة حسب الديانة الوثنية الكنعانية هي أشبه ما تكون بزوجة الإله وهي الشاهد على أسراره المقدسة وبيت المرأة مقدس كالمعبد. إنه مكان الأسرار المقدسة فهو شبيه ببيت الإله. والحكمة على أفواه النساء، فيجب أن نبتهل إلى الله أن يحمي فم المرأة الذي تتدفق منه التعابير الحكيمة المؤدية إلى الرخاء.

ويرى الكنعاني أنه يجب الامتناع عن مشاجرة المرأة الحامل. إن مثل ذلك خليق بمن يحكم عليه بنهاية العز وبألم الآلام. ويجب الانتظار وبصبر

---

(1) ديل ميدكو. الآلِيء نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص 185.

ساعة الخلاص وإفهام الرجل العنيف المتباهي بجرأته أن الآلهة وحدها هي التي تهيء النضج للطفل وهو جنين

الصلوات للآلهة تتلى من الصدور وليس من الشفاه وبذلك تتخلى الآلهة عن بعض الحكمة لتقدمها للزوجة. تلك الآلهة الرحيمة التي تحدد يوم الولادة. وإن من لا يصلي إلا من فمه دون إيمان حقيقي تكون السموات مغلقة في وجهه وعلينا أن نتهيب ساعة الولادة، وعلى الذين أرعبوا المرأة أن يهربوا وأن المرأة التي تعذب أثناء الحمل يمكن أن تلد قبل الأوان في الشهر السابع أو تتأخر ساعة الخلاص.

ويرى الكنعاني أنه يجب العطف على العاقر لأنها دون إرادتها لم تنجب أولادا والشعب الذي لا يتكاثر هو شعب فارغ أشبه ما يكون بالرجل المطرود خارج البيت. وعلى العكس من ذلك يجب فتح الأبواب أمام من ينجب.

أما بالنسبة للخمر فيرى الكنعانيون أن الخمر الذي يحتسيه الرجل مساءً شبيه بالنار إنه يُسكِر ويضعف ولذلك يجب الإقلال من شرب الخمر.

وقد ورد في نصوص أوغاريت أن الإله أيل كبير الآلهة الوثنية الكنعانية يحفظ الناس من الشقاء بواسطة الدهان. ويمكننا أن نجد هذا التعبير في كثير من نصوص التوراة.

أما القرابين فمعروف لدى الكنعانيين أنهم يقدمون القرابين من الخبز والطحين إلى الأصنام في الغابات. كما يذبحون الحيوانات ويصبون الخمور فوق الأضرحة ليشربها الأموات في العالم الآخر. والحيوانات التي تذبح هي الخراف والثيران والأيائل والوعول والظباء التي يصطادونها حية[1].

(1) اللآلي نصوص من الكنعانيين سبق ذكره صفحة 110.

أما حضارة بلاد ما بين النهرين فقد امتدت عبر آلاف السنين قبل ميلاد المسيح وتعاقبت عليها دول وإمبراطوريات. وشهدت وعياً واضحاً بالقوى الروحية والعبادات.

وفي منتصف الألف الأخيرة ق. م سبي اليهود إلى بابل مرتين ومكثوا في ضفاف الفرات حوالي سبعين عاماً كانت كفيلة بأن تؤثر في كثير من عباداتهم وعاداتهم ومعاملتهم.

عرف أهل الرافدين المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين والتماثيل الرمزية الصغيرة وتماثيل الآلهة وعادات الدفن

فالإله البابلي الأكبر يدعى مردوخ ويرجع صعود نجمه من ناحية إلى مدرسة دينية ألفت التراتيل والصلوات لتمجيده ثم أضافت الفصل الثاني عشر والأخير إلى ملحمة الخلق الكلاسيكية لكي تجمع له النعوت والألقاب التي يوصف بها الآلهة.

وقد عرفت المعابد لدى بلاد الرافدين بشكل واسع ، حيث وجد في كل مدينة أو قرية معبد. فالإلهة الوثنية عشتار وجد معبدها في مدينة نينوى.وقد وُجد في بابل وحدها مائة وثمانون معبدا منتشرة على الطرقات في الهواء الطلق حيث كان من الممكن التوجه إليها بالصلاة أو تقديم النذور.

ولكل إله من الآلهة الكبرى صفات خاصة يبتهل له عبّادة له أثناء الصلاة.وقد عرف البابليون الطهارة فالملك يجب أن يكون طاهرا حتى يستطيع أن يحكم وقد صلى الشعب البابلي لملوكه على الرغم من أن الملك لا يعتبر نفسه إلها. وفي عبادة الآلهة كان البابليون يصلون بتسبيحةٍ نمطية للشكر. كما أن هناك تراتيل موجهة للمعابد والمدن المقدسة. ويمكن للناس أن يتجهوا إلى الآلهة الشفيعة (لاما) التي تأخذ بيد المتعبد إلى حضرة الإله.

وهناك صلاة وجدت مكتوبة على أحد الرقم تقول: (اعبد إلهك كل يوم، وقدم له القرابين والصلوات، التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور، قدم قربانك طائعاً لإلهك. لأن ذلك يتناسب مع الآلهة، قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم، وسوف تثاب على ما تفعل. عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل، إن التبجيل يولد الحظوة، والقربان يطيل الحياة، والصلاة تكفر عن الذنب)[1]. ويستطيع المتعبد الثري بدلاً من القيام بنفسه بالصلاة والنواح أن يودع المعبد شيئاً مناسباً على سبيل الهدية كتمثال صغير. بعض الأواني النحاسية. وقد تكتب الصلوات كذلك على هيئة رسائل توجه بطريقة مناسبة، وتكتب عادة في شيء من التفصيل عارضة الشكوى والالتماس أو الاحتجاج أو الصلاة. وإيماءات الصلاة بالإضافة إلى الركوع والسجود وتتم برفع اليدين معا إلى الأعلى أو وضع يد واحدة أمام الفم على أن تكون راحتها تجاه الوجه[2]

ومن الطبيعي جدا أن العبادات في أي حضارة ثابتة ترتبط بالمعابد وقد أشرنا إلى الأعداد الهائلة منها في بابل وبلاد ما بين النهرين.

وتدل الحفريات أن المعابد في بلاد ما بين النهرين كانت تبنى على شكل مستطيل في حائطه كوة يوضع فيها تمثال صغير للإله، أو شعار مقدس وأمامها منضدة للقربان ويقوم البناء على نموذج أقدم طراز للهياكل من أعواد القصب. ثم أصبح يُبنى من اللّبن المشوي. ويرفع الصنم فيه فوق منبر أو قاعدة في محراب داخلي مظلم ويوضع أمامه المذبح أو المنضدة، وتوجد مغسلة أو بئر ماء في الساحة الرئيسية للمعبد بعد مدخله الرئيسي. كما يضم المعبد أماكن جانبية للعبادة.

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ترجمة إمام إمام صفحة 29.

(2) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب صفحة 30.

وكان الملوك يهتمون بتجديد المعابد وزخرفتها، في كافة المدن والقرى البابلية. وقد عرفت العبادة البابلية طبقة الكهنة، ويقومون عادة بتقديم القرابين وصب السكائب والتطهير والمسح بالزيت. ويعمل بعضهم بتلاوة التعاويذ والرقى والغناء والإنشاد والموسيقى. ويعمل كهنة التعاويذ والعرافون داخل المعبد وخارجه[1] كما كان لبعض المعابد مجموعة من الكاهنات أو الراهبات يعشن في أديرة.

وفي الأعياد البابلية طقوس تعبدية معروفة بارتباطها بمواسم محددة من الأشهر أو السنة. وأهم هذه الأعياد عيد رأس السنة. حيث تبدأ الشعائر في بابل وقت الفجر من هذا العيد في اليوم الأول، ثم يتبعها تقديم القرابين ثم صناعة التماثيل الصغيرة ثم يعقب ذلك في اليوم الرابع تلاوة ملحمة الخلق، وصلوات خاصة لمردوخ وينهض الملك في اليوم التالي ليغتسل في مياه النهر الطاهرة قبل أن يدخل المعبد مرتدياً كساءً كتّانيّاً جميلاً، وبعد الصلاة يفتح باب الكهنة ويشرف على تقديم قرابين الصباح وينخرط الملك في صلاة طويلة مظهراً براءته وحسن إدارته.

ويسجد الملك ويصلي ويقدم قربان المساء. وينتهي الإحتفال بالزواج بين مردوخ وزوجته صن بنيتو. مصحوباً بمهرجان شعبي كبير.

وفي الديانة البابلية أن الخطايا تغفر بتلاوة تراتيل التوبة والصلاة أو التفجُّع والنواح ويمكن التحرر من الخطايا بتقديم القرابين. ويبدو أن هذا الطقس عرفه العبريون وطبقوه في مسيرة حياتهم الدينية.

أما في المعاملات والقوانين الحياتية فقد اشتهرت في حضارة البابليين قوانين حمورابي التي اعتبرها بعض الباحثين أول قوانين تشريعية تتناول حياة الناس وعلاقاتهم بالتفصيل وتنظم لهم شؤونهم بشكل مفصل ودقيق.وأهمية هذه

(1) المرجع السابق صفحة 32.

القوانين تكمن في تشابهها مع قوانين التوراة المدونة، وتتقاطع مع وصايا البوذية في الهند.

وحين نقارن قوانين حمورابي بقوانين التوراة، نــدرك أن مدونـي التـوراة كانوا مطّلعين على الشرائع المختلفة التي وضعها المصريون في مصر والســومريون والبابليون والآشوريون في العراق والحثّيون في فلسطين، وخاصة شريعة حمورابي التي اقتبسوا منها المواد المتشابهة بين الشريعتين. الشـريعة البابليـة والشـريعة التوراتية.

ومثال ذلك قانون حكم العين بالعين والسن بالسن. وحكم تهريب الرقيق وسرقة الإنسان لبيعه. وتشريع انتهاك حرمة الأبوين وشريعة الزنا والاغتصاب. وكذلك شريعة السرقة والنهب. واتــهام المـرأة أو فتـاة بالفحشـاء بغـير إثبـات. والاتهام الكاذب والشهادة الكاذبة. والسحر وتعاطيه والديون وكيفية استيفائها. وتعاطي الربا. والتعويض عن الإضرار. وتعدد الزوجات وحينما ننظـر إلى تعـاليم البوذية نجدها تتقاطع مع التشريعات التوراتية تقاطعــا كبـيرا. فالبوذيـة تقـول يجب ألا تقضي على حياة وتقابلها في التوراة لا تقتل وتقول البوذية يجــب إلا تقول ما هو غير صحيح وتقابلها في التوراة لا تكـذب وتقـول البوذيـة يجـب ألا تباشر علاقة جنسية محرمة وتقابلها لا تزن في التوراة وأمثلة كثيرة على تقــابل الأحكام وتشابهها بين البوذية واليهودية.

بيــد أن التـأثر الأكـبر جـاء مـن خـلال احتكـاك التوراتيـين بتشــريعات حمورابي إذ كانت الصلة بينهم مباشرة، والاحتكاك يوميا.ونعود للقول إن فترة السبي التي دامت ما بين خمسين وسـبعين عامـا كـانت كافيـة للاسـتفادة مـن التراث البابلي، لا سيما أن تدويـن التـوراة تم في تلـك الفـترة، إضافـة لكتابـة التلمود البابلي الذي يعتـبر الأسـاس في تشـريعات اليهوديـة منـذ ذلـك الوقـت وحتى الآن

الفصل الثاني

المعبد والعبادة اليهودية
في التوراة والقرآن



ترتبط عبادات كافة الشعوب بمعابد وأماكن تمارس فيها الطقوس الخاصة بهذه العبادات، وقد شكل المعبد لبني إسرائيل في مرحلة من المراحل ركنا أساسيا في عباداتهم وطقوسهم، غير أن الدارس لحياة بني إسرائيل ومراحلها يرى أن المعبد لم يكن ذا أهمية تذكر، إلا في مرحلة حكم داود وسليمان عليهما السلام. ولذلك فلم تكن عباداتهم واضحة المعالم في مراحل عدة من حياتهم.

وإذا سرنا مع نصوص التوراة التي تفترض أن بني إسرائيل من نسل يعقوب واسحق وإبراهيم تبرز لنا عبادات وطقوس تطورت مع تطور العقيدة اليهودية أو مع تطور عقيدة بني إسرائيل. ويمكن في هذا الإطار أن نقسم ملامح العبادة حسب الشكل التالي:

1 ـ عبادة بني إسرائيل في الجذور قبل الخروج من مصر.

2 ـ عبادة بني إسرائيل في سيناء.

3 ـ عبادة بني إسرائيل بدءا من التسرب إلى أرض فلسطين حتى قيام مملكة داود.

4 ـ عبادة بني إسرائيل زمن داود وسليمان عليهما السلام.

5 ـ عبادة بني إسرائيل بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام.

6 ـ عبادة اليهود أيام السبي البابلي.

7 ـ عبادة اليهود منذ السبي البابلي حتى بعثة السيد المسيح عليه السلام.

يرد حديث مفصل في التوراة عن النبي إبراهيم عليه السلام فهي تعتبره

جد بني إسرائيل الأول. فهو الذي أنجب إسحق. وإسحق أنجب يعقوب. ومن يعقوب خرج إثنا عشر إبناً شكلوا ما يسمى قبائل بني إسرائيل .ويستغرق الحديث عن إبراهيم معظم سفر التكوين. ولكن التركيز التوراتي كان على الوعد الذي تصوره التوراتيون والعهد بين الله وإبراهيم لمنحه الأرض الكنعانية له ولنسله من بعده.

وما يلفت النظر أن التوراة لا تذكر إلا بعض طقوس العبادة التي قام بها إبراهيم طوال حياته. وأول ما يظهر في بعض علاقة العبادة بإبراهيم هي إشارة التوراة إلى أن إبراهيم بنى مذبحاً للرب الذي ظهر له. فتقول: (وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له) تكوين 12/8 وتقول: (فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب) تكوين 12/8 ثم تقول: (فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون فبنى هناك مذبحاً للرب) تكوين 13/18 وفي الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين تظهر شعيرة تعبدية لدى إبراهيم وهي أمر الله له بالختان.

تقول التوراة: (يختن منكم كل ذكر. فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم) تكوين 17/10/11/12 .وتقول التوراة: (فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين خُتن في لحم غرلته وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته) تكوين 17 / 23 / 26 وأصبحت شعيرة الختان تقليداً لجميع الأمة الموحدة وليس فقط لبني إسرائيل وقد سار رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على سنة أبيه إبراهيم عليه السلام. فلا يصح للمسلم أن يكون مسلما صحيحا إلا إذا اختتن.

وفي الإصحاح الثامن عشر يرد في التوراة أن إبراهيم سجد عندما رأى ثلاثة رجال واختلط الأمر لديه فظن أن الله واحد من الثلاثة حسب قول التوراة (فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك) تكوين 3/2/18.

ويتضح من خلال هذا النص أن سجود إبراهيم يختلط بين سجود الإجلال والتعظيم وسجود العبادة. لكن الذي يرجح أن سجوده سجود احترام هو فجائية قدوم الرجال الثلاثة دون سابق إنذار.

ويرد في الإصحاح العشرين إشارات لصلاة قام بها إبراهيم. وهذه الصلاة عبارة عن توجه لله ودعائه كي يشفى أبيمالك .تقول التوراة: (فصلى إبراهيم إلى الله فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه) تكوين 17/20 ويرد في التوراة أيضاً: (وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما) تكوين 22 /5 وتتكرر عملية سجود إبراهيم في حالتين حالة السجود لأشخاص وحالة سجود لله كشكر له ودعاء. تقول التوراة (فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث) 7/23 ويرد أن إبراهيم قد دفن زوجته سارة في مغارة المكفيلة في حبرون. ثم يرد أن اسحق وإسماعيل دفنا أباهما إبراهيم في مغارة المكفيلة في حبرون.

ومن خلال سيرة إبراهيم في التوراة نرى أنه آمن بالله وحده. وعبده من خلال صلاة محددة. وقد خُتن كما أمره الله. ثم دفن زوجته ودُفن هو أيضاً حسب ما علمه إياه الله. وبنى مذابح للرب ومحرقة كان يريد أن يذبح ابنه عندها. ولكن المدقق في عبادة إبراهيم يرى أنه كان يفتقد للمعبد الذي يرمز للتوحيد. فليس في التوراة أي ارتباط بين إبراهيم وبين معبد له صفة القدسية الإلهية .وصلاته التي كان يؤديها حسب وصف التوراة تختلط بين صلاة التعبد

وصلاة السجود، الذي قام به ليس جميعه سجود عبادة إنما فيه سجود احترام وتقدير كما مر معنا.

وإذا تابعنا مسيرة التوراة في حديثها عن بقية الأنبياء الأولين نرى أن الأمور لم تختلف كثيراً إنما زيد عليها وذلك لتضفي التوراة عليها شيئاً من القدسية والتضخيم .فإسحق لم يصلّ ولم تتضح كيفية عبادته. حيث أن التوراة ركزت على أمور أخرى بعيدة عن العبادة.

أما يعقوب فإن حديث التوراة عن عبادته يبدأ حين تشير إلى حلم حلمه يعقوب. وادعت فيه أنه رأى الله فقام من نومه ونصب الحجر الذي كان يضع رأسه عليه عموداً وصب عليه الزيت وقال هذا معبد الرب .تقول التوراة: (وخاف وقال ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء) تكوين 28 / 17. وتقول التوراة: (وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل) تكوين 18/28 / 19 وتقول التوراة: (وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله وكل ما تعطيني فإني أعشِّرُهُ لك) تكوين 28 /22 ويرد في التوراة: (أنا إله بيت إيل حيث مسحتَ عموداً حيث نذرت لي نذراً) تكوين 13/31. وهذه الإشارة توضح أن مسح العمود كان عادة متبعة لدى تلك الأقوام الرعوية البدوية التي ليس لها مكان تستقر فيه وبالتالي ليس لها معابد تقدس الله من خلاله .وفي الإطار نفسه نرى أن عقد العهود بين المتعاهدين يتم بنصب عمود من الحجارة لتكون شاهدة على ذلك العهد. ويرد في التوراة حول ذلك قولها: (انظر الله شاهد بيني وبينك. وقال لابان ليعقوب هوذا هذه الرجمة وهوذا العمود الذي وضعت بيني وبينك. شاهد هذه الرجمة وشاهد العمود إني لا أتجاوز هذه الرجمة إليك وإنك لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود إلي للشر) تكوين 31 /52/50 وهذا النص يدل على أن يعقوب يريد أن يكون الله شاهدا على عهدهما لكن لابان يريد أن يقدم

الأوثان شاهدة. باعتباره كان وثنياً ويدل على وثنيته أن التوراة تورد أن راحيل سرقت أصنام أبيها لكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف يجيز يعقوب لنفسه وهو الموحّد أن يذهب إلى خاله الوثني ويتزوج ابنتيه الوثنيتين؟ نترك الجواب لأن المسألة هذه لها مجال آخر للتعليق عليها.

وفي سيرة يعقوب في التوراة يرد الكثير من الإشارات إلى سجود يعقوب لأخيه عيسو وكذلك سجود أولاده ونسائه لأخيه حتى أن التوراة تورد أن يعقوب (سجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه) تكوين 3/33. وهذا السجود عادة متبعة للاحترام وليس للعبادة .ويرد أيضاً أن يعقوب أقام مذبحاً للرب ودعاه إيل إله إسرائيل. ثم يرد مرة أخرى أن الله قال ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك. فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم ولنقم ونصعد إلى بيت إيل فأصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم صنيعتي وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه) تكوين 4/1/35. وهذا النص يشير لنا بأن يعقوب ارتبط بعبادة الإله الواحد وأدرك أن الذي يتعلق قلبه بغير الله أي بالأصنام عليه أن يطهر نفسه ويطهر ثيابه. وهذا ما ندركه من خلال عقائد التوحيد أن الأصنام رجس أو نجس يجب التطهر منها نفسياً وجسدياً .وقد جاء في التوراة أن يوسف عندما بعث لأبيه ليأتي إلى أرض مصر بعد أن يخبره إخوته أنه حي يرزق يقوم يعقوب بذبح (ذبائح لإله أبيه أسحق) تكوين 1/46. أما الإصحاح الخمسون فإنه يورد بعضاً من الطقوس المصرية التي نفذها يوسف. وهي أنه أمر بتحنيط أبيه. تقول التوراة: (وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه. فحنط الأطباء إسرائيل وبكى عليه المصريون سبعين يوماً .ثم تقول التوراة عن موت يوسف: (ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضع في تابوت في مصر .هذا ما يمكن أن نجده من بعض العبادات التي تمسك بها الأنبياء الأولون منذ إبراهيم

حتى يوسف عليهم السلام. وبذلك تكون مرحلة من المراحل التي أشرنا لها وهي مرحلة الجذور التي يدّعي اليهود فيها أنهم ينتسبون إلى إبراهيم وأحفاده.

ومنذ بداية هذه المرحلة نلاحظ أن إشارات كثيرة أوردتها التوراة حول بعض أشكال الصلاة. وبعض أشكال المذابح التي كان يقيمها بنو إسرائيل والأدعية وبعض العادات الدينية كالتطهير من الأصنام وما شابه ذلك ولا يرد في هذه المرحلة أي ذكر لأي نوع من الصيام أو الزكاة أو تقديس بيت مخصص لله كمعبد يرمز لعقيدتهم. وقد برزت بعض أخلاقيات الأنبياء وسلوكياتهم في هذه المرحلة. كالتسامح. ورفض الزنا وإجراء العقوبة لمن يزني إلا أن التوراة تساهلت في بعض المواقف بفعل القبائح. مثال ما فعل يهودا عندما زنا بكنّته الميت زوجُها. ومثال تساهل راحيل حينما سرقت أصنام أبيها لتعبدها بعدما عزم يعقوب على الرحيل من عند خاله لابان. أو قيام أحد أبناء يعقوب بفعل الزنا مع إحدى جواري يعقوب .أما المذبح فقد ورد ذكره في التوراة أكثر من أربعمائة مرة. وقد ورد ذكره في سفر التكوين أي في المرحلة الأولى من مراحل العبادة عند بني إسرائيل كما ترى التوراة مرات عدة. وهو بهذا المعنى يشكل شيئاً مهماً مرتبطاً بالعبادة .والمذبح يعني المكان المرتفع الذي تقوم عليه الذبيحة أو التقدمة أو البخور أثناء العبادة.

وقد بنى القدماء المذابح على أشكال عدة وتختلف باختلاف الأمم التي كانت تقيمها..فمنهم من كان يبني المذبح مستديراً ومنهم من يبنيه مربعاً. وعلى الغالب فإن المذابح كانت تكرس لبعض الآلهة وتسمى بأسمائها. وبعضها لم يكن له اسم إطلاقا .وكان القصد من بناء المذابح الاستغاثة بالله أو تقديم الشكر له أو طلب رحمته وكانوا يؤثرون لذلك المناطق المرتفعة في أغلب الأحيان. ولعل السر في تفضيل المكان المرتفع لاقامة المذبح راجع إلى فكرة الاقتراب إلى الله إلى جانب لياقة المظهر وجلاله.

وكانت المذابح تبنى تذكاراً للحوادث العظيمة. وفي البداية كانت المذابح تصنع بدون شكل أو رسم معين. ولم تكن متقنة البناء إلا عند بعض الوثنيين الذين كانوا ينحتون وجوه آلهتهم في صخرة المذبح. أما سائر المذابح فقد كانت عبارة عن كومة مربعة من الحجارة. أو تل من التراب، يصنعه الإنسان أمام خيمته حيثما حل للعبادة أو تذكاراً لمقابلة مع الله. وعلى هذا الأساس صنع يعقوب عليه السلام مذبحه في بيت إيل من الحجر الذي توسده ليلة هروبه من أخيه عيسو ومقابلته لله. تك 14/35/28 هذا هو المذبح الذي أطلق عليه الباحثون اسم المذبح العامي أو الشعبي الذي كان يجوز لكل واحد أن يقدم عليه ذبائحه. لهذا فليس عجيباً أن يبدأ الله معاملاته ـ حسب قول التوراة ـ مع بني إسرائيل بهذا المذبح حالا بعد الوصايا العشر. ويتدرج الله مع بني إسرائيل فيحدثهم عن المذبح الذي من حجر أو من حجارة غير منحوتة صحيحة بدون حفر أو نقش لئلا يعتبر بمنزلة الصور أو التماثيل الوثنية .ثم تدرج الله مع بني إسرائيل فأعلن لهم عن مذبح آخر يسميه بعضهم المذبح الكهنوتي وقد قدمه الله على يد النبي موسى عليه السلام. فكان مختلفاً عن كل المذابح السابقة إذ صنع من خشب السنط المغشى بالنحاس أو الذهب بمقاييس دقيقة أعلنها الله لموسى. ولا يجوز أن يقدم ذبيحة على هذا المذبح إلا للكاهن اللاوي ويوضع هذا المذبح (مذبح المحرقة في مدخل خيمة الاجتماع)[1].

ومما تقدم نرى أن العبادة التي قام بها إبراهيم عليه السلام وأبناؤه وأحفاده حسب ما ورد في التوراة، لم تكن ترتبط بشيء أسمه المعبد. ولا ترتبط بزمان محدد وهذا يعني أن ما ورد يدل على أن عبادة الصلاة وإقامة مذبح للرب هما أهم معلمين من معالم العبادة عند هؤلاء الأنبياء. وإذا عدنا إلى نصوص القرآن الكريم نجد الأمر مختلفاً تماماً عما ورد في التوراة. فإبراهيم عليه

() قاموس الكتاب المقدس صفحة 385 ـ 386

السلام اختاره الله ليكون نبياً بل وإماماً للمتقين .فإبراهيم عليه السلام منذ حداثته يرفض عبادة الأصنام ويتعلق بعبادة الله الواحد الأحد وإبراهيم يلبي أمر الله بالهجرة من أرض الكفر إلى أرض أخرى ليبلغ رسالة التوحيد.

ولكن الأهم من سيرة هذا النبي حسب ما ورد في القرآن الكريم هو تنفيذ أمر الله سبحانه ببنائه البيت الحرام أولاً وذلك لغايات واضحة وهي إقامة الصلاة وتأدية الزكاة والحج إلى هذا البيت الذي يرمز لديانة التوحيد. ويرافق هذه العبادات ملحقات لا تصح إلا بها كالتطهير ,وقد أهّل الله سبحانه وتعالى إبراهيم ليكون نبياً وداعياً إلى الله وإلى عبادته .يقول تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين) النحل 120/ 122. ولننظر في آيات القرآن الكريم التي بينت طبيعة عبادة النبي إبراهيم يقول تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وأجنبي وبني أن نعبد الأصنام) إبراهيم 35. فأول العبادة الإخلاص لله وحده والابتعاد عن عبادة الأصنام. إبراهيم النبي يتوجه لله سبحانه بالدعاء أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام .ثم يقول تعالى: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) إبراهيم 37.

إذا فالغاية من إرسال إبراهيم لابنه قرب البيت الحرام هي إقامة الصلاة باعتبارها الركن الأهم في العقيدة الإسلامية. وهذا يعني تحديدا أن فرض الصلاة كان مطلوبا من إبراهيم أن يؤديه لأنه أمر الله. ويقول تعالى: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن

كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عـذاب النـار وبئـس المصـير) البقـرة 125 ـ 126. فالآية الأولى تشير إلى أن الله جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً، وقد جعل الله سبحانه مقام إبراهيم مكاناً للصلاة، ليتبع الناس ما كان عليه إبراهيم عليه السلام من العبادة .أمـا الآيـة الثانيـة فتوضـح كيـف أن الله سـبحانه عـهد إلى إبراهيم وإسماعيل تطهير البيت، وطهارة البيت جزء من عبـادة أو هـي مقدمـة للعبادة التي يقـوم بـها الطـائفون مـن الحجـاج، والعـاكفون في المسجد للتعبـد وللركع السجود الذين يقومون بتأدية فريضة الصلاة.

وتوضح الآيات اللاحقة أن غايات بناء البيت الحرام التعرف علـى هـذه الفريضة التي تسمى الحج فإبراهيم وإسماعيل يدعـوان الله سـبحانه وتعـالى أن يريهما مناسكهما. ففريضة الحج التي هي ركن من أركان الإسلام بدأها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، يقول تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيـم مكـان البيـت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فـج عميـق. ليشـهدوا منـافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم مـن بهيمـة الأنعـام فكلـوا منها وأطعموا البائس الفقير) الحج 26 ـ 28. وعلى ضـوء هـذه الآيـات نـرى أن إبراهيم عليه السلام أدى أركان الإسلام التي أقرها الله سبحانه على الموحدين.

فقد عرف كيف يؤمن بالله ويستقيم
وعرف كيف يصلي تنفيذاً لأمر الله عز وجل
وعرف كيف ينفذ أمر الله ويبني البيت الحرام
وعرف كيف يطهر هذا البيت للحجاج والعاكفين والركع السجود
وعرف الحج فريضة فنادى بها الموحدين.

وتربى إسماعيل برعايـة مـن الله سـبحانه وتعـالى وبرعايـة النبـوة الـتي منحت لإبراهيم، فإسماعيل شارك أباه في إعمار البيت الحرام، وهذا يعني أنـه

عرف الغاية من بناء هذا البيت، وقد اتبع إبراهيم أباه في كل عباداته.

يقول تعالى: (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) مريم 54 ـ 55. وهذا دليل أخر على أن العبادة التي تعلمها إسماعيل من إبراهيم كانت تتضمن الصلاة والزكاة. فإذا أضفنا ذلك إلى ما ورد عن إبراهيم وجدنا أركان الإسلام متكاملة منذ النبي إبراهيم عليه السلام.. التوحيد. الصلاة. الزكاة. الحج إلى بيت الله الحرام، أما الصيام فهناك إشارة واضحة في القران الكريم أن هذه الفريضة فرضها الله على المؤمنين جميعاً منذ بدء التوحيد وحتى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة 183.

والأنبياء الذين سبقوا النبي صلى الله عليه وسلم هم أولى الناس بالصيام لأنهم رأس الإيمان والمؤمنين الذين سبقوا أمة الإيمان التي بعث لها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

ونستنتج مما سبق أن التوراة تنفي وجود بيت الله الحرام وبالتالي ليس هناك حج وشعائر وعبادات مرتبطة بهذا البيت.

إن التوراة التي دونت لتاريخ الأنبياء الأوائل أبرزت من خلالهم ومن خلال عباداتهم مرحلة متخلفة في العبادات. فهم عبارة عن عائلة بدوية متنقلة غير ثابتة في مكان محدد. ولهذا التنقل وعدم الثبات دورهما في عدم وضوح عبادات مستقرة، بينما قدم القرآن الكريم منذ البداية في الحديث عن النبي إبراهيم عليه السلام نظرة متقدمة في العبادات. فهناك مكان ثابت يرمز لعبادة الله الواحد وهو البيت الحرام. وهناك معالم واضحة لعدة عبادات كالصلاة والحج والزكاة والتطهير وهذه الأسس التي رسخت في زمن إبراهيم استندت عليها عقائد التوحيد بدرجات مختلفة.

وعندما نتصفح حياة الأنبياء الذين بعثهم الله مباشرة بعد إبراهيم وهم اسحق ويعقوب ويوسف ومن كان على دينهم كالأسباط أولاد يعقوب. نرى أن الرابط بينهم وبين إبراهيم هو رابط الإرث النبوي والأبوي. فجميعهم أنبياء اختارهم الله للنبوة ليسيروا على منهج إبراهيم التوحيدي.

وأعتقد أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا بعيدين عن العبادات التي كان عليها أبوهم إبراهيم. فهم يستلهمون منهجا متكاملا في الدين والعبادة على وجه الخصوص.

يقول تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب قال يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون) البقرة 132 ـ 133.

ويتضح من خلال الآيتين منهج إبراهيم عليه السلام في دعوته لديانة التوحيد فهو لم يحصر العقيدة في شخص، إنما ورثها لبنية وأحفاده ليتم نشر الدعوة ولا تتوقف.

ويفضح القرآن الكريم كتبة التوراة الذين حالوا أن ينسبوا إبراهيم وإسحق ويعقوب إلى العقيدة اليهودية وبين للناس كافة أن هؤلاء الأنبياء لهم عقيدتهم التوحيدية الخاصة.

وقد أشارت التوراة إلى أن يوسف أمر بتحنيط جثة أبية يعقوب. وأوردت أن أربعين يوما مضت على التحنيط ثم نقل جثمان يعقوب من مصر إلى سيناء ثم إلى حبرون حيث دفن عند آبائه. وكذلك فعلوا بيوسف مثلما فعلوا بيعقوب أي أنهم حنطوه جريا على عادة المصريين القدماء.

فهذا يشير بوضوح إلى التأثير الكبير الذي كان عليه بنو إسرائيل أثناء وجودهم في مصر. والتحنيط عادة متبعة لدى ملوك مصر وأمرائها وكهنتها ولهذا التحنيط دلالته في الديانة المصرية، وله طقوسه.

وحسب كافة المصادر والمكتشفات تبين أن المصريين عندما كانوا يريدون تحنيط أي جثة فإنهم يفرغونها من أحشائها الداخلية إلا القلب ويكسرون الرأس ويسحبون المخ وتجمع هذه الأحشاء في جرار من الفخار. ثم يضعون المواد المحنطة في جثة الميت حيث تحافظ على نفسها مدة زمنية طويلة.

وكان المصريون يعتقدون أن الميت يجب أن يحنط كي يستقبل حياته الأخرى بعد أن يحاسبه إله العالم السفلي حيث يزين قلبه وما فيه من حسنات أو سيئات وحسب ما أوردته التوراة عن ذلك فإنه يدل على دخول لوثة وثنية في عقيدة يوسف وإخوته وهذا ما لم يرد في القرآن الكريم.

وتبدأ المرحلة الثانية بعد انقطاع زمني يدوم حوالي أربعمائة عام. فبنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام يستقرون في أرض جاسان في مصر ولا ندري كيف كانت صلاتهم وصيامهم، وكيف كانت قرابينهم ومعابدهم وكل الذي نعرفه من خلال التوراة أن أرض جاسان أرض مرعى. وهي وافرة الخيرات حيث ناسبت طبيعة بني إسرائيل الرعوية.

غير أن بداية سفر الخروج التي تشير إلى هروب موسى عليه السلام ومعه بنو إسرائيل وبعض العبيد المظلومين والمصريين الذين ظلوا على ديانة أخناتون شبه التوحيدية تشير إلى تمرد حصل عدة مرات من قبل هؤلاء في وجه موسى عليه السلام.

وهذا التمرد كان لعدة أسباب وعلى عدة أساليب. فقد تمردوا على عقيدة موسى التوحيدية حينما طلبوا أن يجعل لهم آلهة كما للشعوب التي مروا عليها

في سيناء. وقد تمردوا على موسى من أجل المأكل والماء والأمن. ويبدو من خلال هذا السفر أن بني إسرائيل لم يدركوا بعد دعوة النبي موسى ولم يفهموها.

وعندما دخلوا سيناء ومكثوا فيها عشرات السنين كان لا بد أن يظهر على عقيدتهم تطور ملحوظ ولا سيما في طريقة العبادات والطقوس المرافقة. وهذه السنوات الطوال كانت المحك وكانت الدرس الطويل لتعليمهم شريعة التوحيد أو على الأقل تعليمهم جزءا من هذه الشريعة وما يحيط بها من عبادات وطقوس وعادات تعبدية.

والواقع أن كافة التشريعات التوراتية الأساسية وجدت في سفر الخروج وسفر اللاويين والعدد والتثنية. وتسمى مع سفر التكوين أسفار موسى الخمسة. وكثير من اليهود لا يعترفون إلا عليها ككتاب مقدس للعقدية اليهودية.

ولكثرة التشريعات الدينية وطقوس العبادة فإننا نرى أن إدراج كل تشريع وكل عبادة في فصلها المقسم في هذا الكتاب يبرزها بشكل أوضح في سياقها. وذلك يجنبنا الوقوع في الخلط بين العبادات والمعاملات الكثيرة والمتنوعة والمتشعبة.

وردت بعض الإشارات عن بعض الصلوات التي قام بها بنو إسرائيل وهي تخلط بين صلاة الشكر وصلاة الخوف من تجليات الرب ولم ترد إي إشارة إلى صلاة تعبدية تقام في مكان محدد وطقس محدد. ففي سفر الخروج الإصحاح الرابع ترد أول إشارة للسجود وهي إشارة سجود الشكر لأن التوراة تقول بأن الرب افتقد بني إسرائيل فأنقذهم من ظلم فرعون.

تقول التوراة: (ولما سمعوا أن الرب افتقد بني إسرائيل وأنه نظر مذلتهم خروا سجدا) خروج 4: 31. وترد إشارات أخرى إلى قيام موسى وهارون بتأدية صلاة محددة ليرفع الله عن المصريين بلاء الضفادع والباعوض وموت السمك في النهر ومرارة مياه الشرب، تقول التوراة: (فدعا فرعون موسى وهارون وقال

صليا إلى الرب ليرفع الضفادع فقال موسى لفرعون عين لي متى أصلي لأجلك ولأجل عبيدك وشعبك لقطع الضفادع عنك، وعن بيوتك ولكنها تبقى في النهر) خروج 8: 8 ـ 9. وتقول التوراة: (فقال موسى هاأنا أخرج من لدنك وأصلي إلى الرب) خروج 8 ـ 29. وتقول (فخرج موسى من لدن فرعون وصلى إلى الرب) خروج 8: 30.

وعندما يستقر وضع بني إسرائيل في سيناء يطلب الله من موسى أن يصعدوا إلى الجبل ويسجدوا، تقول التوراة: (وقال لموسى اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد) خروج 24: 1ـ2.

أما في الإصحاح الثاني والثلاثين فيصنع بنو إسرائيل العجل الذهبي في غياب النبي موسى فتظهر في طقوسهم وعباداتهم سمات الوثنية الواضحة. تقول التوراة: (وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص) الخروج 32: 19. وتعود التوراة لتصف أمر الرب لبني إسرائيل في السجود فتقول: (فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى ويسجدون كل واحد في باب خيمته) خروج 33: 10.

والواقع أننا لو نظرنا في الأسفار الخمسة الأولى من التوراة لا نجد معنى لأي صلاة تعبدية لها معالمها الواضحة والدائمة. وكل ما هنالك نرى أن موسى أو بعض بني إسرائيل يقومون ببعض الصلوات لرفع بلاء أو غضب الرب أو لشكر على نعمة إلهية قدمت لهم. ومع ذلك فإن التوراة تركز على أمرين لهما علاقة بالعبادة بشكل عام هما 1 ـ السبت 2 ـ تابوت العهد وخيمة الاجتماع.

فالسبت يوم للعبادة عند اليهود أو يوم راحة من كافة الأعمال ففي التوراة لم يتضح ماذا يقوم به بنو إسرائيل من عبادات. إنما الذي يتضح هو أمر الرب لهم بأن لا يفعلوا شيئا في هذا اليوم. فهو يوم للرب لأن النص التوراتي

يؤكد حسب زعمه أن الرب استراح في اليوم السابع. وهذا اليوم هو السبت ويجب على اليهود أن لا يعملوا أي عمل فيه. وترد نصوص توراتية تشير إلى أنهم في زمن موسى رجموا رجلا وهو يحتطب يوم السبت فاعتبروا أنه قد خالف تعاليم الإله. وتدعي التوراة أن موسى كلم الله فكلمه الله وأمر برجم الرجل. فرجم الرجل حتى مات.

تقول التوراة: (اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سِبت للرب إلهك) خروج 20: 8 ـ 10. وتقول: (لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه) خروج 20: 11وتقول التوراة: (ستة أيام يعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب) الخروج 35: 2. وكلمة سبت هي في الأصل لغة سامية وأصبحت في العبرية معناها راحة.

وقد بدأ التفكير في يوم السبت على أنه اليوم الذي يترك فيه الإنسان أعماله وأشغاله المادية حتى يستريح وذلك كما قلنا تذكار لليوم السابع في الخليقة ثم تطور التفكير عن يوم السبت حين أمر الله في الوصية الرابعة بحفظ السبت لأن الله بارك يوم السبت وقدسه. وأمر الله أن يستريح الإنسان والحيوان ونزيل البيت في السبت، لا لأنه استراح فيه فحسب بل لأنه باركه وقدسه أيضا، وعلى هذا فإنه عندما كسر أحد اليهود السبت قتلوه بدون رحمه (عدد 15: 32 ـ 33).

وقد كان السبت لدى اليهود مرعيا في أوقات ومخترقا في أوقات أخرى ويرى بعض الباحثين في الشرقيات والحضارات الشرقية أن السبت وتقديسه يعود إلى حفظ البابليين له فقد كانوا يحفظون اليوم السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر مهما كان اسم ذلك اليوم

وكانت شريعتهم تقول: (إن الملك لا يأكل اللحم المطبوخ على الفحم في هذه الأيام ولا يغير ثياب جسده. ولا يلبس ثيابا نظيفة، ولا يقدم ذبيحته، ولا يركب في عربة، ولا يتكلم في قضية، ولا يجوز للرائي في هذه الأيام أن يقدم للناس ما يرى، ولا يجوز للطبيب أن يضع يده على جسد إنسان وعند المساء يأتي الملك بتقدماته للآلهة.

ومن خلال التاريخ الكتابي يظهر أن حفظ يوم السبت عند اليهود كان تبعا لنور أعظم من نور القمر وهو الأمر الإلهي ونور الإعلان السماوي.

ويقول قاموس الكتاب المقدس إن اليهود ظلوا يحفظون يوم السبت بمواظبة حتى تطرفوا في ذلك فحفظوه حفظا حرفيا أحيانا وخلطوه بعبادات الأوثان أحيانا أخرى فأرسل الله لهم الأنبياء ليرشدوهم إلى حفظ السبت حفظا روحيا حسب رغبة الله وقد ورد ذلك في الملوك الثاني وعاموس وهوشع وإشعيا وحزقيال.

وفي فترة السبي التي كان قضاها اليهود في بابل نسوا حفظ السبت. فبدأ رجال الله يتشددون على حفظه.

وفي فترة لاحقة انتشرت مجامع اليهود فكانوا يقضون يوم السبت في دراسة الناموس وفي الراحة من أشغالهم العالمية. وقد شددوا في حفظ السبت. وقد تجاوزوا حفظ السبت في الحروب والإبادة لأبناء غيرهم من الأمم والملل.

وفي الفترة الواقعة بين عزرا والمسيح زاد اليهود عددا من القوانين التقليدية التي يجب حفظها في يوم السبت، تاركين الرحمة والحق التي هي الأمور الرئيسية الواجبة فيه. وعندما بعث المسيح عليه السلام كان موضوع حفظ السبت هو مادة النزاع الأولى بين المسيح وبين شيوخ اليهود فقد أرادوا حفظ اليوم حرفيا كعبيد للسبت بينما علم المسيح أن السبت إنما جعل لأجل

الإنسان[1]. وقد ورد أن السيد المسيح عليه السلام كان يبرئ جماعة من المرضى من أسقامهم يوم السبت ـ وهذا غير جائز عند اليهود ـ فأنكرت عليه اليهود ذلك فقال لهم: أخبروني عن الشاة من الغنم إذا وقع في البئر يوم السبت أما تنزلون إليه وتحلون السبت لتخليصه ؟ فقالوا بلى. قال فلم أحللتم السبت لتخليص الغنم ولا تحلونها لتخليص الإنسان الذي هو أكبر حرمة من الغنم؟ فأفحمهم ولم يؤمنوا. ويحكون عن السيد المسيح عليه السلام أنه كان مع قوم من تلاميذه في جبل، ولم يحضر الطعام فأذن لهم في تناول الحشيش في يوم السبت فأنكرت عليه اليهود قطع الحشيش (العشب) في يوم السبت. فقال لهم أرأيتم لو أن أحدكم لو كان وحيدا مع قوم على غير ملته وأمروه بقطع النبات في يوم السبت وإلقائه لدوابهم لا ليقصدوا بذلك كسر السبت تجيزون له قطع النبات قالوا: بلى. قال: فإن هؤلاء القوم أمرتهم بقطع النبات ليأكلوه وليتغذوا به لا للطعن في أمر السبت[2].

وقد ورد في الإنجيل ما نصه: (في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون. فالفريسيون لما نظروا قالوا له: هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت. فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله ولا للذين معه بل للكهنة فقط أوما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء. ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل فلو علمتم ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة) إنجيل متى 12: 1 ـ 7.

(1) قاموس الكتاب المقدس ص: 453 ـ 454.

(2) غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموأل بن يحيى المغربي. مخطوط.

أما في القرآن الكريم فقد ورد الحديث عن السبت في سياق الحديث عن بني إسرائيل الذين خالفوا أوامر التوراة واعتدوا في هذا اليوم على حدود الله أو حدود ما شرعته التوراة لهم.

يقول تعالى: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) البقرة 65 ـ 66. ويقول تعالى: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن تطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) النساء 47.

ويقول تعالى: (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا. فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) النساء 154 ـ 155.

ويقول تعالى: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) الأعراف 163.

ويقول تعالى: (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) النحل 124.

وقد جاء في كافة التفاسير أن الحيتان أحلت لهم وحرمت عليهم يوم السبت ليعلم من يطيعه ومن يعصيه فكان القوم فيهم ثلاثة أصناف فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية وأما صنف فأمسك عن حرمة الله. وأما صنف فانتهك المعصية ومرن على المعصية فلما أبوا إلا عتوا عما نهاهم الله عنه (قلنا

لهم كونوا قردة خاسئين وصاروا يعوون كالكلاب[1].

وكان ما ذكر من هذه الآية في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية يقال أيلة على شاطئ البحر الأحمر وهي مرفأ عليه وكان فيها يهود. ويروى أن الله تعالى اختار لهم يوم الجمعة ليكون يوم راحة وعبادة ونظافة، وغير ذلك فأبوا، وقالوا: فرغ ربنا من خلق السموات والأرض يوم الجمعة واستراح يوم السبت، فنحن نختاره لذلك، فشدد الله عليهم بأن حرم عليهم أي عمل دنيوي ما عدا العبادة والنظافة وأمثالها .وكانت معيشة أهل تلك البلدة من صيد الأسماك لا مورد لهم غيره. فابتلاهم الله إي اختبرهم. فما كان يبقى حوت في البحر إلا خرج خرطومه يوم السبت وأقبل نحوهم، فإذا مضى يوم السبت ذهبت الحيتان في أعماق البحر فلم يتمكنوا من الصيد طوال أيام الأسبوع. فظهر لهم الشيطان وقال لهم احفروا أحواضا قرب البحر وافتحوا جداول بينها وبين البحر، فكانت الحيتان تدخل الحياض يوم السبت ويصطادونها يوم الأحد فنهاهم نبيهم عن فعلهم هذا. فصاروا ثلاث فرق. وكانوا نحو سبعين ألفا، فرقة أمسكت ونهت وفرقة أمسكت ولم تنه وفرقة اصطادت واعتدت. فهذه هي التي مسخت قردة لها أذناب يتعاوون وقيل مسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام فقط ثم هلكوا ولم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتوالدوا ونجت الفرقتان الناهية والساكتة عن النهي[2].

أما بشأن تابوت العهد. فكما أوردت التوراة في سفر الخروج أن الرب أمر موسى بصنع التابوت لتحفظ فيه تعاليم الشريعة التي نزلت على موسى. وقد أصبح منذ ذلك الوقت من الأشياء المهمة والأساسية التي تخص عبادة بني

---

(1) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور ص: 147.

(2) محمد طه الدرة تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ص: 117.

إسرائيل ويبرز أمر الرب لموسى بصنع التابوت في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج.

تقول التوراة: (فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم) خروج 25: 8. وتقول أيضا: (فيصنعون لي تابوتا من خشب السنط طوله ذراعان ونصف عرضه ذراع وارتفاعه ذراع ونصف) خروج 25: 10.

ويأخذ سفر الخروج بوصف هذا التابوت الذي أمر الرب أن يصنعه موسى. وتبالغ في الوصف وتدرج أدق التفصيلات في صنعه. ثم يتحدث هذا السفر عن المسكن والخيمة وتعود التوراة إلى وصف أدق الأمور المرتبطة بهما.

ويصبح تابوت العهد علامة لانتصار الرب لبني إسرائيل فهم في حلهم وترحالهم يحملونه معهم. وكذلك تصبح خيمة الاجتماع رمزا واقعيا لاجتماع بني إسرائيل ليروا تجليات الله حسب ما تقول التوراة. تقول التوراة: (وكلم الرب موسى قائلا: في الشهر الأول في اليوم الأول من الشهر تقيم مسكن خيمة الاجتماع وتضع فيه تابوت الشهادة وتستر التابوت بالحجاب وتدخل المائدة وترتب ترتيبها وتدخل المنارة وتصعد سرجها وتجعل مذبح الذهب للبخور أمام تابوت الشهادة..) خروج 40: 1.

ومن خلال نصوص أسفار موسى الخمسة يتضح أن تابوت العهد رمز لشهادة الله على بني إسرائيل. ويعني هذا أن هذا التابوت متى ضيع فإن الله سينتقم منهم ويعتبرهم خارجين عن عهده. وحسب قول التوراة فإن التابوت يحتوي على الوعاء الذي فيه المن وعصا هارون ولوحا العهد وكان عليهما وصايا الله العشر المكتوبة بإصبع الله) خروج 25: 16 و21.

وكما نرى في سفر التثنية أن التوراة وضعت بجانب تابوت العهد. ومن ثم يسمى التابوت أحيانا تابوت شهادة. ولم يكن وعاء المن وعصا هارون في ملك سليمان. وفوق غطاء التابوت ظهر السحاب حيث تراءى الله. وكان فى أيام

التيه إذا ما رحل العبرانيون في البرية أن التابوت يحمل أمام الشعب ويتقدمه عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا، وكان إذا حمل التابوت يقول: قم يا رب فليتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وإذا ما حل التابوت يقول أيضا: إرجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل.

وتقول التوراة إنه عندما عبر العبرانيون الأردن حمل التابوت أمامهم إلى المساء وتدعي أن تيار النهر قد انشق فوقفت المياه المنحدرة من فوق وعبر الشعب على اليابسة وقد ورد ذلك في سفر يشوع 3: 14 ـ 17 ثم بقي مدة في الخيمة في الجلجال، وبعد ذلك نقل إلى شيلوه حيث بقي ما بين 30 إلى 40 سنة. ثم أخذ من الخيمة وحمل أمام الجيش فوقع في أيدي الفلسطينيين عندما انهزم بنو إسرائيل بقرب أفيق. فأخذه الفلسطينيون إلى أشدود ووضعوه بجانب صنم داجون.

ثم عندما سكن داود أورشليم نقل التابوت إليها على غاية من التجله والمظاهر الدينية المناسبة فبقي هناك إلى أن بني الهيكل حسب قول التوراة. ثم وضع التابوت في الهيكل ووضع منسى تمثالا منحوتا في بيت الله وربما أزال التابوت من مكانه حتى يجد له مكانا. غير أن يوشيا أرجعه وأسماه تابوت القدس ولم يكن التابوت في الهيكل الثاني وقد يكون قد أخذه البابليون من القدس أو اختفى ويوجد تقليد عند الأثيوبيين يفتقر إلى إثبات وهو أن تابوت العهد موجود بأكسوم في أثيوبيا[1].

وقد وردت كلمة تابوت في موضعين من القرآن الكريم مرة في سورة طه وأخرى في سورة البقرة. يقول تعالى: (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى. أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) طه 38 ـ 39. والتابوت في هذا السياق لا

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص: 200

يعني تابوت العهد ولا أي تابوت مقدس. وهنا أتت التابوت بمعنى الصندوق المحمي من دخول الماء إليه. ومجيء كلمة تابوت في سياق قصة أم موسى يفتح أمامنا استنتاجا أو رأيا نقول فيه: أن كلمة تابوت كلمة مصرية وليس لها علاقة بلغة عبرية أو لغة توراتية فاللفظة جاءت متناسبة مع سياق الحال وسياق الواقع الذي تعيش فيه أم موسى وقد عرف المصريون بصنعهم التوابيت الحجرية التي يدفن فيها الموتى بعد تحنيط جثثهم. وباعتبار أن الصندوق المكشوف الذي وضعت أم موسى ابنها فيه يشبه شكل التابوت أطلق عليه الاسم على المجاز.

ومع انتقال بني إسرائيل إلى برية سيناء حملوا معهم كثيرا من تراث المصريين ولغتهم ومن جملة مفردات اللغة التي حملوها معهم مفردة تابوت المصرية وهناك كثير من الدراسات إضافة لبراهين أخرى تقول إن موسى عليه السلام تلقى التوراة باللغة المصرية لأن موسى لم يكن يعرف سوى لغة المصريين لأنه عاش منذ نعومة أظفاره وحتى شبابه بينهم.

إضافة لذلك فإن اللغة العبرية ـ إذا اعتبرناها لغة ـ لم تكن معروفة ولم تكن موجودة زمن النبي موسى عليه السلام.

وفي المحصلة فإن تابوت ـ كلفظة ـ تطورت من المفهوم المحدود وهو تابوت الموتى إلى معنى الصندوق الآمن إلى معنى تابوت العهد أو تابوت الشهادة أي صندوق العهد أو صندوق الشهادة الذي صنعه موسى وبنو إسرائيل في سيناء ووضعوا فيه العصا ووعاء المن ولوحي الحجر اللذين كتبت عليهما وصايا الله لموسى.

أما الآية الثانية التي وردت لفظة تابوت فيها في قوله تعالى: وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل

مؤسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) البقرة 248.

ويتضح من خلال الآية أن التابوت هو نفسه المشار له في التوراة. فهو الصندوق الذي حفظت فيه بقية من آل موسى وآل هارون والمقصود بالبقية لوحا الشهادة أو بعضهما والعصا المعجزة التي كان لها دور مهم في الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون وسحرته الذين جمعهم من كل حدب وصوب.

لكن الملفت للنظر في العبادات اليهودية أن العلاقات بين اليهود وبين تابوت العهد كانت زمن موسى ترمز إلى علاقاتهم مع ربهم بمعنى أن التابوت ليس هو المقصود بالتعبد.

ومع مرور الزمن وبعد وفاة موسى أصبح هذا التابوت مختلطا بعبادة الله. ودون وجود هذا التابوت كانت عبادة بني إسرائيل مفقودة أو مشوشة. وهذا ما لسناه عندما أخذ الفلسطينيون تابوت العهد وظل عندهم حسب قول التوراة مدة طويلة من الزمن. وفي هذه الأثناء تشوشت عبادة اليهود بل غيبت من قبل الكهنة ذوي المصلحة المادية والبعيدين عن العقيدة كثيرا وهذا ما نجده مبثوثا بشكل كبير في أسفار التوراة.

لقد عرفنا أن بني إسرائيل مكثوا متشردين في الصحراء عشرات السنين. وانحصرت طقوس عبادتهم ببعض أشكال السجود كما ارتبطت بيوم السبت وتابوت العهد وخيمة الاجتماع. وهذه هي طبيعة العبادة غير المستقرة. أو التي تدل على طبيعة البداوة التي كان عليها بنو إسرائيل. وحسب النص التوراتي دون سواه يتسرب بنو إسرائيل إلى أرض فلسطين بقيادة يشوع ويغزون الأرض يقودهم يهوه في حرب مدمرة للقرى والمدن الكنعانية وكان لتابوت العهد في هذه المرحلة شأن مهم في عبادة بني إسرائيل، فهم يحملونه من مكان إلى آخر. ويعتبرون أن نصرهم مرتبط بهذا التابوت .تقول التوراة (وأمروا الشعب قائلين

عندما ترون تابوت عهد الرب إلهكم والكهنة اللاويين حاملين إياه فارتحلوا من أماكنكم وسيروا وراءه) يشوع 3 : 3.

وتقول: (هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم في الأردن) يشوع 3 : 3. ويتكرر الحديث عن تابوت عهد الرب عشرات المرات في سفر يشوع، مما يدل على أن التحول الذي طرأ هو ربط التابوت بالحرب والغزو وليس ربطه بالعبادة أو لنقل اختلط التقديس لدى بني إسرائيل بهذا التابوت نفسه الذي يرمز للحرب والقتال. ويرد في التوراة أن يشوع رأى رئيس جند الرب فسجد أمامه تعظيما. ثم قال له اخلع نعلك لأنك واقف في مكان مقدس .وأعتقد أن التقديس جاء بسبب وجود ملاك الرب المحارب على هذه الرقعة إضافة لتقليد عرفه بنو إسرائيل من خلال المكان المقدس الذي وقف فيه النبي موسى ليتلقى كلمات ربه في سيناء .ويتضح من خلال هذا السفر أن بعض جماعات إسرائيل أرادوا بناء معبد للرب بعد أن قسم يشوع الأرض التي احتلت على أسباط بني إسرائيل .تقول التوراة: وجاءوا إلى دائرة الأردن التي في أرض كنعان وبنى بنو رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى هناك مذبحا على الأردن مذبحا عظيم المنظر) يشوع 22: 10

ويبدو أن بقية أسباط إسرائيل لم يرضهم هذا الفعل، واعتبروه خروجا على عقيدتهم وعلى عبادة الرب فأرادوا محاربة السبطين والنصف. لو لا أن بني جاد وبني رأوبين أوضحوا لهم أن هذا المعبد ليس خروجا على العقيدة إنما هو شاهد على اتفاق يجري بينهم وبين بقية الأسباط.

تقول التوراة (فلما سمع بنو إسرائيل اجتمعت كل جماعة بني إسرائيل في شيلوه لكي يصعدوا إليهم للحرب) يشوع 22: 12. وتقول (ما هذه الخيانة التي خنتم بها إله إسرائيل بالرجوع اليوم عن الرب ببنيانكم لأنفسكم مذبحا لتتمردوا اليوم على الرب) يشوع 22: 16.

وتبرز عادة نصب الحجارة في عبادة بني إسرائيل كما رأيناها في زمن يعقوب عليه السلام. وكانت هذه العادة ترتبط بقطع العهود بين بني إسرائيل والرب تقول التوراة: (وأخذ حجرا كبيرا ونصبه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب ثم قال يشوع لجميع الشعب. إن هذا الحجر يكون شاهدا علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذي كلمنا به فيكون شاهدا عليكم لئلا تجحدوا إلهكم) يشوع 24: 26 ـ 27.

وتبدأ مرحلة جديدة في طقوس عبادة بني إسرائيل بعد موت يشوع واستقرارهم في أرض فلسطين. وفي هذا الإطار لا بد أن نلاحظ أن تسرب بني إسرائيل إلى فلسطين يعني تسرب البدو الرحل إلى الحالة الزراعية والحضارية التي كان عليها العرب الكنعانيون وهذا يعني أن ذلك كان بداية حقيقية للتأثر السريع بطقوس الكنعانيين وعبادتهم مع العلم أن عبادة الكنعانيين كانت على الغالب عبادة وثنية لها شعائرها وطقوسها المختلفة عن ديانة التوحيد.

وبدءا من الإصحاح الثاني في سفر القضاء راح بنو إسرائيل يتمثلون عبادة أهل الأرض وكما نصت التوراة فإنهم عبدوا البعليم، (وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب) قضاة 2: 12.

وتقول التوراة: (وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها) القضاة 2: 19.

ويرد في هذا السفر أن بني إسرائيل عبدوا البعليم والسواري. وعبدوا ملك آرام المدعو كوشان رشعتايم والسارية التي تجمع على سواري ورد ذكرها في سفر أشعياء على أنها علامة أو دليل منصوب على مكان مرتفع حتى يراه المسافرون والسائحون للإرشاد إلى طريق أو التحذير منه. وكانت السواري تنصب على الأماكن المرتفعة حتى يجتمع الناس حولها للعبادة البعلية الوثنية. وقد اعتاد الملوك المنحرفون عن عبادة الرب إقامة تلك المرتفعات لعبادة الأصنام. وقد أظهر

البحث الحديث أن الكلمة العبرية (أشيرة) تشير إما إلى إلهة كما ورد في سفر القضاة 3: 7 أو تشير إلى السارية الخشبية التي كانت تقام نصبا رمزا إلى هذه الآلهة. وقد ذكرت هذه الآلهة في لوحات أو غاريت التي اكتشفت في رأس شمرا[1].

وقد عبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشر سنة. مثلما عبدوا ملك آرام.

ولم تتضح طبيعة الطقوس التعبدية التي ارتبطت بعبادة الملوك. وأعتقد أن بني إسرائيل كانوا من الجماعات السريعة التقلب في عبادتهم، ولا شك أنهم في تقلبهم كانوا سريعي التأثر بعقائد الشعوب وعبادتها وطقوس هذه العبادة. وحسب أسفار التوراة فإن سفر صموئيل الأول وصموئيل الثاني يفصحان عن نوع من التطور في طقوس عبادة بني إسرائيل. حيث بدا أن نوعا من الاستقرار قد عايشوه. ولا شك أن هذا الاستقرار النسبي يعطي قابلية التأثر من قبل بني إسرائيل بعبادات الكنعانيين وطقوسهم من جانب ويمنحهم نظرة متطورة عن سابقتها حول طبيعة العلاقة بين الإنسان والإله.

وحسب ما تفصح عنه نصوص التوراة فإن بني إسرائيل وضعوا تابوت العهد في قرية يقال لها شلوه وقد منحوا بعض الكهنة صلاحيات الإشراف عليه. ويبدو أنهم وضعوه في بناء محدد وأطلقوا عليه اسم بيت الرب. وبهذا المعنى فقد استقر تابوت عهد الرب في مكان محدد ولو لفترة زمنية طويلة واحدة.

تورد التوراة أن الإنسان بدأ يلجأ إلى هذا البيت ويصلي ويسجد ويقدم النذور تقول التوراة: (فصلت إلى الرب وبكت بكاء ونذرت نذرا وقالت يا رب الجنود إن نظرت نظرا إلى مذلة أمتك وذكرتني ولم تنس أمتك بل أعطيت أمتك

(1) قاموس الكتاب المقدس ص: 466.

زرع بشر فإني أعطيه للرب كل أيام حياته ولا يعلو رأسه موسى) صموئيل 1: 10 ـ 11 ثم تقول: (وبكروا في الصباح وسجدوا أمام الرب) صموئيل 11: 19.

ومن خلال ذلك يتضح أن الصلاة للرب يقصد بها الصلاة أمام تابوت العهد الذي يرمز إلى الرب. وكما قلنا فإن لهذا التابوت مكان حددته التوراة في أرض شلوة.

ويذكر سفر صموئيل أن المرأة التي صلت للرب كي يهبها غلاما وهبت هذا الغلام لعبادة الرب. وقد دعت ربها عندما جاءت أول مرة إن هو منحها ابنا سوف تهبه له. وتذكر التوراة أنها وهبته لبيت الرب طوال حياته. ويتضح ذلك من خلال الإصحاح الثاني في سفر صموئيل الأول بعض ما قالته المرأة في صلاتها المتجهة بها إلى ربها.

تقول التوراة: (فصلت حنة وقالت فرح قلبي بالرب ارتفع قرني بالرب. اتسع فمي على أعدائي لأني قد ابتهجت بخلاصك. ليس قدوس مثل الرب. لأنه ليس غيرك وليس صخرة مثل إلهنا. وتستطرد قائلة في صلاتها. حتى أن العاقر ولدت سبعة وكثيرة البنين ذبلت. الرب يميت ويحيي يهبط إلى الهاوية ويصعد الرب يفقر ويغني. يضع ويرفع. يقيم المسكين من التراب...) صموئيل 2: 1 و3 ـ 5 ـ 6 ـ 7 ـ 8

وهذا الكلام ليس سوى تمجيد للرب ودعاء أثناء الصلاة. وليس هو كلاما تعبديا فرضته الشريعة اليهودية أو فرضه الكهنة. وليس هو مما يقال في صلوات اليهود. وتذكرنا هذه الصلوات وهذا الكلام بعدة حوادث مشابهة أشار لها القرآن الكريم وأشارت لها التوراة نفسها في مواقع أخرى كإشارتها إلى قصة عقم سارة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام وعقم زوجة إسحق.

أما القرآن الكريم فيشير إلى قصة أم مريم والدة السيد المسيح عليه السلام وكذلك إلى قصة عقم زوجة النبي زكريا عليه السلام. لكن الذي يلفت النظر في

التشابه بين القصص أن والدة مريم وهبت ما في بطنها لله وقد أنجبت مريم. ودعت الأم ربها أن يحفظ ما في رحمها وذريتها من الشيطان. يقول تعالى: (إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها أنثى قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.) آل عمران 35 ـ 37.

ويبرز من خلال الإصحاح الرابع من سفر صموئيل الأول تعلق بني إسرائيل بتابوت العهد حيث دمجوا بين هذا التابوت وبين الله كما تحدثنا عن ذلك سابقا.

تقول التوراة: فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم.

ويتضح أن بني إسرائيل استخدموا هذا التابوت ليكون لهم عونا على خوض الحرب ضد الفلسطينيين وتفصح التوراة على ذلك حين تصف الفلسطينيين بأنهم ارتعبوا عندما سمعوا هتاف بني إسرائيل وصراخهم بسبب وجود تابوت الرب بينهم.

وقد اعتبر بنو إسرائيل تابوت العهد كالسحر يفعل فعله إذا كان بينهم، فلذلك نجدهم ينوحون ويبكون ويضعفون.

تقول التوراة: وناح كل بيت إسرائيل وراء الرب واضطروا للذهاب إلى صموئيل ليدعو لهم الرب كي ينصرهم ويعيد لهم تابوت العهد.

ويظهر الصوم لأول مرة لفظا في التوراة حيث تصرح أنهم عندما ذهبوا إلى صموئيل طلب منهم نزع التماثيل الرامزة للآلهة الوثنية ففعلوا ثم صاموا. تقول التوراة: (فاجتمعوا إلى الصفاة واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك قد أخطأنا إلى الرب) صموئيل 7: 6. والواقع أنه لم يرد الصوم لفظا في أسفار موسى الخمسة ولكن كان يوم واحد معين للصوم وهو يوم الكفارة الذي ورد ذكره في سفر اللاويين 16 ـ 29 و23: 27 وفي سفر العدد 29: 7. إذ كان المقصود بتذليل النفس في هذه الآية هو الصوم كما ذهب الكثيرون[1]

ويرد في نفس السفر أيضا أن جماعة من بني إسرائيل قد صاموا سبعة أيام بعد أن أخذوا جثة شاؤل ملك إسرائيل الذي قتل هو وأولاده الثلاثة في معركة جبل جلبوع تقول التوراة: وأخذوا جسد شاؤل وأجساد بنيه عن سور بيت شان وجاءوا بها إلى يابش وأحرقوها هناك وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة في يابش وصاموا سبعة أيام) صموئيل الأول 31: 12 ـ 13 .ومنذ ظهور النبي داود على ساحة الأحداث في سفر صموئيل تبدأ مرحلة جديدة من مراحل عبادة بني إسرائيل.

تظهر في البداية عادة المسح حيث يقصد بها أن أحد الكهنة يمسح الملك أو النبي لينصب في ملكة أو رئاسته النبوية. تقول التوراة: (وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا) صموئيل 22: 4.

ثم يرد (وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهدا في حبرون أمام الرب ملكا على إسرائيل) صموئيل 5: 3 وتبدأ ملامح جديدة للعبادة في بني إسرائيل حيث تتضح معالم الملك والنبوة لدى داود عليه السلام.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس صفحة 563.

يعيد داود تابوت العهد كأول عمل تعبدي يقوم به حيث أن العبادة الإسرائيلية لا تكتمل إلا بوجود هذا التابوت. تقول التوراة: (فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود بفرح. وكان كلما خطا حاملو تابوت الرب ست خطوات يذبح ثورا وعجلا معلوفا. وحسب قول التوراة: (كان داود يرقص بكل قوته أمام الرب، وكان داود متنمطقا بأفود من كتان) صموئيل 62: 12 ـ 14 ومنذ الإصحاح السابع تبرز فكرة بناء بيت للرب حيث يأتي الوحي للنبي ناثان ويقول له بأن يخبر داود كي يبني بيتا له.

ويهيء داود كل ما يلزم لبناء بيت الرب فأقام نحاتين لنحت الحجارة المربعة وهيأ الحديد والمسامير والنحاس وخشب الأرز. ولكنه حسب قول التوراة يوصي ابنه سليمان لبناء معبد للرب لأنه قد منع من ذلك بسبب سفكه للدماء الكثيرة حسب قول التوراة. تقول التوراة: فكان إلي كلام الرب قائلا قد سفكت دما كثيرا وعملت حروبا عظيمة فلا تبني بيتا لاسمي لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامي هو ذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه لأن اسمه يكون سليمان فاجعل سلاما وسكينة في إسرائيل في أيامه) أخبار الأيام الأول 22: 98

وبعد أن يتم سليمان بناء المعبد ينقل إليه تابوت العهد وخيمة الاجتماع ويضعه في محراب المعبد. وأول صلاة تقام في هذا المعبد يؤديها سليمان حيث تقول التوراة: (ووقف عليه جثا على ركبتيه تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه نحو السماء ..و تقول في نفس الإصحاح وفي نفس الصلاة التي أداها سليمان (فالتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه أيها الرب إلهي واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك) أخبار الأيام الثاني 6: 13 و19

وتبين التوراة على لسان سليمان الغاية من إقامة المعبد فتقول: فكل صلاة وكل تضرع تكون من أي إنسان كان أو من كل شعبك إسرائيل الذين

يعرفون كل واحد ضربته ووجعه فيبسط يديه نحو هذا البيت) أخبار الأيام الثاني 6: 29 وتقول التوراة: (ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت) أخبار الأيام الثاني 7: 1 ـ 2.

ومن أهم ما يرتبط ببيت الرب من عبادات وجود المذبح الذي كان عبارة عن صندوق من الخشب الثمين مربع الحجم ومغطى بالنحاس وكانت النار تشعل على رأسه وعلى جانبها وضعت أوعية للغسل وهي من النحاس ليتطهر بها الكهنة والذبائح. وكان لا يسمح بدخول أحد غير رئيس الكهنة إلى الجانب المقدس المخصص له. وقد تحدث القرآن الكريم عن النبي داود والنبي سليمان عليهما السلام. فداود عليه السلام صاحب كتاب الزبور كما أشار لذلك القرآن الكريم يقول تعالى: (وآتينا داود زبورا) الإسراء الآية 55.

ويشير القرآن الكريم إلى أن داود كان مسبحا لله وسخر له الطير والجبال يسبحن معه. يقول تعالى: (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) الأنبياء 80 ويصفه القرآن الكريم بأنه أواب. فيقول تعالى: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) سورة ص آية 18 ويصفه أنه يستغفر ربه ويخر ساجدا داعيا الله ليغفر له، يقول تعالى: (وظن داود أنا فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) سورة ص آية 25 وقد وصف سليمان عليه السلام بأنه أواب، ويطلب الغفران من الله. ويشكره على ما أنعم عليه من الملك والنبوة. يقول تعالى: (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب. قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) ص 35 ـ 36.

وقد أشار القرآن الكريم إلى المحراب عند الحديث عن داود عليه السلام كما أشار إلى المحاريب عند الحديث عن سليمان. يقول تعالى: (يعملون له ما

يشاء من محاريب) سبأ 14 وهذا ما يشير إلى علاقة ما بين المحراب والصلاة والتعبد.

وكذا فإن الأنبياء كانوا يصلون ويتعبدون ويستغفرون وينيبون ويشكرون الله على ما آتاهم.

وبموت النبي سليمان عليه السلام تنتهي مرحلة أخرى من مراحل عبادة بني إسرائيل حيث يتوالى على الملك عدد كبير من الأشخاص حيث تنقسم مملكة سليمان وتتشرذم حتى مجيء البابليين بحملات قتالية تقضي على بيت الرب وعلى كثير من معالم الديانة اليهودية، وبسبب الضعف العقيدي والسياسي لليهود بدأت تقلبات العبادة وتلونها.

وتدل هذه المرحلة على عدم ثبات عقيدة التوحيد لدى أتباع اليهودية. وبالتالي على عدم ثبات العبادة.

بدأ التحول عن العبادة في زمن رحبعام، وأول عمل قام به رفضه للكهنة من اللاويين أن يكهنوا للرب. تقول التوراة: لأن يربعام وبنيه رفضوهم من أن يكهنوا للرب وأقام لنفسه كهنة للمرتفعات وللتيوس وللعجول التي عمل) أخبار الأيام الثاني 11: 14 ـ 15.

وحينما ملك آحاز على بني إسرائيل سار في طريق ملوك بني إسرائيل وعمل أيضا تماثيل مسبوكة للبعليم. وهو أوقد في وادي أبن هنوم وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم .. وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء) أخبار الأيام الثاني 3: 28ـ5.

ثم في زمن حزقيا أعاد بنو إسرائيل عبادة الرب (وقاموا وأزالوا المذابح التي في أورشليم وأزالوا كل مذابح التبخير وطرحوها في وادي قدرون وذبحوا الفصح في الرابع عشر من الشهر الثاني والكهنة واللاويون خجلوا وتقدسوا

وأدخلوا المحرقات إلى بيت الرب) أخبار الأيام الثاني 30: 14 ـ 15. وأقام حزقيا فرق الكهنة واللاويين حسب أقسامهم كل واحد حسب خدمته الكهنة واللاويين للمحروقات وذبائح السلامة للخدمة والحمد والتسبيح في أبواب محلات الرب) أخبار الأيام الثاني 31 :2

ويلجأ حزقيا إلى الصلاة عندما تهاجم أورشليم حسب قول التوراة: (فصلى حزقيا وإشعيا بن آموص النبي وصرخا إلى السماء) أخبار الأيام الثاني 32: 20 .وهذه الصلاة صلاة خوف واستنجاد. وصلى حزقيا للرب صلاة دعاء للشفاء (وفي تلك الأيام مرض حزقيا إلى حد الموت وصلى إلى الرب فكلمه وأعطاه علامة) أخبار الأحبار الثاني 32: 24.

ثم يملك ابنه منسى الذي رفض عبادة الرب وعبد الأصنام. تقول التوراة: وأقام مذابح للبعليم وعمل سواري وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح في بيت الرب الذي قال عنه الرب في أورشليم يكون إسمي إلى الأبد وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب. وعبر بنيه في النار في وادي ابن هنوم وعاف وتفاءل وسمر واستخدم جانا وتابعة وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته) أخبار الأيام الثاني 33: 3 ـ 6.

وتقلبت شعائر العبادة لدى بني إسرائيل مع تقلب الوضع السياسي لمن تسميهم التوراة الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا وإسرائيل. إلى أن بدأت مرحلة جديدة وهي مرحلة السبي البابلي التي تميزت بوجود عدد من أنبياء التوراة الذين حاولوا إصلاح أوضاع اليهود المسبيين.

ويؤخذ بعين الاعتبار أن مرحلة السبي دامت حوالي سبعين عاما استعبد اليهود فيها في أول عهدهم بها وتأثروا بالأفكار البابلية وعقائدها وحتى شعائرها. وبدا أن مفاهيم جديدة طرأت على العبادات باعتبار أن العقيدة بحد ذاتها تأثرت كثيرا بعقيدة الوثنيين البابليين.

ويرجح كثير من الباحثين والمؤرخين أن اليهود استفادوا جدا من التشريعات البابلية وخاصة تشريع حمورابي، حيث قارنوا بين الوصايا العشر التي وردت في التوراة وبين ما جاء في تشريعات حمورابي إضافة لما استفادوه في القوانين الحياتية التي تتضمن المعاملات البشرية من زراعة وتجارة وصناعة وما إلى ذلك.

والجدير ذكره أن عددا من الأنبياء اليهود الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم كانوا قد عاصروا فترة السبي. وأهم هؤلاء النبي أرميا والنبي حزقيال. والنبي دانيال. مع آخرين من أنبياء التوراة الذين أطلق عليهم الرائين وجدوا أيضا في فترة السبي البابلي.

وعندما نطالع أسفار هؤلاء والفترة الزمنية التي قضاها اليهود في السبي نرى أنهم دوما يحتجون على مواقف اليهود الدينية. وقد هاجموا جميعا انحراف اليهود وأقذعوا في الهجوم. وحاولوا إصلاح العقيدة والمعتقدات وتناولوا العبادات مما جعل الباحثين يرون تطورا ملحوظا فيها وفي غاياتها.

إن ما يلاحظ بداية أن القرابين والتقدمات التي كان يقدمها بنو إسرائيل قبل السبي بطل استخدامها. ووضعت الصلوات بدلا منها وظلت هكذا إلى هذا اليوم عند كثير من الفرق اليهودية. ويرى بعض الباحثين أن هذه العبادات بالصلوات تفوق كثيرا العبادات القديمة بالذبائح والتقدمات.

ولا شك أن التقدمات والقرابين فقدت، باعتبار أن بني إسرائيل أصبحوا مسخرين عبيدا لا حول لهم ولا قوة، ولا يملكون أي شيء يقدمونه للرب، ففاقد الشيء لا يعطيه وهذا ما يعلل سبب لجوئهم إلى الصلاة، إذ أنها لا تكلفهم المال ولا التعب. وهي على الغالب صلاة تحتاج لبعض الألفاظ والنصوص التي وردت في التوراة إضافة للنصوص التي يكتبها أنبياء السبي وزعماء الدين اليهودي.

يقول الدكتور حسن ظاظا (فإن العبادات بالتقدمات هي عبارة عن تقدمة شيء من مال الإنسان. أي مادة حسية أرضية على مذبح مادي بخلاف العبادة الروحية بالصلوات فإنها إظهار عواطف وإحساسات، وتقدمة شكر روحية صادرة من نفس الإنسان على مذبح قلبه وعقله وشهواته الجسدية[1].

ولدى هؤلاء الأنبياء مقالات تشير بوضوح إلى تغير مفهوم القرابين المادية إلى قرابين كلامية وروحية.

جاء في التوراة: (إرجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثرت بإثمك. خذوا معكم كلاما وارجعوا إلى الرب. قولوا له إرفع كل إثم وأقبل حسنا فنقدم عجول شفاهنا) هوشع 14: 1 ـ 2.

وجملة عجول شفاهنا تعني أن لا تقدمة بالعجول وذبحها بل هناك تقدمة بالقول والدعاء التي شبهها النبي هوشع بالقرابين.

وقد أدان أشعيا صلوات بني إسرائيل وطقوسهم لأنهم ينافقون وأيديهم ملوثة بالدم فلن تقبل منهم صلاة ولا عبادة.

جاء في التوراة: (وعندما تبسطون أيديكم سأخفي عيني عنكم، وتتلون الصلوات الكثيرة لن أسمعها. أيديكم مليئة بالدم) أشعيا 1: 15

وبما أن الكهنة يبسطون أيديهم لمباركة الناس أثناء الصلاة يفسرونها بأن الكاهن الذي يرتكب جريمة قتل بالصدفة لا يصبح مؤهلا لبسط يديه للتبريك حتى مع التوبة لأنها مليئة بالدم)[1].

وحاول أحبار اليهود جمع ما علق في أذهان اليهود من التوراة فجمعوا ما جمعوا وزادوا وحذفوا ما لا يعجبهم. وقد راحوا يعملون على كتابة كتاب جديد

---

(1) د: حسن ظاظا. الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه صفحة 142 نقلا عن المشنا (البركات 32)

(1) إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ترجمة حسن خضر ص61

ينظم حياتهم بكل جزئياتها فخرج معهم التلمود الذي نلمس فيه أن مفهوم الصلاة أصبح ذا شكل قانوني. واستقر الوضع اليهودي على خلق ثلاث صلوات في أوقات محددة. في الصباح والظهيرة وبعد المغرب.

وقد فرض عليهم أن يتجهوا أثناء الصلاة إلى القدس باعتبارها جمعت بين الرمز الديني والرمز السياسي لليهود.

وقد أخذ التفكير بالمعبد جل اهتمام أنبياء السبي من بني إسرائيل حتى صار لديهم معبدا مثاليا قد لا يكون في الواقع الأرضي نظيره. وقد ركز كاتبو التوراة على حث اليهود أن يظلوا متعلقين نفسيا وعقيديا بهذا المعبد.

وقد ظهر في هذه الفترة أي فترة السبي ما يسمى بالقانون الكهنوتي. ويرى كثيرون أن ذلك يعكس تطلعات كهنة القدس والأنبياء الذين كانوا قريبين منهم فيما بعد في مرحلة الأسر أو السبي. وقد شمل القانون الكهنوتي كل مناحي الحياة الاجتماعية تقريبا. فاندرجت ضمنه فرائض حقوقية وأخلاقية وفرائض بخصوص النظافة وفرائض طبية وطعامية وكذلك صيغ سحرية وابتهالات ولعنات. وكل ذلك مصور وكأنه إرادة ـ يهوه ـ التي سيكونون هم ـ كهنة معبد يهوه المقبل ـ منفذين ومفسرين لها.

وقد ركزت التوراة في هذه المرحلة على إبراز المعبد على لسان أنبيائهم مثل حزقيال وقد كان من المهم بالنسبة لأنصار يهوه عدم إضاعة رعيتهم. فلم يكن لدى اليهوديين في بابل ذلك المركز الديني الذي يوحدهم. ولذلك كان الدور الذي يجب أن تمارسه الطقوس دورا كبير. وهذا هو السبب الذي يجعل نبيا كحزقيال يتميز عن الأنبياء القدامى بكون الواجبات الطقوسية لديه لا تقل أهمية عن الواجبات الأخلاقية فالختان بالنسبة له رمز القداسة. والسبت علامة يهوه والشعب المختار (12: 20ـ 24) وكان الالتزام بتطبيق هذه الخصائص

الطقوسية وغيرها من خصائص الديانة اليهودية معنيا بأن يؤدي دورا معينـا في عزل اليهوديين)[1].

ولا شك أن اطلاع اليهود المسبيين على معـابد البـابليين أفـادهم جـدا في تصوراتهم حول المعبد الذي يتمنون بناءه، وهذا أيضـا يرتبـط بتصوراتـهم حـول الإله، حيث أن تطورا ملحوظا طرأ على ذلك التصور. فالإله حتى يكون الأكـبر فهو الخالق الأعظـم مـن كـل آلهـة البـابليين ومـن الإلـه (مـردوخ) كبـير آلهـة البابليين. فالله يصبـح في نظـر أنبيـاء السـبي رب السـماوات والأرض والخـالق العظيم وليس فقط إله بني إسرائيل وطالمـا أن الإلـه في عقيدتـهم بـهذا الشـمول والاتساع فـإن مـن مسـتلزماته أن يكـون المعبـد الرئيسـي لـه يناسـبه ويناسـب عبادته. ولهذا كان تصورهم نحو المعبد الذي سيبنونه أكـبر وأضخـم مـن المعبـد القديم الذي يطلقون عليه الهيكل.

ونـرى أن بـني إسـرائيل وعلـى رأسـهم الأنبيـاء في زمـن السـبي أسسـوا لمستقبل نظري وعملي عبادي ليكونوا مهيئين للمعبد الجديد الذي سيقام.

وتعتبر مرحلة السبي مرحلة تقنين العبادات أي وضـع القوانـين الزمنيـة والطقوسية لها بعد أن كانت في المراحـل السـابقة عبـارة عـن دعـوات صلاتيـة وطقوس يقوم بها اليهودي متى شاء وحسب حاجته وفي أي مكان.

ولا شك أن كتابـة التلمـود بقسـميه لعـب دورا أساسـيا في توضيـح كافـة مواقيت العبادات والأعياد وقوانين التعامل الإنسانية وغيرها.

وعند السماح لليهود بالذهـاب إلى فلسـطين زمـن الملـك الفارسـي كـورش والذي قضى على الدولة البابلية راحوا يعملون لبناء معبد جديد تحت الحمايـة

(1) م. ريجسكي. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ترجمة آحو يوسف صفحة 187 ـ 188.

الفارسية. وظلوا عشرين سنة حتى تمكنوا من بناء المعبد، ولكن يبدو أن تصوراتهم خابت لأن المعبد الذي شيدوه كان ممسوخا إلى درجة كبيرة جدا.

قبل ميلاد السيد المسيح بـ 539 عاما استطاع الفرس الانتصار على البابليين وراحوا يحتلون البلاد حتى وصلوا إلى سورية وفلسطين. وقد كان الأسرى اليهود من بين الرعايا الذين ساعدوا الفرس في القضاء على البابليين. وقد ورد في سفر أستير ما يشير إلى أن اليهود قاموا بمذابح جماعية بحق البابليين وبإشراف الفرس أنفسهم وقد طلب بعض اليهود أن يسمح لهم الفرس بالذهاب إلى فلسطين لاحتلالها مرة أخرى وسمح لهم كورش الفارسي بالذهاب، وتشير بعض الدراسات التاريخية أن كورش أعاد إليهم كنوز ما يسمى الهيكل التي كان قد استولى عليها نبوخذ نصر. وأمر كورش بإعادة بناء ما يسمى الهيكل في القدس. فعاد فريق من اليهود ويرجح المؤرخون أن الذين رجعوا انحصروا في أولئك الذين لم يفلحوا كثيرا في الأرض الجديدة والمتعصبون لإعادة ما يسمى الهيكل لأن الدلائل تشير أن هناك عددا غير قليل أصاب النجاح في بلاد بابل أثرى حتى أصبح لديه الكثير من الممتلكات فآثر البقاء وعدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير[1].

وقد عين حاكم على الجالية اليهودية التي هاجرت إلى فلسطين شخص يدعى زربابل. وهو من بدأ ببناء الهيكل إلا أن الأقوام العربية الساكنة في فلسطين وسورية رفضت السماح لليهود بإقامة هذا الهيكل فأصدر (سمريدس) الذي خلف الملك الفارسي قمبيز الثاني أمرا بإيقاف عملية البناء. ولكن دارا الأول سمح لهم فأتموا البناء بعد حوالي عشرين عاما.

---

(1) د: احمد سوسة العرب واليهود في التاريخ صفحة 674

وكان كورش قد تزوج بإستير اليهودية وسمح لليهود بتدوين التوراة التي بين أيدينا. ومارسوا شعائرهم الدينية بحرية بعد أن تجمعوا في القدس تحت إشراف الفرس.

وقد وجد أنبياء توراتيون في هذه الفترة هم حجي وزكريا ويوئيل وعوبيديا. ولهم أسفار في التوراة تتحدث عن مرحلة ما بعد السبي. وتظهر هذه المرحلة مرحلة قلق عقيدي. فالعبادات ما زالت ملوثة بالوثنية، وما تزال آثار السبي تنعكس على نفسية الكهنة وبقية أتباع اليهودية.

وقد حدثت نزاعات دينية بين الوثنيين اليهود وبين من اتبعوا الكهنة وتعاليم يهوه وقد تبين أن بعض اليهود يقومون بتقديم القرابين على مذبح يهوه، وفي نفس الوقت يرتبون الموائد للإلهين الوثنيين (جاد، ومني) ويقدمون ضحايا في الغابات ويأكلون لحم الخنزير. وقد احتج أنبياء التوراة في هذه الفترة على بني قومهم الذين تركهم نبوخذ نصر في بعض أجزاء فلسطين وقد أصيبوا بعدوى الوثنية إصابة عميقة[1].

وقد أحيا اليهود المتبقون في بعض مناطق فلسطين المقادس المحلية في الغابات وعلى الجبال. وراح الناس يقدمون القرابين ليس فقط ليهوه بل وللآلهة الوثنية القديمة (بعل ـ وجاد ـ ومني). وقد شهد الكهنة الراجعون من السبي نضالا حاسما ضد ذلك الإنحراف عن عبادة يهوه. ولكن يبدو أنه من الصعب إيقاف هذا التحول وقد ألح أشعيا الثالث وهو من أنبياء هذه الفترة التوراتية على العبادة وفروضها وحتى يستطيع أشعيا أن يكسب الناس إلى عبادة يهوه فقد شرع أن من يريد من أبناء الشعوب خدمة معبد يهوه فإن الرب يقبله حتى لو لم يكن يهوديا.

(1) أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية صفحة 203 ـ 204

جاء في التوراة: (فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلا إفرازا أفرزني الرب من شعبه. ولا يقل الخصي ها أنا شجرة يابسة. لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي، ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي. إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصبا واسما أفضل من البنين والبنات. أعطيهم إسما أبديا لا ينقطع وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا إسم الرب ليكونوا له عبيدا كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدي آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب) أشعياء 65: 3 ـ 8.

وباتساع أفق بعض الأنبياء طرحوا مسألة المعبد المادي والمعبد المعنوي. فبعد أن ركزت التوراة على الهيكل هو بيت سكن للرب طرح أشعيا الثالث أن يهوه ليس بحاجة إلى المعبد (هكذا قال يهوه السموات كرسيي والأرض موطئ قدمي أين المكان الذي تبنون لي وأين مكان راحتي) أشعياء 66 :1 كما أن الرب ليس بحاجة إلى صلاة أو صيام (طالما أنكم في يوم صومكم توجدون مسرة بكل أشغالكم تسخرون).

والصيام عند أشعياء هو معونة المساكين والفقراء (فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائز خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك حينئذ) أشعيا 58: 3ـ 6ـ 7 فالفرائض الطقسية لدى أشعيا الثالث لا تقل أهمية عن المتطلبات الأخلاقية. والجانب الطقوسي في ديانة يهوه يبدأ ـ اعتبارا من أيام السبي ـ بأداء دور متزايد الأهمية وقد عكس الجانب الكهنوتي الفرائض الطقوسية في صيغة تهديدات ومواعظ صادرة عن لسان الإله[1]. وقد

(1) أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية صفحة 206.

تبين أن مهمة الكهنة والأنبياء في هذه الفترة كانت بناء المعبد في القدس.

وقد حاول أنبياء التوراة الحض على الإسراع ببناء المعبد ولكنهم فشلوا حيث ظل العمل به بطيئا، وبعد أن تم بناء المعبد أصبح الكهنة عالة على العبادة والطقوس وعلى الناس. وقد تحولوا إلى فئة من الموظفين. فلم يكونوا ينفذون الواجبات الطقوسية في المعبد ويأخذون من الناس الأعشار لأجل أنفسهم وحسب. بل ويمارسون الوظائف ويجمعون الإتاوة لأجل الفرس[1].

وقد أقرت التوراة في سفر ملاخي أن عبادة بني إسرائيل قد أصبحت نجاسة للإله ومعبده. تقول (فإن كنت أنا أبا فأين كرامتي وإن كنت يهوه فأين هيبتي قال لكم يهوه رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمي وتقولون بم احتقرنا اسمك) ملاخي 6:1 تقربون خبزا نجسا على مذبحي وتقولون بم نجسناك بقولكم إن مائدة يهوه محتقره) ملاخي 1 :7. فالكهنة إذ لا يكتفون بتقديم الخبز النجس طعاما للإله بل ويقربون حيوانات فيها عيوب ومعطوبة (وإن قربتم الأعرج والسقيم أفليس ذلك شرا قربة لواليك أفيرضى عليك أو يرفع وجهك) ملاخي 1 ـ 8.

وقد ظل وضع المعبد اليهودي على حاله. وظلت العبادة على حالها حتى مجيء المسيح عليه السلام. فالمعبد كما وصفه الإنجيل أصبح مكانا لبيع الحمام وتجار الذهب الذين جعلوا من الربا وسيلة مشروعة ومنتشرة بين كافة اليهود.

وقد دخل السيد المسيح عليه السلام المعبد فقلب طاولات الصيارفة، وهاجم بائعي الحمام واستفحل العداء بين السيد المسيح وبين الكتبة الفريسيين. حتى أنهم أضافوا على تلمودهم كلاما شريرا عن السيد المسيح فوصفوه بابن الزانية. وإنه رجس شيطان ومارق على الدين.

---

(1) انبياء التوراة والنبوءات التوراتية 221.

وقد تعرض معبد اليهود في زمن الحملات الإغريقية عام 164ـ165ق.م. وفي عهد انطيوخس بالذات إلى الهجوم والتدمير. ثم أقدم هذا الملك السلوقي على نهب خزائن المعبد وأجبر اليهود على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية.

وبعد تغلغل الرومان وتغلبهم على السلوقيين أصبحت فلسطين تحت سيطرتهم. وفي عام 70 ميلادية دخل فسبسيان الروماني القدس وأحرق ما بقي من الهيكل وذبح الكهنة وأزيل الهيكل من الوجود تماما ولم يعد يهتدي الناس إلى موضعه. وسيق الأحبار اليهود عبيدا إلى روما. وفي هذا العهد قضي على المجمع الكهنوتي المسمى بالسنهدرين. وقد أقام الرومان في القدس معبدا وثنيا أطلقوا عليه معبد جوبتر. ولم يعد يسمع عن عبادة يهودية في فلسطين.

وقد تحدث القرآن الكريم عن دور الكهنة والأحبار في سلب الناس أموالهم وتكديس الذهب والفضة. كما تحدث عن غرورهم وأمانيهم وعدم رضاهم عمن لم يتبع ملتهم وأقوالهم وجرأتهم على الله والأنبياء. وشدة حرصهم على الحياة وكيف أن الله أخذ الميثاق عليهم. وقد ركز على تحريفهم لكلام الله واستعمالهم اللي (الاعوجاج) في كلامهم. ثم تناول معاندتهم وتكذيبهم وقتلهم الأنبياء.

وكما رأينا في التوراة كيف أصبح كهنة معبد يهوه موظفين لا يهمهم سوى جمع المال من الذهب والفضة. فإن القرآن الكريم أتى على ذكر سلوكهم وذمهم وذم سلوكهم يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) سورة التوبة الآية 34.

فما هو معروف أن الأحبار والرهبان وجدوا ليخدموا معابد الرب ولكنهم راحوا يستغلون مناصبهم الدينية لجمع الثروات وهذا ما يتفق عليه كلام التوراة وآيات القرآن الكريم.

وتقع على كهنة اليهود مسؤولية تحريف التوراة باعتبارها كتاب التشريع الأول في العقيدة اليهودية. وتحريف التوراة يعني حذف ما يضر مصالح الكهنة، ووضع ما هو في صالحهم: يقول تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) آل عمران 187.

وقد حدد القرآن الكريم أن فريقا منهم كان يحرف كلام التوراة التي أنزلت على موسى وهذا الفريق هم الكهنة. لأنه ليس من حق غيرهم الأشراف على الدين اليهودي وتشريعاته.

يقول تعالى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) النساء 45.

ويقول تعالى: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) البقرة 75.

وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم سماعون للكذب ويحرفون الكلام.

يقول تعالى: (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنتة فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) المائدة 44.

إذا لقد وقعت مسؤولية حفظ العقيدة وما فيها من عبادات على عاتق الكهنة وهم كما وصفهم القرآن الكريم وكما تحدث عنهم أنبياؤهم يتاجرون بالتوراة.

ويتضح أن الكاهن فوق الحلال والحرام ولقد خاطبه الرب في سفر العدد بقوله (كل محرم في إسرائيل يكون لك) عدد 18: 14 وليس هذا استثناء إنه يشمل كل شيء ابتداء من الزنا ونهاية بعبادة الأصنام. والكهنة الأواخر اشتغلوا

كهنة للأصنام وعبدوها وعندما أرادوا تبرير ذلك قالوا: إن هارون أول الكهنة هو الذي صنع العجل صنما لبني إسرائيل حتى يعبدوه ورغم ذلك لم يعاقب بالقتل كما عوقب غيره.

مما تقدم نخلص أن الله فرض عبادات على بني إسرائيل منها الصيام والصلاة والقرابين وبناء المعابد وغيرها من العبادات. وقد رأينا أن هذه العبادات كانت في البداية لا تقترن بوقت محدد، وليس لهم معبد ثابت في مكان ثابت ومع تطور حياتهم، حاولوا تطوير عباداتهم حتى وصلوا إلى الحالة القانونية في أواخر أيام السبي وأوائل التسرب الثاني إلى فلسطين.

وقد استطاع أحبار اليهود وكهنتهم أن يسيطروا على طبيعة العبادات، بحيث يوجهون اليهود التوجيه الذي يريدون، ثم أن تطور حياتهم واحتكاكهم بالشعوب الموجودة في المنطقة أثر جدا في تطوير نظرتهم للمعبد والعبادات، خاصة أن تلك الشعوب كالكنعانيين والبابليين كانت لهم معابدهم وطقوسهم وعباداتهم.

وقد تبين لنا أيضا أن أنبياء بني إسرائيل في المراحل المتأخرة من حياة اليهود قد نقموا على تصرفاتهم وسلوكهم بل وانحرافهم القوي نحو عبادة الأصنام، وأسفار التوراة تشير إلى هذه النقمة المستمرة.

وقد أوجز القرآن الكريم في وصف انحرافاتهم عن عبادة الله وتحريفهم التوراة بل وكتابتها بأيديهم وقولهم إنها من عند الله. وكلهم كذب ونفاق.

الفصل الثالث

طقوس العبادات

الصلاة، الأعياد، القرابين



بدأت الصلاة الطقسية عند اليهود عندما وجدت أمكنة للعبادة. وكما أشرنا من قبل أن أول مكان حدده بنو إسرائيل للعبادة هو خيمة الاجتماع. ثم بعد أن بني معبد الرب وأطلقوا عليه فيما بعد الهيكل، صارت الصلاة تؤدى في أوقات معينة. وقد ورد عنها أحاديث في سفر التثنية وسفر اللاويين وسفر العدد.

ويبدو أن أول صلاة كانت تتبع فيها طقوس معينة تتم عند تقديم باكورة الأثمار وبعد أداء الأعشار وقد ورد ذكر ذلك في التثنية الإصحاح 26: 5 ـ 10 و13 ـ 15، وعند تقدمة الذبائح كفارة عن الخطايا وقد ورد ذلك في سفر اللاويين 16ـ 12.

ولكن أوقات الصلاة حددت بشكل قانوني في زمن الأنبياء التوراتيين الذين عاشوا فترة السبي البابلي. ويتضح ذلك من خلال سفر أشعيا 1 ـ 15 و29 ـ 13، 58 ـ 5، ويأتي في سفر دانيال توضيح لمواقيت الصلاة عند بني إسرائيل.

وكما ورد في سفر دانيال أنه كان يصلي ويركع لله تعالى ثلاث مرات في اليوم وأحياناً مرتين كما ورد في سفر أخبار الأيام الأول.

وقد ترافق الكلام نثراً وشعراً مع الصلاة. وتدلنا مزامير داود وسليمان أن الصلاة كانت ترافق بالغناء والموسيقى القانونية وقد ورد في سفر عزرا أن ممن رجع من السبي كان يوجد مئتان من المغنين والمغنيات تقول التوراة (ولهم من المغنين والمغنيات مئتان) عزرا 2: 65.

وقد فرضت التوراة الصلاة على الرجال والنساء وقد توسعت في الحديث عن ذلك المشنا ـ قسم البركات.

ومن خلال ما ورد في التوراة يتضح أن اليهود يصلون جلوساً ووقوفاً. ويركعون ويسجدون وينفخون بالبوق ويبكون في تضرعاتهم واعترافاتهم حتى يومنا هذا. وعندما كانوا يهاجَمون أو تحل بهم مصيبة كانوا يلبسون خيشاً ويذرون تراباً ورماداً على رؤوسهم، ويمزقون ثيابهم، ويحلقون رؤوسهم وقد رأينا يشوع كيف مزق ثيابه وصلى وركع عندما خان بعض من قواته وسرقوا مما عينه للرب من غنائم. ومن طقوسهم أنهم يضعون الأيدي على الصدور ويحنون رؤوسهم قليلاً وذلك اعترافاً منهم بجلال الرب وزيادة في احترامه.

ويتجهون في صلواتهم إلى جهة القدس وإذا كانوا في القدس يتجهون نحو بيت الرب وهذه العادة متبعة إلى هذا اليوم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى قبلتهم عندما تحدث عن تغيير وجهة صلاة المسلمين من القدس إلى البيت الحرام .يقول تعالى: (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) البقرة 145.

وقد شرع لهم أنبياؤهم المتأخرون تفصيلات ترتبط بالصلاة كالطهارة والنظافة واللباس. وكان عزرا يوصي بوجوب غسل الجسم جميعه قبل العبادة. وفي المعابد ترتب أماكن الجلوس حسب درجات الشعب ومراكزهم من أول صف قرب الهيكل وهكذا تتباعد الصفوف إلى آخر المعبد.

وتذكر مصادر التشريع اليهودي أنه بعد خراب ما يسمى الهيكل الأول أبطل عزرا الذبائح والتقدمات وشرع لهم صلوات يومية لتقوم مقام التقدمات ولتعزيهم في أوقات يأسهم وضيقهم.

أما اللغة المستعملة في الصلوات فأكثرها في العبرية وهناك صلوات باللغة الكلدانية واللغة العربية. ومنذ القرن السادس عشر ترجمت إلى كافة اللغات الأوربية.

ماذا يُقال في الصلوات اليهودية؟.

للصلاة اليهودية أقسام أهم قسم منها ما يسمى (الشماع) وقد ورد في سفر التثنية. وقد رتبه عزرا. وشماع معناها إسمع وهي أول كلمة من نص التوحيد في اليهودية حيث يقول (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا الرب واحد) ثنينة 6ـ 4 ويقسم السماع إلى ثلاثة أقسام:

الأول: يبتدئ بآية التوحيد المشار إليها ثم يلحقها كلام عن محبة الله ووجوبها وحفظ وصاياه. وتعليمها للأولاد. والاهتمام بها في كل مكان وزمان.

الثاني: ويذكر فيه وعد الله بالجزاء وإطالة الأعمار وإذا وقع ما يغضب الرب فيجب التأديب من قبل الرب لليهود.

الثالث: وهو مذكور في سفر العدد ويذكر فيه وصية تذكر اليهود بوجوب طاعة أوامر الله عندما تراها، ولكي لا يميلوا إلى شر القلوب ويذكرهم بخروجهم من مصر، ويأتي بعد الشماع ما يسمى شمونة عسرة أي ثماني عشرة. وهي بركات وضعها عزرا ورجال الكنيس الأكبر وقد ذكر هذه البركات في التلمود بشكل مفصل، وهي تستند على بعض الجمل في أسفار الخروج وأشعيا، والأمثال، والمزامير وتنقسم البركات الثماني عشرة إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ تسابيح تعظم الله تعالى

2 ـ توسلات ومطالب ومنها ما هو خصوصي ومنها ما هو عام.

3 ـ تشكرات لله تعالى

أما القسم الأول والثاني فينطويان على حالهما طوال العام. أما القسم الثالث فيتغير أيام السبت وأوائل الشهور والأعياد ويغير بما يتلاءم والأوقات.

أما مواقيت الصلاة فهي:

1 ـ الفجر: ويسمونها صلاة السحر ووقتها حددته المشنا من التلمود وهو منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الأسود إلى ارتفاع عمود النهار.

2 ـ صلاة نصف النهار: وتجب منذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب.

3 ـ صلاة المساء: ويسمونها صلاة الغروب ووقتها من غروب الشمس إلى أن تتم ظلمة الليل كاملة.

وتبدأ الصلاة عادة بغسل اليدين ويوضع شال من اللونين الأبيض والأزرق على الكتف وخاصة في الصلاة الجماعية التي تتم في المناسبات الكبرى ويوم السبت. وهذا الشال يجب أن يكون طاهراً لا تمسه المرأة قطعاً. ويخصص له مكان محدد في المنزل ويبقى الشال عند اليهودي حتى موته ليكفن به.

ما يقال في الصلاة اليهودية:

هناك أقوال كثيرة تقال في الصلاة اليهودية منها ما هو مأخوذ من التوراة ومنها ما هو مأخوذ من التلمود، وعلى الأغلب تؤخذ الأقوال من التلمود.

فمن الشماع يؤخذ النص التالي وهو من سفر التثنية:

(اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا، الرب واحد، فتحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا موصيك بها اليوم على قلبك، واروها لأولادك. وتلفظ بها في إقامة بيتك، وفي مشيك في الطريق

وحين نومك وقيامك. وثبتها على يدك آيه، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على مصاريع بيتك وعلى بواباتك) سفر التثنية 6: 4ـ 9

وهناك قسم أخر يقرأ في الصلاة من سفر التثنية وقسم أخر من سفر العدد وقد وردت نصوص البركات في الصلاة اليهودية وهي كما أشرنا تسبيحات واستغفارات ودعوات لقضاء الحاجة.

ومع ذلك فقد وردت في التلمود أقوال غريبة الأطوار يقولها اليهود أثناء صلاتهم. وقد كشف تحريفهم للصلاة الموسوية السموأل بن يحيى المغربي في كتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود.

يقول السموأل (ما تقولون في صلواتهم وأصوامكم؟ هل هي التي فارقكم موسى عليها فإن قالوا نعم. قلنا فهل كان موسى وأمته يقولون في صلواتهم كما تقولون ـ اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا، واقبضنا جميعاً من أفكار أقطار الأرض إلى قدسك سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل ـ أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما يقولون في كل يوم ـ اردد حكامنا كالأولين ومشيرينا كالإبتداء وابن يورشليم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا ببنائها. سبحانك يا باني يورشليم ـ أم هذه فصول لفقتموها بعد زوال الدولة[1]؟ فتغير الكلام الذي طرأ في صلاة اليهود وقع بعد ا لسبي البابلي في منتصف القرن السادس قبل الميلاد. فالقول الأول دعاء قاله اليهود أيام السبي. وهو قول مختلف عما جاء في التوراة عن موسى وفي الصلوات العامة وفي أحد الأجزاء الأولى من صلوات الصباح اليومية يحمد اليهودي المتدين ربه لأنه لم يخلقه من الأغيار. أما في الجزء الختامي للصلاة اليومية (تستخدم أيضاً في صلوات رأس السنة ويوم الغفران) فيبدأ بهذه العبارة (فلنشكر إله الجميع لأنه لم يخلقنا مثل كل أمم الأرض لأنها تركع للباطل والعدم وتصلي لإله لا يعين. وقد حذفت الفقرة الأخيرة من

(1) السموأل ين يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. ص: 14 مخطوط.

كتب الصلوات، وفي أوربا الشرقية كان اليهود يتداولونها شفهياً. ثم أعيدت إلى النص الأصلي في العديد من كتب الصلوات المطبوعة في (الكيان الصهيوني).

كذلك في أهم أجزاء صلاة نهاية الأسبوع (التبريكات الثماني عشرة هناك لعنة خاصة تستهدف أصلاً المسيحيين ومعتنقي المسيحية من اليهود واليهود المهرطقين تقول: (رب لا تجعل للمرتدين رجاء ولتمحق جميع المسيحيين في الحال) ويرجع تاريخ هذه اللعنة إلى القرن الأول للميلاد عندما كانت المسيحية وقتئذ طائفة صغيرة مضطهدة. وفي وقت ما قبل حلول القرن الرابع عشر أدخلت عليها تعديلات لتلطيفها. (رب لا تجعل للمرتدين رجاء ولتمحق جميع المهرطقين في الحال) وبعد التعرض لمزيد من الضغط عدلت مرة ثالثة على النحو التالي (رب لا تجعل للوشاة رجاء ولتمحق المهرطقين في الحال. وبعد قيام (الكيان الصهيوني) أعيدت الصيغة القديمة إلى التداول[1].

ويقوم رجال الدين اليهودي بتعليم الذكور من اليهود صلاة يقولون فيها يوميا (مبارك أنت يا رب إلهنا ملك الكون الذي لم يخلقني امرأة)[2].

وحين يصلي اليهودي يجب أن يغطي رأسه تعبيرا عن الاحترام خاصة إذا قرأوا في النصوص المقدسة التوراتية والتلمودية التي أشرنا إلى بعضها.

أما كتاب الصلاة اليهودية فهو يجمع كافة الصلوات، ويختلف قليلا عن كتاب الصلاة الحالية وهو أقرب إلى كتاب صلاة اليهود الشرقيين وطبع أول مرة عام 1865.

أما الأشكناز الغربيون فقد وضعوا لهم كتاب الصلاة في فرنسا عام 1208 وهو أكبر من كتاب الصلاة عند السفارديم. ويختلف كتاب صلاة القرائين كثيرا

(1) إسرائيل شاحال: الديانة اليهودية وموقعها من غير اليهود. ص: 166ـ 167.

(2) مارلين ستون. عندما كان الرب أنثى، ترجمة حنا عبود. ص: 215.

عن كتب بقية اليهود وقد ترجم كتاب الصلاة اليهودية إلى معظم اللغات الأوربية.

وقد فرض أحبار اليهود نوعا من الصيام على أتباع اليهودية وذلك أيام السبي البابلي. فسنوا له صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره، وكذلك سنوا لهم صوم (كذليا) وجعلوه فرضا عليهم.

ومن المعروف أن النبي موسى صام أربعين نهارا وأربعين ليلة على جبل سيناء وذلك لاستقبال كلمات الله تعالى. ولم يرد الصوم لفظا في أسفار موسى الخمسة ولكن كان يوم واحد معين للصوم هو يوم الكفارة الذي ورد ذكره في سفر اللاويين 16 : 29 ـ 23. وفي أيام النبي زكريا كانت أصوام مفروضة في الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر تذكارا لحصار أورشليم (القدس) في الشهر العاشر، وسقوطها في الشهر الرابع. وخراب الهيكل في الشهر الخامس. وقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السابع وقد ورد اسم جدليا باسم آخر (زمري بن سالوا). وسبب مقتله أنه وجد مع امرأة زانية مؤابية تدعى كزبي بنت صور. وفي الحادثة نفسها أمر موسى القضاة أن يقتل كل واحد قومه الزناة الذين تعلقوا ببعل فغور، وقد انتشر وباء في قوم إسرائيل بسبب الزنا وقد قتل منهم في ذلك اليوم أربعة وعشرون ألفا حسب قول التوراة في سفر العدد الإصحاح 25، ولهذا السبب يصوم اليهود بمناسبة هذه الذكرى تكفيرا عن ذنوبهم.

ويرى السموأل بن يحيى المغربي أن هذا الصيام مستحدث ولم يكن موجودا في زمن موسى عليه السلام.

يقول السموأل: وأما صوم إحراق بيت المقدس وصوم، حصاره، وصوم كذليا الذي جعلتموه فرضا هل كان موسى يصومها، أو أمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون أو صوم صلب هامان، هل هذه الأمور مفترضة في التوراة أو زيدت

لأسباب اقتضت زيادتها في هذه الإعصار. فإن قالوا وكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر؟ قلنا لأن التوراة نطقت بهذه الآية (لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئا، ولا تنقصوا منه شيئا وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسختم تلك الآية[1].

أما عن ذهاب موسى للقاء ربه أربعين يوما فقد قال القرآن الكريم في ذلك: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) الأعراف 142. والمقصود من الآية أن موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه صائما يقال أنه لم يستطعم الطعام فلما كمل الشهر أخذ لحاء شجرة فمضغه ليطيب ريح فمه فأمر الله أن يمسك عشرا أخرى فصام أربعين ليلة)[2].

القرابين في التشريع اليهودي

تعتبر القرابين جزءا من العبادات اليهودية. وحسب نص التوراة فقد كان لولدي آدم أول قصه لها علاقة بالقرابين. وقد ذكرها القرآن الكريم وجاءت على ذكرها التوراة ومع تطور التشريع اليهودي أصبحت القرابين والتقدمات من أهم الشعائر التعبدية التي يقوم بها أتباع اليهودية.

تقول التوراة: (وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب. وقدم هابيل من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر) تكوين 4: 3 ـ 5.

(1) غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموأل بن يحيى المغربى ص: 16 مخطوط.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث ص: 250

وجاء في القرآن الكريم: (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من إحداهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنما يتقبل الله من المتقين) المائدة 27.

وقد ذكرت التقدمات في قصة نوح التي أوردتها التوراة بقولها: (وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح) تكوين 8: 20 إلا أن هذه التقدمات لم تحدد بشكل مفصل من حيث عددها أو نوعها. واتبع بنو إسرائيل تقليداً حيث كان رب العائلة يقوم بتقدمه الذبيحة والمحرقة عنه وعن عائلته مثل إبراهيم وأيوب الذي كان يصعد محروقات على عدد أولاده.

تقول التوراة (وكان كلما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم وبكّر في الغد واصعد محرقات على عددهم كلهم) أيوب 1: 5.

وتعتبر قصة أمر الله لإبراهيم بذبح ابنه من أكثر الشواهد القرآنية على القرابين وقد أوردت التوراة القصة ولكنها حرفت وقالت إن الذبيح كان إسحق. وقد امتحن الله سبحانه إيمان إبراهيم فطلب منه ذبح ابنه ولما أخذه ليذبحه قرباناً لله فداه بكبش من الغنم فذبح إبراهيم الكبش وأصبح ذلك تقليداً عند بني إسرائيل وكذلك أصبح تقليداً عند المسلمين حيث يقدم القربان من الكبش أو من الحيوانات كالبقر والجمل.

يقول تعالى: (وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين) الصافات 107-108

وتقول التوراة: (فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم ابراهيم فقال هاأنذا فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأني الآن

علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذ بكبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه) تكون 22: 9 ـ 13.

ومع أن القرابين من الطقوس المتواجدة لدى كافة الشعوب قديمها وحديثها إلا أنها توجهت تقدماتها نحو غايات مختلفة وحتى أنها قدمت لأسباب متعددة أيضاً.

وقد وضع النبي موسى لبني إسرائيل نظاماً دقيقاً للقرابين، وحصر تقديم الذبائح في الكهنة يعاونهم اللاويون في بعض الأمور. وكانوا يعبرون بالقرابين عن التوبة والاعتراف والكفارة والشكر على السلامة أو النجاح وغير ذلك.

وكانت القرابين تقدم من الحيوانات المستأنسة الطاهرة والحبوب وبعض السوائل الزراعية تقول التوراة (لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك) خروج 22: 29.

أما الحيوانات الطاهرة التي تصلح للذبائح فتشمل البقر والثيران الفتيّة والكبيرة ومن الغنم أي الضأن والماعز ما كان حولياً أي ابن سنة على الغالب. تقول التوراة (تكون لك شاة صحيحة ذكراً ابن سنة تأخذونه من الخرفان والماعز) خروج 12: 5.

وتقول: (خروفان حوليّان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة) عدد 28: 3.

وتقول: (وتعملون محرقة لرائحة سرور للرب ثوراً واحداً ابن بقر وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة) عدد 29: 2.

ولكن في بعض المناسبات لا تحدد الشريعة السن كما في حالة تقديم ذبيحة السلامة التي يجوز فيها أن تكون ذكراً أو أنثى من بقر أو غنم: لاويين

3: 1 و6. وكانوا يقدمون من الطيور اليمام والحمام فقط وقد ورد ذلك في اللاويين 1: 14.

وكان الفقراء يقومون بتقديم زوج يمام أو فرخي حمام عندما يولد لهم ولد ذكر أما غير الفقراء فكانوا يقدمون خروفاً حولياً مع طائر واحد.

تقول التوراة: (ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولي وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن) لا 2: 6.

وتقول: (وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحد محرقة والأخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر) لا 12: 8.

ولم تسمح الشريعة التوراتية بالذبائح البشرية وقد منع الله إبراهيم من ذبح ابنه وفي تحذير من تقديم الأولاد ضحايا لـ (مولك) إله العمونيين فقد كانوا يقدمون له ذبائح بشرية لا سيما من الأطفال. ولم تكن وحوش البرية أو الأسماك مقبولة كقرابين خلافاً لشريعة بابل التي أجازتها.

أما القرابين من الحبوب فكانت تقدم كدقيق من الزيت واللبان أو بعد أن تخبز أقراصاً ملتوتة بزيت. أو رقاقاً مذهونة بزيت.

تقول التوراة: (وإذا قرب أحد قربان تقدمةٍ للرب يكون قربانه من دقيق، ويسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً ويأتي بها إلى بني هارون الكهنة..) لا 2: 1ـ 2 أما خبز الوجوه الذي كان يصنع أقراصاً سميكة توضع على مائدة الرب في كل سبت فلم تكن ملتوتة بالزيت بل كان يوضع لها بعض اللبان، لاويين 24: 5 ـ 8 أما باكورات الحبوب فقد كانت تقدم بشكل فريك مشوي وجريش) لاويين 2: 16.

وكان الزيـــت يعـد مـن التقدمـات الفـاخرة المحترمـة (تكويـن 28: 18) والخمر كان من السوائل الزراعية التي تقدم للرب مع القرابين الأخرى.

وكان مقرّب الذبيحة يضع يده على رأسها ويعترف بالخطيئة (لاويين 1: 4 و4 :4) ثم يذبحها هو والكاهن لا 1: 5 و2 أخبـار 29: 24 وإذا لم يكـن عـدد الكهنة كافياً كان اللاويون يساعدونهم على سلخ حيواناتـهم 2 أخبـار 29: 34 وبعد سلخ الذبيحة يقطعونها لا 1: 6 و8 ويحرقون ما أمـر بحرقـه علـى المذبح وأحياناً كانت ترفع القطع، أما قسمة القرابين فقد كانت على نوعين، الأول ما يقدمه كله للرب، والثاني ما يخصص قسم منه للرب والقسم الآخر للكهنـة. أو لهم وللعابدين الذين يقدمونها احتفالاً بالعيد، النوع الأول يشمل المحرقـات لا 1: 12 و17 وتقدمات الكهنة من الدقيق لا 6: 22و 23. أما التقدمات العامة مـن الدقيق الملتوت بالزيت واللبان فيأخذ الكاهن مـلء قبضتـه تذكـاراً علـى مذبح الرب والباقي يكون طعاماً للكهنة أما الذبائح الـتي كـان يقدمـها النـاس الذيـن يحتفلون بالعيد كذبيحة السلامة، فإن الكاهن يأخذ منها الصـدر فـيردده أمـام الرب والساق اليمنى التي تسمى ساق الرخيفـة ومـا تبقـى مـن الذبيحـة يأكلـه المعيّدون أصحاب الذبيحة. وقد كانت لهم أعياد سنوية تصطلح عليها كل عائلة أو عشيرة فيجتمع أفرادها المتفرقون فيذبحون ويعيـدون معـاً. جـاء في التـوراة: وإذا افتقدني أبوك فقل قد طلب داود مني طلبة أن يركض إلى بيت لحم مدينته لأن هناك ذبيحة سنوية لكل العشيرة) صموئيل الثاني 20: 6.

أنواع القرابين

1 ـ المحرقات: وكانت للتكفير عن الخطيئة. وكـانت تقـدم كـل يـوم وهـي المحرقة الدائمة وقد ورد ذكرها في سفر الخروج ويزاد عليها محرقـة يـوم السبت ويوم التكفير والأعياد الثلاثة الكبرى.

2 ـ التقدمة: وكانت من الدقيق مع زيت ولبان.

3 ـ خبز الترديد وحزمة الترديد: وهـي مـن أولى بـاكورات الأرض وتقـدم في عيد الفصح وأما الترديد فيقدم في عيد الخمسين.

4 ـ الرقيقة: وهي من الغلال بعد الحصاد وذكـرت في سفر العـدد 15: 20 ـ 21.

5 ـ ذبائح سلامة: وكانت للشكر وكانت من الحيوانات.

6 ـ ذبائح الخطيئة: وتقدم للتكفـير عـن الخطايـا وقـد ورد ذكرهـا في سـفر اللاويين.

7 ـ ذبائح الإثم: وتقدم غالباً عن الخطيئة الشخصية والتي تحدث سهواً.

تطوير معنى القرابين في التوراة:

اخذ الكهنة وعامة النـاس ينظـرون إلى الذبـائح مـن الناحيـة الطقسـية، ويظنون أن الدين مجرد طقوس. ولما أهملوا الواجبات الأدبية قام الأنبياء ينددون بهذا النقص ومن جـانب آخـر فقـد كـانت طبقـة الكهنـة، المستفيد الأول مـن القرابين. وقد طوروا مفهوم القرابين. لقد أضـاف التقليـد معنـى ثانيـا إلى كلمـة قربان وهو جعلها تدل على النذر الذي ينذر للهيكل فيحـرم علـى غـيره. فـإذا وضع إنسان يده على شيء أو أشار إليه وقال قربان قصد أن يقول نذراً علي[1].

وقد وردت كلمة قربان في القرآن الكريم ثلاث مرات.

يقول تعالى: (الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتـى يأتينـا بقربان تأكله النار قل قد جـاءكم رسـل مـن قبلـي بالبينـات وبـالذي قلتـم فلـم قتلتموهم إن كنتم صادقين) آل عمران الآية 183.

وقد نزلت هذه الآية في الحديث عن اليهود الذين رفضوا الإيمان برسـالة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يروا قربانا تنزل إليه نار من السماء فتأكلـه أو

---

(1) قاموس الكتاب المقدس. ص: 721ـ 722ـ 773.

تحرقه.

وقال بعض المفسرين المسلمين: الذين قالوا هم كعب بن الأشرف ومالك بن صيفي وحيي بن أخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهوذا. وقالوا إن الله أمرنا في التوراة وأوصانا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بمعجزة القربان حيث يدعو النبي فتنزل نار من السماء فتأكله أي فتحيل طبعه بالإحراق. وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة. والقربان هو كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح[1].

ويقول تعالى: (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) الأحقاف 28

وقد قصد القرآن الكريم من كلمة قربان تلك الآلهة الذين يتقربون بها إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا إلى الله.

ويرى بعض الباحثين أن الأضاحي النارية كانت ركناً هاماً وكبيراً من أركان طقوس اللاويين وهي تشبه تماماً تلك التي يقدمها البراهميون في البدء. والإصحاحات العشرة الأوائل من سفر اللاويين تهتم كلها بالأضاحي النارية. وحسب النص التوراتي فإن الأضاحي النارية يجب أن تقدم مرتين يومياً وكذلك تقدم يوم السبت في الانقلابات الفصلية للخلاص من الدنس والذنب والخطيئة.

وبالنسبة إلى كل الأضاحي النارية بشتى صنوفها يشار إليها على أنها تقدمات محرمة وكلها تحضر إلى الكهنة في الخيمة.

ويبدو أخيراً أن سفر التثنية نفسه يفضح دور الكهنة في سلب الناس أموالهم عن طريق التقدمات والقرابين. فالكاهن يأخذ من الذبيحة الساعد

---

(1) محمد طه الدره تفسير القرآن الكريم وبيانه وإعرابه المجلد الثالث ص 275.

والفكين والكرش ويأخذ العاشر من كل عشرة رؤوس غنم أو بقر مهما كان عددها.

أعياد اليهود ومواسمهم التعبدية

اهتمت التوراة بذكر أعياد بني إسرائيل واليهود، ويتضح من خلال أسفارها كثرة تلك الأعياد والمواسم التعبدية، ولاشك أن أسفار التوراة التي تغطي مدداً زمنية طويلة باعتبار أنها دونت أحداثاً بعيدة الزمن سجلت لكل حدث مهم في تاريخ بني إسرائيل واليهود عيداً أو احتفالاً يتناسب معه من حيث طقوس عبادته وعلاقة الناس به.

ـ ويعتبر السبت عيداً أسبوعياً لليهود ومدته من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت. وكما عرفنا أن اليهود لا يعملون أي عمل في هذا اليوم. وقد طور كهنة اليهود مفهوم الراحة يوم السبت فحرموا فيه كل ما من شأنه أن يشعر بالسعي في الرزق أو الانشغال بحرفة أو صناعة. ومن ذلك تحريمهم عقود الزواج في السبت. وكذلك حرموا الحرب الهجومية يوم السبت إلا إذا أقر كاهنهم الأكبر أن هذه الحرب توجب كسر يوم السبت.

ـ وتفرض اليهودية على أتباعها زيارة بيت المقدس بحيث يتحتم على كل يهودي ذكر راشد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام وأن يبقى فيه أسبوعاً كاملاً كلَّ مرة ويبدأ الأسبوع يوم الجمعة. وتقام خلاله احتفالات وصلوات يحضرها الوافدون ويقودها الكهنة واللاويون. وقد قصد بهذه الزيارة أن تتيح فرصة لليهود أيا كانت مناطقهم أن يتعارفوا ويتحدوا.

ـ وهناك عيد يحل مع بداية الشهر القمري وله طقوس وصلوات خاصة تؤدى عند رؤية الهلال كل شهر وهم يأخذون بالرؤية البصرية ويأخذون الآن

بالحسابات الفلكية ويسمى عيد الهلال عندهم (روش حودش) أي رأس الشهر والاحتفال يكون يوماً واحداً وأحياناً يومين.

ـ رأس السنة العبرية. وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام وبعد هذه الايام يصومون يوماً وهو صوم (كدليا) الذي أشرنا له سابقاً.

ـ يوم الغفران: أي يوم الكفارة وهو اليوم العاشر من شهر تشرين ومدته حوالي 27 ساعة يجب فيها الصيام ليلاً نهاراً وعدم الاشتغال بأي شئ سوى العبادة.

ـ عيد المظال أوالظلل: وهو عيد زراعي يحتفل فيه بمناسبة تخزين المحاصيل الزراعية ومدته التقليدية تسعة أيام.

ـ الحانوكة: وهو عيد التدشين وله طبيعة سياسية وصهيونية وتاريخية. حيث يرتبط بقصة الصراع بين الإغريق واليهود عندما احتل الإغريق بلاد الشام عام 165م وتشعل فيه الشموع الكبيرة والأنوار المختلفة لمدة أسبوع كامل.

ـ البوريم: وهو عيد النصيب وتجري فيه تقاليد يهودية شعبية ويسرفون فيه بشرب الخمر والسكر ولبس الأقنعة والملابس التنكرية. وهو ليس له علاقة بشريعة التوراة. إنما ابتدع أيام السبي البابلي عندما وعد ملك الفرس كورش اليهود إن هم ساعدوه ضد البابليين سوف يعيدهم إلى فلسطين ويصومون في هذا اليوم ويسمونه صوم أستير والعيد يأتي في اليوم التالي.

ـ عيد الفصح. والفصح هو عيد الربيع عند اليهود ويحيونه بمناسبة نجاة بني إسرائيل من فرعون.

ـ عيد الفطير: وتوجب طقوسه أن يأكل اليهود الفطير دون الملح ولا خميره ومدة هذا العيد ثمانية أيام وتقدم فيه مائدة الفصح وحكاية الفصح. وعيد الفصح عندهم هو عيد الضحية كما أنه عيد الفطير وموسم الحج.

وقد أشار كثير من الباحثين أن اليهود في هذا العيد لا بد أن يحصلوا على دم بشري من مسلم أو مسيحي لكي يعجنوه بالفطير وقد وجهت أصابع الاتهام إلى اليهود في إنكلترا في مدينة لنكولن عام 1255- وفي لندن عام 1257- 1279 وفي ميونخ بالمانية عام 1285- وفي بيرن بسويسرا 1287 وفي كوكار سنة 1292 وفي كريسمس سنة 1993 وفي دمشق سنة 1840 أيام الحكم العثماني في البلاد العربية. وجهت لهم تهمة خطف أطفال وذبحهم للحصول على دمائهم. وقصة الأب توما الكبوشي وخادمه من أبشع القصص التي تروي كيف ذبح اليهود هذا الأب ومن ثم ذبحوا خادمه ثم فضحت الجريمة وحُقق مع المشتركين بذبحهما. وقد اتهم بهذه الجريمة الحاخام بخور يودا. والحاخام أبو العافية. وداود هراري وأخواه إسحاق وهارون وكذلك يوسف هراري ويوسف لينيوده.

ولديهم أيضاً عيد الحصاد أو عيد الأسابيع، وعيد صوم تموز وهو يوم واحد يصومه اليهود وهو عبارة عن يوم حداد لأجل الذين راحوا قتلى أيام تحطيم ألواح التوراة وإحراق القدس.

ويتضح أن معظم الأعياد لا ترجع إلى عصر النبي موسى بل يعود أغلبها لأيام السبي البابلي.

وفي زيارة اليهود لبيت المقدس يقفون إلى جانب حائط البراق الذي يدعون أنه حائط المبكى ويقرأون بعض أسفار التوراة. وبعضهم يبكي بكاء شديداً على اعتبار أن ذلك الحائط يذكرهم بماضيهم الذي كانوا عليه. ويقوم اليهود المتعصبون في هذه الأيام ومنذ أكثر من سبعين عاماً بتأدية طقوس عند حائط البراق .وقد حدثت ثورة في عام 1929 لأجل هذا الحائط بين المسلمين من جهة واليهود والإنكليز من جهة ثانية قتل فيها أكثر من مائتين وخمسين يهودياً وكذلك ذهب ضحيتها العشرات من العرب المسلمين.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

في تشريع اليهود الشخصي



تمتلئ التوراة بالتشريعات الخاصة بالإنسان وبعيدا عن التشريعات التي يرتبط بها الفرد بالآخرين كالتجارة والزراعة وما شابه ذلك فإن الفرد ممن اتبع العقيدة اليهودية يخضع لتشريع متكامل يحفل بالقوانين الفقهية والشرعية التي تنظم حياة الفرد من داخله ومن خارجه.

وما يخص أتباع العقيدة اليهودية فإن التشريعات التي بدئت في التوراة استمر الاجتهاد فيها حتى توصل أحبار اليهود إلى صناعة التلمود الذي لم يترك أمرا من الأمور التشريعية اليهودية إلا وذكره.

ولا تزال طبقة الكهنوت اليهودي من الأحبار والربانيين يسيطرون إلى اليوم على تعزيز التشريعات بفتاوى وأقوال وتطويرات تمس حياة أتباع اليهودية بأدق تفاصيلها. ولما كانت العقيدة اليهودية من أقدم العقائد التي تنسب إلى التوحيدية فقد تنوعت اجتهاداتها حسب الظروف الزمنية والبيئية. وهذا ما جعل بعض معتنقيها على تفسير النصوص تفسيرات تناسب واقع كل فئة أو كل بيئة. ولهذا أيضا وجدنا الفرق اليهودية تتعدد وتتعدد معها طرائق تشريعاتها في كافة القضايا الدينية الخاصة بالعبادات والمعاملات. ويمكن أن نرى فرقا لا تؤمن بالتلمود قطعا وتستند في تشريعاتها وعباداتها على أسفار موسى الخمسة. ومن هذه الفرق من يكفر الآخرين ويصفهم بالمارقين على الدين وتبدو طائفة التلموديين اليوم أكبر الفرق اليهودية في العالم حيث تتحكم في سدة الكهنوت اليهودي في فلسطين المحتلة وفي باقي بقاع العالم. وتستند على تشريعات التلمود استنادا كليا حتى أن بعض حاخامي هذه الفرقة فضلوا الأخذ

من التلمود على حساب التوراة، بل اعتبروا التلمود كلاماً منزلاً من الله ولكن بشكل شفهي وليس كتابياً كما في التوراة.

ويمكن لنا أن نطّلع على التشريعات اليهودية المرتبطة بالعبادات دون التعرض للتشريعات الحياتية المشتركة المتعلقة بالمعاملات مع الآخرين من غير اليهود. فهذه التشريعات منها ما هو شمولي النظرة ومنها ما هو خاص. منها ما يرتبط بالرجل اليهودي وكذلك منها ما يرتبط بالمرأة اليهودية ومنها ما يتعرض للإثنين معاً كالزواج والطلاق والتعدد. ومنها ما يتعرض للحيوانات والجمادات والسوائل. وفي هذا الإطار يمكن لنا أن نقارن بين نظرة القرآن الكريم لهذه الأمور وبين نظرة التوراة والتشريع اليهودي حتى نرى الفارق إن وجد والتوافق إن وجد أيضاً. وبذلك نكون قد ألقينا النظر على التشريع اليهودي والفقه الإسلامي في مصادرهما الأساسية دون التعرض بشكل مفصل لرأي أصحاب المذاهب الإسلامية في ذلك. مع تبسيط في آراء أكبر المذاهب أو الفرق اليهودية كالتلموديين والقرّائين والحسيديين وبعض ما قالته القبالاة اليهودية.

الطهارة والنجاسة

لا شك أن الطهارة والنجاسة ترتبطان بالعبادات ارتباطاً وثيقاً وخاصة عبادتي الصلاة والصيام. وقد أخذتا حيزا واسعاً من التشريع التوراتي وكذلك فصلت أمورهما تفصيلا ً كبيراً في التلمود.

1 ـ الحيوانات النجسة: فرقت الشعوب القديمة بين الأطعمة الطاهرة والأطعمة النجسة ورأت أن بعض الحيوانات صالحة للطعام والذبيحة وسواها غير صالح. وبين هذا التمييز جزئياً على أن بعض اللحوم غير ملائمة للأكل أو مضرة وجزئياً على العادات والافتراس وجزئياً على اشمئزاز طبيعي من بعض الحيوانات.

وقد كان للبيئة التي عاش فيها موسى عليه السلام وبنو إسرائيل تأثير كبير في إضافة بعض الحيوانات على قائمة النجاسة والطهارة.

وقد صنف التشريع الموسوي الحيوانات النجسة على الشكل التالي:

1 ـ البهائم التي تجتر ولا تشق الظلف وتقسمه ظلفين.

جاء في التوراة: (كل ما شق ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلوه إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف. الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم، والخنزير لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا إنها نجسة لكم) لاويين 11:2 ـ 8

ولهذا سمحت الشريعة اليهودية بالبقر والضأن والماعز والأيل والظبي. وحرمت كل الحيوانات الآكلة للحوم فإنها كانت مقيتة لأنها تأكل الدم أو الجيف.

تقول التوراة: (لا تأكل رجساً ما. هذه هي البهائم التي تأكلونها. البقر والضأن والمعز والآيل والظبي واليحمور والوعل والتيثل والمهاة وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفاً وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون) تثنية 14:3 ـ 6.

وقد حدد القرآن الكريم ما حرم من الحيوانات في عدد من آياته الكريمة.

يقول تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق) المائدة الآية 4.

وقد تتشابه المحرمات من الحيوانات في التوراة والقرآن الكريم. إلا أن الشريعة الإسلامية لم تحرم لحم الجمل أو الأرنب. وقد حرم الإسلام الحيوانات

المفترسة أو آكلة اللحوم والدم أو الجيف. وهذا ما ورد أيضاً في التوراة. وحرم الخنزير في الشريعتين كذلك الميتة والدم وقد جاء في التوراة (لا تأكلوا جثة ما) تثنية 14: 21.

2 ـ الطيور الآكلة للحوم وقد وردت أسماؤها في سفر اللاويين وسفر التثنية تقول التوراة: كل طير طاهر تأكلون وهذا ما لا تأكلون منه. النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق والشاهين على أجناسه. وكل غراب على أجناسه والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه والبوم والكركي والبجع والقوق والرخم والغواص واللقلق والببغاء على أجناسه والهدهد والخفاش وكل دبيب الطير نجس لكم لا يأكل كل طير طاهر تأكلون) تثنية 14: 11ـ 20.

وقد حاول بنو إسرائيل أن يحللوا ما حرم الله عليهم لكن آيات القرآن الكريم أوضحت ما حرم عليهم حتى لا يلفقوا أو يكذبوا على الله.

يقول تعالى: (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا وما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وأنا لصادقون) سورة الأنعام الآية 146.

3 ـ الحشرات المجنحة التي تدب على أربع إلا ماله كراعان فوق رجليه يثب بهما على الأرض فحرمت الحشرات كلها ماعدا الجراد وما شاكله.

4 ـ كل ما في المياه وليس له زعانف وحراشف وقد جاء ذلك في سفر العدد 9 و10 وقد أباح هذا التحريم أكل خير السمك الموجود في المياه الفلسطينية ونهى عن الأنقليس والحيوانات المائية كالسرطان.

وقد أباح الإسلام أكل صيد البحر باستثناءات قليلة كالسمكة الميتة موتاً طبيعياً دون صيد. ولم يحرم السرطان أو الحنكليس (الأنقليس).

يقول تعالى: (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة) المائدة 96.

5 ـ الدبيب: كل ما يمشي على بطنه أو على أربع وما كثرت أرجله وقد ورد ذلك في سفر اللاويين 11: 29 و30 وفي سفر العدد 41 و42 وكان بعضها مؤذياً وبعضها يدب في التراب أو الطين وكان غيرها شبيه بالحيات. وكان الحيوان الدبيب كريهاً لدى بني إسرائيل لأن الدب يذكرهم بالحية ولعنة المجرب.

وكانت هذه الحيوانات نجسة في كل حال.

ولكن لحم الحيوانات الطاهرة كان قابلاً للتنجس فنهت شريعة التوراة عن أكل ما قدم ذبيحة للأوثان والمخنوق أي ما مات بنفسه أو افترسته حيوانات أو طير ضار وقد رأينا في الآية القرآنية حرمة أكل ما أهل لغير الله وما قدم للنصب والمنخنقة وما إلى ذلك.

يقول تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق) المائدة 4.

أما الدم وشحم الطير والحيوان فكان مقدساً للرب وما أجيز لأحد ولا للغريب النازل بين بني إسرائيل أن يأكل الدم.

تقول التوراة: (وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطهم يأكل دماً أجعل وجهي ضدّ النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها) لا 17: 10.

وكان من تعدى الشرائع المتعلقة بالحيوانات النجسة صار نجساً إلى المساء. وقد ورد ذلك في صموئيل 11: 24 و40 و17: 15 أما الحيوانات التي

ماتت من نفسها فأجيز بيعها للأجنبي وأن يأكلها وقد ورد ذلك في سفر التثنية 14 : 21.

تقول التوراة: (لا تأكلوا جثة ما. تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي لأنك شعب مقدس للرب إلهك) تثنية 14 : 21.

وقد تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عما حرمه الله على بني إسرائيل وما حلله.

ويقول تعالى: (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) آل عمران 13. فالذي حرمه يعقوب على نفسه إنما هو لحوم الإبل وألبانها وسبب ذلك أنه كان به عرق النسا فنذر إن شفي لا يأكل أحب الطعام إليه وكانت لحوم الإبل أحب إليه من غيرها وقيل فعل ذلك للتداوي.

وقد قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تدعي أنك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال كان ذلك حلالاً لإبراهيم ونحن نحله فقالت اليهود لم تزل محرمة في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام فنزلت الآية تكذبهم ولما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحضار التوراة وقراءة ما فيها لم يجرؤوا وبهتوا وفي قول آخر مكمل لما جاء أن يعقوب عليه السلام حرم على نفسه أكل كل العروق التي في اللحم فلذلك تسل اليهود العروق فلا يأكلونها.

وفي التشريع اليهودي نصوص تحرم أكل أي لحم من أي حيوان يذبحه غير يهودي على الرغم من أنهم شاركوا بني العيص أكل لحومهم وذبائحهم على الرغم من أنهم عابدو أوثان وقد ورد نص في التوراة في سفر الخروج يدل على أن موسى عليه السلام أحل لهم أن يأكلوا مما يذبح بنو العيص الوثنيون.

وقد وضع أحبار اليهود كتاباً خاصاً بالذباحة سموه (هلكت شحيطا) ومعناه علم الذباحة وقد عقدوا فيه القوانين كثيراً حتى جاوزت المنطق والعقل والمألوف.

ومن ذلك مثلاً أمروا أتباعهم بأن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواء ويتأملونها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا. فإن خرج منها الهواء حرموا أكلها وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوها. وأمروا الذي يعتقر الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر وأحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق رقيق كالشعرة حرموه ولم يأكلوه وسموه طريفا ويعنون بذلك أنه نجس كله (وهذه التسمية هي أول التعدي منهم لأنه ليس موضوعاً في اللغة إلا المفترس الذي يفترسه بعض الوحوش ودليل ذلك يعقوب لما جاؤوه بقميص يوسف ملوثاً بدم. فقال ذراعه ابني. وحش رديء أكله افتراساً افترس يوسف) فقد تبين أن تفسير (طاروف طوارف يوسف) افتراساً افترس يوسف. فالطريف هي الفريسة وقد اختلق فقهاؤهم هذه الهذيانات والخرافات التي تتعلق بالرئة والقلب.

ويبدو من نصوص التوراة أن كل خلل في شروط أكل الذبيحة إن كانت من البقر أو الغنم لا يأكل لحمها اليهود ويبيعونها للمسلمين أو المسحيين.

وقد رفض القراؤون جميع تشريعات التلموديين ومنها تشريعات الذبيحة. وقد أباحوا الذبائح التي يتولون ذباحتها بأنفسهم [1].

أ ـ الطهارة والنجاسة والإنسان

ميزت التوراة وكذلك التلمود بين الطاهر والمقدس. فمثلاً الحيوانات طاهرة أو نجسة لا مقدسة ومحللة والنجاسة طقسية وليست دنساً خلقياً. وقد تشددت

---

(1) غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموأل بن يحي المغربي ص70 مخطوط.

الشريعة التوراتية في مسألتي الطهارة والنجاسة الخاصتين بالإنسان. وحين نطلع على هذه الشرائع سنرى أن قيوداً صارمة حكمت حياة الرجل والمرأة اليهوديين.

ويمكن لنا أن نرى النجاسة وقد تحددت على الشكل التالي:

1 ـ مسّ جثة الميت. ويعتبر من أثقل النجاسات في الشريعة التوراتية. وذلك بسبب قولهم إن أثر الخطيئة يظهر بأجلى بيان في موت الإنسان وانحلال جسمه والنجاسة الناتجة عن هذا السبب تبقى سبعة أيام. والإنسان يطهر منها برش ماء النجاسة عليه وأيضاً استعمال رماد البقرة الحمراء الذي كان يطهر من الدنس الناتج عن مس الميت الذي كان ينجس والطاهر إذا مس شخصاً نجساً يتنجس إلى المساء.

جاء في التوراة: من مسّ ميتاً ميتة إنسان ما يكون نجساً سبعة أيام يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً. وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً. وكل من مسّ ميتاً ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر بنجس مسكن الرب فتقطع تلك النفس من إسرائيل لأن ماء النجاسة لم يرش عليها تكون نجسة نجاستها لم تزل فيها. هذه هي الشريعة. إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام وكل إناء مفتوح ليس عليه سدادٌ بعصابةٍ فإنه نجس وكل من مس على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام) عدد 19: 11 ـ 17

أما تطهير هذا النجس من البشر فيكون كما أوضحت التوراة بقولها:

فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطيئة ويجعل عليه ماء حياً في إناء ويأخذ رجل طاهر زوفا ويغمسها في الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذي مسّ العظم أو القتيل

أو الميت أو القبر ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهراً في المساء وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجّس مقدس الرب. ماء النجاسة لم يرش عليه إنه نجس فتكون لهم فريضة دهرية. والذي رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذي مسّ ماء النجاسة يكون نجساً إلى المساء. وكل ما مسه النجس يتنجس والنفس التي تمسّ تكون نجسة إلى المساء) عدد 19: 17 ـ 23.

فمن خلال ما ورد نرى تعقيد التوراة حول النجاسة والطهارة. وهي بهذا القانون تحرم الكثيرين من اليهود أن يتطهروا وبسرعة ويمارسوا عباداتهم إذ لا تصح صلاة ولا صوم في التوراة إلا إذا كان الإنسان طاهراً.

والتعقيد الأكثر غرابة هو ما نصت عليه التوراة من أن من حضر وفاة الميت من الحاضرين وإن لم يمس الميت فإنه نجس سبعة أيام. وهذا مما لم يرد في العقيدة الإسلامية والواقع أنه ليس هناك مبرر شرعي لجعل الموجودين داخل الخيمة أو المنزل الذي فيه الميت نجسين لمدة سبعة أيام.

وشددت التوراة في عقوبة من لا يتطهر فهو إما أن ينفى ولا يمكث بين قومه أو يقتل. حيث قالت التوراة تباد تلك النفس من بين الجماعة.

وفي هذا السياق يفضح السموأل بن يحيى المغربي تحول اليهود عن تعاليم التوراة فيقول: (نقول لهم أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مسّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها؟ فلا يمكنكم مخالفة ذلك لأنه نص ما يقولونه فنقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك؟ فيقولون لا نقدر على ذلك. فنقول لهم فلمَ جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة ومحل الكتاب والذي في

كتابكم بخلافه؟ فإن قالوا لأنا عدمنا أسباب الطهارة. وهي رماد البقرة والإمام المطهر المستغفر. قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغنون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا نعم قد نستغني عنه فقد أقروا النسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها هذا الزمان. وإن قالوا لا يُستغنى في الطهارة ذلك الظهور فقد أقرواً بأنهم الأنجاس أبداً ماداموا لا يقدرون على سبب الطهارة[1].

2 ـ البرص إذا ضرب إنساناً أو ثوباً أو بيتاً. وفي التشريع التوراتي نصوص تجعل الأبرص مقيماً خارج المجتمع البشري يحتاج لتطهيره غسلاً وذبيحة.

جاء في التوراة: إذا كان إنسان في جلد جسده ناتئ أو قوباء أو لمعة تصير في جلد جسده ضربة برص يؤتى به إلى هارون الكاهن أو إلى أحد بنيه الكهنة فإن رأى الكاهن الضربة في جلد الجسد وفي الضربة شعر قد ابيض ومنظر الضربة أعمق من جلد جسده فهي ضربة برص فمتى رآه الكاهن يحكم بنجاسته) لاوين 13: 1 ـ 3.

ويفصل الإصحاح 13 من سفر اللاويين في قضايا كثيرة تمس المصاب بالبرص وبأمراض جلدية أخرى. فالأقرع طاهر، والذي في رأسه بهق طاهر، والأصلع طاهر، لكن المدهش في عقوبة من أصابه برص حيث تقول التوراة: (والأبرص الذي فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ورأسه يكون مكشوفاً ويغطي شاربيه وينادي نجس نجس. كل الأيام التي تكون الضربة فيه يكون نجساً إنه نجس يقيم وحده خارج الملكة يكون مقامه) لا وين 13: 45 ـ 46.

وبالطبع فإن الأبرص في هذا التشريع يظل نجساً ما لم يشف من مرضه وبذلك يحرم من العبادة والشعائر كالصلاة والصوم وكافة العبادات.

(1) السموأل بن يحيى المغربي غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود ص11 مخطوط.

3ـ السيلان الطبيعي والمرضي من أعضاء التناسل بما في ذلك نجاسة الوضع للمرأة. تقول التوراة (كلما بني إسرائيل وقالا لهم كل رجل يكون له سيل من لحمه فسيله نجس وهذه تكون نجاسته بسيله. إن كان لحمه يبصق سيله أو يحتبس لحمه عن سيله فذلك نجاسته. كل فراش يضطجع عليه الذي له السيل يكون نجساً وكل متاع يجلس عليه يكون نجساً. ومن مسّ فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ومن جلس على المتاع يجلس عليه ذو السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإن بصق ذو السيل على طاهر يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء) لاويين 15 : 1ـ 5.

ويفصل هذا الإصحاح قضايا كثيرة تمس صاحب السيلان. وقد شرع الفقه الإسلامي في ذلك أيضاً ولكنه إلى جانب اليسير وليس إلى جانب التعقيد والتشهير. فلم وقد جاءت الشريعة الإسلامية بنص صريح يرفع الحرج والمشقة عن الناس فقد قال تعالى: (ما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج الآية 78 فكل شيء فيه حرج وعسر لا يجب على المكلف فعله ومن ذلك المرضى بأمراض لا تقعدهم عن العمل كضعيف المثانة المترتب عليها تقاطر البول بلا انقطاع في معظم الأوقات أو كلها ونحو ذلك من مذي وغيره ويقال له (سلس) ومثل هؤلاء المصابون بإسهال مستديم أو بمرض في الأمعاء (دوسنطاريا) يترتب عليه نزول دم أو قيح. فحكم هؤلاء وأمثالهم أن يعاملوا في الوضوء وغيره من أنواع الطهارة معاملة خاصة تناسب أمراضهم[1].

---

(1) الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة المجلد الأول صفحة 101.

ب ــ طهارة المرأة ونجاستها

شرعت التوراة في طهارة المرأة ونجاستها كثيراً من التشريعات. منها ما يلحق بجسدها ومنها ما يلحق بلباسها وفراشها وشؤون عملها ويمكن أن تقسم الأمور المتعلقة بذلك على ثلاثة أشكال.

1 ـ الطمث مدته وشروط الطهارة منه.

2 ـ الولادة مدتها وشروط الطهارة منها.

3 ـ علاقة الأشياء بطهارتها ونجاستها وعلاقة الرجل بها في حال نجاستها وطهارتها.

تقول التوراة: (وإذا كانت المرأة لها سيل. وكان سيلها دماً في لحمها سبعة أيام تكون في طمثها. وكل من مسّها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه يكون نجساً. وكل من مسّ فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مسّ متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء. وإن اضطجع عليه يكون نجساً) لاويين 19 ـ 24.

وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أياماً كثيرة في غير وقت طمثها أو إذا سال بعد طمثها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما في أيام طمثها إنها نجسة. لاويين 15 :25.

ويستدل من هذه التشريعات أن المرأة اليهودية تبقى نجسة سبعة أيام. وهذا يتقارب مع ما تعارف عليه المسلمون.

ولكن التشريع اليهودي أسهب في أثر نجاستها في الأشياء التالية:

1 ـ كل من مسّها يكون نجساً إلى المساء. فلهذا يعتبر نجساً كل ثوب تمسكه أو أي إناء أو أي حاجة من حاجيات منزلها أو خارج منزلها. ولا يصح أن تقوم اليهودية بغسل آنيةً أو تنظيف جدار وهي في حالة الطمث. وهذا يعني أن تنظيف البيت يقع على عاتق الرجل أو الخادمة إن وجدت. كل شيء تمسه يبقى نجساً حتى المساء.

2 ـ وكل ما تضطجع عليه يعتبر نجساً. وهذا يعني أن الفراش أو الكرسي أو حتى الأرض جميعها تكون نجسة حتى المساء.

3 ـ وكل إنسان يمسّ متاعها من لباس أو أي حاجة تخصها يكون الإنسان نجساً حتى المساء.

4 ـ وإن نام معها أو على فراشها إنسان آخر قد يكون أبنها أو زوجها أو أخوها وجاء شيء من طمثها عليه يكون نجساً لمدة أسبوع أو سبعة أيام.

5 ـ وإن زاد الطمث على سبعة أيام تبقى المرأة نجسة دون تحديد المدة وكل ما ينطبق على طمثها في السبعة أيام الأولى ينطبق عليه في بقية أيام سيلانها.

وإذا نظرنا في الفقه الإسلامي نجد أنه يستند على آيات القرآن الكريم في تعريف الناس معنى الطهارة لدى المرأة.

يقول تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة 222.

والمحيض كما هو معروف السيلان. وتسمى المرأة حائضاً إذا جرى دم حيضها ويسمى الحيض الطمث والحيض حسب المالكية دم خرج بنفسه من قبل امرأة في السن التي تحمل فيه عادة ولو كان دفقة واحدة وقالت الحنفية

الحيض يصح أن يعتبر حدثاً كخروج الريح ويصح أن يكون من باب النجاسة كالبول. وقالت الشافعية الحيض هو الدم الخارج من قبل المرأة السليمة من المرض الموجب نزول الدم إذا بلغ سنها تسع سنين فأكثر من غير سبب ولادة. وقد قرر الشرع تحريم وطأها. وتمنع من الصلاة والصوم. وقد قرر الشرع مدة الحيض فأقل الحيض يوم وليلة وأكثر مدة الحيض خمسة عشر يوماً مع لياليها فإذا رأت المرأة الدم بعد هذه المدة لا يعتبر حيضاً. وأقل مدة الطهر خمسة عشر يوماً.

أما النفاس فيعنون به خروج دم عند ولادة المرأة أو قبلها بزمن يسير أو معها أو بعدها. ويقدر نفاس المرأة بأربعين يوماً. وطهرها منه بعشرين يوماً ثم يقدر حيضها بعد ذلك بعشرة أيام.

وقد فصل الشرع فيما يحرم على الحائض أو النفساء فعله قبل انقطاع الدم. فيحرم عليها أن تباشر الأعمال الدينية التي تحرم على الجنب من صلاة ومسّ مصحف وقراءة قرآن وتزيد الحائض والنفساء عن الجنب أمور منها الصيام فإنه يحرم على الحائض أو النفساء أن تنوي صيام فرض أو نفل وإن صامت لا ينعقد صيامها ومن يفعل منهن ذلك في رمضان كان معذباً لنفسه آثماً وذلك جهل شائن[1].

ومن وطئ امرأته وهي حائض فإنه يؤثم وتجب عليه التوبة كما تأثم هي لتمكينه منها وباستثناء ذلك فإن ما تقوم به المرأة من أعمال في بيتها لا تنجس شيئاً من متاعه وكذلك ثيابها الخارجية فإنها لا تنجس ما لم تصب بدم الحيض والنفاس أو البول أو الغائط. وكذلك فراشها إن لم يمسه الدم أو ما يسبب النجاسة.

(1) الجزيري الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الطهارة ص133.

وهنا نلاحظ الفرق بين الشريعة الإسلامية والشريعة التوراتية. ونلاحظ كم كان التشريع اليهودي مضيّقاً على المرأة. وكم يسّر التشريع الإسلامي عليها. فحدود الشريعة الإسلامية واضحة الأهداف واضحة الأسباب. ولا شأن لها بالحط من قيمة المرأة أو تعطيل عملها المنزلي أو الصناعي أو الزراعي. بينما نرى التشريع التوراتي يقيدها تقيداً كاملاً فلا يمكن أن تمس شيئاً مهما كان نوعه لأنه نجسٌ إلى مساء اليوم.

وفي السياق التوراتي أيضاً تضع النصوص تشريعاً للمرأة الجنب وكذلك الرجل فتقول: (وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء ويكون نجسا إلى المساء. وكل ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع زرع يغسل بماء ويكون نجساً إلى المساء والمرأة التي يضطجع معها رجل اضطجاع زرع يستحمان بماء ويكونان نجسين إلى المساء) لاوين 15 :16ـ 18.

وتتقارب الطهارة في هذا بين التوراة والقرآن الكريم إي أن التوراة تعتبر المرأة والرجل نجسين بالجنب حتى المساء. لكن هذا لم يرد في القرآن الكريم حيث نص التشريع الإسلامي على وجوب الإسراع في الغسل من الجنابة حتى تؤدى الصلاة وبقية العبادات.

وقد جاء في كتاب السموأل بن يحيى المغربي رد على تضييق اليهود الشرع على المرأة وبيّن أنهم مغالون، وأنهم في نفس الوقت يستحلّون غير المرأة اليهودية وإن كانت نجسة يقول السموأل:

(فنقول لهم فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالاً تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبه ثوب المرأة لاستنجستموه مع ثوبه. فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة. فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم. والنجاسة التي أنتم فيها هي على معتقدكم لا ترفع بالغسل كنجاسة

الحيض فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض. ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا كانت من غير ملتكم ولاتستنجسون لامسَها ولا الثوب الذي يلمسه. وتخصيص هذا الأمر ـ أعني نجاسة الحيض بطائفتكم مما ليس في التوراة. فهذا كله نسخ منكم أو تبديل[1]).

جـ ـ المرأة اليهودية والطهارة

في التشريع اليهودي يلزم من المرأة أن تذهب إلى ما يسمى الحمام الشرعي بعد انقضاء مدة الطمث وانقطاع الدم نهائياً. والحمام الشرعي حمام نسائي جماعي تجرى فيه بعض الطقوس والكلمات.

وفي العديد من الطوائف اليهودية فإن المرأة العائدة من طقسها الشهري أي من الحمام الشرعي لأجل الطهارة يجب أن تحاذر ملاقاة أحد أربعة كائنات شيطانية. وهي أحد الأغيار غير اليهود أو خنزير أو كلب أو حمار وإذا حدث وقابلت أحدهم يجب أن تعيد الاستحمام مرة ثانية. وبعد التطهير في الحمام الشهري يصبح الاتصال الجنسي مع زوجها إلزامياً تفرضه الشريعة. وقد ظهرت هذه الطقوس على أيدي الحركة القبالية اليهودية. وأخذ بها عدد من الفرق اليهودية المعاصرة. بحيث ما تزال تؤثر في سلوك المرأة اليهودية والتزامها بما تفرض آراء الحاخامات على الناس.

2 ـ الزواج في التشريع اليهودي

يأخذ الزواج في التشريع اليهودي حيزاً واسعاً، وذلك بسبب تطور القوانين التي تنظمه وتقننه ففي سفر التكوين حالات من الزواج لم تطبق بعد نزول التوراة بل إن بعضها ألغي إلغاء كاملاً. وحينما نزلت التوراة على النبي موسى عليه السلام وضعت قوانين للزواج، حددت سنّه بالنسبة للرجل والمرأة.

(1) السموأل بن يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود مخطوط صفحة 12.

وسنت تشريعات منعت فيه زواج الرجال اليهود من غير يهوديات وزواج يهوديات من غير اليهود وعندما كتب التلمود تشددت التشريعات اليهودية في مسألة الزواج وجعلت له أبواباً واسعة من التلمود نفسه.

وبسبب هذه التشريعات واجهت المرأة اليهودية مشاكل كثيرة انعكست عليها سلباً خاصة في مسائل زواج المرأة من شقيق زوجها المتوفى، وإجبار الشرع لها أن تتقيد به وفي مسائل أخرى تتعلق بالمرأة التي يغيب زوجها مدة طويلة من الزمن وكذلك فيمن تنجبه المرأة من أطفال ومتى يكونون شرعيين ومتى يكونون غير شرعيين.

ثم واجهت المرأة اليهودية تشدد بعض الفرق اليهودية ضد غيرها من الفرق كما هو حادث بين القرائين وبين التلموديين.

وجميع هذه المشاكل تعاني منها المرأة اليهودية المعاصرة، مما يشكل في التجمعات اليهودية مشكلة كبرى تستعصي على الحل في كثير من حالاتها ويبدو أن التشريعات التلمودية وقفت ضد المرأة اليهودية في كثير من حقوقها وواجباتها.

ولهذا سنتناول مسألة الزواج في التشريعات اليهودية بشكل مفصل منذ سفر التكوين وحتى بروز التلمود.

وسنحاول مقارنة التشريعات اليهودية بالتشريعات الإسلامية حتى نرى مدى الاضطهاد الذي لحق بالمرأة اليهودية ومدى الاحترام الذي فرضته الشريعة الإسلامية للمرأة. في سيرة النبي إبراهيم عليه السلام في التوراة يتضح لنا أن هذا النبي قد تزوج من ساراي وهي حسب ما تقوله المصادر التوراتية أخت إبراهيم من أبيه وليست بنت أمه وقد جاء في سفر التكوين ما نصه: (وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة) تكوين 20: 12.

وفي بعض الروايات أن سارة كانت ابنة أخيه هاران. وكانوا في ذلك الزمان يجيزون زواج الرجل من ابنة أخيه. بل لم تكن هناك محارم من جهة الأب فكان يجوز الزواج بالعمة وابنة الأخ بل الأخت لأب فقد تزوج عمرام عمته يوكابد وولدت له هارون وموسى وقد ورد ذلك في سفر الخروج الإصحاح 6: 2 وتزوج ناحور ابنة أخيه هاران وقد ورد ذلك في سفر التكوين 11: 29 وقد رأينا كيف قال إبراهيم عن ساره إنها أخته من أبيه. وحينما هام أمنون ابن داود في حب ثامارا أخت أخيه أبشالوم استمهلته واقترحت عرض الأمر على الملك فهو لن يمانع في زواجهما وقد ورد ذلك في سفر صموئيل الثاني 13: 13.

بل إن الاتصال الجنسي كان يحدث بين الأقارب والأصهار من الدرجة الأولى دون أن يلقى استهجان الجماعة فقد عاشر رأوبين سرية أبيه يعقوب وذلك في سفر التكوين 35: 22 ودعت ثمار حماها يهوذا إلى الدخول بها كما جاء في سفر التكوين 38: 12 وما بعدها وحسب قول التوراة وافتراءاتها فقد ضاجع لوط ابنتيه وحملتا منه كما جاء في التكوين 19: 30 ـ 31.

ولعل عدم وجود محارم من جهة الأب عند بني إسرائيل في عهد الرعي يرجع إلى نظام أمومي سابق غلب قبل الألف الثانية ق. م..

وفي سيرة إبراهيم في التوراة يتضح أنه تزوج من مصرية وهي ليست من قومه والمصرية هي هاجر أم إسماعيل. وأوردت التوراة أن إبراهيم تزوج مرة ثالثة من امرأة كنعانية تدعى قاطورة وأنجب منها عدداً كبيراً من الأولاد .جاء في التوراة: (وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة) تكوين 25 :1 وهذا يعني أن شريعة إبراهيم الأساسية تبيح الزواج من غير القوم الذين ينتسب إليهم الرجل. وهذا ما يجعل المرء يندهش عندما تقول نصوص التوراة أن إبراهيم وصى ابنه اسحق ألا يتزوج من كنعانية وكذلك يعقوب، الذي وصاه أبوه أن يتزوج ابنه خاله لابان وأن لا يأخذ له زوجة كنعانية.

لكن التناقض الذي وقعت فيه التوراة يشير إلى أن الأحكام التي يصدرها إبراهيم واسحق حول عدم الزواج إلا من نفس العائلة لم تكن سوى أحكام نظرية قابلة للتطبيق حيناً وليست قابلة للتطبيق أحياناً أخرى.

فبنو إسرائيل اتبعوا قاعدة الزواج من الداخل في أحوال ونقضوا ذلك أحياناً أخرى فالرجل يختار زوجته من داخل عشيرته هكذا فعل إبراهيم حينما بحث عن قرينة لابنه اسحق إذ أمر الخادم ألا يسعى إلى بنات كنعان بل يذهب إلى عشيرة إبراهيم وهذا ما جاء في سفر التكوين 24: 37 ـ 38. وقد أوصى اسحق بدوره ابنة يعقوب ألا يتزوج من بنات كنعان بل يرحل إلى بنات خاله لابان وقد ورد ذلك في التكوين 28: 1ـ 2. ولما ارتبط عيسو بامرأتين من الحثيين فاضت نفس أبيه بالمرارة.

وفي حالات أخرى فالمرأة لا تُعطى للأجنبي (فدينة) ابنة يعقوب حين تقدم لخطبتها رجل من شيكم (أجنبي) رفض أخوتها إتمام الزواج وهذا ما ورد في التكوين 34: 14.

وقد وردت في التوراة عشرات النصوص التي تشير إلى زواج بني إسرائيل من نساء من أقوام أخرى. وكذلك فإن نصوصاً أخرى تشير إلى تبدل في الزواج بحيث يتزوج الأجانب غير اليهود حسب تعبير التوراة من فتيات من بني إسرائيل.

وقد حاول أنبياء التوراة والمصلحون اليهود باستمرار أن يحثوا أبناء إسرائيل على عدم الاختلاط بالزواج من غير يهوديات.

لكن الذي يلفت النظر أن داود عليه السلام تزوج حثيه وأنجب منها النبي سليمان وهي التي ورد ذكر أسمها بتشبع في سفر صموئيل الثاني. وتورد التوراة أن سليمان أيضاً تزوج من كافة أصناف النساء ومن كافة الأقوام.

تقول التوراة (و أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم). ملوك أول 11: 1 ـ 4.

وعلى مر التاريخ اليهودي وقبله تاريخ بني إسرائيل لم يحافظ التوراتيون على تقاليد الزواج الداخلي. فزوجوا بناتهم لكثير من الأقوام المغايرة. مثلاً نرى إستير من ملك الفرس كورش. أيام أواخر وجود بني إسرائيل في السبي البابلي ولعل ما يدفع بني إسرائيل دوماً إلى اختراق قوانين التوراة هي مصلحتهم الخاصة ولو على حساب شريعتهم.

وقد رأينا أيضاً في سفر التكوين كيف أن النبي يوسف تزوج بنت كاهن أون فوطي فارع المصري. وهي ليست من بني إسرائيل.

تقول التوراة (وأعطاه أسنان بنت فوطي فارع كاهن أون زوجةً) تكوين 41: 45، وقد أجازت التوراة في سفر التكوين زواج الرجل من أختين. فيعقوب تزوج من بنات خالة ليئة وراحيل. كما أجازت تزويج المرأة زوجها لجارتها.

وهذا أيضاً ما حدث مع النبي إبراهيم عندما زوَّجته زوجته سارة هاجر جاريتيهما.

وعندما زوجت كل من ليئة وراحيل جاريتيهما ليعقوب. ويعتقد بنو إسرائيل أن الجارية إذا أنجبت فإن أبناءها ينتسبون إلى سيدتها وهذا ما دلت عليه قصة زوجتي يعقوب راحيل وليئة.

وتقر الشريعة التوراتية تعدد الزوجات فرأينا أن إبراهيم ويعقوب وعيسو وداود وسليمان وغيرهم قد عددوا الزوجات دون حدود.

ولكن يبدو أن تعدد الزوجات عند بني إسرائيل في مرحلة الرعي كان لا

يتعدى الاثنتين أو الثلاث على عكس مرحلة الزراعة[1]. بمعنى أن بني إسرائيل عندما استولوا على بعض الأراضي العربية في فلسطين وبنوا مملكة أصبح التعدد بأكثر من ثلاثة شائعاً وهذا ما جاء في التوراة عندما تحدثت عن داود وسليمان.

أما في القرآن الكريم فقد تعددت الآيات التي تتحدث عن المرأة زواجـها. طلاقها والمحرمات من النساء إلى آخر ما هنالك من شؤون تتعلق بها. وقد أفرد القرآن الكريم سورة من المطولات وهي سورة النساء. كما وردت آيـات كثـيرة في سورة البقرة وغيرها من السور التي تخص شؤون المرأة بشـكل واضح لا مواربـة فيه.

فالنساء المحرمات في الشريعة الإسلامية محددات بالإسم:

يقول تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قـد سـلف إنـه كان فاحشـة ومقتـاً وسـاء سـبيلا. حرمـت عليكـم أمـهاتكم وبنـاتكم وأخواتكـم وعمـاتكم وخـالاتكم وبنـات الأخ وبنـات الأخـت وأمـهاتكم اللاتـي أرضعنكـم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم التي في جحوركـم مـن نسـائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنـائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفـورا رحيما)النساء 22 ـ23.

فالمحرمات في النص:

زوجة الأب غـير الأم، الأم، البنـت، الأخـت، العمـة، الخالـة، بنـت الأخ، بنت الأخت، والأم في الرضاعة، الأخت في الرضاعة، أم الزوجة، امـرأة الابن، الجمع بين الأختـين إلا إذا توفيـت الأولى فيسـمح الـزواج مـن أختـها، وبنت الزوجة من أب آخر.

---

(1) ثروت أنيس الأسيوطي نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين صفحة 161

وقد أحلت الشريعة الإسلامية الزواج من النساء المؤمنات من أهل الكتاب أي من اليهود والنصارى.

يقول تعالى: (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخوان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) المائدة الآية5.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية لتلغي ما كان عليه في الجاهليين من أمور الزواج كالزواج من امرأة الأب أو من العمة والخالة كما كان عند اليهود. وقد اعتبر الأصناف التي جمعتها الآيات الكريمة عن النساء محرمات تحريما قطعيا.

ولم يكن الإسلام متعصبا كتعصب أهل الكتاب الذين اعتبروا زواج اليهودية أو النصرانية أمراً خارجاً على الدين. وقد رأينا التشريع اليهودي كيف يحرم الزواج من غير اليهودية وكيف أن كثيرا من النصوص التوراتية تحض اليهودي على إخراج الزوجات غير اليهوديات بعيداً عن التجمع اليهودي أياً كان. لأن وجودهن يعتبر مخالفاً للشريعة كونهن حسب قول التوراة وثنيات أو على غير دين اليهود.

ولم يرد في التوراة أن امرأة يهودية سمح لها الشرع بالزواج من غير اليهود سوى في حالة أستير والحالات المشابهة لأن المصلحة اليهودية تغلب على الشرع في مثل هذه الحالات وكما حرم الربانيون اليهود زواج اليهودية من غير يهودي فإنهم أيضا ضيقوا الخناق أكثر فحرموا زواج اليهودية التلمودية من اليهودي القرائي.

ومنذ تأسيس الكيان الصهيوني وجد شرخ كبير بين الفرق اليهودية في مسائل كثيرة ومنها مسألة الزواج.

ففي الخمسينات أثار قرار المؤسسة الدينية اليهودية في الكيان الصهيوني بعدم شرعية زواج القرائي من اليهود حفيظة ديفيد بن غوريون والسياسيين اليهود وقد هدد ابن غوريون وقتها المؤسسة الدينية بتجريدها من حق الإشراف على عقود الزواج إذا لم يغير القرار. وقد اعترف بعد خمس سنوات بأنه فشل في تغيير عقلية الحاخامين.

والقرائي في نظر التلموديين غير مؤهل للشهادة الشرعية فكما أن الزواج القرائي باطل فالطلاق كذلك. وقد أجازت محكمة يهودية تلمودية زواج قرائي بيهودية غير قرائية ولكنهم طلبوا منه أن يتحول إلى اليهودية التلمودية ويقوم بأداء الشعائر المناسبة لهم وهناك حالات زواج تمت بين أفراد الفرقتين لكنها قليلة. وفي هذه الحالة يخفي القرائي انتماءه ويتزوج من تلمودية حيث لا يتبين من هويته أنه قرائي ويكون الزواج عن طريق حاخام تلمودي.

والتلموديون ما يزالون يجيزون الزواج ببنت الأخ وبنت الأخت، ولكن القرائين يحرمونه لأنهم يعتبرون بنت الأخت وبنت الأخ من المحارم كما في الإسلام[1].

أما انعقاد الزواج فقد كان الأب هو السيد المطلق داخل البيت، إرادته هي القانون يأمر فيطاع يزوج بناته وأبناءه بمحض إرادته بل يستطيع أن يبيع ابنته أمة لمن يعرض الثمن وقد ورد ذلك في سفر الخروج الأصحاح21 ـ 7 أو يدفع بها زوجة لمن يتراءى له من الرجال ويختار أيضا زوجة لابنه دون استشارته وقد ورد ما يظهر ذلك في سفر التكوين عندما انتقى النبي إبراهيم زوجة لابنه إسحاق دون أن يدري.

ولم تكن هناك مقدمات للزواج ولم تعرف الخطبة ويتم الأمر فجأة دون تمهيد وهذا ما رأيناه في سفر التكوين الإصحاح 24: 61 ـ 67. ولم تكن هناك

(1) جعفر هادي حسن. اليهود القراؤون صحيفة الحياة 13 كانون الثاني 1997.

مراسم معينة للزواج بل كان مسألة مدنية لا يتدخل فيها الكاهن. ولعل ذلك يرجع إلى ضعف نفوذ الكهنة في المراحل الأولى لبني إسرائيل.

وأداء المهر عادة متبعة عند بني إسرائيل يقوم به الرجل لصالح الفتاة. فهو ركن من أركان الزواج وهذا ما وضح عندما تزوج يعقوب من ابنتي خاله بأجرٍ يقدمه وهو رعيُه أغنام خاله مدة سبع سنوات أولى ثم سبع سنوات ثانية كمهرٍ للبنتين.

وقد جاء في التشريعات التوراتية أن الكاهن اللاوي الأعلى كان محظورا عليه أن يتزوج امرأة أجنبية. بل حتى امرأه من أي قبيلة عبرية. وحتى داخل قبيلته الخاصة لم يكن يتزوج أرملة أو مطلقة. والحقيقة أنه لم يكن يتزوج أي امرأة لها علاقة جنسية مع أي رجل آخر[1].

وبسبب من سوء العلاقات الزوجية بين اليهود أنفسهم لجأت بعض اليهوديات إلى الزواج من شباب مسلمين وأسلمن مما أثار حفيظة الكهنة والربانيين اليهود. ففي عام 1997وجدت سبع إلى تسع حالات في شمال فلسطين تشير إلى زواج فتيات يهوديات من شباب مسلمين وقد أسلمن وهجرن اليهودية إلى غير رجعة.

ولنا مثال واضح على تسامح الإسلام بالزواج من كتابية ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تزوج صفية التي كانت يهودية ثم أسلمت.

وتلجأ الفتيات اليهوديات اليوم إلى الزواج المدني غير العرفي والشرعي فتتزوج من رجل على غير دينها. وتجد فيه الرجل المناسب لمستقبلها ومستقبل الأسرة التي تنوي إنشاءها وكل ذلك يعود إلى انحلال الروابط الأسرية في التجمع الصهيوني والتي جلبها اليهود الغربيون معهم من بلادهم الغربية المنحلة.

---

(1) مارلين ستون. عندما كان الرب أنثى ترجمة حنا عبود صفحة 126.

والتي لا تحترم مواثيق الـزواج ولا تفكـر حتـى بالأسـر التقليديـة القائمـة علـى الزواج الحلال.

للأشقاء اليهود حق التوارث حتى في الزوجة:

نظر التشريع اليهودي للمرأة اليهوديـة كـأي سـلعة يشـتريها الرجـل أو يبيعها. فله التصرف بها كما يحلـو لـه. ومـن خـلال ذلـك فقـد أمـر التشـريع اليهودي أن من حق الأخ أن يرث أخاه الميت، وتكون الزوجـة جـزءا مـن هـذا الإرث فيتزوجها ويتصرف بها كأي حاجة ورثها عن أخيه. وإذا أرادت الزواج من غيره تطلب منه السماح لها بذلك وإن رفض فإنها تبقى دون زواج.

وما يدلل على هذا التشريع ما ورد في التوراة أن يهوذا ابن يعقوب النبي عليه السلام زوج ولده الأكبر من امرأة يقـال لهـا ثامـار فكـان يأتيـها مسـتدبراً (ملوطا) فغضب الله من فعله فأماته فزوجها يـهودا مـن ولـده الآخـر فكـان إذا دخل بها أمنى على الأرض علماً بأنه إن أولدها كـان أول الأولاد مدعـواً باسـم أخيه ومنسوباً إلى أخيه. فكره الله ذلك فأماتـه أيضـاً. فأمرهـا يـهوذا باللحـاق بأهلها إلى أن يكبر (شيلا) ولده الأصغر ويتم عقله حذرا من أن يصيبه ما أصاب أخويه فأقامت في بيت أبيها. فماتت من بعد زوجـة يـهودا. وأصعـد إلى مـنزل يقال له تمنات ليجز غنمه فلما أخبرت ثامار بإصعاد حميها إلى تمنات لبسـت زي الزانيات وجلست في مستشرف على الطريق لعلها تلفت نظره. فلما مر بها خالها زانية فراودها فطالبته بالأجرة فوعدها بجدي ورهن عصاه وخاتمه ودخل بها فعلقت منه بفارص وزارح ومن نسل هذا فـارص كـان بوعـز المـتزوج بـروث التي من نسل موآب ومن ولدهما كان النبي داود.

(وأيضا ففي هذه الحكاية دقيقة ملزمة بالنسخ لأن يـهودا لمـا أخـبر بـأن كنته قد علقت من الزنا أفتى بإحراقها فبعثت إليه بخاتمه وعصاه وقـالت: مـن رب هذين أنا حامل فقال صدمت مني ذلك واعتذر بأنه لم يعرفها ولم يعاودها؟

وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت مقتضية إحراق الزانيات وإن التوراة أتت بنسخ ذلك وأوجبت الرجم عليهن)[1].

ومن خلال النص السابق نستنتج بعض التشريعات التوراتية حول الزواج:

1ـ فالمرأة التي توفي زوجها تتزوج من أخيه حكماً.
2ـ والولد الذي تنجبه من الثاني لا ينسب له بل إلى أخيه المتوفى. ولهذا كره.
3ـ الكثيرون من اليهود يكرهون الزواج من زوجة الأخ المتوفى.
4ـ الزانية في حكم التوراة تحرق ثم نسخ هذا الحكم برجمها.
5ـ ومن عادة الزانيات في ذاك العصر أن يلبسن لباسا مميزا عن غيرهن. ويضعن برقعا على وجوههن ويجلسن على قارعة الطريق ينتظرن زبائنهن.

ويعلق السموأل بن يحيى المغربي على هذه التشريعات فيقول:

(ومن الفضائح التي عندهم مذهبهم في قصة اليتامى والحالوص. وذلك أنهم أمروا أنه إذا أقام أخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولدا ولا يخرج امرأة الميت إلى رجل أجنبي بل ولد حميها ينكحها وأول ما يولدها ينسب إلى أخيه الدارج فإن أبى ينكحها خرجت متشكية منه إلى مشيخة قومها قائلة هذا ابن حميي رفض أن يستبقي إسما لأخيه في (إسرائيل) ولم يرد نكاحي فيحضره الحكم هناك ويكلف أن يقول: ما أردت نكاحها. فتناول المرأة نعله فيخرجها من رجله ويمسكها بيدها وتبصق في وجهه وتنادي عليه: كذا فليضع الرجل الذي لا يبني بيت أخيه ويدعى في ما بعدها بالمخلوع النعل. وتنبذ ابنته بهذا اللقب أعني بنت المخلوع النعل. هذا كله مفترض في التوراة

(1) السمو آل بن يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود مخطوط ص 64.

عليهم وفيه حكمة ملجئة للرجل إلى النكاح من زوجة أخيه الدارج. لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة أن تشكوه إلى نادي قومها فذلك مما يحمله على نكاحها. فإن لم يردعه الحياء من ذلك فربما إذا حضر استحيا أن يقول: ما أردت نكاحها. فإن لم يخجله ذلك فربما يستحي من انتهاك العرض بخلع نعله.

وكون المرأة تشيل نعله، وتبصق في وجهه وتنادي عليه بقلة البركة والمروءة فإن هو استهان بذلك فربما استعظم أن ينبذ باللقب ويبقى عليه وعلى أهله من بعده عاره وقبح اسمه، فيلجئه ذلك إلى نكاحها.، فإن كان من الزهد فيها بحيث يهون عليه جميع ذلك. ففرغ فقهاؤهم على ذلك ما فيه حربهم وفضيحتهم. وذلك أنه إذا أراد زهدت المرأة في نكاح أخي زوجها المتوفى أكرهوه على النزول عنها. ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بمحضر من مشيختهم، ولقنوها أن تقول: أبى ابن حميي أن يقيم اسما لأخيه في (إسرائيل) لم يرد نكاحي، فيلزموها بالكذب عليه لأنه أراد فمنعته. فكان الامتناع منها والإرادة منه وإذا لقنوها تلك الألفاظ فهم يأمرونها بالكذب، ويحضرونه، ويأمرونه بأن يقوم ويقول: ما أرادت نكاحها. ولعل ذلك سؤله ومناه. فيأمرونه بالكذب وأما إخراقها (الطعن به) وبصقها في وجهه. فغاية التعدي، لأنه ما كفاهم أن كذبوا عليه وألزموه بأن يكذب حتى ألزموه عقابا على ذنب لم يجنه)[1].

وقد انتشرت بين بني إسرائيل عادة الزواج من بنات العم وذلك بعد أن استقروا في بعض أجزاء فلسطين. ويبدو أن تأثير البيئة الجديدة كان واضحا في عدد من العادات والتقاليد اليهودية.

وقد ظهر في سفر التثنية تحريم الزواج من زوجة الأب والعمة والخالة والحماة والبهيمة تقول التوراة: (ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف

---

(1) السموأل بن يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود مخطوط ص 68.

ذيل أبيه ويقول جميع الشعب آمين. ملعون من يضطجع مع بهيمة ما. ويقول جميع الشعب آمين. ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه ويقول الشعب آمين. ملعون من يضطجع مع حماته ويقول جميع الشعب آمين) التثنية 20: 27 ـ 23.

وقد اتسع نطاق الحظر بعد العودة اليهودية من السبي البابلي فحرم على كافة الرجال اليهود الزواج بالأجنبيات (غير اليهوديات)(حتى لا يختلط الزرع المقدس بالشعوب النجسة) على حد قول التوراة. ويقال إن عزرا أمر اليهود بالتخلص من الزوجات الغريبات واستصدر أمرا من ملك الفرس أصبغ على التشريع صفة الإلزام. واستخدم القوة في هدم الزيجات المختلطة القائمة. وشتت الأسر بالعنف وشرد الأطفال الأبرياء[1] وتم ذلك باسم الدين لاستئصال الرجس من بني إسرائيل كما تقول التوراة.

وتطور مفهوم الخطبة قبل الزواج فأصبحت خطوة أولى نحو الارتباط النهائي فإذا عاشرت رجلا آخر عوملت معاملة الزانية ورجمت بالحجارة حتى الموت إلا أن يكون الزنى حدث في الحقل لا في المدينة فيفترض أن الفتاة صرخت لتنجو لكن أحدا لم ينقذها. وقد ورد ذلك في سفر التثنية الإصحاح 23: 22 ـ 27.

وبدأ تأثير الكهنة يتغلغل في شؤون الزواج خاصة بعد عصر السبي حيث انتظم رجال الدين في سلك رئاسي. وتحولت اليهودية إلى مجتمع ثيوقراطي. فأمسى الزواج رابطة مقدسة إذ أن الله شاهد بين الرجل والمرأة.

جاء في التوراة: (فقلتم لماذا. من أجل أن الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التي أنت غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك) ملاخي 14: 2.

---

(1) ماكس فيبير في مقالاته عن سوسيولوجيا الأديان ج 3ص 366 نقل عن كتاب نظام الأسرة لثروت أنيس الأسيوطي ص181.

ولا تزال عند اليهود آثار لنظام الزواج بالخطف فالمرأة المسبية يأخذها اليهودي إلى بيته ويمهلها شهراً تبكي أباها وأمها ثم يدخل بها وإلا يسرحها ويمتنع عليه أن يبيعها أو يسترقها.

جاء في سفر التثنية: (إذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك لك وسبيت منهم سبياً. ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظافرها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد في بيتك تبكي أباها وأمها شهراً من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة وإن لم تسرّ بها فأطلقها لنفسها لا تبعها بيعا بفضة ولا تسترقها من أجل أنك قد أذللتها) تثنية 10:21 ـ 14.

التشريع اليهودي والطلاق

بعد تدوين سفر التثنية وتحريره في أواخر القرن السابع ق.م. ظهرت قوانين كثيرة للطلاق. بعد أن كانت في المراحل السابقة تكتنفها الفوضى وعدم التقنين في أغلب الأحيان.

وقد ظل الطلاق بيد الرجل في جميع المراحل باعتباره السيد في هذا الشأن. وتحت تأثير الأنبياء في مرحلة السبي أدخلت قيود على الطلاق وردت جميعها في سفر التثنية فالتزم الرجل أولا بتحرير ما يسمى (كتاب الطلاق) وتسليمه إلى المرأة.

تقول التوراة: (إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته. ومتى خرجت من بيته وذهبت وصارت لرجل آخر فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب الطلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن

يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست لأن ذلك رجس لدى الرب)تثنية 24:1 ـ 4.

وهذا القانون تخالفه الشريعة الإسلامية لأن الزوج الأول يستطيع استعادة زوجته المطلقة والتي تزوجت من غيره إذا طلقت في المرة الثانية. ويعقد عليها عقدا جديدا وبمهر جديد. وكل ذلك للحفاظ على كرامة المرأة والحفاظ عليها من الضياع والانحراف أو العوز.

وقد حرم الرجل من حق الطلاق نهائيا في حالتين:

1ـ إذا ادعى الرجل أن زوجته ليست بكرا أخذ أبوها وأمها علامة بكارتها وبسطا الثوب أمام شيوخ المدينة. وتولى هؤلاء تأديب الزوج وتغريمه مائة من الفضة تعطى لوالد الفتاة باعتبار الزوج قد أشاع اسماً ردياً عن عذراء من (إسرائيل) فتكون له زوجة ويمتنع أن يطلقها كل أيامه. وقد جاء ذلك في سفر التثنية 22: 13 ـ 19.

2ـ إذا كانت الفتاة عذراء وعاشرها الرجل قبل الزواج يلتزم بأن يسلم أباها خمسين من الفضة وأن يتزوجها وألا يطلقها كل أيامه. التثنية 28:22ـ 29.

ويقرّ أنبياء التوراة بأن الطلاق مكروه عند الله.

جاء في التوراة: (فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه لأنه يكره الطلاق قال الرب إله اسرائيل)ملاخي 2:15ـ 16

وكان لأسلوب النظر إلى المرأة اليهودية عند اليهود أثره الفاحش والسلبي على العلاقات بين الرجل وزوجته. فللرجل مطلق الحرية في أن يطلق متى يشاء ولا يصح للمرأة الطلاق إلا في حالات نادرة.

وإذا لم يكتب الزوج كتاب الطلاق تبقى المرأة على ذمته ولو هاجر إلى مكان بعيد وغاب مدة طويلة. وقد نشأ بسبب ذلك وجود آلاف النساء اللواتي لا يعتبرن مطلقات ولا متزوجات. وإنما معلقات. ويطلق على المرأة من هذا القبيل(العاغوناه) أي المرأة المربوطة. فلا يمكن لهذه المرأة أن تتزوج شرعا لأن زوجها لا يعطيها كتاب طلاق يطلق عليه(غت) بالعبرية. أو لأنه اختفى عنها ولا يعرف مصيره، أحي أم ميت.ويشمل هذا المصطلح المرأة الذي توفي زوجها ويرفض شقيقه أن يسمح لها بالزواج وقد أشرنا إلى ذلك في صفحات سابقة.

وتنص الشريعة اليهودية على أن الزواج لا يفسخ إلا بالطلاق أو بموت أحد الزوجين وهذا الطلاق لا يمكن أن يفرضه الحاخام أو المحكمة الدينية. وإنما يحصل فقط بإعطاء الزوج لزوجته كتاب الطلاق باختياره. ولذلك فإن رفض الزوج إعطاء كتاب الطلاق أو اختفاء الزوج من دون دليل عليه، يجعل الطلاق غير ممكن من وجهة النظر اليهودية التلمودية. ومن جانب آخر فإن الزوج لا يتأثر إذا رفضت الزوجة تسلم كتاب الطلاق أو اختفت ولا يعلم مصيرها. إذ أن الزوج في مثل هذه الحالة الأخيرة يمكنه الزواج مرة أخرى تحت شروط معينة. وهذه المشكلة ليست جديدة عند اليهود وإنما هي مشكلة تاريخية قديمة، تشتد حدتها وتخف تبعا للظروف كما في ظروف الحرب أو الكوارث أو غير ذلك.

وتعتبر مشكلة المرأة العاغوناه من أشد المشاكل تعقيدا في الفقه اليهودي وأكثرها بحثا ومناقشة عند الفقهاء اليهود.

وكان الحاخامون في القديم لم يجيزوا لليهودي أن يسافر من دون أن يعطي موافقته على طلاق مشروط خلال فترة معينة. وفي العصور الوسطى حيث كثر الأزواج حين يسافرون بحثا عن الرزق ولا يرجعون، قرر الحاخامون أن لا يزيد غياب الزوج عن اثني عشر شهراً وأن يبقى مع زوجته عند رجوعه فترة

لاتقل عن ستة أشهر قبل أن يسافر مرة أخـرى. وطبقـوا أيضـا مـا كـان يطبقـه الحاخامون القدماء بأن كانوا يطلبون من الزوج أن يعطي كتاب الطلاق بشروط. وفي العصر الحـاضر تطلـب رئاسـة الحاخاميـة مـن الجنـود الاسـرائليين الذيـن يذهبون إلى الحرب أن يتركوا كتاب الطلاق مشروطا عند المحكمة الدينية.

وتعتبر مشكلة العاغوناه في الوقت الراهن من المشاكل التي يعـاني منـها المجتمـع النسـوي اليـهودي خصوصا في أمريكـا والكيـان الصـهيوني. وتقـدر منظمات الدفاع عن العاغوناه بأن عدد النساء اللائي يعانين من هذه المشـكلة في فلسطين المحتلة مثلا هو عشرة آلاف امـرأة ومثـل هـذا العـدد يوجـد كذلـك في ولاية نيويورك وحدها. وأن العدد في ازدياد خصوصا في الكيان الصـهيوني. لأن المذهب الأرثوذكسي هو المسيطر على المؤسسة الدينية فيها ويتشدد هذا المذهـب في مسألة العاغوناه على العكس من المذاهـب اليهوديـة الأخـرى الجديـدة الـتي تنهج منهجا مخففا في معالجة هذه المشكلة وإيجاد حلول لها[1].

ولو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية وجدنا أن القرآن الكريم شرّع في مسـائل الزواج والطلاق تشريعات لم يرق إليها أي تشريع وضعي. وقد حفظ حـق المـرأة والرجـل علـى السـواء مراعيـا كافـة الظـروف النفسـية والماديـة والاجتماعيـة والدينية، فالغاية من الزواج الستر ودرء المخاطر وإنجاب الأطفال وإنشـاء أسـرة مسلمة واعية ففي الشريعة منع من الاسـتفادة مـن مـهر الفتـاة فقـال: (وآتيتـم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) النساء الآية 20.

وكما سمح للرجل أن يطلق امرأته لأسباب منطقية فقد سمـح للزوجـة أن تطلق الرجل لأسباب منطقية. ولكن من الناحية المبدئية لا يبيـح الإسـلام حـل عقدة الزواج بالطلاق أو التفريق إلا بشروط محددة. وعند الضرورة القصوى لأنـه يريد للحياة الزوجية أن تظل متوازنة مستقرة ولا سيما بعد إنجاب الأطفال.

---

(1) جعفر هادي حسن المرأة العاغوناه معلقة لا هي متزوجة ولا مطلقة. صحيفة الحياة 1993/5/31.

لقد أقرت السنة الشريفة أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات) أما ما يقال عن تعدد الزوجات فقد أقرت الشريعة الإسلامية أن الأصل في الزواج هو بواحدة وهناك أدلة واضحة في القرآن الكريم.

يقول تعالى :(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) النساء الآية 3.

ويقول تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) النساء الآية 128. وقد سار على هذا الأصل الغالبية العظمى من المسلمين. والعقيدة اليهودية كما رأينا ترى المرأة كأي سلعة يرثها شقيق زوجها المتوفى بينما في الإسلام لا يحق أن تكره المرأة على الزواج بل هي تختار من تريد أو ترفض من لا تريد.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر» أخرجه البخاري ومسلم.

وقالوا وما إذنها قال عليه الصلاة والسلام صماتها ـ سكوتها.

وفي سورة النساء قوانين وتشريعات حول المرأة لا تترك كبيرة أو صغيرة إلا وتحددها وتصفها وتضع حلولاً لها بشكل واضح لا لبس فيه.

يقول تعالى: (وأتوا النساء نحلة صدقاتهن فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) النساء 4.

ويقول تعالى: للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) النساء 7.

ويقول تعالى: (يا أيُّها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن

بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيــه خـيراً كثـيراً) النساء 19.

ويقول تعالى ناهيا عن هجر الزوجة والبعد عنها لتصبـح معلقـة لا مطلقـة ولا متزوجة، يقول تعالى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً) النساء 129.

وقد ترك التشريع الإسلامي مـدة زمنيـة للتفكـير في الطـلاق. فـلا يجـوز الطلاق أو ينفذ إلا بعد انقضاء فترة زمنية طويلة يعيد كل من الرجل والمرأة فيها حساباتهما وعلى الأغلب يعودان لبعضهما لأنهما الأولى ببعضهما.

يقول تعالى: (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فـاؤوا فـإن الله غفور رحيم. وإن عزموا الطلاق فـإن الله سميـع عليـم. والمطلقـات يـتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلـق الله في أرحامـهن إن كـن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحـاً ولهـن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) البقرة 226 ـ 228.

ويقول تعالى: الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حـدود الله فـلا جنـاح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فـأولئك هم الظالمون) البقرة 229.

هذا وقد طور التلمود مفاهيم كثـيرة في قضيـة المـرأة والـزواج وقنـن بعـض الأحوال الإجتماعية وفرضها على أتباع العقيدة اليهودية.

وفي بعض القوانين شايَعَ التلمود التوراة وفي بعضها طوّر قوانين فظهرت وكأنها من باب الاجتهاد والتفسير الخاص.

فرأى أن الزواج فرض ديني لا يجوز لأحد أن يتخلى عنه. وافترض سفر التثنية أن كل يهودي ينشئ بيتاً. وكان الامتناع عمداً عن الإنجاب خطيئة كبرى عقابها إلهي يصل إلى حد الموت.

ويرى التلمود أن بيت كل رجل امرأته. ولكن التلمود رأى أن على اليهودي أن ينجب ولدين لا أكثر. ولم يلق التلمود على عاتق كل يهودي سوى واجب الإنسال بما لا يقل عن ولدين على أن يكونا صبيين طبقا لمدرسة (شماع) قياسا على ما فعل النبي موسى الذي أنجب جرشوم واليعازر. أو صبيا وصبية وفقا لمدرسة (هلال) تطبيقا لما جاء في التوراة من أن الله خلق الناس ذكراً وأنثى.

كذلك تنص مجموعة (حاي بن شمعون) الموضوعة في مصر عام 1912 على أن الزواج فرض على كل إسرائيلي.

وينصح التلمود الرجال بالتريث في اختيار الزوجة وبالنزول درجة حتى لا تعامله العروس وأهلها باحتقار. وبرؤية المرأة قبل الارتباط بها حتى لا يكتشف فيما بعد ما ينفره منها[1]. كما يدعو التلمود إلى تناسب السن بين الطرفين. فلا تقترن عجوز بشاب صغير ولا يتزوج شيخ فتاة شابة[2].

وجاء في مجموعة حاي بن شمعون أن عقد الرجل على الزوجة من غير أن يراها مكروه، كذلك زواج الشيخ بصبية وزواج المرأة العجوز بصبي زواج مكروه.

---

(1) آ. كوهين. تلمود أورشليم باب يباموت 6 فقرة 6 نص من المشنا وتعليق الجمارا مجلد 4 قسم 2 ص 92.

(2) تلمود أورشليم باب بياموت الفصل 6 الفقرة 6 نص المشنا وتعليق الجمارا مجلد 4 قسم 2 ص 175

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشريعة الإسلامية ومن خلال سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم حضت على رؤية الشاب للفتاة التي يريدها زوجة وكذلك حضت على رؤية الفتاة للرجل الذي يتقدم لها.

و قد حدد التلموديون سن زواج الشاب بثمانية عشرة عاماً ولكن أجازوا الزواج في سن الثالثة عشرة للشاب والثانية عشرة للفتاة.

و يقتصر التلمود الزواج على أربع نساء ولكن بعض الربانيين تركوا العدد بلا حدود. أما اليهود الأشكنازيم فقد حرّموا في القرون الوسطى تعدد الزوجات. لكن هذا التحريم لم يمتد إلى اليهود الشرقيين (السفارديم).

الفصل الخامس

العقوبات بين التشريع التوراتي والتشريع القرآني



العقوبات في التشريع اليهودي واسعة ومتعددة. فكما تطورت كتابة التوراة حتى بلغت ذروتها في السبي البابلي، فقد تطورت العقوبات أيضا. فما دوّن في التوراة من عقوبات لم يبق على حاله وإنما أوجد الحاخامون ورجال الدين اليهود عدة تشريعات وقوانين تنظم العقوبات تنظيما واسعا.

لكن الذي يلفت النظر في التشريعات اليهودية المتعلقة بالعقوبات أن تلك التفسيرات التي أوجدها كتبة التلمود تأخذ منحى مغايراً لما كانت عليه التشريعات أيام النبي موسى عليه السلام وأيام التسلل العبراني لأرض فلسطين حتى أواخر أيام النبي سليمان عليه السلام.

وحين دوّنت التوراة في السبي البابلي كان بنو إسرائيل قد هضموا تراث الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها وخاصة البابليين الذين عرفوا القوانين والعقوبات منذ وضع حمورابي تشريعه المسمى باسمه. وبالمقارنة بين ما جاء في هذه التشريعات والتشريعات التوراتية يرى المرء أن اليهود استفادوا جداً منها حتى أنها تتطابق أحيانا معها.

لقد مر بنو إسرائيل في تقلبات عدة تاريخية وبيئية وجغرافية. فكانوا في الأساس رعاة متنقلين. ولعلهم أوجدوا بعض القوانين والعقوبات التي تناسب مرحلتهم تلك. ومع البدء بالتسرب إلى فلسطين ومن ثم قيام مملكة بقيادة داود عليه السلام جعلهم ينظمون عقوبات وتشريعات تتناسب مع واقعهم الجديد. وكذا في كل مراحل حياتهم بعد السبي ثم في عصر البطالسة اليونان والرومان إلى وقتنا الحاضر. لقد كانت بيئتهم غير المستقرة في الصحراء تفرض عليهم عقوبات

تتناسب مع قسوة الصحراء وشظف العيش .فكانت العقوبات نفسها قاسية وخشنة. وكذلك الأمر فيما بعد فقد لاحظنا من خلال أسفار التوراة التخفيف من العقوبات فأصبحت أكثر ليونة وقابلة للتفسير ومن ثم التخفيف وإيجاد المخارج الكهنوتية لها.

وقد أوجدت طبقة الكهنة نفسها في موقع الحاكم والقاضي. ولكنها وبسبب من النظرة إلى المصالح المادية والكسب، مالت إلى تمييع النصوص المرتبطة بالعقوبات وإيجاد مبررات لتبرئة المذنب إذا دفع ما يرضي الكهنة ويُسكتهم. وسيعاقب إن لم يكن لديه ما يقدمه لهم. وهذا ما جاء عليه القرآن الكريم حين وصفهم بأنهم لا يحكمون بما أنزل الله بل يحكمون حسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية النفعية. ولعل أخطر ما في هذه الانحرافات ما جاء به التلموديون الذين جعلوا لكل شيء وجهين، وجها ظاهرا ووجها باطناً يريدون من ورائهما إخفاء الحقائق وتزويرها فاعتبروا أن كل عقوبة جاءت في التشريع اليهودي يجب أن تطبق على وجهين، الوجه الأول ينطبق على أعضاء العقيدة اليهودية، والوجه الثاني ينطبق على أبناء بقية الأمم الذين يطلقون عليهم (الغوييم) أي الغرباء. أو يطلقون على ما عدا اليهود الوثنيين. وقد حفلت تعاليم التلمود بكل القوانين والعقوبات التي تفسر تفسيرين.

وقد أوضح القرآن الكريم أن أتباع اليهودية حرفوا الكثير من التوراة الحقيقية، وحرفوا بالعقوبات بل وحَرَفوها عن مسارها الصحيح الذي طالبهم الله بالسير على نهجه فيها واتباع تعاليمه.

فقد نرى أحيانا كثيرة مادة شرعية من مواد العقوبات تطبق على اليهودي ولا تطبق على غيره، والعكس صحيح أيضا فقد نجد مادة تطبق على غير اليهودي ولا تطبق على اليهودي. وتشمل هذه العقوبات عقوبة القتل والزنا

والسرقة والاغتصاب. وكثيرا من العقوبات الأخرى التي نص عليها كتاب التوراة وطبقها التلمود وزاد عليها.

ولو نظرنا إلى واقع التجمع اليهودي في فلسطين لرأينا آلاف الحالات التي تظهر تطبيق وجهين للقوانين والتشريعات والعقوبات، ولرأينا التفرقة العنصرية بشكل مكشوف وكل ذلك يأتي من خلال طبيعة العقيدة المتحولة والمنحرفة تماما عما أقره الله في توراة موسى عليه السلام.

أما العقوبات التي سنتها التوراة المدونة والتلمود فهي كثيرة يصعب حصرها. وهي نابعة من مقتضى الحال ومجريات الحدث ونوعية الأشخاص الذين ارتكبوا الخطأ أو الجريمة فيه.

ويمكن لنا أن نرى من هذه العقوبات أهمها، كعقوبة القتل، والسرقة والزنا، وعق الوالدين، والاعتداء على المتلكات. والاتهام الكاذب. وعقوبة السحر وقد ورد أيضا في هذه العقوبات حكم السن بالسن والعين بالعين وعقوبة قتل الحيوان، وعقوبة الحيوان نفسه، واتهام الفتاة بالفحشاء. وقبل أن نستعرض العقوبات في التشريع اليهودي تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من القوانين تتقاطع مع تشريعات الشعوب العربية القديمة التي عايشها اليهود وخاصة البابليين.

ومن خلال تشريع حمورابي نرى كثيرا من التشابه والتطابق أحيانا وأحيانا قليلة نرى التناقض والاختلاف.

1 ـ عقوبة القتل

ويعتبر أكثر الباحثين التقليد القديم الذي ينطوي على العين بالعين والسن بالسن القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الشريعة البابلية وهم يردونه إلى حمورابي المشرع الأول له. ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن اليهود عندما سبوا إلى

بابل قد حملوا معهم تشريعات وعقوبات فرضت عليهم وحفظوها. فقد يكون البابليون استفادوا منها، وهذا احتمال قائم أيضاً.

على أية حال فإن شريعة حمورابي تقول: (إذا فقأ سيد عين أحد الأشراف فعليهم أن يفقأوا عين ذلك السيد. وإذا كسر سيد عظم سيد آخر فعليهم أن يكسروا عظمه. وإذا قلع سيد سن سيد من طبقته فعليهم أن يقلعوا سنه. وإذا بنى بنّاء لسيد بيتاً ولم يكن شغله متيناً بحيث انهار ذلك البيت الذي بناه وقتل صاحب البيت فيجب قتل ذلك البناء وإن قتل ابن صاحب البيت فعليهم أن يقتلوا ابن ذلك البناء.

و قد ورد في التوراة أيضاً هذا المبدأ وطبقته في أماكن متعددة من شريعتها فحسب شريعة التوراة (وإن حصلت أذية تعطي نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ورجلاً برجل وكياً بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض) خروج 25: 12ـ 23 وإذا أمات أحد إنسانا فإنه يقتل. ومن أمات بهيمة يعوض عنها نفساً بنفس وإن أحدث إنسانٌ في قريبه عيباً فكما فعل يفعل به. كسر بكسر وعين بعين وسن بسن كما أحدث عيباً في الإنسان كذلك يحدث فيه. ومن قتل بهيمة يعوّض عنها ومن قتل إنسانا يقتل) لاويين 24: 17ـ 21.

وقد أورد القرآن الكريم ما نصه: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) المائدة الآية 32. وقد ورد أيضا في القرآن الكريم ما نصه: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة ـ 45.

يتضح من نص الآية أن الله سبحانه فرض عليهم هذه التشريعات في التوراة. وهذا يؤكد أن توراة موسى عليه السلام حوت هذه العقوبات. وموسى عليه السلام سبق تاريخياً حمورابي وتشريعات البابليين بأكثر من سبعمائة سنة. وهذا يدل على أن تشريعات حمورابي قد استفادت مما أنزل على موسى وحفظه الكهنة والربانيون وإذا كان اليهود لم يطبقوا هذه القوانين التي فرضها الله عليهم فهذا ليس يعني أنها لم تنزل في توراة موسى وهذا لا يعني أيضاً أنهم اقتبسوها من حمورابي وتشريعاته فالنص القرآني يعلم النبي محمد صلى الله عليه وسلم كيف كان حال بني إسرائيل وما فرض الله عليهم وكيف أنهم حرفوا التوراة ولم يقيموها ولم يطبقوا ما فيها.

وقد فصلت أسفار موسى كثيرا من القوانين المتعلقة بالقتل وعقوبته. وتناولت عقوبة القتل عمدا، وعقوبة القتل خطأ. وعقوبة الحيوان الذي يقتل إنسانا تقول التوراة: (من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا. ولكن الذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده فأنا أجعل لك مكانا يهرب إليه) خروج 21: 12ـ 14.

(وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت) خروج 21 ـ 15. وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش فإن قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا إلا أنه يعوض عطلته وينفق على شفائه) خروج 21: 18.

(وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه لكن إن بقي يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله) خروج 21، 20 ـ 22.

(إذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه وأما صاحب الثور فيكون بريئا. ولكن إن كان ثورا نطاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يربطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضا يقتل. إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه. وإذا نطح ابنا أو ابنة

فحسب هذا الحكم يفعل به. وإن نطح الثور عبداً أو أمـة يعطـي سـيده ثلاثـين شاقل فضة والثور يرجم). خروج 21: 28ـ 33. وتفصل التوراة في جريمـة القتـل بلا عمد وذلك في سفر التثنية حيث تقول: (و هذا هو حكم القاتل الذي يـهرب إلى هناك فيحيا. من ضرب صاحبه بغير علم وهو غير مبغض له منذ أمـس ومـا قبله. ومن ذهب مع صاحبه في الوعر ليحتطب حطباً فـاندفعت يـده بالفـأس ليقطع الحطب وأفلت الحديد من الخشب وأصاب صاحبه فمات فهو يهرب إلى إحدى تلك المدن فيحيـا لئـلا يسـعى ولي الـدم وراء القـاتل حـين يحمـي قلبـه ويدركه إذا طال الطريق ويقتله. وليس عليه حكم الموت لأنه غير مبغض له منذ أمس وما قبله) تثنية 19: 4ـ 7.

رولكن إذا كان إنسان مبغضاً لصاحبه فكمن له وقام عليـه وضربـه ضربـة قاتلة فمات ثم هرب إلى إحدى تلك المدن يرسل شـيوخ مدينتـه ويأخذونـه مـن هناك ويدفعونه إلى يد ولي الدم فيموت لا تشفق عينك عليه فتنزع دم البريء من إسرائيل فيكون لك خير) تثنية 19: 11ـ 13.

كما جاء في وصية النبي موسى عليه السلام لا تقتل فقـد نـهى التشـريع الإسلامي عن القتل نهياً قاطعاً. وقـد جعـل التشـريع عقوبتـين للقـاتل عمـداً، عقوبة دنيوية وعقوبة من الله سبحانه وتعالى وهي عذاب جهنم وغضب من الله ولعنة. يقول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمنـاً متعمـداً فجـزاؤه جـهنم خـالداً فيـها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) النساء الآية 2.

ويقـول تعـالى: (قـل تعـالوا أتـل مـا حـرم ربكـم ألا تشـركوا بـه شـيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكـم وإيـاهم ولا تقربـوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلـك وصاكم به لعلكم تعقلون) الإنعام 151.

وقد أخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن المنذر عن كعـب قـال: أول

ما نزل من التوراة عشر آيات وهي العشر التي أنزلت من آخر الأنعام (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخرهما[1].

وأخرج أبو الشيخ عن عبيد الله بن عبد الله بن عدي بن الخيار قال: سمع كعب رجلاً يقرأ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً فقال كعب: والذي نفس كعب بيده إنها لأول آية في التوراة باسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر الآيات[2].

ويقول تعالى: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا. الإسراء 33.

و كذلك جاء في سورة الفرقان: (ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق) الفرقان 68. وقد جعل الله تعالى جناية قتل النفس بعد الشرك وقرنه به حتى تدرك النفوس فظاعة هذه الجريمة وعظم خطرها وشدة عقابها يوم القيامة، فقال تعالى: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا) الفرقان الآية 69.

قال تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً. ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) النساء 29 ـ 30.

وعقوبة القاتل في الدنيا تسليط أهل المقتول عليه. فهم مخيرون بين أن يقتلوا أو يعفوا أو يأخذوا دية مغلظة أثلاثاً. ثلاثون حقة. وثلاثون جذعة وأربعون خلفة)[3].

---

(1) السيوطي الدر المنثور في التفسير المأثور ص 103ـ الجزء 3.

(2) السيوطي الدر المنثور في التفسير المأثور ص 103 الجزء الأول .

(3) الجزيري. الفقه على المذاهب الأربعة ص 253 الجزء الخامس كتاب الحدود.

وقد شرّع الإسلام وجوب القصاص من القاتل بنفس فعلته إلا إذا عفا عنه أهل القتيل فعندها يفرض عليه دفع الدية المشار إليها. والقاتل الذي يقتص منه يجب أن يكون عاقلاً فلا قصاص على المجنون. وأن يكون بالغاً فلا قصاص على صبي. وأن يكون مختاراً فلا قصاص على مجبر وأن يكون مباشراً للقتل فلا قصاص على من قتل من غير مباشرة الفعل.

فالقصاص يسقط بالعفو أو الصلح بخلاف الحد فإنه لا يسقط بالعفو لأنه حق الله تعالى. وفي شريعة التوراة يوجب القصاص والحد فلا دية في التشريع اليهودي وفي المسيحية فرضت الدية دون القصاص والحد. فجاء الإسلام ليخير بين العفو والقصاص والحد. وقد حضّ الله سبحانه على العفو حقناً للدماء فقال تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين.) الشورى 40. وقد أختلف الحكم على القاتل فيما بين التشريع التوراتي والتشريع الإسلامي. فكما رأينا في التشريع التوراتي أنه إذا قتل سيد عبده لا يقتل. بينما في التشريع الإسلامي قاعدة تستند إلى آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تقول إن دماء المسلمين سواء فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه) رواه أحمد والأربعة وحسنه الترمذي. فلا فرق بين حر وعبد إذ يقول تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس). وقد أجازت التوراة هروب القاتل بغير عمد إلى بلد آخر واكتفت بذلك بينما في التشريع الإسلامي فقد أقر مبدأ القتل الخطأ بتحرير رقبة. وإن لم يجد القاتل ما يقدمه فيصوم شهرين متتابعين وذلك يستند على قوله تعالى: (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ودية مسلّمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فديّة مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما) النساء الآية 93. وكما فصلت التوراة في عقوبات الأضرار فكذلك فصلت تشريعات القرآن في ذلك وكان الواضح بين التشريعين الاختلاف

في الغاية من العقوبة والقصاص. وكذلك الاختلاف في الرابط بين العقوبة الدنيوية والأخروية. وقد ترك التشريع الإسلامي هامشاً واسعاً للعفو لأن غاية الله سبحانه إحياء النفوس وليس قتلها. وزرع في النفوس الغايات الحميدة في الدنيا والآخرة. فالقصاص ليس حكما لمجرد القصاص إنما بينه الله سبحانه أن القصاص يوجب الحياة. لأنه في ردع المجرم حياة للناس وأمان لهم.

وقد نهى الإسلام عن قتل الأولاد بسبب الفقر أو خشية الفقر. فيقول تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام 115. ويقول تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيرا) الإسراء 13. ويحرّم قتل الأولاد حتى لو كانوا أجنة أو كانوا صغارا أو كباراً بنات أو أولاداً.

وحين نقابل العقوبات بشأن الحيوان القاتل بين التشريع اليهودي والتشريع الإسلامي نرى اختلافاً واضحاً ففي التشريع اليهودي إذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه بينما في الشريعة الإسلامية لم يحرم لحم الثور النطاح لقوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) المائدة 4. فلا يشمل التحريم الثور النطّاح. ولكن حسب القانون التشريعي الإسلامي فإن الرجل الذي تضرر قُتل أو جُرح أو خرب له شيء فإنه يعوَّض له عما ارتُكب بحقه. ويعوِّض عليه صاحب الحيوان. وهذا يتم لدى القضاء الإسلامي ولو أخذنا المسألة من باب التحليل العقلي لوجدنا أن عقوبة القتل أو الرجم الواجبة في التشريع اليهودي على الثور هي عقوبة على غير عاقل. وقد حدد الشرع الإسلامي أن القاتل لو كان مجنونا أو صبيا لا يجوز إقامة الحد عليه وذلك لعدم وجود العقل الذي يميز. فإذا كان الأمر كذلك فالأولى أن لا يعاقب الحيوان. لأن الحيوان غير عاقل. ولا يحاسب محاسبة الإنسان العاقل. ثم ما الداعي لتحريم أكل لحمه طالما أنه غير نجس وغير محرم في الأساس.

2 ـ عقوبة الزنا والاغتصاب

تعتبر جريمة الزنا والاغتصاب من أشهر الجرائم التي يعاقب عليها القانون الشرعي في كثير من التشريعات القديمة والتشريعات الدينية.

وقد وجدنا أن تشريع حمورابي قد اهتم بهذا الجانب وأفرد له عقوبات من ضمن العقوبات التي أقرها حول الجرائم الاجتماعية وغيرها.

وقد جاء في تشريع حمورابي (لا تتزوج بغيا إنها لا تنتشلك من ورطتك. ففي خصامك تتبذأ عليك إذ ليس لها حياء ولا طاعة. وعليك إن هي استولت على البيت أن تسرحّها. إن فكرها مع الغريب. البيت الذي تدخله تخربه وزوجها لا يتوفق[1] وتنهى تشريعات بابل عن الزنا بقولها لا تزن ولا تشته امرأة قريبك وحكم الزنا عند البابليين هو القتل إما بالحرق أو بالرجم أو بالإغراق بالماء وفي بعض الأحيان بالنفي.

وحسب شريعة حمورابي (إذا قبض على امرأة سيد مضطجعة مع سيد آخر فيجب عليهم أن يوثقوهما ويلقوهما في الماء "في النهر" ويمكن لزوج المرأة أن يبقي زوجه على قيد الحياة كما يمكن للملك أن يخلي أمته. وإذا اختار سيد عروساً لابنه ودخل ابنه عليها ولكن إذا دخل إلى حجرها بعد أن ينام ابنه ويقبضون عليه فعليهم أن يوثقوا ذلك الرجل وأن يلقوا به في الماء (النهر). وإذا قبض على سيد مضطجعا في حجر زوج أبيه (زوجة الأب غير الأم) فيجب طرده من بيت أبيه. وإذا نام سيد في حجر أمه بعد والده (أي بعد وفاة والده) فعليهم أن يحرقوهما كليهما. وإذا جامع رجل ابنته فعليهم أن يطردوا ذلك السيد من المدينة)[2].

---

(1) د. احمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ 446.

(2) احمد سوسه. العرب واليهود في التاريخ ص 483.

وحسب نص التوراة (إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة متزوجة يقتل الإثنان الرجل المضطجع مع المرأة، والمرأة) التثنيه 22: 22.

(وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما فقد فعلا فاحشة دمهما عليهما) ولا تدنس ابنتك بتعريضها للزنا) لاويين 31:19.

(وإذا زنى رجل بعذراء لم تخطب فإنه يتزوجها ولا يقام عليهما الحد ولا يطلقها إلى الأبد). ففي سفر الخروج: (وإذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرها لنفسه زوجة فإن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزن له فضة كمهر العذارى) خروج 22: 16 ـ 17. (فإن كانت العذراء مخطوبة وزنى بها غير خطيبها في المدينة فإنها ترجم بالحجارة حتى تموت ويرجم الزاني أيضا).

(وإن كانت العذراء الحرة مخطوبة وزنى بها غير خطيبها في الحقل لا ترجم العذراء وإنما يرجم الزاني وحده).

(وإذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع وهي أمة مخطوبة لرجل ولم تفد فداء ولا أعطيت حريتها فليكن تأديب لا يقتلا لأنها لم تعتق) لاويين 19ـ 20.

(وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة، بالنار يحرقونه وأياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم) لاويين 20: 14.

(وإذا زنى رجل بامرأة متزوجة يقتل الإثنان معا).

(وإذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها لم يجد عذرة وثبت يقينا أنه لا عذرة لها ترجم بالحجارة حتى تموت).

وإذا خطب رجل عذراء وزنى بها غيره قبل أن يجتمع بها فإنها تقتل لأنه لم يُزل هو بكارتها. وتُحرق إن كانت من الهارونيين (الكهنة) تقول التوراة (وإذا تدنست إبنة كاهن بالزنا فقد دنست أباها بالنار تحرق) لاويين 7:21ـ 9.

أما في التشريع الإسلامي فمن المسلمين من اتجه إلى حرفية النص القرآني. فعقوبة الزنا على رأي من يأخذ في هذا الحكم بالقرآن وحده، يُجلد الزاني مائة جلدة وتجلد الزانية مائة جلدة إذا شهد شهود أربعة من خيار المسلمين عدول. سواء كان الزاني متزوجا أو غير متزوج. وسواء كانت الزانية متزوجة أم غير متزوجة وذلك حسب قوله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور آية 2 والألف واللام للعموم.

أما ما قاله تعالى في حق الإماء: (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) النساء 25 والحد الذي يقبل التنصيف هو الجلد. إذ لا نصف في الرجم لأنه لا نصف في الموت.

و يقول تعالى: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) النساء 1. و الإمساك في البيوت بعد إقامة الحد. يدل على أن الحد هو الجلد لأن الرجم بعد الموت القبر. إن الله تعالى ذكر حكم القذف وهو الجلد ثمانون جلدة ولو كان الرجم مشروعاً لكان أولى بالرجل لأنه إزهاق روح. وعلى من يأخذ بالأحاديث النبوية غير المفسرة للقرآن مع القرآن. يرجم المتزوج والمتزوجة إذا كانت الزوجية قائمة. فإذا كان متزوجاً ثم طلق وزنى ولبثت عنده زوجة فإنه يأخذ حكم غير المحصن لأن وصف الإحصان منتفٍ عنه في هذه الحالة.

و قد شملت عقوبة الرجم أو القتل في التشريع التوراتي اليهودية وغير اليهودية وقد ورد في التوراة أن رجلاً من بني إسرائيل وجد مع امرأة غير إسرائيلية وقد زنا بها فأتي بهما وطعنا حتى ماتا. ولكن التلموديين أباحوا الزنا مع غير بنات ونساء قومهم وهذا مما حرفوه من شريعة النبي موسى عليه السلام وقد أقرت التوراة أيضاً أن حكم اللواط مثل حكم الزنا. وكذلك حكم من

زنا بحيوان تقـول التـوراة (وإذا جعـل رجـل مضجعـة مـع بهيمـة فإنـه يقتـل والبهيمة يميتونها وإذا اقتربت امرأة من بهيمة لتزانها "سفاحها" تميـت المـرأة والبهيمة إنهما يقتلان دمهما عليهما) لاويين 20: 15ـ 16 وتقـول التـوراة: وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقـد فعـل كلاهمـا رجساً إنـهما يقتـلان دمهما عليهما. لاويين 20: 13.

و قد حرم الإسلام اللواط أيضاً واعتبره الأئمة على جميع المذاهب فاحشة بل إنه أفحش من جريمة الزنا. ومن أصحاب المذاهب من أقر الرجـم علـى مـن يفعل اللواط وحدّه كحد الزنا. لأن اللائط والملوط به داخلان تحت عموم الأدلـة الواردة في الزاني المحصن والبكر الزاني.

وقياساً على ما فعله الله سبحانه بقوم لوط لأنهم أتوا فاحشة ما أتى بـها غيرهم فقد أقر صحابة رسول الله أن الذي يفعل فاحشة اللواط يقتل بالسيف ثم يحرق[1].

واتفق الأئمة على حرمة إتيان البهيمة ولكنهم اختلفوا في حدها فبعضـهم قال لا حد في هذه الفاحشة لأنه لم يرد ذلـك في القـرآن الكريـم والسـنة. ولكـن يجب التعزيز بما يراه الحاكم من الحبس أو الضرب أو التوبيخ أو غير ذلك مما يكون زاجراً له ولغيره عن ارتكابه.

والحكم على البهيمة التي يزني بها الرجـل هـو قتلـها وحرقـها. وذلـك قطعاً للإشاعات وسترا للفضيحة. وبعض الفقهاء حللوا أكـل لحـم البهيمـة إن كانت ممن يؤكل لحمها وبعضهم حرمها وفرض حرقها بعد قتلها. وتتفق أحكام التوراة مع أحكام القرآن الكريم في ذلك إلا أنهما يختلفـان في الحكـم علـى مـن أتى بهيمة. فالتوراة تقر قتله. بينما التشريع الإسلامي يقر حبسه وتعزيره.

(1) الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة المجلد(5) كتاب الحدود ص: 141.

تعطي التوراة فرصة للفتاة العذراء التي وجدت في الحقل مع رجل يمارس معها الزنا بحيث تنقذ من القتل لأنه حسب التوراة ربما صرخت ولم يسمع أحد فيكون العقاب على الرجل وحده.

تقول التوراة: (ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده وأما الفتاة فلا يفعل بها شيئاً ليس على الفتاة خطية للموت بل كما يقوم رجل على صاحبه فيقتله قتلاً هكذا هذا الأمر إنه في الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها) تثنية 22: 25 ـ 27.

(وإذا اغتصب رجل فتاة عذراء فإنه يتزوجها ويدفع مهرها ولا يستطيع أن يطلقها طول حياته).

تقول التوراة: (إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوُجدا يعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلها. لا يقدر أن يطلقها كل أيامه) تثنية: 22: 28 ـ 29.

3 ـ عقوبة القذف:

حرمت العقيدة التوراتية القذف واتهام المرأة بالفحشاء زوراً وقد حددت عقوبة كبيرة على كل من يقذف امرأة أو فتاة بالفحشاء.

تقول التوراة: (إذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها ونسب إليها أسباب كلام وأشاع عنها اسماً ردياً وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة (لم أجدها بكراً) يأخذ الفتاة أبوها وأمها يخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب ويقول أبو الفتاة للشيوخ أعطيت هذا الرجل ابنتي زوجة فأبغضها وها هو قد جعل أسباب كلام قائلاً لم أجد لبنتك عذرة

وهذه علامة عذرة ابنتي ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمائة من الفضة. ويعطونها لأبي الفتاة لأنه أشاع اسماً ردياً عن عذراء من إسرائيل فتكون له زوجة ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه) تثنية 22: 13ـ 19.

أما في الشريعة الإسلامية فقد بين القرآن الكريم حد القذف بقوله تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) سورة النور الآية 4.

ولأهمية خطر القذف وما يلحقه بأعراض المسلمين من تشنيع وكذب وبهتان فقد أنزل الله سبحانه عشرين آية من سورة النور تتناوله. وقد اهتم الشارع بحد القذف أعظم اهتمام فأنزل في حد السرقة آية واحدة وفي حد الزنا آيتين وفي حد قطاع الطرق آية أما حد القذف فقد أنزل فيه اثنتين ثم أتبعه بنوع آخر منه وهو اللعان فأنزل فيه خمس آيات ثم أردفه بذكر حديث الإفك فأنزل فيه تسع آيات ثم أتبع ذلك كله فأنزل أربع آيات في النهي عن قذف المحصنات.

وعقوبة القذف كما بينها الشرع. الجلد ثمانين جلدة وردّ الشهادة طول حياته. ويصبح من أهل الفسوق والإجرام وأصحاب الكبائر. ويكون عند الله من الكاذبين. وهو ملعون في الدنيا ملعون في الآخرة. وله عذاب كبير عند الله. وتشهد عليه جوارحه زيادة في الخزي والعار. ثم يحاسبه الله على قدر فعلته في الآخرة.

وقد شهدت قوانين حمورابي البابلية شيئاً من حد القذف حيث يعاقب من يتهم امرأة بالفحشاء عقاباً شديداً قد يصل إلى القتل.

4 ـ عقوبة السرقة والنهب

وقد وردت عقوبات للسارق في الأسفار الأربعة اللاويين والخروج والعدد والتثنية. وقد نهت شريعة التوراة عن السرقة وحددت عقوبات على السارق في جميع أحواله.

وقد ورد في شريعة حمورابي نهي عن السرقة تكاد تتطابق مع ما جاء في التوراة. ففي التشريع البابلي (لا تجعل نفسك تغويك لارتكاب سرقة ما). وقد ورد في التوراة ضمن الوصايا العشر لا تسرق. وقد تصل بعض العقوبات على السرقة في شريعة البابليين إلى حد القتل ولكن التوراة حددت عقوبات أخف وتعويضا عما سرق.

فحسب شريعة حمورابي (إذا سرق شخص ثوراً أو شاة أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً للإله أو القصر فإنه يعوض بثلاثين مثله أما إذا كان المسروق يعود إلى مسكين فإنه يعوضه بعشرة أمثال وإن لم يكن لديه التعويض الكافي فإنه يقتل بجنايته. وإذا قام سيد بالسرقة وقبض عليه أثناءها فإنه يقتل بجنايته. وإذا قام سيد بالسرقة وقبض عليه أثناءها فإنه يقتل، وكذلك إذا سرق سيد ثروة وتعود للإله أو القصر فإنه يعدم. وكذلك يعدم من يتقبل المسروقات من يده. وتخفف عقوبة القتل إذا كان المسروق زرعا أو أكلا. إذا استأجر سيد سيداً وعيّنه على حقله وسلمه الأكل والبقر وتعهد بزرع الحقل فإذا سرق هذا السيد الزرع والأكل ومسكت في يده فإن يده تقطع)[1]. وحسب شريعة التوراة: (إذا سرق إنسان ثوراً أو شاةً فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم. وإن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم ولكن إذا أشرقت عليه الشمس فله دم إنه يعوض وإن لم يكن له بيع بسرقته إن

---

(1) د. احمد سوسه. العرب واليهود في التاريخ ص 485.

وجدت السرقة في يده حية ثوراً كان أو حماراً أو شاة يعوض باثنتين) خروج 1: 4 ـ 22.

وتقول التوراة: (إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ فسرقت من بيت الإنسان فإذا وجد السارق يعوض باثنين وإذا لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت دعواه إلى الله ليحكم هل مد يده إلى ملك صاحبه في كل دعوى جناية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما يقال إن هذا هو. تقدم إلى الله دعواهما فالذي يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين) خروج 9: 7 ـ 22.

فنلاحظ من خلال النصوص التوراتية التركيز على مبدأ التعويض المضاعف دون وجود عقوبة جسدية كقطع اليد أو القتل أو السجن.

وقد بين الشرع الإسلامي حد السرقة بقوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) المائدة الآية 37. وقد كان قطع اليد معمولاً به في الجاهلية ولما جاء الإسلام زاد على الحد الدية والقسامة.

وقد حدد الشرع الإسلامي أوصاف السارق حتى يقام عليه الحد.

وأما ما يعتبر في السارق فخمسة أوصاف. البلوغ فلا يقطع الصبي إذا سرق لأنه غير مكلف في نظر الشريعة.

العقل: فلا يقطع المجنون لأن القلم مرفوع عنه حتى يفيق.

أن يكون غير مالك للمسروق منه فلا يقطع الأب إذا سرق من مال ولده ولا الولد إن سرق من مال أبيه.

وإن لا يكون له عليه ولاية فلا يقطع العبد إن سرق من مال سيده وكذلك السيد إن أخذ من مال عبده.

وأن لا يكـون محـارب في دار الحـرب وأن يكـون مختـاراً غـير مكـره كالمجاهد إن سرق من مال الغنيمة.

وحدد الشرع الإسلامي مادة السرقة ومقدارها. وهي النصـاب. وأن يكـون المسروق مما يتمول فلا يقطع من سرق الخمر والخنزير وآلات اللهو والطرب وأن لا يكون للسارق ملك كمن سرق ما رهنه أو ما أستأجره. كالذي يسرق من المغنم أو من بيت المال[1].

وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقطع يـد سـارق في سـنة العسرة والسبب أن مجاعة حلت بالناس فاضطر أحد النـاس أن يسـرق بسـبب المجاعة فلم يقم عليه الحد لأن الدافع هـو الحفـاظ علـى قـوت الحيـاة وليـس طمعاً.

ويقام الحد على السارق إذا شهد عليه اثنان عـدلان. أو إذا اعـترف هـو بالسرقة ولا يجوز سرقة الذمي ولا سرقة الذمي مـن مسـلم. والمعاملـة في الحكـم سواء بسواء. فالإنسان الذي يعيش في الدولة الإسلامية يجب الحفاظ على مالـه ونفسه مهما كان دينه ومعتقده.

5 ـ عقوق الوالدين:

أقرت الشريعة التوراتية بر الوالدين في كثير من المواقع. وحـددت عقوبـة القتل لمن يعق والديه.

جاء في التوراة: (من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً. كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل) (قد سب أباه أو أمه دمـه عليـه) خـروج 21: 15ـ 17 تثنيـة 9: 20.

(1) الجزيري. الفقه على المذاهب الأربعة المجلدة كتاب الحدود 157.

وتشدد التوراة في عقوبة الابن المعاند إلى درجة الموت بواسطة الرجم (إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند ومارد ولا يسمع لقولنا وهو مسرف سكير فيرجمه رجال مدينته بحجارة حتى يموت) تثنية 21: 18 ـ 21.

وقد حثّ الإسلام على بر الوالدين وشدّد على إكرامهما. يقول تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر إحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا) الإسراء 23 ـ 24.

وإذا عقّ الرجل أباه أو أمه فعلى الحاكم أو القاضي أن يعزره. وهناك أحاديث نبوية كثيرة تبين حقوق الوالدين وخاصة إكرام الأم التي حملت به تعباً على تعب فالجنة تحت أقدام الأمهات. والأم أحق بالصحبة ثلاث مرات أكثر من الأب حسب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6 ـ حكم قتل الساحر والساحرة:

حرم السحر في التوراة وقد جاء فيها (والنفس التي تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزني وراءهم اجعل وجهي ضد تلك النفس واقطعها من شعبها) لا 20: 6 وجاء أيضاً (لا تدع ساحرة تعيش) خروج 22ـ 18.

وقد اعتبر القرآن الكريم السحرة من الكفار لقوله تعالى: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) البقرة 102.

ويقول تعالى: (ولا يفلح الساحر حيث أتى) طه 69.

وقد حكم الفقهاء على الساحر إن هو ضر الناس وشتم الله والقرآن كحكمهم على الكافر فيقتل حسب الحنابلة وإن تاب عن فعله لا يقتل. وحسب

الشافعية لا يقتل الساحر ولا يكفر إلا إذا اعتقد إباحته. والمالكية قالوا الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب وقال الحنفية بقتله ويقوم بالقتل الحاكم[1].

ومن الأحكام التي اهتمت بها التوراة حكم الشاهد واليمين.

ففي سفر التثنية (على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل الذي يقتل ولا يقتل على فم شاهد واحد. أيدي الشهود تكون عليه أولا لقتله. ثم أيدي جميع الشعب أخيرا فتنزع الشر من وسطك) تثنية 6 : 7 ـ 7.

وفي القرآن الكريم (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) البقرة 282

وفي الأحاديث النبوية حديث نصه (شاهداك أو يمينه) وهو موافق للقرآن الكريم في الإشهاد وحديث نصه (قضى بيمين وشاهد). وأبو حنيفة وأصحابه لم يروا اليمين مع الشاهد وقالوا إن الله سبحانه وتعالى قسم الشهادة وعددها ولم يذكر الشاهد واليمين فلا يجوز القضاء به لأنه يكون قسما زائدا على ما قسمه الله. وهذه زيادة على النص، وذلك نسخ وممن قال بهذا القول الثوري والأوزاعي وعطاء والحكم بن عيينه وطائفة[2].

ومن الأحكام أيضا حكم القسامة: وقد جاء في سفر التثنية (إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعا في الحقل لا يعلم من قتله يخرج شيوخك ويقيسون إلى المدينة التي حول القتيل. فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير، وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع

---

(1) الفقه على المذاهب الأربعة. الجزيري الجزء (5) كتاب الحدود ص 462 ـ 463.

(2) أحمد حجازي السقا. نقد التوراة صفحة 276.

ويكسرون عنق العجلة في الوادي ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة. ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر. أغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب ولا تجعل دم بريء في وسط شعبك إسرائيل فيغفر لهم الدم. فتنزع الدم البريء من وسطك إذا عملت الصالح في عيني الرب) تثنية 21: 1 ـ 9.

واعتقد أنهم بكسرهم رقبة العجلة أي قتلها (دون ذبح) هو إثم آخر يرتكبونه بحق حيوان. وليس ذلك مبرراً لهذا العمل. ويمكن اللجوء إلى أساليب أخرى لحل هذه المشكلة.

أما في الشريعة الإسلامية فالمفروض إن يحلف المدعى عليه يميناً على أن القاتل فلان. وهو يحلف لأنه لم يقدر على الإثبات بالشهود. فهذا رأي وهناك رأي آخر يقول إنه لا بد من الإثبات بالشهود والأيمان خمسين مرة لا تحل محل الشهود وعليه فلا قسامة في الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، ومنهم من يعتبر البينة ملزمة للمدعي. وليس على المنكر يمين في أية حال. لأن المدعي هو المطالب بإثبات الدعوى...



الفصل السادس

اليهودي من الداخل



لكل عقيدة أو ديانة قوانين اجتماعية واقتصادية ودينية تحكم العلاقة بين الإنسان ومعبوده وبين الإنسان والإنسان.

وفي اليهودية أوجدت التوراة كثيراً من التعاليم والقوانين الحياتية التي تنظم تلك العلاقة. وهي بشكل أو بآخر تنطلق من مفهوم ديني حياتي لمفهومي الخير والشر والقيم الحياتية.

ومن الطبيعي أن أول ما تنطلق به هذه القوانين هو حصرها باتباع العقيدة اليهودية ومن ثم تنتقل إلى الخارج ـ إذا افترضنا هناك داخلاً يهودياً ـ لتنظيم شؤون الحياة والتعامل. إن كان ذلك في أزمنة السلم والتعامل البشري الحياتي. أو كان في زمن الحرب والصراع.

ولهذا ارتأينا أن يكرس هذا الفصل للنظر من داخل العقيدة اليهودية، كيف تنظم التعامل بين المنتسبين إليها. كيف تنظر إلى الرجل والمرأة؟ ما هي القيم الدينية والحياتية التي فرضت على الأتباع اليهود ثم كيف طورت كتب هذه العقيدة نظرتها لطبيعة التعامل الحياتي بين اليهود أنفسهم؟.

ولعل من أكثر الأمور التي يتوقف عندها الإنسان التناقض بين التعاليم التي فرضتها التوراة وبين الممارسات الواقعية على الأرض. فوصية لا تقتل تصبح على أرض الواقع أقتل وهذا بالطبع ليس المقصود به حاليا القتل تجاه غير اليهود إنما اقتل على أرض الواقع اليهودي. فاليهودي لا يتورع عن قتل ابن عقيدته إن كان قتلا فرديا أو كان قتلا جماعيا من خلال الحرب والصراع الدامي. ووصية لا تزن ترفض كليا لأن الواقع الذي عاشه اليهود يقول بأنهم

طبقوا العكس تماماً. وعاشوا على حالات شنيعة من الاغتصاب المستمر منذ عصر التوراة وحتى اليوم.

وقِسْ على ذلك كافة القضايا والتعاليم التي فرضتها التوراة ولم تجد صداها لدى أتباعها من اليهود.

ومما زاد في الأمور تعقيداً ظهور تفسيرات التلمود التي عمل فيها أحبار اليهود كل جهودهم ليحرفوا البقية الباقية من التعاليم الصالحة التي جاء بها موسى عليه السلام. فيفسرونها التفسيرات الخاصة جدا ويؤولونها التأويلات الباطلة بكل ما تعني الكلمة من معنى. وهذا ما أتاح لأتباع اليهودية أن يتحللوا من كل القيم والمثل التي تحكم علاقتهم بالآخرين. ولعل عودة سريعة لما طرأ على اليهودية من تغيرات تدلنا بشكل قاطع على أن كافة التعاليم الحميدة التي نطق بها موسى عليه السلام رفضت ومورس عكسها على أرض الواقع .وهذا نفسه يدلل على أن كهنة اليهود لعبوا لعبتهم العنصرية المخيفة والمدمرة في شرخ الإنسان اليهودي من داخله، وجعله نهما لأفكار عنصرية شوفينية معقدة لا يحترم فيها ابن دينه ولا يحترم فيها أية قيم إنسانية على الإطلاق. وعندما وصف القرآن الكريم اليهود بأوصاف الإجرام واللاإنسانية فضح نفسيتهم من الداخل. فهم إذ قتلوا بعض الأنبياء من أبناء جلدتهم ودينهم قتلا جسديا، فقد قتلوا موسى وداود وسليمان والياس قتلا دينيا عقيديا وقيميا. وليس أدل على ذلك من تلفيقهم الكذب والبهتان على هؤلاء الأنبياء واتهام بعضهم بالزنا والقتل والاغتصاب وسفك دماء الأبرياء والإتجار بالنساء من بنات وأرامل وزوجات. ولقد طبعت نفوسهم بطبع غريب عجيب لم يطبع بشر بمثل ما طبعوا به فكانوا العنصر العالمي الشاذ في طبعه. الشاذ في خلقه. الشاذ في سلوكه وإلا لما أسهب القرآن الكريم وتوسع في التركيز على فضحهم في أكثر سوره وآياته.

فهم قتلة الأنبياء. وهم يقتلون بعضهم. وهم لا يعترفون بيهودية بعضهم

ويفرقون بين الشرقي والغربي. بين الأسود والأبيض. بين العربي وغيره، ويكفرون بعضهم بل يستحلون دماء بعضهم في عصر يسعى بشره المخلصون للإنسانية، للتخلص من رواسب العنصرية والقتل والاضطهاد. وإن كانت التوراة قد حددت معالم الحرية والعبودية بين اليهود فان أتباع اليهودية على مر التاريخ لم يتورعوا في نشر الاستعباد والاسترقاق بين بعضهم. وإن اتخذ الاسترقاق أشكالا جديدة معاصرة لكل زمن.

لقد أباح الحاخامون التلموديون البغاء حتى أصبحت أكبر نسبة من البغايا في العالم من أتباع اليهودية. بل إن الحاخامات اليهود في أمريكا قاموا بمظاهرات حاشدة طالبوا فيها بحرية ممارسة البغاء واللواط والزواج غير الشرعي وغير التقليدي. بل إن الحاخامين قاموا بأعمال مسّفة جداً وخاصة عندما قام بعضهم باغتصاب بناته اللواتي من لحمه ودمه وصلبه. إن دراسة الواقع اليهودي من داخله يعود بنا إلى الجذور. إلى التوراة وتناقضاتها، إلى التلمود وتفسيراته العنصرية المدمرة.

1 ـ تعاليم التوراة في النهي والأمر

من الطبيعي أن العقيدة اليهودية تسن قوانين تشريعية تحدد لأتباعها ما هو مسموح به وما هو غير مسموح. ومن هذه القوانين ما له علاقة بمفهومي الحلال والحرام.

فعلى المستوى النظري الذي وجد في التوراة نجد كثيراً من المحرمات ترتبط بأوامر إلهية وكذلك من المحللات. وتقترب في كثيرٍ من جوانبها بما نزل في القرآن الكريم.

وعلى المستوى النظري نفسه نجد تشريعات توراتية لها طابع أخلاقي، فهي ترتبط بقضايا تشريعية ولكنها تتجه نحو تقنين السلوك البشري وتوجيهه وجهة أخلاقية معينة.

والواقع أن المستوى النظري ليس بالضرورة هو ما طبقه بنو إسرائيل واليهود. فالتنظير شيء والتطبيق شيء آخر. وما عرف عن بني إسرائيل أنهم منذ عهدهم بالعقيدة عاشوا في إطارين: إطار نظري بقي كلاماً وتوجيهات وإطار تطبيقي كشف عن سلوكيات منحرفة مستمرة لم تنقطع من حياة أتباع اليهودية طوال تاريخها.

أما في التوراة فقد جاءت التعاليم على الشكل التالي :

1ـ تقول التوراة: (لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً) خروج 7: 20.

وهذا يعني أن لا يقسم الإنسان بربه أنه فعل كذا أو رأى كذا وهو كاذب القول وقوله باطل.

يقول تعالى: (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون. اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين) سورة المجادلة الآيات 14ـ 16.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحذر من الحلف بالله على الباطل.

فالذين يحنفون الأيمان يجعلونها وقاية لأنفسهم ولأموالهم سترة من القتل فهم يقسمون بالله كذباً. وقد وصفهم الله سبحانه بالنفاق. وهددهم بالعذاب الشديد

2 ـ وجاء في التوراة: (لا تشهد على قريبك شهادة زور) خروج 20: 16.

والمفترض أن لا تكون شهادة الزور على القريب فحسب لأن شهادة الزور على الإطلاق عمل يخالف تشريع الله ويخالف الأخلاق الإنسانية.

وقد نهى القرآن الكريم عن قول الزور قطعاً فقال تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) الحج 30.

ويعتبر قول الزور من أكبر الكبائر حيث قرنه القرآن الكريم بالشرك وذلك من خلال الآية السابقة.

3 ـ وتقول التوراة: (لا تشتهي بيت قريبك) خروج 20: 17.

وقد نهى الإسلام عن الحسد والأنانية في آيات قرآنية كثيرة وحض على العفة والعفاف وعدم الطمع وحب الاستحواذ على مال الآخرين وممتلكاتهم مهما كانت عقائدهم.

يقول تعالى في الإحسان: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم أن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) النساء 36.

ويقول تعالى في التحذير من التمني ما للغير :

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) النساء 31.

4 ـ وتقول التوراة: (لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما لقريبك) خروج 20: 17.

وحض الإسلام على الأمانة وعدم الخيانة وحض على حفظ حقوق الرحم وذي القربى والجار وقد أوردنا بعض ما يدل على ذلك في كتاب الله الكريم.

5 ـ وجاء في التوراة: (ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه) خروج 22: 21.

وهذا ما أتى عليه القرآن الكريم بشكل واسع. وسماه ابن السبيل وحض على إكرامه وصرف الصدقات له ولغيره من الفقراء والمساكين.

6 ـ وتقول التوراة: (لا تسئ إلى أرملة ولا يتيم) خروج 22: 22.

ويقول تعالى: (وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين) البقرة 83. وقد نزلت آيات عدة في الحفاظ على اليتيم وماله والإحسان له وعدم ظلمه وكذلك الأرملة التي شملها صنف ذي القربى أو الأرحام والمساكين. وقد جاء في السنة الشريفة الكثير من الحض على إكرام اليتيم والأرملة وغيرهما.

7 ـ وتقول التوراة: لا تقبل خبرا كاذبا ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم. ولا تتبع الكثيرين لفعل الشر.) خروج 23: 1ـ 2.

وقد جاء في القرآن الكريم: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات 6.

وقد شددت الآيات القرآنية الكريمة على موالاة المؤمنين وعدم موالاة الكافرين والمنافقين. وحذرت كذلك من المنافقين تحذيراً شديدا.

يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) الممتحنة 13.

ويقول تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف 28.

8 ـ وجاء في التوراة: (إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ترده إليه. إذا رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حله فلا بد أن تحل معه. لا تحرف حق فقيرك في دعواه. ابتعد عن كلام الكذب. ولا تقتل البريء والبار لأنني لا أبرر المذنب. ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوّج كلام الأبرار. ولا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب) خروج 23: 4ـ 9.

ويمكن أن نلخص ما جاء في هذه الفقرة الأخيرة بالأوامر التالية:

1ـ عليك بالأمانة مع كل الناس يهودا أو غير يهود. وهذا ما حرفه بنو إسرائيل.

2ـ لا تظلم الفقير لأنه فقير.

3ـ لا تقتل البار والبريء من الناس بمعنى لا تظلم

4ـ لا تكذب

5ـ ابتعد عن الرشوة.

6ـ احسن إلى الغريب.

فهذه التعاليم التي نادى بها موسى عليه السلام هي تعاليم إيجابية إنسانية وهي لا تختلف مع ما أمر الله به في القرآن الكريم ولكننا سنرى كيفْ حرف معاني هذه الكلمات أحبار اليهود وحاخاماتهم وكيف أوّلوها لتصبح محصورة باليهود وحدهم.

9 ـ وقد جاء في الإصحاح 18 من سفر اللاويين نهي من موسى عليه السلام عن النظر إلى عورة الأم والأخت وبقية المحارم من رجال ونساء. وهذا ما نجده في قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم

ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) النور 30ـ 31.

10 ـ وتقول التوراة وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك في الحصاد ولُقاط حصيدك لا تلتقط . وكرمك لا تعلله. ونثار كرمك لا تلتقط . للمسكين والغريب تتركه أنا الرب إلهك) لاويين 19.

وهذا ما جاء عليه القرآن الكريم في عدة آيات كريمة.

يقول تعالى: (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً). النساء 8.

ويقول تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً) الدهر 8.

ويقول تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) البقرة 215.

11 ـ وتقول التوراة: (لا تشتم الأصم وقدام الأعمى لا تجعل معثرة) لاويين 14 : 19.

وجاء في القرآن الكريم: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) الحجرات 11.

12 ـ وتقول التوراة: (لا تغضب قريبك ولا تسلب. ولا تُبت أجرة أجير عندك إلى الغد) لاويين 19 : 13.

ويقول تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) النساء 57.

13 ـ وتقول التوراة: لا ترتكبوا جورا في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير بالعدل تحكم قريبك) لاويين 15 : 19.

وجاء في القرآن الكريم: يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوُا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) النساء 134.

14- وتقول التوراة لا تسع في الوشاية بين شعبك) لاويين 19: 16.

(لا تبغض أخاك في قلبك إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية. لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك) لاويين 19: 17- 18.

ويقول تعالى في القرآن الكريم: (ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) القصص 77.

ويقول تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الأعراف 55.

ويقول تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن) فصلت 34.

ويقول تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر 9.

وجاء في التوراة في النهي عن السحر والعيافة (لا تتفاءلوا ولا تعيفوا) لاويين 19: 26.

(لا تجرحوا أجسادكم لميت. وكتابة وسم لا تجعلوا فيكم) لاويين 28:19.

(لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم) لاويين 19: 31.

ويقول تعالى: (وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) الجن 6.

ويقول تعالى: (ومن يكن الشيطان له قرينا فقد ساء قرينا) النساء 37.

ويقول تعالى: (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) البقرة 168.

وقد أمر الله سبحانه عدم الاستعانة إلا به. والاستعانة بالجن أو العرافة إشراك بالله .

وتقول التوراة: (لا ترتكبوا جورا في القضاء ولا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل) لاويين 35: 19.

ويقول تعالى: (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) الأنعام 152.

ويقول تعالى: (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الأعراف 84

ويقول تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) الرحمن 8.

وقد حرمت التوراة الخمر ونهت عنه وقد جاء ذلك على لسان النبي موسى عليه السلام كما أوردته التوراة.

تقول التوراة: وكلم الرب هارون قائلا (خمراً ومسكراً لا تشرب) أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا فرضا وهربا في أجيالكم) لاويين 1: 8 ـ 9.

وجاء أيضا: (وكلم الرب موسى قائلا كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا انغرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير لينتذر للرب فعن الخمر والمسكر يغترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر. ولا يشرب نقيع العنب ولا يأكل عنبا رطبا ولا يابسا كل أيام نذره لا يأكل من كل ما يعمل من جفنة الخمر من العجم حتى القشر) العدد: 6ـ 1وما بعدها.

وجاء أيضا (الخمر مستهزئة. المسكر عجاج ومن يترنح بها فليس بحكيم) أمثال 20: 1.

وفي سفر القضاة: (والآن فلا تشرب خمراً ولا مسكراً) قضاة 13ـ 4، 13ـ 7.

وهناك أمثال في التوراة كثيرة تشير بوضوح إلى تحريم الخمر في شريعة بني إسرائيل فقد جاءت هذه الأمثال في سفر حبقوق وفي الأمثال وفي أشعيا وسفر القضاة.

وجاءت بعض النصوص التوراتية تبيح شرب الخمر. ولا ندري سبب هذا التناقض سوى أن كتبة التوراة أرادوا أن ينسخوا التحريم حسب رغباتهم وأهوائهم.

2 ـ حقوق الإنسان في التشريع اليهودي

اشتملت العقيدة اليهودية كما رأينا على حقوق وواجبات خاصة بأتباعها. ومن الحقوق ما نطقت به التوراة ونسخها التلمود. ولكن هذه الحقوق وهذه الواجبات ظلت في المستوى النظري أمرا مقدسا. على الرغم من أن اليهودية العلمانية لم تطبقها في حالات كثيرة، ووجدت لها تفسيرات وتأويلات تتناسب مع تطور العصور وتطور المفهوم المدني للإنسان وللتجمعات البشرية.

ولما كان اتباع اليهودية ينتمون لعدة عروق ولعدة اتجاهات دينية ولعدة فرق ومذاهب فان الأفكار اليهودية حول الحقوق والواجبات اختلفت من فرقة لأخرى ومن عرق لآخر.

فما يراه التلموديون في تحديد هوية اليهودي لا يراه القراؤون. بل إن القرائين والتلموديين يتهمون بعضهم بالكفر والخروج عن اليهودية. وبعض تشريعات التلموديين تصدر قوانين تعامل القرائين كأقلية مثلهم مثل المسيحيين أو المسلمين.

ومع ظهور عدد من الحركات اليهودية المعاصرة اختلفت الأفكار والتصورات حول العلاقة بين اليهودي واليهودي. وتراكمت الأحكام والقوانين حتى باتت كل فرقة أو حركة جديدة تؤسس لأفكار جديدة وتفسيرات خاصة لا تتوافق مع كثير من التفسيرات والأفكار التي عليها باقي الفرق.

ومن الاختلافات تفسير التوراة تفسيراً حرفياً وتفسيراً مجازياً وهذا ما جعل كثيراً من النصوص التوراتية تخضع للتفسيرات المختلفة والمتناقضة أحياناً وقد أقرت الشريعة اليهودية كثيراً من القوانين التي تسلب الإنسان حقه. وتقر الاسترقاق والعبودية، وكثير من هذه القوانين ارتبطت بالمرأة أيضا.

وبسبب من انحراف الحاخامين انتشرت بين اليهود ظاهرة الاغتصاب والإجهاض والدعارة وانتشر اللقطاء وبات من الواضح أن ما جاءت به التوراة من توصيات ضرب بها عرض الحائط وأصبح رأي الحاخامات هو المعول عليه فاختلط الحابل بالنابل حتى بات الفكر الديني اليهودي من أشد الأفكار غرابةً وتناقضاً وسقوطاً.

لقد أشرنا من قبل إلى أن الشريعة الموسوية أمرت الأتباع بعدم القتل وبعدم الزنا وبعدم السرقة وأشرنا إلى العقوبات التي فرضها على من يخالف ذلك ولكن التوراة نفسها تتحدث وبشكل مسهب عن نقض لكل التشريعات والوصايا فالقتل يصبح شائعا بشكليه الجماعي والفردي. فيقتل أفراد أو قادة ويقتل أنبياء وتستخدم طرق الاغتيال المتنوعة لتصفية الآخرين. والمرأة التي حاولت بعض التشريعات أن تحد من قمعها تعود للقمع والقتل والاضطهاد والاغتصاب. وقس على ذلك في كافة الأمور التي تحكم طبيعة العلاقة بين اليهودي وبين اليهودي.

لقد تميز اليهود عبر التاريخ بالإرهاب والعنف. ولكن هذا العنف لم يكن يتجه إلى الخارج فحسب. بل هناك عنف يتوجه للداخل بمعنى أنه يتوجه من

قبل اليهودي نحو اليهودي .وتنسف كل المقولات الصالحة لا تقتل لا تعتد الخ.

3 ـ شريعة القتل في الواقع التوراتي

لن نتعرض في هذه السطور لأحداث القتل التي جرت زمن موسى عليه السلام باعتبارها كانت حسب ما نصت عليه التوراة عقوبات لمن خالف الشريعة وخرج عليها.

فالقتل الفردي يحدث كثيراً في التوراة ولكن سفر القضاة وصموئيل والملوك تشير إلى مئات الحالات التي تتعرض لقتل اليهودي لليهودي دون أي رادع تشريعي أو أخلاقي.

جاء في سفر يشوع: (فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادي عخور فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة) يشوع 7: 24ـ 25. فبسبب سرقة هذا الرجل قتل رجماً وحرقاً هو وأولاده وبناته وكل حميره وبقره وكل ممتلكاته. فهذا القانون الذي طبقه يشوع قانون مجحف وإجرامي بحق الأولاد والبنات لأن ليس لهم ذنب فيما اقترفه أبوهم.

أما سفر القضاة وفي الإصحاح العشرين فيجري القتل على قدم وساق بين بني إسرائيل وسبط بنيامين.

تقول التوراة: (فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من إسرائيل في ذلك اليوم إثنين وعشرين ألف رجل إلى الأرض) قضاة 20ـ 21.

وتقول: (فخرج بنو بنيامين للقائهم من جبعة في اليوم الثاني وأهلك من بني إسرائيل أيضا ثمانية عشر ألف رجل إلى الأرض) قضاة 20ـ 25.

وتقول: (فضرب الرب بنيامين أمام إسرائيل وأهلك بنو إسرائيل من بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومئة رجل) قضاة 20: 35.

وتقول التوراة: (فحاوطوا بنيامين وطاردوهم بسهولة وأدركوهم مقابل جبعة لجهة شروق الشمس فسقط من بنيامين ثمانية عشر ألف رجل) قضاة 20ـ 44.

وتقول التوراة: (ورجع رجال بني إسرائيل إلى بني بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها حتى البهائم حتى كل ما وجد. وأيضا جميع المدن التي وجدت أحرقوها بالنار) 20ـ 48.

وكانت هذه الحرب الدموية بين بني إسرائيل مثالا لما جرى أيام الملوك بعد موت سليمان وانقسام ما يسمى المملكة إلى مملكتين.. يهودا وإسرائيل.

وقد أشار القرآن الكريم لما جرى بين بني إسرائيل فقال تعالى:

(وأذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون. ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) البقرة 84 ـ 85.

أما عن القتل بطريقة الغدر فقد حدث بشكل مستمر منذ صموئيل الثاني.

تقول التوراة: (ثم دعا داود واحدا من الغلمان وقال تقدم أوقع به فضربه فمات فقال له داود دمك على رأسك) صموئيل الثاني 1: 2ـ 32.

وتقول التوراة: (وضرب عبيد داود من بنيامين ومن رجال أبنير فمات ثلاثمائة وستون رجلا) صموئيل الثاني 2: 31.

وتقول التوراة: (ولما رحل أبنير إلى حبرون مال به يوآب إلى وسط الباب ليكلمه سرا وضربه هناك في بطنه فمات بدم عسائيل أخيه) صموئيل 2 3: 26.

ولحق القتل غدراً الأخ بأخيه. تقول التوراة: (فأوصى أبشالوم غلمانه قائلا أنظروا متى طاب قلب أمنون بالخمر وقلت لكم أضربوا أمنون فاقتلوه لا تخافوا) صموئيل الثاني 13: 28.

وتورد التوراة أن امرأة من بني إسرائيل قتلت قائداً يهودياً متمرداً فقطعت رأسه و ألقته أمام الجنود (فقالت المرأة ليوآب هوذا رأسه يلقى إليك عن السور فأتت المرأة بحكمتها فقطعوا رأس شبع بن بكري وألقوه إلى يوآب) صموئيل الثاني: 21ـ 22.

ومن العنف الموجه من الأخ لأخيه ما أوردته التوراة عن قتل سليمان لأخيه أدونيا.

تقول التوراة: (فأرسل الملك سليمان بيد بنياهو بن يـ هوياداع فبطش به فمات) ملوك أول 2: 25.

ثم بطش سليمان بأحد قادة أبيه. تقول التوراة: (فأرسل سليمان بنياهو يهوياداع قائلا إذهب ابطش به فدخل بنياهو إلى خيمة الرب وقال له هكذا يقول الملك أخرج فقال كلا ولكنني هنا أموت فرد بنياهو الجواب على الملك قائلا هكذا تكلم يوآب وهكذا جاوبني فقال له الملك إفعل كما تكلم وابطش به وادفنه وأزل عني وعن بيت أبي الدم الزكي الذي سفكه يوآب) ملوك أول2: 29ـ32.

ثم بطش سليمان برجل من القادة اسمه شمعي (فأمر الملك بنياهو بن يهوياداع فخرج وبطش به ومات وتثبت الملك بيد سليمان) ملوك أول 2: 46.

ويتضح مما أوردته التوراة أن سليمان بدأ حكمه بسلسلة من الاغتيالات والتصفيات بدأها بإخوته وأنهاها بقادة من قادة أبيه حتى استتب له الملك. ومنذ الإصحاح 13 في سفر الملوك الأول تبدأ سلسلة معارك ومذابح بين بني إسرائيل يذهب ضحيتها آلاف من اليهود وتمتد طويلاً حتى يأتي السبي البابلي ويقضي على مملكتي إسرائيل ويهودا.

وتقتل عدة نساء طعناً وحرقاً وتمتد القسوة والعنف إلى النساء دون أي رادع أو أي حق.

تقول التوراة: (فأشرف عليه اثنان أو ثلاثة من الخصيان فقال اطرحوها فطرحوها فسال من دمها على الحائط وعلى الخيل فداسها فدخل واكل وشرب ثم قال افتقدوا هذه الملعونة وادفنوها لأنها بنت ملك) ملوك ثاني 9: 32ـ 34.

ثم تحدثت التوراة عن امرأة تدعى عثليا حيث تقتل هي أيضا. تقول التوراة: (فالقوا عليها الأيادي ومضت في طريق مدخل الخيل إلى بيت الملك وقتلت هناك) ملوك 2، 11: 16.

فمن خلال الأمثلة التي قدمناها يصبح الأمر بعدم القتل قتلا ويشمل هذا القتل:

1ـ القتل الجماعي
2ـ القتل اغتيالا بحق الأنبياء
3ـ القتل اغتيالا بحق القادة وبعض الشخصيات
4ـ قتل النساء
5ـ القتل حرقا كما فعل بنو إسرائيل بسبط بنيامين.

أما قتل الأنبياء فقد كان ديدن بني إسرائيل واليهود. وقد ورد في التـوراة كثير من القصص التي تشير إلى قتل الأنبياء والمصلحين من بني إسرائيل.

وقـد ذكـر القـران الكريـم قتلـهم للأنبيـاء، وبـين مـدى جلافـة نفوسـهم وأطباعهم وعنادهم. يقول تعالى: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبـاؤوا بغضـب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) البقرة 60.

ويقول تعالى: (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعـده بالرسـل وآتينـا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس. أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) البقرة 87.

ويقول تعالى: (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبـل إن كنتم مؤمنين) البقرة 91.

ويقول تعالى: (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهـم بآيـات الله وقتلـهم الأنبيـاء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنـون إلا قليـلا) النساء 155.

وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، النساء 156.

ويقول تعالى: (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليـهم رسـلاً كلمـا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) المائدة 73.

وتكرار القران الكريم في الحديث عن قتل الأنبياء من قبل بني إسرائيل لـه دلالته الواضحة، فلولا أن قتل الأنبياء تكرر مراراً لما شكل ظاهرة منبوذة من قبـل القرآن الكريم. وقد جاء في الأثر أن بني إسرائيل قتلوا مئات الأنبياء في عدة أزمان وأحيانا كانوا يقتلونهم بشكل جماعي كما حدث في زمن آخاب بن عمري.

جاء في التوراة في الحديث عن النبي إيليا: فقال قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها) ملوك أول 19: 1.

وقد عرف آخاب بن عمري بأنه وثني ولاحق الأنبياء هو وزوجته الوثنية إيزابل فقتل منهم المئات ولم يبق منهم في زمنه سوى النبي إيليا الذي هرب من وجهه ثم عاد إليه بعد غياب طويل. وقد عرف اليهود بعدائهم للنبي زكريا وابنه النبي يحيى والسيد المسيح فقتلوا الإثنين وحاولوا قتل السيد المسيح لولا تدخل قدرة الله لإنقاذه.

4 ـ الرق والاسترقاق في الشريعة اليهودية

يتجه الاسترقاق في الشريعة اليهودية اتجاهين، اتجاه نحو اليهود أنفسهم واتجاه نحو الأغيار أي غير اليهود.

فقد أباحت التوراة الرقيق في نصوص صريحة.

تقول التوراة: (إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً. إن دخل وحده فوحده يخرج. إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه. إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده. ولكن إن قال العبد أحب سيدي وامراتي وأولادي لا أخرج حراً يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقبة فيخدمه إلى الأبد. وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد. إن قبحت في عيني سيدها الذي خطبها لنفسه يدعها تُفك. وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها. وإن خطبها لابنه فبحسب حق البنات يفعل لها. إن اتخذ لنفسه أخرى لا ينقص طعامها وكسوتها

وعشرتها. وإن لم يفعل لها هذه الثلاث تخرج مجانا بلا ثمن.) خروج 21: 2ـ 11.

وهناك أحكام أوردناها في عقوبة القتل وهي خاصة بالعبيد.

تقول التوراة: (وإذا صرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه لكن إن بقي يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله) خروج 20: 31ـ 21.

وتقول: (وإذا ضرب إنسان عين عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن عينه. وإن سقط سن عبده أو سن أمته يطلق حراً عوضاً عن سنه) خروج 31: 26ـ 27.

فكما نرى فان التوراة أجازت الرق ولكنها وضعت حدوداً له وقوانين لعلاجه. وقد اهتمت التوراة بوضع عقوبة لمن سرق إنسانا ليستعبده.

فتقول التوراة: (إذا سرق أحد إنسانا وباعه أو وُجد في يده يقتل قتلا) خروج 16: 21. وقد حصرت هذا القانون في بني إسرائيل دون غيرهم.

تقول التوراة: (إذا سرق أحد نفسا من إخوته بني إسرائيل واسترقه وباعه أو وجد في يده يقتل قتلاً) تثنية 7: 24.

ونلاحظ أن الشريعة التوراتية لم تعالج مسألة الرق من حيث أنها تشكل ظاهرة اجتماعية وإنما من وجهة عنصرية بحتة. ومن حيث علاقتها ببني إسرائيل فليس هناك رق أبدي للعبد الإسرائيلي.)[1].

وقد استفاد التوراتيون أثناء تدوين التوراة في السبي البابلي من تراث البابليين وقوانينهم في الرق.

---

(1) احمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ ص 411.

فشريعة حمورابي تعالج مسألة الرق بوصفها تشكل ظاهرة اجتماعية لها خطورتها ودورها الهام في المجتمع البابلي الزراعي. وقامت على هذا الأساس بتحديد حقوق الرقيق وحدوده وواجباته. من جهة إنسانية فلا يكون هناك رق أبدي ولكنها في الوقت نفسه حكمت على من احتفظ في بيته برقيق هارب أو ساعد رقيقا هاربا أو أمة هاربة بعقوبة الإعدام[1]

وقد وضّح الإسلام هذه القضايا بشكل واضح مخالف لما جاء من تشريعات توراتية فإذا وهب السيد لعبده وحده الحرية وصار العبد حرا فان أولاد العبد يكونون أحرارا تبعا لأبيهم رضي السيد أم لم يرض. ويخرجون معه إذا ما أرادوا من بيت سيده إذا خرج. وتخرج المرأة إن شاءت شاء العبد أم أبى لأن الجارية إذا أنجبت ولدا لا تباع ولا تشترى لقوله عليه الصلاة والسلام: (أم الولد لا تباع وتعتق بموت سيدها) رواه الدار قطني. وهذا الحديث صحيح لمصلحة الولد.

وفي الحديث من مثل بعبده عتق عليه. وقال النووي في شرح مسلم اجمع العلماء على أن ذلك العتق ليس واجبا وإنما هو مندوب رجاء الكفارة وإزالة إثم اللطم. وهذا يشابه ما رأيناه في وجوب عتق العبد إذا فقأ سيد عينه في الشريعة التوراتية.

وفي الشريعة الإسلامية إذا اشترك اثنان في ملكية عبد وباع أحدهما نصيبه من العبد أو وهبه عتق العبد وسقط حق الشريك الثاني فيه على رأي نص عليه حديث سمرة أن رجلا اعتق شخصا له مملوك فقال صلى الله عليه وسلم (هو حر كله وليس له شريك).

---

(1) احمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ ص 481.

وللعبد أن يكاتب السيد على مال يؤديه إليه في مقابل حريته وللأمة أيضاً لقوله تعالى: (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) النور 32.

أما الحكم على العبد الذي يريد أن يبقى مع سيده بأن تخرز أذنه بالخرز فهذا ليس موجودا في الشريعة الإسلامية. وإذا نظرنا إلى الأحكام القرآنية وما جاءت به أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ندرك أن الإسلام حض على العتق ورفض العبودية بل طالب بالحرية لكل الناس وبإلغاء الاسترقاق. وقد أسهب التلمود في الحديث عن حرية اليهود وحدود هذه الحرية. ولم تقتصر الأحكام على التوراة.

ففي التلمود قوانين ترتبط بمسألة حق التعبير والرأي والحوار. وأهم هذه القوانين قانون الحرمان. ويطبق على من يحتقر الحاخامات وأقوالهم وشريعتهم بمعنى أن عقوبة الحرمان بكل درجاته هو منع إبداء الرأي والتعبير.

وهذا القانون ينص على انفراد المحروم عن مخالفة الجماعة. ويعيش منفصلا عن أبناء جنسه لا يقرب أحدا. وفي مدة حرمانه عليه أن لا يغتسل أو يحلق ومدة الحرمان ثلاثون يوما[1] .

وجاء في التلمود: (أن اليهودي الذي يرفع شكوى على أحد أبناء ديانته ولو كان أقبح إنسان لصالح أجنبي وتضرر أخوه من تلك الشكوى أو ضرب أو قتل يستحق من ذلك المشتكي في الكتاب المذكور بأنه ليس له محل في الآخرة. وإذا عزم يهودي عل اتهام آخر بأمر ينعدم به وعلم أحد اليهود بهذا العزم لزم قتله)[2] .

---

(1) صالح محمود صالح. الإنسانية والصهيونية والتلمود ص 54.

(2) المرجع السابق ص 55.

وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيئته مغفورة وأما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل)[1].

وقد سن التلموديون قوانين عدة تتعلق بالحرمان المتجه نحو اليهودي فيقول التلمود: إذا اجتمع تسعة أشخاص لتأليف المجمع المقدس فلا يكون المحروم العاشر. وإذا وجد فيهم من يلزمه أن يجلس بعيدا عن الباقين على مسافة أربعة أذرع. وإن توفي قبل انتهاء مدة عقوبته يلزم أن يوضع على قبره حجر علامة على أن الميت كان يستحق الرجم لأنه مات بدون قصاص وهو محروم. وفي هذه الحالة لا يحزن عليه أهله، ولا يمشون خلف جنازته، ولو كانوا من أخص أقاربه. وقد قلنا إن مدة الحرمان شهر كامل فإن تاب المجرم في خلال تلك المدة كان بها وإلا عاقبوه من ستين إلى تسعين يوما. فإذا لم ينفع ذلك لردعه يحرم بالحرمان الأكيد المسمى (شريما) ونتيجة هذا الحرمان أن يمنع المحروم من مخالطة غيره ويمنع من التعلم والتعليم والأكل والشرب مع أي شخص. وحرم على أي شخص أن يؤدي له خدمة. كما يحرم عليه تأدية الخدمة لأي شخص إنما مصرح ببيع الطعام له حتى لا يموت جوعاً، ويلزم أن يصدر هذا الحرمان من عشرة أشخاص على الأقل، ويكون صدوره في محفل رسمي بخلاف الأول فإنه يمكن صدوره من شخص واحد. وعند عمل هذا الاحتفال يوقدون الشموع ويبوّقون الأبواق. ويلعنون المخطئ. ثم يطفئون الأنوار رمزاً إلى أن المجرم خرج عن الأنوار الإلهية.

ومن نصوص الحرمان التي وردت في التلمود قولهم:

(بناء على حكم إلهنا إله الآلهة يحرم فلان ابن فلان من المحكمتين. محكمة أول درجة والمحكمة العليا ومن القديسين والملائكة ومن الجمعيات

---

(1) المرجع السابق ص 56.

الكبيرة والصغيرة. ويصاب بالقروح والأمراض الخبيثة كلها، ويكون منزله مسكنا للجن، ويكون نجمه مظلما في السماء ومن المغضوب عليهم، ويطرح جسده للوحوش المفترسة وللثعابين ويفرح أعداؤه ومن يريد له الشر، وتعطى أمواله من الذهب والفضة لغيره وتسقط تلك الأموال تحت سلطة العدو. ويلعن أولاده وحياته ويكون ملعونا من فم (عيد بربريرون) و(عشتاريال) و(صندلفون) وعزرائيل وغسيل وباشتيل وإسرافيل وسنجاسيل وميخائيل وجبرائيل وروفائيل ومكارتيل ويكون محروما من فم (زفغزا وهاهاقيل الإله الأكبر وفم العشرة الأسماء المعظمة ثلاث مرات ومن فم زرتاج حامل الختم ويغرق مثل كريه وجيشة وتخرج روحه من جسده بخوف وجزع، ويحكم عليه الله بالموت، ويخنق مثل اشيتوفل ويكون جذامه مثل جذام (جينري)، ويسقط ولا يقوم، ويلفظ عن قبور بني إسرائيل، وتعطى امرأته لغيره ويميل إليها آخرون بعد موته، ويسقط هذا الحرمان على فلان ابن فلان ويكون من نصيبه. أما أنا وبنو إسرائيل فيكون لنا بركة الله وسلامه آمين).

وقد شكل الحرمان نوعا من ردع عوام اليهود وخواصهم عن الخروج عن تعاليم حاخاماتهم ومخالفتها، مهما كانت مغرقة في الفساد والإلحاد والأحقاد. لذلك جبن كثير من اليهود عن الخروج على تعاليم أحبارهم خشية عقوبة الحرمان الغليظة وقد كانت هذه العقوبة وراء بقاء اليهود في كل الأمكنة والأزمنة على اختلاف نظمها وأعراضها ودياناتها على تقاليدهم قائمين وبشرائع تلمودهم عاملين. والقلة من أحبارهم الذين انتقلوا من ديانتهم إلى الأديان الأخرى. ففضحوا التعاليم التلمودية وترجموا منها مقاطع مطولة[1].

وامتدت عملية سلب حقوق الإنسان اليهودي إلى الفرق الدينية اليهودية نفسها. ومنذ مئات السنين بل ومنذ ظهور التلمود بدا أن هناك انشقاقاً يهودياً

(1) محمد عبد الله الشرقاوي. الكنز المرصود في فضائح التلمود ص 240ـ 241.

واضحاً أدى إلى تناقض كبير بين الفرق اليهودية. وجاءت أوقات ظهر فيها الاضطهاد اليهودي على أشده خاصة بعد أن رفضت بعض الفرق اليهودية التلمود وتعاليمه ورفضت بالتالي سلطة الحاخامات. مما أدى إلى التصدي لهم وتجريدهم كثيراً من الحقوق. ومن الفرق التي لاقت اضطهاداً يهودياً قاسياً من قبل الحاخامات التلموديين:

1ـ فرقة القرائين

2ـ فرقة حراس المدينة (ناطوري كارتا)

وقد لحق الاضطهاد اليهودي ـ اليهودي اليهود الشرقيين بشكل عام (السفارديم) من قبل مؤسسات الكيان الصهيوني الذي تحكمه العقيدة التلمودية وعلى رأسها الحاخامات العنصريون الذين يأخذون بالتلمود ويقدسونه أكثر من التوراة.

أما القراؤون فهم أكثر أصحاب الفرق الذين تعرضوا للإضطهاد من قبل التلموديين وبدأ اضطهادهم منذ ظهورهم عام 761 إفرنجي حين انشقت الفرقة القرائية برئاسة عنان بن داود عن التلموديين الذين تزعمهم آنذاك المدعو حنانيا.

وأول اضطهاد قام به التلموديون حين أقنعوا الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور بأن عنان يتآمر على الدولة. فسجنه الخليفة وكاد يعدمه ثم عفا عنه وذهب إلى فلسطين ينشر دعوته ضد التلموديين.

وبدأت المعركة بين الفريقين وكفّرت كل واحدة منها الأخرى. وقد وصل الحد بالتلموديين أن حرّموا الزواج من القرائين. وإذا حدث زواج فإنهم يعتبرون الأولاد المنجبين أولاد زنا ولا ينتمون إلى ما يسمى شعب الله المختار. وقد أفتى بعض الرّبانيين برفض عودة القرائي إلى مذهب الربانيين على اعتبار أنه مرتد

عن الدين. بينما رأى آخرون أن القرائي باعتباره ليس يهوديا يمكنه الدخول في دينهم على أساس أنه غريب من الغوييم. ومع كل ما يترتب على ذلك من الحقوق المدنية والشرعية وحرمان هذا المعتنق الجديد من أن يصبح يهوديا من بني إسرائيل بالحظ الكامل وفي كل المعاملات المالية، وكذلك في الطعام والشراب يعتبر القراؤون غوييم.

وبعد قيام الكيان الصهيوني واجه القراؤون مشاكل كثيرة لأنهم غير معترف بهم يهوداً من قبل المؤسسة اليهودية في الكيان الصهيوني وغير معترف بهم كذلك من قبل الدولة بكونهم طائفة دينية مستقلة. وعلى هذا فإن وثائق الزواج والطلاق في محاكمهم الدينية غير معترف بها. والمرأة القرائية التي تطلّق وتزوج مرة أخرى تعتبر زانية لأنها من وجهة نظر التلموديين ما زالت في عصمة زوجها السابق حيث يعتبرون الزواج صحيحاً. وعلى هذا فإن الطفل الذي يولد من الزواج الثاني هو طفل غير شرعي[1].

ويرفض حاخامات الأشكينازيم وكذلك السيفارديم (الغربيون والشرقيون) أن يعترفوا بالقرائين كيهود. وما يزالون يعيشون على هامش المجتمع اليهودي في فلسطين. فلا هم معترف بهم كيهود من جهة وترفض الدولة وكذلك الربانيون التلموديون منحهم صفة الطائفة المستقلة أو الجماعة المنفصلة عن اليهود كالمسلمين والمسيحيين.

أما فرقة حراس المدينة وهي فرقة يهودية شرقية فتعامل من قبل المؤسسة الدينية التلمودية الحاكمة معاملة قاسية وتحظر التعامل معهم. ويبرز خلافهم في القضايا السياسية وبعض القضايا الدينية إذ ترى ناطوري كارتا أن قيام دولة (إسرائيل) كارثة وأن الذين أقاموها هم كفار لأنهم لم ينتظروا قدوم المسيح المنتظر ليقيم الدولة المقدسة حسب رأيهم.

---

(1) جعفر هادي حسن. اليهود القراؤون ـ دراسة في صحيفة الحياة 1997/1/13.

وبشكل عام يلقى اليهود الشرقيون ويهود الدول العربية ويهود الفلاشا اضطهادا واسعا من قبل المؤسسة الدينية اليهودية التلمودية. وقد أوردت مصادر كثيرة أن بعض اليهود سرقوا أطفالا من اليهود اليمنيين وباعوهم لبعض الأثرياء. أما يهود الفلاشا فهم أكثر اليهود معاناة من الإضطهاد وذلك بسبب لون بشرتهم وتخلفهم ويسكنون في أحياء فقيرة جدا. ولا تقام أية علاقات زواج معهم.

ولا شك أن التناقض العنيف بين الفرق اليهودية والقوى الدينية اليهودية في الكيان الصهيوني أدى في حالات كثيرة ومستمرة إلى حصول جرائم قتل وسرقة واغتصاب ومنها جرائم جماعية ومنها جرائم فردية. من ذلك مثلا تفجير سفينة محملة باليهود كانت قادمة إلى فلسطين في منتصف الأربعينات حيث قام جماعة شتيرن وأراغون بتفجيرها وقتل جميع ركابها وعددهم حوالي 320 يهوديا. ومن أمثلة ذلك قتل رئيس وزراء الكيان الصهيوني اسحق رابين على يد طالب لاهوتي يدعى عاميرام. والأمثلة كثيرة على ذلك.

5 ـ حقوق المرأة في التشريع اليهودي

يسجل على الشريعة اليهودية أنها الشريعة المتطرفة في اضطهاد المرأة اليهودية وقد رأينا عند بحثنا لقوانين الزواج والطلاق ذلك الإجحاف بحق المرأة بشكل عام وبحق المرأة اليهودية بشكل خاص.

أما تحت هذا العنوان فإننا سنتعرض إلى قضايا أخرى تخص المرأة اليهودية تُظهر إلى أي مدى حقّرت الشريعة اليهودية حواء. وإلى أي مدى انحرفت المرأة اليهودية بسبب ردة الفعل على القوانين اليهودية الخاصة بها. فنظرة الشريعة اليهودية بدأت منذ سفر التكوين الذي حمّلها وزر الخطيئة الأولى بالهبوط من جنة عدن. تقول التوراة: (وكانت الحية أحيل جميع

حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من شجر الجنة فقالت المرأة للحية من شجر الجنة نأكل أما من الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تلمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لن تموتا) تكوين 3: 1ـ 4.

(وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك) تكوين 3 ـ 16.

وبمعنى من المعاني فإن تحقير اليهودية للمرأة يرجعونه إلى لعنة إلهية مفترضة وكأنهم ليس لهم يد في ذلك. وقد بنيت على هذا الأساس جميع النظرات اليهودية الدينية عبر الزمن حول المرأة. منذ تدوين التوراة وحتى وقتنا الراهن.

وحتى نكون على بينة من أمرنا فإننا نرى أن القرآن الكريم يدحض المزاعم التوراتية حتى في قصة الخطيئة الأولى.

فقد ورد في القرآن الكريم: (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى: فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) طه 12 ـ 121.

فالواضح من الآيتين أن الشيطان أغوى آدم وليس حواء. وتدل الآيتان أن الذي بدأ بالخطيئة آدم وليس حواء. وهذا يقلب التأسيس الفكري الإنساني رأساً على عقب. ويقلب كل المفاهيم الإنسانية حول المرأة وحقوقها. ويعيد النظر في كافة التراكمات الاجتماعية التي حملت المرأة ذنباً ليس لها علاقة به ويتجلى موقف الشريعة اليهودية من المرأة في جعلها والحيّة في مستوى واحد. والحية كما هي معروفة في التراث الشعبي العالمي رمز للشر والنفث والسم وكذلك الأنثى.

وقد بدأ هذا الموقف العدائي من المرأة في كافة الطقوس والأفكار اليهودية المتواصلة فحتى هذا اليوم يعلّم اليهودُ وخاصة الربانيون أبناءهم أن يرفعوا الصلاة اليومية التالية (مبارك أنت أيها الرب ألهنا ملك الكون الذي لم يخلقني امرأة)[1].

ولم تتوقف المواقف العدائية اليهودية من المرأة عند حدود احتقارها وذمها لأنها أخطأت الخطيئة الأولى حسب اعتقادهم. فحتى يكون الموقف أشد قسوة فقد وجدت بعض الفرق اليهودية أفكاراً غريبة مدهشة نحو المرأة.

فحركة القبالاه التي يطلق عليها ـ الصوفية اليهودية ـ وهو تعبير خاطئ ترى أن المرأة لها علاقة بالشيطان. وهي متمردة على الشرائع وهي ترمز للشر ويظهر في الأدب القبالي اليهودي اسم ليليث كزوجة آدم الأولى التي رفضت أن تضطجع تحته وأن تطيع أوامره. وقُدمت ليليث في القبالة على أنها رمز الشيطان وهي شيطانة أنثى وكتب أحد الأحبار اليهود الكبار والمدعو شوليم كتب في الزوهار (قسم من التلمود وقسم من القبالة الأدبية الدينية) أن ليليث ملكة الشياطين وأن حاشيتها من الشياطين الذين يسعون مجاهدين لتحريض الرجال على الأفعال الجنسية من دون معونة امرأة وهدفهم جعل أنفسهم أجساداً من البذور الضائعة، فالزوهار يحذر من أن ليليث تهيم على وجهها منتظره العثور على حيوانات منوية تخلق منها الأبالسة والأطفال غير الشرعيين وقد حذرت القبالاه أن الأطفال غير الشرعيين إنما يولدون بمعونة ليليث[2].

وقد أوجد مدونو التوراة حين التدوين كثيراً من الأفكار التي تسلب المرأة كرامتها وحقها العيش بكرامة وحرية.

(1) مارلين ستون: عندما كان الرب أنثى ترجمة حنا عبود ص 215.

(2) المصدر السابق ص190.

تقول التوراة (درت أنا وقلبي لأعلم وأبحث ولأطلب حكماً وعقلاً ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون فوجدت أمرّ من الموت المرأة التي هي شباك، وقلبها أشراك ويداها قيود) سفر الجامعة 7: 25 ـ 26.

وتتابع التوراة: (جيداً واحداً بين ألف وجدت أما المرأة فبين كل أولئك لم أجد) 7: 29.

وتنسب التوراة هذه الأقوال للنبي داود في سفر الجامعة. وتظهر هذه الأمثال مدى الحقد الذي يضمره كتبة التوراة على المرأة.

وقد أسهب التلمود كثيراً في الحديث عن المرأة بنظرة دونية سيئة فينظر التشريع لها على أنها (سلعة تباع وتشرى، وللزوج الحق أن يفعل بها ما يشاء لأنها ملكه. فهي مملوكة تباع وتشرى من أبيها. وهي كالقاصر والصبي والمجنون لا يجوز لها البيع والشراء. وينص التشريع اليهودي على أن مال المرأة ملك لزوجها)[1].

وليس للمرأة اليهودية أن تبدي أدنى شكوى على حسب التلمود إذا زنى زوجها في المسكن المقيم فيه معها.

ولما قال الحاخام (يوحنان) إن اللواط بالزوجة غير جائز عارضوه في ذلك قائلين إن الشرع لم يحرم هذا الأمر. بل قال إنه لا يخطئ اليهودي مهما فعل مع زوجته وأية طريقة اتبعها معها بأمر الزواج فهي له، وهي بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحم اشتراها من الجزار يمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته ويضربون لذلك مثلاً أن امرأة حضرت إلى الحاخام وشكت أن زوجها يأتيها على خلاف العادة فأجابها: لا يمكنني أن أمنعه عن هذه المسألة

(1) محمد عبد الله الشرقاوي الكنز المرصود في فضائح التلمود ص228.

يا ابنتي لأن الشرع قدمك قوتاً لزوجك[1].

وذكر في كتاب سنهدرين ص 58: أنه مصرح لليهودي أن يفعل ذلك الأمر بزوجته وليس مصرح للأجنبي أن يفعل إلا بامرأة أجنبية.

وقد خالفت التشريعات هذه كل ما جاء في الأديان سماوية كانت أم غير سماوية فاللواط في الشريعة الإسلامية حتى لو كان بامرأة، عدوان ظاهر على الإنسانية وخروج على سنن الله الطبيعية ولهذا سماه الله فاحشة كالزنى.

قال تعالى: (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين).

فمن ارتكب هذا الفعل الشائن فقد قرر بعض الفقهاء إقامة الحد على اللائط بالرجم وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين على أن من أتى امرأته أو أمته في دبرها وترك القبل يقام عليه الحد. وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريم إتيان النساء في أدبارهن وقد ورد عن حذيفة بن ثابت وأبو هريرة وعلي بن طلق. رحمهم الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تأتوا النساء في أدبارهن)[2].

وورد أيضاً عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استحوا إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في حشوشهن وفي رواية أخرى في أعجازهن)[3].

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول: ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به. والناكح يده، وناكح البهيمة وناكح المرأة

---

(1) المصدر السابق ص228.

(2) الجزيري الفقه على المذاهب الأربعة المجلد الخامس ص146.

(3) المصدر السابق ص146.

في دبرها. وجامع بين المرأة وأختها. والزاني بحليلة جاره. ومؤذي جاره حتى يلعنه)[1].

وقد وردت عشرات الأحاديث المسندة حول تحريم اللواط وذمه واعتباره أشر جريمة من الزنا.

وينص الفكر اليهودي على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها، وليس لها سوى ما فرض لها من مؤخر الصداق في عقد الزواج تطالب به بعد موته أو عند الطلاق منه وعلى هذا فكل ما دخلت به من مال وكل ما تكسبه من سعي وعمل وكل ما يُهدى إليها في عرسها ملك حلال لزوجها.

وبالنسبة لكثرة ما شوهد من وقوع الشقاق والفرقة بين الزوجين فقد استقر رأي الربانيين على وجوب الأخذ بشروع (وقف الزوجية) ومعناه أن توقف أموال الزوجة ويصير الزوج قيما عليها يستغلها دون بيعها أو يرهنها. فتصبح الزوجة بذلك مالكة لرقبة الأموال والزوج مالكاً للمنفعة فإذا حصلت الفرقة عادت الثروة إلى الزوجة[2].

وعلى الزوجة مهما بلغت ثروتها ومكانتها أن تقوم بالأعمال اللازمة لبيتها. صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة.

ويقول الربي أليعازر: إن الزوجة إذا أحضرت مئه خادم فإنها لا تعفى من الغزل ولزوجها أن يرغمها عليه لأن البطالة تقود للفساد.

ولا ترث المرأة زوجها. وكل ما لها بعد موته هو مؤخر الصداق. أما باقي ثروتها فقد آل إلى زوجها ومنه إلى ورثته. وإذا أخذت مؤخر صداقها تمضي إلى حال سبيلها أما إذا لم تطالب به فإنها تعيش مع الورثة من مال التركة.

---

(1) الجزيري الفقه على المذاهب الأربعة الجزء الخامس ص 147.

(2) المقارنات والمقابلات ص 401 ـ 402 تأليف دي بغلي ترجمة محمد صبري.

وقد شرع التلموديون كثيراً من القوانين حول المرأة. وبينوا قضاياها الكثيرة في الزواج لكنها في واقع الأمر تقر إجحافاً شديداً بحقوقها.

فالتلمود يقر للرجال أن يبيع ابنته القاصر أمة (رقيق) وكما يسمح للرجل أن يزوج ابنته لمن يشاء. رضيت البنت أم رفضت. ولا تسترد حريتها إلا إذا طلقها زوجها.

وزيادة في تحقير المرأة فإن نصوص التلمود تقرن بصريح العبارة طلاق المرأة بعتق العبد فكلاهما إجراءان لا يحتاجان سوى لإرادة منفردة هي مشيئة السيد. يصدر قراراً بطرد المرأة أو عتق العبد فكلاهما إجراءان لا يحتاجان سوى لإرادة منفردة هي مشيئة السيد. يصدر قرار ه بطرد المرأة أو عتق العبد .فتنفذ رغبته السيئة من دون أدنى مناقشة. وتجيز مدرسة هلال التلمودية الطلاق لأتفه الأسباب فكأن تفسد المرأة الطعام أو يجد الرجل أجمل منها استنادا إلى ما ورد في سفر التثنية الأحكام 1/24 ويسهل التلمود سبل الطلاق، فيصححه ولو كان الشهود من غير اليهود. فلا يصلح الشاهد الوثني للدلالة على مديونيته اليهودي. لكن يعتد بشهادته في طلاق الرجل امرأته ويجيز التلمود تحرير كتاب الطلاق بأية وسيلة ولو على قرن جاموسة ترسل إلى المرأة أو على يد عبد يسلم للزوجة وقد اعتمد حاي بن شمعون أحكام التلمود في جوهرها .فلم يضع أية عراقيل لمواجهة سلطة الرجل ولو في مرض الموت.

وقد أقر الربانيون عقاباً صارماً لمن اشتبه بزوجته أنها زنت وتخضع وفقاً للتوراة لتجربة التعذيب بالماء المر .فإذا أقرت المراة بخيانتها حرمت من مؤخر الصداق وذهبت إلى سبيلها أما إذا ادّعت براءتها عُذبت حتى تقر بأن تحمل إلى باب المدينة ويعرّي الكاهن جسدها حتى بطنها وينشر شعرها ويخلع حليها ويلبسها رداءً أسودَ يربطه بجبل خشن فوق ثديها العاري. وتتوافد نساء المدينة لرؤية الزوجة المتهمة في هذه الحالة المهينة. ثم يشرع الكاهن في إجراءات

تجربة الماء المر على الوجه الذي سلف، عملاً بما هو وارد في التوراة. ومتى اجترعت المرأة الكأس المرة وانفعل جسدها من فرط ما تناولته من قاذورات ثبتت إدانتها وحملت خارج المعبد قبل أن تدنسه بما عسى أن يصدر عنها من قيئ أو حيض. وتحرم على زوجها وكذلك على عشيقها بعد ذلك[1].

وينص التلمود على أن المرأة إذا قدمت لزوجها طعاماً محرماً أو أنها تغالط في مواعيد طمثها فإذاً تحرم من صداقها .وايضا فإن المرأة اذا خرجت مكشوفة الرأس أو تتهادى في مشيتها أو تخرج مع الشبان أو تلقى أهل زوجها بحضوره أو تصيح بصوت مرتفع يسمعه الجيران فإنها كذلك تحرم من صداقها. وإذا منعت المرأة زوجها أن يمارس معها الجنس سقط حقها في الصداق .ويستطيع الزوج استرداد ما اشتراه لها من أشياء وهدايا.

6 ـ التشريع اليهودي والجرائم الجنسية

بعد قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين وبناء المؤسسات الإدارية والدينية انقسم المجتمع الصهيوني غير المتجانس إلى علمانيين ومتدينين. ولكن المتدينين لعبوا ويلعبون دورهم بشكل قوي إذ يمثلون نسبة عالية من اليهود على شتى عروقهم وأجناسهم .

وهناك في الكيان الصهيوني سلطة حاخامية كبرى تعج بالحاخامات. حتى أن مؤسسات الكيان جميعها يتدخل فيها الحاخامات. ويؤثرون في مجريات الأحداث فيها. ومن المعروف أن الخليط اليهودي الذي جاء من أوروبا الشرقية بشكل كثيف ومن بعض الدول العربية والغربية حمل معه خلفيات اجتماعية متباينة لا سيما أن اليهودي الغربي حمل معه إلى فلسطين كل عادات الغرب من إباحية ولواط واغتصاب وعدم احترام للدين أيا كان.

(١) ثروت الأسيوطي نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين ص266.

ولهذا السبب فقد بات اختراق التشريع اليهودي أمراً محتماً وقوياً في التجمع. مما سبب صداماً بين التشريع الحاخامي وبين ما يفعله الناس في أرض الواقع. ولذلك فقد باتت قوانين الحاخامات مطاطة، بل يصل بها الحد إلى إباحة ما هو محرم والتغاضي عما يحدث من اغتصاب وجرائم جنسية بحق المرأة اليهودية.

فمن المعروف كما ورد معنا سابقاً أن الممارسة الجنسية بين امرأة يهودية متزوجة وأي رجل غير زوجها جريمة كبرى على عاتق الطرفين. وواحدة من ثلاث خطايا بالغة الشناعة. ولكن وضع المرأة غير اليهودية مختلف تماماً. إذ تفترض الهالاكاه أن جميع الأغيار على درجة عالية من الانحلال وتنطبق عليهم آية (الذي لحمه مثل لحم الحمير ونطفته كنطفة الخيل)[1] ولا فرق سواء كانت المرأة غير اليهودية متزوجة أم لا. لذلك لا ينطبق مفهوم الزنا على ممارسة الجنس بين رجل يهودي وامرأة يهودية. بل يساوي التلمود هذه الممارسة بخطيئة الانغماس في الشهوات البهيمية وقد جاء في دائرة المعارف التلمودية (من يقيم علاقة جنسية مع زوجة غير اليهودي لا يتعرض لعقوبة الموت لأنه مكتوب (زوجة أخيك) لا زوجة الغريب وحتى أنه مفهوم أن يلتصق الرجل بامرأة لا ينطبق على غير اليهود لعدم شرعية زواج الوثنيين[2].

وعلى الرغم من ذلك فإن الجرائم الجنسية. كالاغتصاب والتي يجب أن يعاقب عليها فاعلوها حسب شريعة التوارة. إلا أن التشريع التلمودي سكت عنها ويسكت باستمرار على الرغم من أن هذه الجرائم تطال النساء وتودي بهن إلى الانتحار أو فعل أي شئ لأنفسهن.

---

(1) حزقيال 23، 20

(2) إسرائيل شاحاك الديانة اليهودية ومواقفها من غير اليهود ص155

وقد كتبت صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ 15 / 7 / 1977 مقالة بعنوان مأساة (إسرائيلية) بقلم عاموس كينان جاء فيها:

«لقد خلق مجتمعنا عديداً من المآسي في المرحلة الأخيرة. لقد وجد الأشخاص أنفسهم متورطين في صدام بين قوى هي أكبر منهم. وفي مثل هذا الصدام يكون الفرد هو الضحية وهكذا هو ضحية الصراع الديني. وضحية أجهزة الاتصال العامة. إنك تندهش في بعض الأحيان ويساورك اليقين بأن ثقافة روما ثقافة الجنز والمباهج قد عادت إلينا».

لكنه كانت هناك مأساة لم يعر إليها الاهتمام. لقد نشر في هآرتس بتاريخ 1/ 7 مقال (ثمار مرون) تقص لنا فيه عن شابة اسمها المستعار أورلي طالبة جامعية مطلقة وأم لولدين.

لقد اغتصبت أورلي. وكان مغتصبها قد وفر لها وسيلة نقل مجانا وتمكن بشكل ما بواسطة مختلق المبررات من إحضارها إلى شقته لبضعة دقائق وعند وجودها في الشقة شرع باغتصابها.

أورلي هي شابة متعلمة وواعية ولهذا فقد ابتلعت العار وذهبت إلى الشرطة للشكوى على الجاني. ولكن ليس قبل أن تتصل هاتفياً بصديقها وتروي له عن الموضوع وطلبت منه أن يرافقها.

هنا تبدأ المأساة. شابة تحت الصدمة. وجدت نفسها مضطربة لاجتياز إجراء مشين استغرق عشر ساعات. وفي غضون هذه الساعات العشر لم تقدم لها كأس من الماء ولم يتح لها أن تغتسل ولم يعاملها بصفتها المشتكية إنما وكأنها هي تقريباً المتهمة. كما طلب منها أن توقع تكاليف الفحص الطبي في المشفى من جيبها. لكن الرجل الذي اغتصبها أخلي سبيله بكفالة فوراً وزعم أنها أعطت نفسها له. جرى التحقيق مع أقرباء الفتاة من خلال إجراءات طويلة حول ما إذا كانت الشابة تحب عدداً من الرجال. وكانت النتيجة أنها

انتحرت. وقد رفضت سيارة الإسعاف التي دعيت لنقل جثتها إلى المشفى لأنه لم يكن لدى والديها نقود لدفع الأجرة نقداً! إن كافة التفاصيل في هذه الرواية تعتبر شيئاً مروّعاً في حد ذاتها إلا أنه إذا تخطينا الفظاعة الأولى الصدمة المريعة التي من المحتمل أن تؤدي للموت ـ وإذا تجاوزنا فظاعة البيروقراطية نصل إلى الفظاعة الحقيقية إن الرجال لا يصدقون المرأة .إنهم لا يصدقون سوى الرجل. وخاصة عندما تأتي المرأة لتقديم شكوى ضد رجل. إذ كل رجل يلجأ إليه لتقديم شكوى ضد رجل آخر يشعر بتضامن مع الجنس الرجالي. ويا ويل الفتاة التي يجب عليها أن تذهب إلى شرطي وتروي له بشكل مفصل كيف تمت عملية اغتصابها.

ونشرت صحيفة هعولام هازي بتاريخ 28 / 4 / 1976 مقالاً بعنوان حزام عفة لسلاح النساء بقلم يوسي يناي قالت فيه:

«إن جيش (الكيان) يعرف مئات الحوادث المتعلقة بالضباط الذين تعاطوا الجنس بعضهم علانية وبعضهم بشكل سري مع مرؤوسيهم أو مع المجندات والضابطات. وقد اعتاد ضابط كبير على أن يأخذ معه ضابطة شابة وجميلة في كل واحدة من جولاته وفي وقت يتجاهل بشكل ظاهري ابتسامات الضباط الآخرين والجنود الذين لاحظوا قصة الحب ما بين الإثنين. وكثيراً ما كانت القصة الغرامية بين الضابط وضابطته تثير حفيظة الضباط الآخرين عندما استغل مركزه وأصدر تعليماته الرامية لضم الضابطة إلى طيارة الهليوكوبتر التي قام بها بجولة استطلاعية. وعندما كان الضابط الكبير وتلك الضابطة يضطران للنوم في إحدى قواعد الجيش وفي مدينة نائية كان يهتم رئيس ديوان الضابط أن تكون غرفة الضابط والضابطة متجاورتين». وتتابع الكاتبة قولها «الحقيقة هي أن ضابطات سلاح النساء في القواعد يقمن بإخفاء حقيقة حمل الجندية ولا يقدمن التقارير الخاصة بذلك ويحفظن سرّ الجندية» لكن عندما تقع الجندية في هذا

الموضوع بين يدي ضابطة سلاح النساء التي تطبق القوانين بشكل صارم: «عندما يكشف الأمر بهذا الشكل أو ذاك أمام قائدات ضابطة سلاح النساء في القاعدة، فإنها ستجد نفسها مرتدية للملابس المدنية بأسرع وقت مع التسريح» .

وفي تقرير للاستخبارات العسكرية اليهودية في فلسطين المحتلة نشرت فيه تفاصيل حول الاغتصاب والاعتداءات الجنسية والأخلاقية خلال عام 1997 وقد وصف التقرير الذي أعده قسم البحوث والدراسات فيما يسمى (وزارة الدفاع) الصهيونية الجيش الصهيوني بأنه (مهلهل منحل يعلوه الصدأ الجنسي في مراحل تعفن أخلاقية متقدمة).

وقامت المخابرات العسكرية الإسرائيلية بحجب التقرير الذي رصد الجرائم الأخلاقية والجنسية التي وقعت بين صفوف الوحدات العسكرية المختلفة في الجيش الصهيوني عن فترة الاثني عشر شهراً الماضية من شهر 4 عام 1997 حتى شهر 4 عام 1998 أما أسباب الحجب ومنع التداول التي أقدمت عليها المخابرات الصهيونية فأُرجعت إلى أن عدد الجرائم خلال الفترة المذكورة فاق التوقعات واعتبر أن هذه الفترة التي تضمنها التقرير هي أكثر فترات الخدمة العسكرية فساداً أخلاقياً منذ أن أعلن عن قيام الكيان الصهيوني في عام 1948.

وتضمن التقرير - بعد أن تسرب - إشاره إلى شكوى رسمية وقّع عليها عدد من قادة الجيش الصهيوني بمختلف الرتب والمناصب العسكرية وجرى تقديمها إلى وزير الحرب الصهيوني لدراستها حيث شكا فيها القادة خوفهم من ضياع هيبتهم وسط الجيش بسبب المجندات والضابطات اللاتي يمكن لأي واحدة منهن تقديم شكوى زائفة ضد قائدها بدعوى أنه إما اغتصبها أو ضايقها جنسياً وذلك لكي تردعه عن اتخاذ أي تصرف عقابي عسكري ضدها غير أن الوزارة لم تأخذ هذه الشكوى على محمل الجد ولم تنظر فيها.

وأدى عدم اهتمام الوزارة بشكوى الضباط والقادة إلى إقدام ضابط برتبة مقدم في إحدى الوحدات العسكرية في الشمال على الانتحار بعد إن هددته مجندة بالوحدة عنده بأنها ستقدم شكوى ضده على أنه اغتصبها.

ويشير التقرير أن عمليات الإجهاض التي تمت داخل الوحدات خلال العام الماضي بلغت ستة آلاف عملية تمت بموافقة المجندات والضابطات وبعلم قادة الوحدات الذين يفضلون في العادة حفظ التحقيقات في الأسباب التي أدت إلى الحمل ومن ثم الإجهاض في الخدمة العسكرية.

وأوضح التقرير أن عدداً غير محدد من عمليات الإجهاض التي أجريت في الجيش الصهيوني خلال نفس العام بسبب فضائح الاغتصاب لمجندات وضابطات بالخدمة أشار التقرير قيام ضابط برتبة عقيد بمطاردة المجندات اللواتي يخدمن في وحدته مطاردة جنسية خلال الخدمات الليلية إذ أنه اعتاد على وعوده للمجندات بالزواج والكذب عليهن. وقد استغل إحداهن طيلة فترة خدمتها في ممارسة الجنس معها مما أدى إلى صدور قرار بتسريحه من الجيش .

أشار التقرير إلى أن عدد الشكاوى الجنسية في عام 1988 قد بلغ 5600 وارتفع إلى 9600 عام 1994. وبلغت جرائم الجنس والأخلاق في الجيش الصهيوني 16 ألف قضية وشكوى.

إن حالات الاغتصاب في الجيش الصهيوني ليست وحدها حالات الاغتصاب التي تشير إلى الانحلال في التجمع اليهودي إنما هناك آلاف الحالات الأخرى في المدن والقرى والمستوطنات.

على أية حال ليست ظاهرة الاغتصاب جديدة في الحياة اليهودية وإذا عدنا إلى نصوص التوراة كشفت لنا عن عشرات الحالات المشينة للاغتصاب.

فقد لفقت التوراة قصة جماع لوط عليه السلام مع ابنتيه. وذلك في سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر من الفقرة 30 ـ 38 .

ثم لفقت التوراة قصة اغتصاب داود عليه السلام لامرأة أوريا الحثي وذلك في سفر صموئيل الثاني الإصحاح الحادي عشر من الفقرة 3 ـ 4.

وأوردت التوراة قصة اغتصاب إمنون ابن داود لأخته من أبيه ثامار وذلك في سفر الملوك الثاني الإصحاح 13 : 13ـ 15.

وأوردت التوراة أن رأوبين ابن يعقوب ارتكب جريمة الزنا مع امرأة ابيه التي تسمى بلهة وهي جارية راحيل أخت أمه ليئه وبلهة هذه في مقام أمه باعتبارها امرأة أبيه .

وتورد التوراة أيضاً أن يهودا مارس الجنس مع زوجة ابنه ثامار. وولدت له ولدين وقد ورد ذلك في سفر التكوين في الإصحاح الثامن والثلاثين.

وقد جاء في التلمود أن من يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمه يمكنه أن يصير حكيماً لأنه جاء في سفر الأمثال (دعوت الحكمة أماً).

ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع خطيبته له أمل في الحصول على صداقة الشريعة ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له أمل كبير بإنارة نفسه.

ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يحصل على السعادة الخالدة.

والأمثلة كثيرة في التوراة ويفسرها التلمود على أساس أنها قواعد يمكن الاستناد إليها. وتورد التوراة أن أبشالوم ابن داود طمع في ملك أبيه واستطاع أن يجمع حوله رجالاً من بني إسرائيل بعد أن عمل جهده لإساءة صورة أبيه، أمام

من جاء ليحتكم منهم إلى أبيه واستشار أختيوفل فيما يفعلـه لتنفيـذ مـا يريـد:
تقول التوراة:

(وقال أبشالوم لأختيوفل أعطوا مشورة ماذا نفعل فقال أختيوفل لأبشالوم ادخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروهاً من أبيك فتشدد أيدي جميع الذين معك فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم على سراري أبيه أمام جميع إسرائيل وكانت مشورة أختيوفل التي كان يشير بها في تلـك الأيـام كمـن يسـأل بكـلام الله هكـذا كـل مشورة أختيوفل على داود وعلى أبشالوم جميعاً) صموئيـل الثـاني 16: 20 ـ 23
وأبشالوم هذا هو أخو ثامار التي اغتصبها أخوه من أبيه أمنون بمشـورة الرجـل الحكيم يوناداب .

7 ـ صورة من الشذوذ الجنسي والجرائم الجنسية في التجمع اليهودي

لقد عرفنا أن هناك جرائم جنسية في مؤسسة الجيش الصهيوني بالدرجة الأولى وعرفنـا أن هنـاك اعتـداءات جنسـية مسـتمرة في الواقــع اليــهودي وأن السلطات لا تعير للمرأة أي اهتمام أو احترام. غير أننا باعتبارنا نحاول مقارنـة عبادات اليهود ومعاملاتهم بـين التـوراة والقـرآن الكريـم. وباعتبـار أن الكهنـة والأحبار يمثلون قمة الهرم الديـني فإننـا سـنتعرض في هـذه الصفحـات لبعـض الوقائع الحقيقية عن الشذوذ الجنسي الأفدح في التجمع اليهودي وهذا الشـذوذ يمارسه حاخامات ورجال ديــن يــهود إضافـة لبعـض الشـواهد الـتي تشـير إلى الشذوذ الجنسي بين أم وابنها وأب وابنته وغير ذلك من الصور .

ففي 17 / 3 / 1998 تناولت إحدى وسائل الأعلام حادثـة دون أن تذكـر الأسماء الصريحة التي نفذتها.

فالقصة تتناول عائلة يهودية تعيش في الكيان الصهيوني مكونة من أب وأم وثلاثة أطفال أكبرهم في الثانية عشرة من عمره. ومنذ أن كان الطفل الأكبر في الخامسة من عمره كان الأب يجبر زوجته على اللعب مع الطفل في الأماكن الحساسة من جسمه (الجهاز التناسلي الذكري) ومع نمو هذا الطفل وصل الأمر إلى حد إقامة علاقة جنسية كاملة مع أمه. وذكرت الصحيفة الصهيونية التي نقلت الخبر أنه قبل عامين توجهت الأم مع ابنها إلى مركز الشرطة وكشفت عن هذه القضية. بعد تردد وتخبط قررت النيابة العامة تقديم مذكرتي اتهام الأولى ضد الأب الذي أجبر زوجته على إقامة علاقة جنسية مع الابن والثانية ضد الأم التي لم تمنع حدوث ذلك. وقالت الصحيفة أن المحكمة اللوائية أدانت الأم بجريمة إقامة علاقة جنسية مع ابنها على مدة سبع سنوات متتالية وقبل ذلك حكمت المحكمة على الأب بالسجن ست سنوات ونصف لارتكابه جريمة أفعال شائنة مع ابنه وإجبار زوجته على إقامة علاقة جنسية مع الابن. وحادثة أخرى نقلت تفاصيلها صحيفة صهيونية بتاريخ 1/3/ 1998. تقول الحادثة إن فتاة تبلغ الآن الثانية والعشرين من عمرها تطالب والدها بعشرة ملايين (شيكل) لأنه كان يغتصبها منذ أن كانت في الخامسة من عمرها. وقالت الفتاة للمحكمة أن والدي اعتاد على عمل حمام في (البانيو) وكان يجلسني في حضنه وفي الليل كان يدخل إلى غرفتي ويقيم معي علاقة جنسية كاملة.

أما داخل المجتمع الديني الذي يقوده الحاخامات فقد حدثت قصص مرعبة أكثر مما سبق. فقد أوردت صحيفة صهيونية صدرت في منتصف شهر 3 من العام 1998 خبراً طويلاً تقول فيه: إن الشرطة أنهت التحقيق الذي بدأت فيه ضد الحاخام (زئيف كوبلوفيتش) ونقلت استنتاجاتها إلى النيابة العامة مع توصية بمحاكمة الحاخام المذكور. وقالت الصحيفة أن الحاخام زئيف والتي تعني بالعبرية الذئب رئيس المدرسة الدينية المسماة بالدرب المنير في القدس متهم بممارسة اللواط مع ما يقرب من عشرين طالبا من طلابه. وأنه يرفض

الاعتراف بما نسب إليه على الرغم من ذلك إذ قالت: أن الشرطة تنوي التحقيق مع حاخامين آخرين هما الحاخام إبراهام شابيرا والحاخام حاييم دوركمان وهما من حزب المفدال الصهيوني لأنهما كانا على علم بأفعال الحاخام زئيف لكنهما لم يفعلا شيئا ولم يبلغا الشرطة.

والغريب في الأمر أن القضية كشفت بعد أن علم أولياء أحد الطلاب بالأمر فقدموا شكوى للشرطة التي فوجئت بأنه ليس الطالب الوحيد الذي يتعرض لمارسات الإكراه على اللواط من قبل الحاخام. ولدى سؤال الطلاب الآخرين عن عدم تقديمهم شكاوى بحق الحاخام قالوا إن معلمينا الحاخامات يقولون لنا دائما إن تقديم الشكوى للشرطة أو لغيرها من المؤسسات الدينية الأخرى يعتبر خروجا على طاعة الله. فالشكوى يجب أن تقدم للحاخامات فقط الذين يعملون على تنفيذ أوامر الرب.

وفي قصة أخرى تقول بعد أن نشرت تفاصيلها جريدة صهيونية: إنه أدين ابن الحاخام البالغ من العمر 40 عاما في المحكمة اللوائية في تل الربيع باغتصاب ابنة أخيه وممارسة اللواط معها على مدة عدة سنوات منذ أن كانت في الثامنة من عمرها لكن القوانين الدينية الصارمة التي يعيشها أبناء (بني براك) جعلتها تصمت اثني عشر عاماً. لكنها تحدثت أخيراً وفضحت ما يجري داخل هذا العالم المتزمت ونشرت الصحف الصهيونية الصادرة بتاريخ 12/3/ 1998 تفاصيل واسعة عن المحكمة كما أن وسائل الإعلام المرئية تحدثت عنها مساء 22/3/ 1998 وقد امتنعت بعض الوسائل الصهيونية الإعلامية عن ذكر الأسماء وأي سمة يمكن من خلالها معرفة الأشخاص المتورطين. وخاصة أن القضية تتحدث عن حاخام كبير وعن ابن حاخام كبير من حي معروف بتشدده الديني وبخاصيته التي لا تجرؤ وسائل الإعلام على الخوض فيها خشية الانتقام. وإليكم القصة بتفاصيلها.

عندما انفصل والدها بالطلاق كانت لا تزال في الثامنة من عمرها. انتقلت من منزل إلى آخر مع أختيها الأصغر منها. لتعيش عند عائلات مختلفة كانت تستقبلها كنوع من الإحسان والصدقة... وأخيراً حط بها الرحال عند جدها وهو حاخام ذو مكانة رفيعة داخل الحي اليهودي المغلق المسمى (بني براك) الذي يقيم عتاة اليهود المتزمتين فيه.

كانت تعيش عند جدها الحاخام. أما أختاها الأصغر منها فقد انتقلتا للعيش عند عمهما. ابن الحاخام الكبير الرفيع المكانة بين أبناء طائفته...

وفي كل أسبوع كانت عمتها ابنة الحاخام ترسلها إلى منزل عمها لإيصال كعكة من الحلوى وبعد أن تعطيه الحلوى. كان يقبلها ويربت على كتفيها كما يفعل أي عم مع ابنة أخيه... فماذا لو كان العم ابن الحاخام الكبير تربى على نهج معين وداخل أسرة متشددة من الناحية الدينية.

كان الأمر يتكرر كل أسبوع. وكان العم الرؤوف يزيد من حرارة قبلاته لابنة أخيه وذات مرة احتضنها. بدأ بخلع ملابسها ويلمس الأجزاء الحساسة من جسدها. وهي لا تدري ولا تدرك ما يفعله عمها معها.

ظل العم يكرر أفعاله المخجلة كل أسبوع لا حظ أن الطفلة لم تعد طفلة. وأن مفاتنها قد ظهرت. ألقى بالكعكة على الأرض وألقى بالفتاة على الطاولة التي يجلس عليها والده الحاخام. خلع ملابسها ثم أغتصبها. هكذا ودون أن يذكر ولو للحظة واحدة. أنها ابنة أخيه ومن لحمه ودمه...

احتارت الفتاة فيما تفعله، هل تشتكي لجدها الحاخام أم لعمتها. وهل سيصدقها أي منهما خاصة وأن المعتدي عليها هو عمها.. صمتت الفتاة لكن الكوابيس لم تصمت، إذ كانت تأتيها كل ليلة فتنفجر دموعها بصمت دون أن يراها أحد..

اغتصب العم ابنة أخيه بشكل فعلي للمرة الأولى عندما كانت في الثالثة عشر من عمرها وقررت أن تخبر جدها لعله يضع حدا لعمها توجهت الفتاة إلى غرفة جدها. فتبعها عمها وقفت أمامه وقالت: (جدي... منذ أن كنت في الثامنة وابنك ينام فوقي ويضاجعني) نظر الحاخام إلى ابنه وصرخ عليه قائلاً: (أيها الفاسق. أيها الزنديق..) ولم ينظر إلى حفيدته ولم يقل لها أية كلمة... التفت العم إلى ابنة أخيه وانهال عليها بالضرب والركل أمام جدها... ولم يعارضه أحد ولم يفعل الحاخام شيئاً حتى يتوقف الابن عن ضرب ابنة أخيه.

أدركت الفتاة أن جدها وجدتها وعمتها لن يفعلوا شيئاً من أجلها، لذلك قررت أن تصمت وأن لا تقول أية كلمة لأحد، ولكن عمها لم يصمت، فقد عاد إلى اغتصابها. حتى بعد أن تزوج، إذ أنه كان يغتصبها مرة أو مرتين في الأسبوع .

أدركت الفتاة أن أمورها لن تكون على ما يرام طالما بقيت في بيت جدها لذلك قررت الهرب وانتقلت إلى بيت آخر... وهناك زارها رجال الحاخام وحاولوا اختطافها وإعادتها إلى منزل الحاخام حتى لا تقابل أحدًا ولا تتحدث لأحد عما فعله ابن الحاخام. بعد محاولة الاختطاف توجهت الفتاة إلى مركز الشرطة في القدس، قضت الليل بكامله و هي تحاول أن تدخل إلى مركز الشرطة لكنها تتراجع في اللحظة الآخرة، فقد كانت تعلم أن لجدها الحاخام معارف كثيرة يستطيع من خلالهم أن يبرئ ساحة ابنه وأن يدينها وهي الضحية...

جاءت عمتها إليها وأقنعتها بأن لا تقدم شكوى للشرطة ضد عمها، وأن تترك حل القضية لحاخامات الطائفة... و لكن بعد عدة شهور اكتشفت الفتاة أنها ليست الوحيدة التي تعاني من ممارسات عمها، فقد لاحظت في أحد الأيام أن أختها الأصغر تمر بحالة نفسية كتلك التي كانت تمر بها كل ما اغتصبها عمها... سألت أختها عما بها فعلمت أن عمها اغتصبها أيضاً.

لم تستطع أن تصمت أكثر من ذلك بعد أن اكتشفت أن عمها يفعل مع أخواتها ما كان يفعله معها.. انطلقت إلى جدها الحاخام و قالت له منذرة إياه بشكل قاطع: "إما أن تبعد عمي عن أخواتي و أن ترسله للمعالجة النفسية و إما أن أشتكي للشرطة" و لما لم يفعل الحاخام شيئاً توجهت للشرطة و أخبرتهم بكل ما جرى لها. فتحت الشرطة تحقيقاً بالأمر، وتدخل رجال الحاخام و معارفه حتى لا يتم القبض على ابن الحاخام، لكن الشرطة اعتقلت ابن الحاخام عندما حاول الهرب إلى نيويورك، عاداها أبناء الطائفة في بني أراك وأظهروا لها كل كراهية ممكنة لأنها قدمت شكوى للشرطة العلمانية ولم تقدمها لمحكمة الطائفة... فالحاخامات الكبار يمنعون تقديم أي شكوى للشرطة أو للمحكمة المدنية للنظر في أي قضية مهما كان نوعها لأن الشرطة والمحاكم في نظر هؤلاء تدار من قبل الكفار و لا يجوز لليهودي أن يتعامل معها فاليهودي يجب أن يتعامل فقط مع الحاخامات .. وتقول الفتاة: (لقد قاطعني الجميع في بني براك، ودائماً يقولون لي إن أحداً لن يتزوج منك لأنك اشتكيت للشرطة. ولن يسمحوا لأحد بأن يرتبط معي... قبل يوم واحد من بدء المحاكمة اتصل أحدهم وقال لي إنني إذا تراجعتُ عن اتهاماتي فسوف يعيدونني للطائفة وسيزوجونني أيضاً.

بدأت المحاكمة، وغصت القاعة بالرجال الذين أرسلهم الحاخام، وبالحاخامات الذين جاؤوا للتحدث عن محاسن وفضائل ابن الحاخام قالت الفتاة للمحكمة ـ وهي الآن في العشرين من عمرها ـ: (عندما كنت في الثامنة بدأ عمي باغتصابي، وبقي كذلك حتى بلغت الثامنة عشرة... لا أذكر عدد المرات التي اغتصبت فيها.. كان يقول لي أن هذا ليس اغتصابا. أنه أمر مشروع، بل من الواجب على العم أن يفعل ذلك مع ابنة أخيه. وسأجلب لك فتوى من والدي الحاخام حتى تتأكدي).

عندما رأى الحاخام أن الأمور قد انكشفت وأن الفضيحة أصبحت على الملأ. طلب من أحد المحامين الذين عملوا معه لسنوات طويلة وفي قضايا عديدة أن يعمل على إقناع الفتاة حتى تتراجع عن الشكوى .

جلس المحامي مع الفتاة. وسمع القصة منها وتبين له أنها تقول الصدق، فعاد إلى الحاخام ليعتذر له عن متابعة مهمته. فما كان من الحاخام إلا أن وجه رجاله لنشر الشائعات عن المحامي والفتاة. بأنه داعبها في مكتبه ولمس أماكن حساسة من جسدها.

كلف الحاخام محامياً آخر عن ابنه. من حاشيته وبطانته. ولدى ظهوره أمام المحكمة قال للقضاة إن الفتاة أغرت عمها وسلبته عقله حتى يمارس الجنس معها عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها. أما قبل أن تبلغ هذه السن فلم يحدث أي شيء غير مألوف بينهما، لكن عمها ـ عندما أغوته ـ لم يمارس الجنس معها وإنما لمس فقط الجزء العلوي من جسدها. لكن الفتاة قالت للقضاة إن عمها كان يقبلها من شفتيها ويمسك صدرها ثم يخلع ملابسها ويمارس الجنس معها رغماً عنها.. وقد تم فحص الفتاة بآلة كشف الكذب وتبين أنها تقول الحقيقة.

وفي الثاني والعشرين من آذار (مارس) 1998 حكمت المحكمة على ابن الحاخام بالسجن الفعلي لمدة خمس وثلاثين سنة بعد أن أدانته بالاغتصاب والأعمال الشائنة وممارسة اللواط مع ابنة أخيه على مدى أكثر من ثماني سنوات، وبعد فهذه بعض الصور من مجتمع تزعم وسائل أعلامه بأنه المجتمع الأكثر تطوراً في شرقنا والذي لا تكف تلك الأجهزة نفسها، عن وصف باقي المجتمع الشرقي بالتخلف، لكم أن تتصوروا!!.

أما تجارة البغاء والجنس فلها قصة طويلة في التجمعات اليهودية التي يقودها الحاخامات رأس المؤسسة الدينية اليهودية. فرغم الوجود الهائل

للشاذات جنسياً فإن جماعاتهن تشكل عصابات يتزعمها شباب مجرمون ويعتبرون بذلك قوّادين يأخذون المال نتيجة افتراض حمايتهم للمومسات ويروي الكاتب جاك دروجي عن أحدهم يدعى مائير كوهين (قد أصبح بعد مرور سنتين على رأس اثنتي عشرة مومساً كن يلتقطن الزبائن على الرصيف ويدخلن بهن إلى المرقص التي كان كوهين قد أصبح سيدها في وقت قياسي).

وكنتيجة لإيمان الصهيوني بأن الغاية تبرر الواسطة فإن فتيات الصابرا (الجيل الذي ولد في فلسطين) لا تكترث لممارسة الجنس طالما أنها ترفه عن جندي أو طالما أنها تتقاضى أجراً لبيع جسدها وهذا الأجر تعود به إلى المؤسسات الصهيونية التي تحميها السلطة يقول ديروجي (ففيما يخص الصابرا كيف كان يمكن اكتشاف قدرة أجدادهم وآبائهم العظيمة في تحويل ما ليس ثابتاً في الحاضر إلى ثوابت في المستقبل).

وإذا كان ثمة عدد غير قليل من المومسات والأشرار في ألمانيا الاتحادية وفي غيرها يتكلمون اليوم بصراحة اللغة العبرية ولا يمكننا إن نرى كيف يمكن (لإسرائيل) إن تبقى بعيدة عن الآفات التي ينقلونها ويقعون هم ضحيتها في الوقت نفسه.

وبالطبع فإن المومسات الصهيونيات لا يقتصر وجودهن في الكيان الصهيوني إنما تفسح لهم السلطة للتصدير إلى دول أوربا الغربية وذلك لجلب الأموال اللازمة لتطوير عسكرية الكيان. إن التربية النفسية الصهيونية التي تفتخر بجيل الصابرا ينبع اعتزازها من كون هذا الجيل محارباً يكره العرب ويحقد عليهم ومن ثم لا داعي للقلق على شذوذ الفتيات والشبان طالما أنهم في المحصلة يخدمون الأطماع الصهيونية في التوسع.

وتبدو هذه الظاهرة مهمة بل غاية في الأهمية في الكيان الصهيوني حيث لم تعد الحجج الصهيونية لدى السلطة كافية لتبرير الشذوذ الجنسي. فالأعداد

الهائلة من المومسات ثم الآثار الناجمة عن مثل هذه الظاهرة أخذت الإسرائيليات باستثناء النخبة منهن في لقاء زبائنهن في باحات البنايات وفي البيوت الخربة وعلى أرصفة شارع اللنبي وهايار كوهين تحت مراقبة جيش القوادين وحين يصنف ديروجي المومسات إلى نخبة وغير نخبة فإنه بذلك يكشف عن شخصية بعضهن التي تنتمي إلى الأسر الراقية في المجتمع ويرى أيضا أن الزبائن ينتمون إلى مختلف الطبقات الاجتماعية بما في ذلك النخبة الاجتماعية.

ولا داعي للشك إن هذه النخبة في كلا الجنسين هي من أعلى الطبقات الاجتماعية في الكيان إن في السلطة وكبار الموظفين وإنْ في مؤسسات الدولة.

ولا يخفى على المرء أن هذه الأعداد الهائلة من الشاذات جنسياً لا يمكن ان تستقر في أعمالها دون حماية من السلطة وقد انتشرت دور البغاء في (تل أبيب) بشكل كبير حيث أن حي الفنادق الكبرى في شارع هايار كوهين وفي تل أبيب وحي تل باروخ في الضاحية الغربية وطريق هرتزليا حيث يوجد الكابري كلوب. وكل الطرق الرئيسية في (إسرائيل) تعتبر ميدان عمل الفتيات وحمايتهن).

ولعل تنمية هذه الروح الشاذة لا يمكن ان تأتي من اللاشيء فالتربية العنصرية التي تحاول دوماً خلق جيل متوتر مندفع إلى القتل والحرب تخلق ردة فعل كهذه لما أوردناه سابقاً. إن جيل الصابرا الذي شهد ويشهد الحروب ضد العرب وما يخسره الصهاينة من شباب جعل التجمع الصهيوني في حل من الثقة بـ (إسرائيل) كدولة تحمي الأفراد أو كجنة ليهود الشتات كما يتخيلون لقد كان للصدمات التي تلقاها ذلك الجيل ومقارنتها بالتعاليم التربوية أثر بالغ في الإلتفات نحو الخروج والهجرة المعاكسة أو إلى الانحراف والشذوذ طالما أنه ليس أمل في البقاء إلا في حالة توتر هستيرية ولهذه الأسباب تجد الفتيات

الصهيونيات ملاذاً لهن في البغاء والشذوذ ولعل ذلك كما أوردتُ عائدٌ إلى تلقي تربية فلسفية غربية بكل أحكامها وقيمها.

لقد أصبحت الحالة النفسية لهؤلاء الفتيات أشبه بحالة اغتراب وجودي. فلا معنى للبقاء في ظل نظام منحرف، ولا معنى للحياة نفسها وفق نظرية خيالية خادعة وكاذبة ولا أجدى من التمتع باللذة الجسدية طالما إن اللذة الروحية مفقودة في مجتمع متعطش للدماء ويعيش دوماً حالة من الاستعداد للانقضاض باتجاه الجريمة والدم ولهذا السبب (فإن فتيات ما كادت تخرج من سن الطفولة حتى تبيع جسدها إلى جنود الأمم المتحدة الموجودين في المنطقة مقابل قميص ويظهر إن المؤسسة العسكرية الصهيونية وجدت في انتشار البغاء فرصة لجلب أموال هائلة من العملة الصعبة نتيجة الرشاوى والضرائب ولذلك عمدت إلى تشجيع الموسات للذهاب إلى أوربا ولا سيما ألمانيا الاتحادية فالمارك الألماني والدولار الأمريكي يعودان إلى صندوق الدولة.

وقد انتشرت دور البغاء في فرانكفورت بشكل مريع وشكلت الموسات (الإسرائيليات) نسبة عالية جداً في سوق البغاء يقول ديروجي: (وراء محطة القطار الرئيسية تتوالى بارات الأفلام الإباحية والعلب التي تقدم مشاهد من الحياة تحت أضواء النيون وصراخ المناوبين على البلاط المبلل تجد أيضا فتاة واحدة من كل ثلاث أو أربع فتيات تحمل حول عنقها نجمة داوود وتتحدث العبرية وتبعث رسائل إلى أهلها في (تل أبيب) أو حيفا لتقص عليهم حسنات الازدهار الألماني من البارات إلى محلات الجنس إلى تهريب الهيرويين .

وقد برر المسؤولون الصهاينة وجود هذه الظاهرة بهذه الحدية حينما يقولون (مع إعلان دولة إسرائيل وتدفق مئات ألوف أخرى تفجر الإطار الخلقي الذي كان يحمي الجماعة اليهودية المنتشرة في العالم).

وبالطبع فإن هذا التبرير يصدق على 10 ٪ أما النسبة 90 ٪ من الأسباب تكمن في أن التربية اختلفت لقد تربى اليهود في البلاد الأصلية تربية تختلف عما في (إسرائيل). لقد شحن المربون اليهود أجيالهم الجديدة على حب الذات والأنانية وحب القتل وسفك الدم، ومن ثم جاءت ردات الفعل شذوذاً خلقياً وفكرياً تعصبياً.

وتساهم التربية الصهيونية في خلق الشذوذ والانحراف عن طريق التمييز العنصري في التعليم بمعنى أن اليهود الشرقيين يشكلون أكثر من نصف سكان التجمع الصهيوني وهم لا يتلقون تعليما كغيرهم. وهذا عائد إلى مبدأ اللامساواة في الكيان (في 1976 كان بين المهاجرين الذين يبلغون سن الرابعة عشرة والمولودين في أفريقيا وآسيا نسبة 20.8٪ من الأفراد الذين لم يعرفوا المدرسة في حياتهم.

وقد يرى بعضهم أن التخلف عند السفارديم هو بسبب منشئهم الشرقي (والحقيقية أنه لم يعد بالإمكان توجيه الاتهام بالتقصير والفشل المدرسي إلى بلدان المنشأ هذا علاوة على أن آباء هؤلاء الشرقيين قد أقاموا في (إسرائيل) منذ عشرين أو ثلاثين سنة).

إن فرص التعليم القليلة لدى الشرقيين جعل معظم شبابهم وشابّاتهم يعيشون في فراغ عملي ومن ثم فراغ نفسي يؤدي بالتالي أما إلى التطوع في الجيش كأفراد وليس كضباط يزاولون الحرب والقتل أو ينجرفون وراء الأعمال الشاذة لرفع مستوى حياتهم الاقتصادية وعلى الرغم من ذلك فإنهم يتعرضون لانحراف مسلكي يذوب أمامه العامل الاقتصادي بحيث يصبح الانحراف عادة مكتسبة تترسخ في نفوسهم وقد صنف عالم الجريمة شالوم شوهان نوعية المومسات في الكيان الصهيوني، فهو يوزعهن على النحو التالي 54٪ من المومسات في منطقة تل أبيب هن من أصل شرقي بينهن 42٪ من المغرب وسائر بلدان إفريقيا

الشمالية و8 ـ 11٪ من تركيا والبلقان و 19٪ ولدن في (إسرائيل) و 14.7 هنّ من أصل أوربي.

وقد برزت شخصيات صهيونية على مستوى الجريمة العالمية لاسيما جريمة ممارسة البغاء وهؤلاء الذين برزوا في أغلبيتهم من السفارديم وهذه اللامساواة تكمن في عالم التربية والتعليم وعالم الاقتصاد والحياة الاجتماعية والسياسة من بين هؤلاء (إيلي بوكلن) ففي شهر آب 1964 وجدت عشيقته التي تبلغ من العمر السادسة عشرة والنصف ميتة في أرض مهملة في عكا وهي عارية تماما. كانت تدعى (شوشانا فليجين) وفي شهر نيسان 1973 استُجوب بوكلن بالنسبة للتهديد بالموت ضد (ابزودور فريدمان) في قضية تتعلق بالمومسات. وحينما تستكمل دائرة اللامساواة في مسألة التربية فإن الجنوح بمختلف مناحيه يصبح طريقاً إلى مزيد من الحقد اللامبرر ضد العرب (في مثل هذا الوضع الاجتماعي المتردي ومع تزايد الإحساس بالإحباط والخيبة واليأس لدى الطبقات الموعزة يصبح اللجوء إلى العنف هو الرد المتوقع بين أوساط الشبيبة) وهنا لابد من الالتفات إلى دور المؤسسة العسكرية الحاكمة في تفشي مثل هذه الظواهر صحيح أن التربية وأصولها لم تمارس على التجمع الصهيوني إلا بشكل يؤدي إلى العنف الموجة ضد العرب فما بالنا حين نجد السلطة نفسها متورطة في خلق شذوذ من هذا النوع؟.

إن المؤسسة الاستيطانية في الكيان الصهيوني لم تكن غافلة عن هذه الأمور لكنها من جانب أخر لا تجد مفرا من السكوت على ذلك طالما أن كثيرا من شخصيات السلطة ينخرطون في أعمال الشذوذ هذه.

ويركز الكاتب (يهوشع سويدل) على أثر التربية اليهودية في عقيدة الفرد إذ أنها تشجعه بعد أن تشحنه بمشاعر العداء التي غالبا ما يكون التعبير عنها بالعنف بقول (إن في إسرائيل من يحبذ مواصلة الحرب ويريد استمرارها) ويمكن

الاستشهاد على ذلك بما جاء في صحيفة للطلبة أصدرتها جماعة الليكود في جامعة حيفا (ينبغي الاستمرار في ضرب العرب دون رحمة). وفي سؤال وجهته صحيفة هاتسوفية للأستاذ (يونا كوهين) عن الجريمة في (إسرائيل) قال (لقد أصبح العنف جزءاً من مكونات حياتهم وأسلوب معيشتهم، وقد أشارت صحيفة معاريف إلى هذا الجانب المعقد في النفس الإسرائيلية بقولها: (إن مجتمعا يؤمن بأن الحق للقوة من شأن العنف فيه أن يبدو في نظر الشباب أفضل رد على جميع المشكلات) وعلى هذا الأساس فإن أكثر المدققين والدارسين للتجمع الصهيوني يدركون أن الشذوذ بشتّى مناحيه أصبح من الطبيعة النفسية والاجتماعية في الكيان الصهيوني. فعن البغاء يقول جاك ديروجي (إن البغاء يعتبر الآن جزءا من الطبيعة الإسرائيلية).

وحين تحاول السلطة الصهيونية دراسة هذه الظواهر فلا تجد بداً من التغطية على أمور كثيرة منها ما يتعلق بتورط مسؤولين كثيرين في ذلك ومنها ما يتعلق باتساعها على مساحات واسعة في بؤر الحياة الاجتماعية في الكيان. وأخيراً لابدّ من الاستجابة لقبول هذه الظاهرة والموافقة على وجودها وانتشارها وذلك ضمن شروط تستفيد منها حالياً.

ولهذا السبب أنشأت وزارة العدل لجنة تحقيق برئاسة السيدة (هواساسين ايتو) وتوصلت اللجنة إلى توصيتين أحداهما:

السماح بممارسة المهنة في شقق أو غرف في الفنادق.

ولو حاول المرء التفتيش في نصوص التشريعات الصهيونية حول مسألة البغاء لتعثر والسبب كون التربية الصهيونية تتخبط في مسألة اللامساواة بين شرقي وغربي من اليهود ثم تورط المسؤولين في ذلك. ثم تغاضي الدولة عن هذه الأعمال كونها تدر أموالا للدخل الإسرائيلي .

إنه لا يوجد نص في التشريع الإسرائيلي يمنع ممارسة أقدم مهنة في العالم ولكن إذا أرادت مومس إن تستقبل عندها زبوناً في الخفاء أو في غرفتها في الفندق تحكم بعقوبة السجن مدة خمس سنوات وعلى العكس من ذلك إذا اصطادت زبوناً علناً في صالة الفندق أو الشارع فهي لا تتعرض سوى للحكم عليها بالسجن ستة أشهر أو بالغرامة المالية الفادحة. وهذا يعني أن السلطة الصهيونية لا تسمح للمومس أن تكسب أجرها وحدها بل تريد أن تفعل ذلك أمام الناس حتى تشارك في الأجر من جراء بيع جسدها.

إن قلب المفاهيم والقيم يصبح عادة متبعة في التجمع الصهيوني. والبغاء الذي يشكل أخطر ظاهرة في المجتمع أي مجتمع يشكل في الكيان الصهيوني ظاهرة من مظاهر النشاط الاقتصادي الذي يدرّ أرباحا طائلة على الخزينة .

لقد ساهم بعض مسؤولي السلطة في حل هذه الظاهرة عن طريق تشجيعها حيث اقترح رئيس بلدية تل أبيب (شلومولاهات) إنشاء مركز للذة في يافا ولهذا السبب ورغم التخبط في وضع الحلول اللازمة والمناسبة لسياسة التربية الصهيونية نجد المومسات الإسرائيليات تتابعن عملهن من إيلات جنوبا إلى كريات شمونة شمالا وبسبب اتساع ظاهرة البغاء فإن الكثير من الإسرائيليين الشباب الذين علمتهم التربية الإسرائيلية الشذوذ والعنف يقومون بأعمال قد لا تحدث في أية منطقة من العالم سوى أمريكا. وقد وجدت الأدلة على أن عمليات الاغتصاب العلنية لا تقل عددا عن عمليات البغاء أو تهريب الهيروين. ولهذا السبب فقد لجأ الكثيرون من السياح إلى عدم الذهاب لفلسطين المحتلة رغم أن فلسطين بشواطئها وجبالها الساحلية من أجمل مناطق الاصطياف في العالم وعلى ذلك يعلق ديروجي (شواطئ في ناتانيا لا تحصي عمليات الاغتصاب للسائحات لا سيما السكندنافيات منهن).

نعود إلى المسألة برمتها فنرى إن المُثل التي حاول زعماء الصهاينة أن يصنعوا منها فلسفة لتسيير الأفراد في أفكارهم ونفوسهم انقلبت تماماً بعد أن كشف زيفها وخداعها ولم يعد خافياً على أي صهيوني أن هذا التجمع الشاذ في المنطقة ذاهب إلى الزوال لأنه لا يملك أية مقومات لوجوده.

إن الرأي العام (الإسرائيلي) كفَّ منذ زمن عن اعتناق أوهام تتعلق بعصمة زعمائه الخلقية وقد أدرك كثيرون من الصهاينة أن التجمع الصهيوني تجمعٌ آيل للزوال طالما أن الجريمة والبغاء والمخدرات أصبحت من الظواهر التي لا يمكن القضاء عليها في الكيان. وقد توصل بعضهم إلى القول إن الإسرائيلي اللطيف وكذلك إسرائيلي القرن العشرين... الشريف والإنسان اليهودي الجديد والرائد. كل ذلك أصبح في طريق الانقراض إذاً أين هي التربية الصهيونية؟ إنها موجودة فقط لخلق طلاب يؤمنون بالعنف والقتل والحقد ويؤمنون أيضاً بالبغاء والجنس والمخدرات كوسائل ناجحة لخلق ذواتهم.

ويرى الدكتور جرجي كنعان أن التعليم في إسرائيل هو مجرد تعبئة روحية لإعداد الجنود ليوم الحرب يتضمن النهج التاريخي وتاريخ الحركة الصهيونية وتمجيد الجيش اليهودي ودراسة التوراة وكل ما من شأنه أن ينمي في نفوس الناشئة الروح العسكرية وإذا كان الصهاينة في فلسطين المحتلة يؤهلون الأشكناز ليكونوا ضباطا ومسؤولين فإنهم يقذفون السفارديم الشرقيين في الشارع لتحول رجالهم إلى مجرمين وتجار مخدرات ولتتحول فتياتهم إلى مومسات في (إسرائيل) وخارجها.

8 ـ التشريع اليهودي والأطفال غير الشرعيين

في التشريع اليهودي آراء وقوانين حول ما يسمى الأبناء غير الشرعيين أي الذين ولدوا بطريق الزنا. وفي هذا التشريع إعتبارات أخرى في تصنيف ابن

الزنا ففي الشريعة التوراتية إذا طلق رجل زوجته وتزوجت من غـيره ثـم مـات الزوج الثاني وعادت المرأة إلى زوجها الأول فإن أولادهما الجـدد هـم أولاد غـير شرعيين لأنه لا يجوز أن يتزوج الـزوج المـرأة الـتي طلقـها وتزوجـت غـيره ثـم عادت إليه ويعلق السموأل بن يحي المغربي على هذه المسألة فيقول[1]:

(وهذه كلمة جمع واحدة ممزير وهـو اسم لولـد الزنـا لأن في شـرعهم أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره كـان أولادهـا معدوديـن مـن أولاد الزنا فلما كان النسخ مما لا ينطبع فهمه في عقولهم ذهبوا إلى أن هذا الحكـم في النكاح من موضوعـات عبـد الله بـن سـلام قصـد بـه أن يجعـل أولاد المسـلمين (ممزريم) بزعمهم ثم أكثر العجب منهم أنـهم جعلـوا النـبي داود عليـه السـلام ممزير من وجهين وجعلوا منتظرهم (المسيح) ممزير مـن وجـهين وذلـك أنـهم لا يشكون في أن داود بن بيشاي بن عابد (عوبيد) وأبو هذا عابد يقال له يوعز من سبط يهودا وأمه يقال روث الموآبيـة مـن بـني مـوآب منسـوب عندهـم في نـص التوراة في هذه القصة وهي أنه لما أهلك الله قوم لوط لفسادها ونجا بابنتيـه فقـط قالت ابنتاه أن الأرض خلت ممن يستبقين منه نسلاً فقالت الكبرى للصغرى أن أبانا لشيخ وإنسانٌ لم يبق في الأرض ليأتينا كسبيل البشر فهلمي بنا نسقي أبانا خمراً ونضاجعه لنستبقي من أبينا نسلاً ففعلتا ذلك برغم. وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر ولم يعرف ابنتيه ثم وطئهما (أي مـارس الزنـا معـهما) فأحبلهما وهو لا يعرفهما فولدت أحدهما ولداً سمته موآب تعني أنـه مـن الأب والثانية سمت ولدها ابن عمي وتعني أنه مـن الأب أيضـاً وذانـك الولـدان عنـد اليهود من المزريم ضررة لأنهما من الأب وابنتيه.

أنكروا ذلك لأن التوراة لم تكن منزلة لزمهم ذلك لأن عندهم أن إبراهيـم الخليل عليه السلام لما خاف ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسـبب زوجتـه

(1) السموأل بن يحي المغربي غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود مخطوط ص61.

أخفى نكاحها وقال هي أختي علماً منه بأنه إذا قال ذلك لم يبق للظنون إليها سبيل وهذا دليل على حظر نكاح الأخت كان ذلك الزمان مشروعاً فما ظنك بنكاح البنت الذي لم يجز ولا في زمن آدم عليه السلام وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي في التوراة والموجودة بأيدي اليهود فلن يقدروا على فحواها فيلزمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط (ممزريم) إذ توليدهما على خلاف المشروع. وإذا كانت روث من ولد موآب وهي جدة داود عليه السلام وجدة مسيحهم المنتظر قد جعلوها جميعاً من نسل الأصل الذي يطعنون فيه.

وقد أوردت التورات أن أحد قادة اليهود القدامى كان ابن زنا ولكنه قادهم في حربهم مع بني عمون.

تقول التوراة (وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة زانية. وجلعاد ولد يفتاح ثم ولدت امرأة جلعاد له بنين فلما كبر بنو المرأة طردوا يفتاح وقالوا له لا ترث في بيت أبينا لأنك ابن امرأة أخرى. فهرب يفتاح من وجه أخوته وأقام في أرض طوب. فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه. وكان بعد أيام أن بني عمون حاربوا إسرائيل. ولما حارب بني عمون إسرائيلُ ذهب شيوخ جلعاد ليأتوا بيفتاح من أرض طوب. فقالوا ليفتاح تعال وكن لنا قائداً فنحارب بني عمون.

فقال يفتاح لشيوخ جلعاد أما بغضتموني أنتم وطردتموني من بيت أبي فلم أتيتم إليّ الآن إذ تضايقتم فقال شيوخ جلعاد ليفتاح لذلك قد رجعنا الآن إليك لتذهب معنا ونحارب بني عمون وتكون لنا رأسا لكل سكان جلعاد. فقال يفتاح لشيوخ جلعاد إذا أرجعتموني لمحاربة بني عمون ودفعهم الرب أمامي فأنا أكون لكم رأسا. فقال شيوخ جلعاد ليفتاح الرب يكون سامعاً بيننا إن كنا لا نفعل هكذا حسب كلامك. فذهب يفتاح مع شيوخ جلعاد وجعله الشعب رئيساً عليهم وقائدا فتكلم يفتاح بجميع كلامه أمام الرب في المصفاة) قضاة 11 : 1ـ 11

من هنا نلاحظ أن اليهود وفي سبيل مصالحهم يخترقون التشريع اليهودي التوراتي. علماً أن هذا التشريع يصرح في أمكنة عديدة من التوراة والتلمود أن نسل ابن الزنا يظل نجساً حتى الجيل العاشر لا يتزوج امرأة طاهرة ولا أحد يقترب منه ليتزوج من بناته إلى الجيل العاشر أيضاً. تقول التوراة (لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب) 23 : 2.

وقد ذكرت التوراة سابقاً أن يهودا زنى بزوجة ابنه المتوفى وأنجب منها ولدين ولم تشر التوراة إلى أية عقوبة تنفذ بحقها وكذلك لم تشر التوراة إلى مصير الطفلين اللذين ولدتهما ثامار سفاحا من حميها .وطالما أن الغاية تبرر الوسيلة في عقيدة الكهنة والأحبار اليهود فقد أوجدوا كثيراً من الحلول التشريعية لمشكلة أطفال الزنا. وقد ساهموا بشكل كبير في مساعدة المؤسسة الحكومية الصهيونية في رعاية أبناء الزنا وإدخالهم الجيش ليكونوا من أشرس المقاتلين ضد العرب.

وتخفي المؤسسات الصهيونية الأرقام المذهلة لأبناء الزنا والأطفال غير الشرعيين الذين يأتون سفاحاً كل يوم وكل شهر وكل عام.

9 ــ تشريعات يهودية جانبية

من التشريعات اليهودية تشريع الميراث. فالبنت ليس لها من ميراث أبيها أي شيء والذي يرث هو ابن المتوفى الأكبر. وإذا تعدد الذكور فللبكر حظ أثنين من أخوته ولا فرق بين المولود بنكاح صحيح من الأولاد في المواريث ولا يحرم البكر من نصيبه المميز حتى ولو كان من نكاح غير شرعي أما بالنسبة للأنثى فمن لم تبلغ منتهى الثانية عشرة فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذا السن تماماً وليس لها شيء من الميراث بعد ذلك. بينما أقر القرآن الكريم بالنسبة لميراث المرأة أموراً مخالفة للتوراة فقد أنصف المرأة في ذلك. يقول تعالى:

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البقرة الآية 228. ويقول تعالى: (وللرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل أو كثر نصيباً مفروضاً) النساء الآية 7 ومن التشريعات والطقوس عند اليهود الختان. وحسب ما ورد في التوراة أن إبراهيم عليه السلام أمره الله أن يختتن ويختن أبناءه. فختن إسماعيل وهو ابن ثلاثة عشر عاماً وختن جميع أولاده وعبيده ومعاونيه. وقد سار اليهود على هذه العادة. ولكنها لا تنحصر فيهم فالمسلمون يختتنون وقد ورد في دراسة عن المومياء المصرية انهم كانوا يختتنون. وما تزال عادة ختان النساء في مصر موجودة بكثرة.

والختان حسب نص التوراة هو علاقة عهد الدم مع الله حيث اعتبر قطع جزء من لحم الإنسان بمثابة قربان أو رمز يقدم للرب. وفي المعاملات أقرّت التوراة الرهان فتقول: (إذا أقرضت صاحبك قرضاً ما فلا تدخل بيته لكي ترتهن رهناً منه. في الخارج تقف والرجل الذي تقرضه ويخرج إليك الرهن إلى الخارج. وإن كان رجلاً فقيراً فلا تنم في رهنه رد إليه الرهن عند غروب الشمس لكي ينام في ثوبه ويباركك فيكون لك بر لدى الرب إلهك) تثنيه 124: 10 ـ 13.

ولكن كهنة اليهودية حرفوا هذا الكلام بحيث فسروه تفسيراً يتلاءم مع عنصريتهم فيطبقون ذلك على اليهودي الذي لا شكوك في يهوديته ولا يطبقونه مثلاً على يهود الفلاشا. واليهود العرب من اليمن والعراق. إنما هو محصور في يهوديتهم الغربية.

الفصل السابع

اليهود من الخارج

اليهودية وموقفها من غير اليهود



الموقف اليهودي من الخارج هو موقف من غير اليهود إن كانوا مسيحيين أو مسلمين أو كانوا من أي صنف بشري أو من أي أتباع عقيدة أخرى.

لقد حكمت قوانين عدة اليهود من الداخل وحددت علاقاتهم ببعضهم في شتى المعاملات الشرعية والخلقية والسلوكية والمالية وغيرها، وكذلك سنت الشريعة اليهودية قوانين تعلم اليهودي كيف يتعامل مع غيره

ولما كانت اليهودية عقيدة انغلقت ولم تحتمل دخول أحد إليها تقوقعت على ذاتها وفرض الكهنة على أتباعها أحكاما صارمة في التعامل مع الآخرين من البشر. ويبدو أن هذا الانغلاق جعل اليهودي ينظر إلى نفسه وإلى العالم الخارجي نظرات غير إنسانية وغير عالمية. وانعكس ذلك على مجمل العلاقات بين اليهودي والآخرين. ويبدو أن ردة الفعل الإنغلاقية حرفت عقله ونفسه وسلوكه باتجاه عنصري واضح.

وإذا كانت الأحكام التي تحمل في ذاتها إيجابيات إنسانية كوصايا النبي موسى عليه السلام وهي لا تقتل لا تسرق لا تزن. إلى آخر الوصايا العشر فإن أحبار اليهود وكهنتهم لم يرق لهم ذلك ففسروا المسائل جميعا تفسيرات مخالفة لمنطق الإنسان. فقالوا لا تقتل إنما تعني اليهودي ولا يندرج غير اليهودي تحت هذه الوصية وكذلك السرقة والزنى وجميع ما جاءت به التوراة.

وسلوك اليهودي أو اتباع اليهودية مع الآخرين هو سلوك إنحرافي متكامل. فلا يمكن أن تجد سلوكاً محموداً وسلوكاً مكروهاً. وهذا السلوك رصده

القرآن الكريم رصدا كاملا. فلم يترك شاردة أو واردة تتعلق بنفسية اليهودي وسلوكه إلا أوردها ليفضح جرائمهم وتركيبتهم النفسية السيئة.

والعجيب أن عدداً كبيراً من أنبيائهم إن لم نقل كلهم قد انتقدوهم انتقاداً لاذعاً في جميع سلوكياتهم وخاصة بعد السبي البابلي حيث برزت فضائح متكاملة ومتسلسلة على لسان هؤلاء الأنبياء تتناول الشخصية اليهودية وما آلت إليه من فساد وصل حتى النخاع.

فإضافة لانحرافهم عن عقيدة التوحيد فقد سنوا قوانين لقتل الآخرين. لم يحرموا أي قتل مهما كان اتجاهه ومهما كانت صفة الآخر الذي يريدون قتله. رجلا كان أو امرأة شيخا كان أو طفلا. وقد حرموا الربا بينهم ولكنهم أحلوه مع غير اليهود. حُرم عليهم الزنى. ولكن حللوه مع غير اليهوديات واعتبروه واجبا. حرموا السرقة بينهم ولكن حللوها مع الآخرين حتى بات كل شيء محرم محللا لهم طالما كان التعامل مع غير اليهودي.

وعلى ذلك فإننا سنرى فيما يأتي عشرات القوانين التي سنوها لتعليمهم كيفية التعامل مع كل من هو غير يهودي. بدءا من النظرة اليهودية للمخلوق البشري وانتهاء بالتعامل التجاري والاجتماعي والاستعماري المعاصر.

من هو غير اليهودي

حسب العقيدة التوراتية كل من هو غير يهودي فهو غريب ويطلق على الغرباء غوييم في العبرية.

وترى هذه العقيدة أن:

اليهود شعب الله المختار .

وغير اليهود ليسوا بشراً لأنهم ليسوا مخلوقين من قبل الله وإن خلقوا فلأجل خدمة اليهود. اليهودي مقدس وغير اليهودي نجس وحيوان.

الغرباء غلف غير مطهرين فهم أنجاس.

الغرباء وثنيون فتجب إبادتهم وإن لم تحصل الإبادة فيجب معاملتهم بنظرة دونية. وقد شرح التلمود من هو غير اليهودي فجاء بأحكام في غاية العنصرية والانحراف. جاء في التلمود: (إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أميٌّ إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية).

يقول الحاخام شنيؤورس: «إن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائر (لا وجه للشبه)، إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين شيئين من مستويين مختلفين. ففي حين يجلس اليهودي في المرتبة العليا وينحدر من الصنف الأسمى تقبع بقية الأمم في الدرك الأسفل وتنحدر من أدنى صنف، وهكذا نرى أنه من العبث البحث عن وجه للشبه بينهما. وحسبما جاء في كتاب الجمارا المقدس فإن الجسد اليهودي يختلف كليا عن أجساد بقية الشعوب وذلك من حيث أكلهم وشربهم وطينتهم... وإن كنا نرى ثمة تشابها في الأجساد فما ذلك إلا من المظهر الخارجي فقط. أما داخلياً فالفرق بينهما كبير إلى حد يجعل الجسد اليهودي لا يمت بأية صلة كانت إلى صنف بقية الأجساد لأبناء الأمم الأخرى. وما يصح على الجسم (المادة) يصح أيضا على النفس (الروح) إذ أن أصل أرواح شعوب العالم هو من طبقات النجاسة الثلاث بينما أصل أرواح بني إسرائيل هو من الروح المقدس ذاتها».

ويقول الدكتور أ. تسفوري في مقدمة كتاب الكوزاري الصادر بتوجيه شعبة التربية التابعة للكنيست الصهيوني والحائز على مصادقة وزارة الثقافة والمعارف في الكيان الصهيوني (وقد منحت التوراة لشعب إسرائيل من دون

العالمين جميعا لأنه صفوة الشعوب بأسرها ولأن بلاده خير بلدان الدنيا قاطبة ولأن لغته أشرف لغة ينطق بها بشر. شعب إسرائيل هو صفوة الشعوب كلها ويرجع ذلك إلى تميز عنصره وتفوق تربيته وجودة مناخ البلاد التي نمى فيها وتطور.

ويستند هذا الكلام إلى قول التوراة: (أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي).

وجاء في سفر التثنية :(إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إياك اختار الرب إلهك لتكون لي شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب. بل محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم.) التثنية 7: 6 ـ 8.

ويردالقرآن الكريم على هذا الادعاء وهذه العنصرية بقوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: 13.

وفي التلمود تعاليم عنصرية تفوق الوصف: وقد جاء في سنهدرين 2 وصفحة 58 إنه إذا لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب[1].

وجاء على قول ميدراس تالبيوت: خلقهم الله في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل إلا أن الآكوم[2]. خلقوا لغاية وحيدة هي لخدمتهم ليل نهار وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة. ومن اللائق أن يقوم على خدمة ابن ملك

---

(1) محمد عبد الله الشرقاوي الكنز المرصود في فضائح التلمود ص 200– 201.

(2) الآكوم ـ الغوييم غير اليهود

إسرائيلي حيوانات بأشكال طبيعية فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمه)[1].

ويقول الرابي إيدبليس في تعليقه على كيتوبوت: (ناظم الأناشيد الدينية داود النبي يقارن الآكوم بالبهائم النجسة في الغابات)[2].

ويفسر الرابي سيلومو إيارشي (راشي) المحقق اليهودي الشهير لقانون موسى الخاص بتحريم أكل الحيوانات الجريحة. (بل يجب طرحها للأغراب في طرقاتهم أو وفقا لما جاء في سفر الخروج بأنه يجب طرحها للكلاب (لأنه كالكلب). ترى هل يجب أن نفهم كلمة كلب بحرفيتها. على الإطلاق لأن النص في التعبير عن الجثث الميتة يقول: أو يمكنك أن تبيعه لأجنبي هذا ينطبق أكثر فأكثر على أكل الحيوانات الجريحة فهذا مسموح قبل المقارنة فلمَ إذاً يقول الكتاب المقدس أنه يمكن طرحها للكلاب؟ لكي يعلمك أن الكلب محترم أكثر من (النوخري) غير اليهودي.

وجاء في سنهدرين، على لسان توسينوت: الجماع الجنسي "للغوي" هو كالجماع الجنسي للبهيمة. وإن قيمة منيّ الغوي هو كقيمة مني البهيمة.

وفي قوانين الزواج إذا تزوج يهودي بآكوم أي من مسيحية أو من خادمته فالزواج باطل وبشكل مماثل فإنه إذا أقدم الأكوم أو خادمته على الزواج بيهودية فالزواج باطل أيضاً.

وجاء في تلمود أورشليم ص 94 إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان.

---

(1) محمد عبد الله الشرقاوي الكنز المرصود في فضائح التلمود ص 202.

(2) المصدر السابق ص 202.

وذكر في كتب أخرى أن الكلب أفضل من الأجانب لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أن يعطيهم لحماً بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم[1].

ويقول الرابي مناحم أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله. وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة، وكان هذا رأي الحاخام أريل أيضاً لأنه يعتبر الخارجين عن الدين اليهودي خنازير نجسة تسكن الغابات ويلزم المرأة أن تعيد اغتسالها إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئاً نجساً كالكلب والحمار أو المجنون أو الأميّ أو الجمل أو الخنزير أو الحصان)[2].

ويحفل التلمود بمئات الصفحات التي توضح موقف أحبار اليهود وزعمائهم الدينيين من الأمم الأخرى. فعدا عن كون الغرباء حيوانات حسب التلمود فهم نجسون، أيضاً يجب أن يتطهر اليهودي إذا لامسهم .. أكلهم نجس وكذلك شرابهم وكذلك لباسهم وكل أمتعتهم.

وتبين آيات القرآن الكريم سوء انحرافهم النفسي وادعائهم الخيرية على بني البشر حتى وصل بهم الأمر إلى ربط أفضليتهم بمصير البشر بعد الموت.

يقول تعالى: (ويجعلون لله ما يكرهون، وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) النحل 62.

ويقول تعالى: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) المائدة 18.

---

(1) محمد الشرقاوي الكنز المرصود في فضائح التلمود ص 203.

(2) محمد الشرقاوي الكنز المرصود في فضائح التلمود ص 205.

ويقول تعالى: (قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) آل عمران الآية 75.

وقال تعالى مبيناً عنصريتهم: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) البقرة 111.

فهم حسب آيات القرآن الكريم يظنون أن لهم الحسنى ولغيرهم السوء إن كان في الدنيا أو الآخرة والواقع أنهم مفرطون في هذا الإدعاء لأنهم بشر ولا يميزهم شيء عن غيرهم. بل هم أسوأ بادعائهم هذه العنصرية والتمييز.

ويدعون أنهم أحباء الله وليس لغيرهم شيء من هذه الخاصية فكان جواب الله سبحانه لهم إن كنتم فعلاً أحباء الله فلم يعذبكم بذنوبكم؟.

ووصل بهم الأمر إلى الظن بأنه لن يدخل النعيم سواهم. إن هذه أمنياتهم وليس لديهم أي برهان على ما يدعون.

قوانين الحرب في الشريعة اليهودية

استطاع كتيبة التوراة أن يعكسوا نفسيتهم على تصورات عدوانية شريرة فسنوا قوانين الحرب والتعامل مع الآخرين الذين يحاربونهم. وقد أتت التوراة على تفصيلات حول ذلك، وقد أظهرت كل أصناف الحس العنصري. وحسب إدعاء التوراة بأنهم فتحوا فلسطين بعد معارك دامية قتل فيها الآلاف منهم. فإن قوانين كثيرة سنّوها قد تكون طبقت على أرض الواقع ولكنها هي أكثر من ذلك بحيث تجد فيها تصوّراً متكاملاً لكل أساليب القتل والإبادة الجماعية.

وكما رأينا اليهودي من الداخل كيف تعامل واقعياً مع أخيه اليهودي وكيف كان لديه أسلوبان للقتل أسلوب القتل الفردي وأسلوب القتل الجماعي، فإننا سنَرَى أيضاً تطبيقات لهذا القتل وهذا الإرهاب على المستوى الخارجي.

تقول التوراة: (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعوب فيها يكون للتسخير ويستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها .وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك .هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة قابلتحرمها تحريما الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزبين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم) تثنية 20: 10 ـ 17.

من خلال هذا النص الأساسي الذي جاء في التوراة عن التصور اليهودي لقوانين الحرب نستخلص الأمور التالية:

1ـ إن هذه القوانين يضعها من يعرف نفسه قويا بما يحق له محاصرة المدن والشعوب وبنو إسرائيل لم يكونوا طوال تاريخهم من هذا الصنف.

2 ـ وهذه القوانين ليست سوى أمنيات يتمناها بنو إسرائيل وعلى الرغم من ذلك.فإنها تنم عن حس عنصري غريب وشعور إرهابي شنيع.

3 ـ حسب النص فإن الهدف الأساسي لليهود إما الإبادة للشعوب وإما الاستعباد فلا دعوة إلى التوحيد ولا إلى دين أو عقيدة.

4 ـ المدينة التي تصالح اليهود يستعبد سكانها ويسخرون بشرط أن تكون بعيدة جدا عن تخوم اليهود.

5 ـ المدينة التي تحارب بني إسرائيل يجب أن يباد رجالها. وأما نساؤها

وأطفالها فهم غنيمة أعطاها الرب لهم.

6 ـ أما مدن القبائل العربية من كنعانيين وفرزيين ومن شابههم فيجب أن يبادوا رجالا ونساء وأطفالا.

7 ـ ليس في هذه القوانين ما يخص الأسرى فلا أسرى لدى اليهود لأن الإبادة الجماعية هي الأساس.

وقد جاء في التوراة أن هذا القانون طبقه يشوع. وسفر يشوع يحفل بتطبيق هذا القانون خاصة عندما يبدأ ملحمته بمدينة أريحا حيث يبيد كل الرجال والنساء والأطفال والحيوانات كالبقر والحمير وكل ذي نفس. وكذلك يفعل الشيء نفسه في هجومه الملحمي على بقية المدن الفلسطينية مثل مدينة عاي وقرية أربع وحاصور وجبعة وغيرها من المدن.

تقول التوراة: (وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف) يشوع 6:21.

وتقول التوراة: (وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي...) يشوع 8: 24. وحرب الإبادة كما تدعي التوراة كان (يهوه) قد قررها عندما أعطى أرض كنعان لمختاريه وكلف إسرائيل تنفيذ قراره، فكان دخولهم أرض فلسطين واستيلاؤهم على أجزاء صغيرة منها مصحوبا بمجازر وحشية وأعمال إرهابية.

وتقول التوراة: (وأخذ يشوع مقيدة وحرم ملكها وكل نفس بها لم يُبق شارداً) ثم حارب لبنة وضربها بحد السيف وكل نفس بها لم يُبق شارداً) ثم اجتاز إلى لخيش وضربها بحد السيف وكل نفس بها. ومن عجلون إلى حبرون فحاربوها وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها ولم يُبق شارداً) ثم رجع يشوع إلى دبير وحاربها. وحرموا كل نفس بها لم يبق شارداً) يشوع الإصحاح

10. وهكذا كانت عبارة مثل حرم كـل نفـس ولـم يبـق شـاردا بمثابـة القـرار أو اللازمة في كل نشيد يمجد عملية فتك وإبادة[1]

ومقارنة بأبسط قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية نرى أن القرآن الكريم يستند على القاعدة الأساسية وهي عدم الاعتداء. وذلـك بشـكل مطلـق إن كـان الاعتداء أيام الحرب والقتل أو كان في الحياة اليومية والإجتماعية.

يقول تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقـاتلونكم ولا تعتـدوا إن اللـه لا يحب المعتدين) البقرة 190.

ويقول تعالى: (وإن جنحوا للسلم فأجنح لهـا وتوكـل علـى اللـه إنـه هـو السميع العليم) الأنفال 62. وإذا كانت التوراة قد وصفت حروب يشوع بـالملاحم التي لا شفقة فيها ولا رحمة فإن واقع التاريخ الإسـلامي يشـهد بـأروع معاملـة عاملها المسلمون للشعوب والأمم. وقد كانت وما زالت قاعدة الإسلام تقـوم علـى أساس نشر الدعوة إلى التوحيد وخلق تعاون إنساني يحترم فيه النـاس بعضهـم دون أي تفريق بين جنس وجنس ولون ولون. وقد فتـح المسـلمون الأوائـل مدنـاً وبلاداً كثيرة فما قتلوا طفـلاً أو عجـوزاً أو امـرأة ولا قتلـوا أسـيراً أو ضعيفـاً ولا حيواناً ولا حرقوا مدناً أو قرى. ولا اعتدوا على أحد لأنهم فهموا معنى الجهـاد لنشر الدعوة وليس حباً في القتل والإبادة.

وأيـام السـبي البـابلي عندمـا اسـتطاع اليهـود الوصـول إلى ملـك الفـرس وزوجوه اليهودية إستير أقاموا مذابح جماعية ومجـازر بحـق كـل مـن يبغضهـم حسب قول التوراة. وهؤلاء ليسوا رجال حرب بل هم مواطنون عاديون.

تقول التوراة: (فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتـل وهـلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا وقتل اليهود في شوشن القصـر وأهلكـوا خمـس مائـة

---

(1) جرجي كنعان. سقوط الامبراطورية الإسرائيلية ص 56 .

رجل) استير9:5 ـ 6.

وتقول (فقالت إستير إن حَسُنَ عند الملك فليعط غدا أيضا لليهود الذين في شوشن أن يعملوا كما في هذا اليوم ويصلبوا بني هامان العشرة على الخشبة. فامر الملك ان يعملوا هكذا وأعطي الأمر في شوشن فصلبوا بني هامان العشرة) استير 9: 13 ـ 14.

وتقول التوراة: (وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا) استير 19: 16.

قوانين الإبادة حسب شريعة التلمود

كما رأينا سابقا كيف تعتبر التوراة والديانة اليهودية قتل اليهودي جريمة كبرى وواحدة من ثلاث جرائم شنيعة (الوثنية والزنا) وتؤمر المحاكم الدينية اليهودية والسلطات المدنية بإنزال العقوبة حتى بم يتجاوز الأحكام العادية للعدالة بحق أي شخص اتهم بقتل يهودي.

أما اليهودي الذي يتسبب بقتل يهودي آخر بطريقة غير مباشرة فإنه مذنب فقط بما تطلق عليه الشريعة التلمودية تسمية خطيئة ضد شرائع السماء لذا يقع عقابه على الله لا على الإنسان. ولكن عندما تكون الضحية من غير اليهود يختلف موقف الشريعة تماما. فاليهودي الذي قتل غير اليهودي مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التي لا تعاقب عليها المحكمة. أما التسبب في موت غير اليهودي بطَريقة غير مباشرة فلا تعتبر خطيئة أبدا.

وإذا وقع القاتل غير اليهودي تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه سواء كانت الضحية يهودية أم لا. ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب.

وبما أن مبدأ تحريم قتل غير اليهودي ينطبق فقط على غير اليهود (الذين لسنا في حالة حرب معهم) فقد استخلص العديد من المعلقين الحاخامين

في الماضي النتيجة المنطقية لهم وهي إمكانية قتل جميع غير اليهود المنتمين إلى شعب العدو أو حتى ضرورة قتلهم.

وقد سن الحاخام العسكري أ. أفيدان بعض التشريعات حول قوانين الحرب بقوله: في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب أو خلال مطاردة حامية أو غارة، إذا لم يتوفر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا هناك إمكانية لقتلهم. أو حتى ضرورة للقيام بذلك حسب الهالاكاه.. بالعدو في زمن الحرب بل تحضّ الهالاكاه على قتل حتى المدنيين الطيبين أي الذين يتظاهرون بذلك[1].

وقد جاء في التلمود: مباح قتل غير اليهودي. القتل أمر واجب عند التمكن من إجرائه.

ومن التناقض الصارخ في العقيدة التلمودية بشأن القتل ما نراه في النصوص التالية. فغير مصرح للكاهن أن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصا حتى لو حدث القتل خطأ أو ندم الكاهن بعد ذلك.

ولكن الحاخام شار يقول: «إن الكاهن يمكنه أن يبارك الشعب بتلك اليد إذا كان المقتول غير يهودي حتى ولو حصل القتل بقصد وسبق إصرار وينتج من ذلك أن قتل غير اليهودي لا يعد جريمة بل يعد فعلا يرضي الله». وجاء في كتاب (بوليميك) أن لحم الأميين لحم حمير ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة. أما اليهود فقد تطهروا في طور سيناء والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم ولهذا أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي. ويقول التلمود: (أقتل الصالح من غير اليهود. ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون قد حفظ حياة أحد الوثنيين).

(1) إسرائيل شاحاك. الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص 134-135 .

وجاء أيضا إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر وزاد الحاخام (رش) أنه يلزم عمل الطرق اللازمة لعدم خلاص الوثني المذكور منها.

وقال ميمانود (موسى بن ميمون) الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني فإذا رأيته واقعا في نهر أو مهددا بخطر فيحرم عليك أن تنقذه منه لأن السبعة شعوب الذين كانوا في أرض كنعان المراد قتلهم من اليهود لم يقتلوا عن آخرهم بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض. ولذلك أيضا قال موسى بن ميمون (ميمانود) إنه يلزم قتل الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل هؤلاء السبعة شعوب وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع.

ويرى التلمود أنه إذا قصد اليهودي قتل حيوان فقتل شخصا خطأ أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهوديا فخطيئته مغفورة. ومن العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله[1].

وقد فسر التلمود وصية لا تقتل بأنها ترتبط بالنهي عن قتل اليهودي فقط فقال ابن ميمون (إنه تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل) وقد جاء في التلمود: أن من يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي الرابعة. أما من قتل يهودياً فكأنه قتل العالم أجمع ومن تسبب في خلاص يهودي فكأنما تسبب في خلاص الدنيا بأسرها ولذلك قال موسى بن ميمون (يصفح عن الأمي إذا جدف على الله تعالى أو قتل يهودياً أو زنا بامرأة يهودية ثم صار يهودياً) سنهدرين ص17.

ويقرر التلمود استحقاقات الموت على غير اليهود لأسباب يعيدونها إلى تنزيل قدري من الرب.

---

(1) محمد الشرقاوي. الكنز المرصود في فضائح التلمود ص 221-222.

فيرى شارحو التلمود أنه إذا سرق أولاد نوح (غير اليهود) شيئاً ولو كانت قيمته تافهة جداً فإنهم يستحقون الموت لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أوصاهم ا بها. وأما اليهود فمصرح لهم بأن يضروا الأمي لأنه جاء في الوصايا لا تسرق مال القريب وفسر علماء التلمود هذه الوصية بقولهم: إن الأمي ليس بقريب وإن موسى - يكتب في الوصية (لا تسرق مال الأمي) فسلب ماله لا يكون مخالفاً للوصايا.

وذكر في التلمود أيضا: (لا تظلم الشخص الذي تستأجره لعمل ما إذا كان من اخوتك أما الأجنبي فمستثنى من ذلك).

قوانين سرقة غير اليهود

تبيح تفسيرات التلمود سرقة اليهود لغيرهم فالوصية التي جاءت في ـ التوراة لا تسرق - تع لا تسرق من اليهودي أما ما عداه فمحلل سرقته. ويستند ذلك على فهم خاص للربانيين اليهود بأن الأرض ملك لهم ولهم الحق في التسلط عليها. فالسرقة من الأجانب ليست سرقة عند اليهود بل هي استرداد لأموالهم.

وقال موسى بن ميمون: مفسراً قول التوراة لا تسرق (لا تسرق فإن السرقة غير جائزة من الإنسان.. أي من اليهودي.. وأما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة).

قوانين الربا والفائدة والدَّين

من المعروف على مدى التاريخ وفي كافة المجتمعات أن اليهود قد اشتهروا بالربا منذ زمن بعيد جداً وقد تحدثت التوراة عن الربا ولكن المدقق في نصوصها يجد قوانين تتعلق باليهود وقوانين أخرى تتعلق بغير اليهود.وكذلك الدَّين فله

قوانين خاصة بين اليهود وقوانين بين اليهود وغيرهم.

جاء في التوراة: (في آخر سبع سنين تعمل إبراء. وهـذا هـو حكـم الإبـراء يبرئ كل صاحب دَين يده مما أقرض صاحبه. لا يطالب صاحبه ولا أخاه لأنه قد نودي بإبراء للرب. الأجنبي تطالب وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يـدك منه) تنية15:1 ـ 3.

فالتوراة تدعي أن على بني إسـرائيل أن يسـامحوا بعضهـم بـالدّين بعـد سبع سنين مرت عليه أما الأجنبي فعليهم أن يطالبوه.

أما في القرآن الكريم فقد طالب الله سبحانه وتعالى بالإحسان دون تحديد أي الناس الذين يحسن لهم فقال تعالى: (واحسـنوا إن اللـه يحـب المحسـنين) البقرة 195.

ويقول تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة لا يرهـق وجوههـم قـتر ولا ذله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يونس 26.

وتحرم التوراة الربا بين اليهود بينما تحلله مع غيرهم.

ولننظر إلى ظاهر القول في التوراة: (إن أقرضت فضة لشعبي الفقـير الـذي عندك فلا تكن له كالمرابي. لا تضعوا عليه الربا. إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له لأنه وحده غطاؤه)خروج 22:25 ـ 26.

ويؤكد هذه المقولة سفر التثنية بقوله: (لا تقرض أخاك بربا ربـا فضـة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا. للأجنبـي تقـرض بربـا ولكـن لأخيـك لا تقرض بربا) تثنية23:19 ـ 20.

وحسب هذا الذي جاء في التوراة فإن الربا محللة بين اليهود وغيرهم مـن الأمم أما بينهم وبين أنفسهم فقد منعتها التوراة.

ويرى إسرائيل شاحاك أنه (أصبح التمييز المعادي لغير اليهود بهذا الشأن (الربا) نظرياً إلى حد كبير بسبب التخريجات التي تسمح بأخذ الفائدة حتى من مقترض يهودي. ومع ذلك يبقى أن تقديم قرض بلا فائدة ليهودي يعتبر عملاً من أعمال الإحسان .و لكن في حالة المقترض غير اليهودي هناك إلزام بأخذ الفائدة ويتفق العديد من المراجع الحاخامية بما فيها ابن ميمون حول إلزامية استخلاص أكبر قدر ممكن من الفائدة على قرض لغير اليهودي)[1] .

وكتب ابن ميمون يقول: أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي. والا نقرض شيئاً إلا على هذا الشرط (الربا) وبذا نكون قد ساعدناه .مع انه من الواجب علينا إلحاق الضرر به ولو ساعدناه في هذه الحالة (أخذنا منه الفوائد والربا).

وجاء في التلمود غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا وقرر ذلك أيضا الحاخام (ليفي بن جرسون) ومجموعة من الحاخامات ورغم علم اليهود بأن موسى لم يصرح إلا بالفوائد القانونية المناسبة للأحوال فإنهم حرفوا أقواله وغيروها.

ويستند اليهود في تعاملهم مع غيرهم بالربا على فكرة أن الله لا يحاسبهم إذا عاملوا الأغراب بما يرونه هم. فلهم الحق أن يأخذوا الفوائد منهم.

يقول تعالى واصفاً بني إسرائيل بذلك: (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل. ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) آل عمران75.

---

(1) إسرائيل شاحاك. الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود صفحة 159 – 160.

وقد حرم الإسلام الربا تحريماً قطعياً بين الناس.

يقول تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ)البقرة 275.

ويقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) البقرة 278.

ويعلن الإسلام حربه على الربا بقوله عز وجل: (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون) البقرة 279.

وقد أجمعت الأديان والفلسفات والمذاهب على تحريم الربا حتى التوراة نفسها حرمته ولولا تحريف اليهود لألفاظها لتبين لنا الحق.

فلليهود الحق المطلق في أن يعاملوا الناس بالربا كيفما شاءوا وتلك طريقة خبيثة يسلكونها لاستغلال الأموال والاستيلاء على كنوز العالم[1].

وقد تحدث القرآن الكريم عن ظلم اليهود وما حرم عليهم وصدهم عن سبيل الله وذلك لأسباب كثيرة منها أخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل. يقول تعالى: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) النساء 160-161.

وهذه الآيات تشير بوضوح إلى أن الله سبحانه حرم الربا ونهاهم عنه في التوراة ولكنهم حرفوا هذا الحكم واقتصروه على اليهود بين بعضهم بعضا فحسب. وهناك نصوص في التوراة نفسها تدل على تحريم الربا. فجاء في المزمور الخامس: (فضة لا يعطيها بالربا ولا يأخذ الرشوة من البريء) مزمور 15 آية 5.

(1) محمد ندا: جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع. دار اللواء ص 246

وجاء في سفر الأمثال (المكنز ماله بالربا والمرابحة فلن يرحم الفقراء بجمعه) أمثال 28: 8.

فعلى الرغم أن ذم الربا جاء بالإطلاق دون تقييد إلا أن أحبار اليهود يصرون على أن المقصود بعدم الربا هو فقط بين اليهود. أما مع غير اليهود فهو محلل مباح.

وبسبب تحليل الربا من قبل اليهود مع غيرهم فقد سيطروا في أزمان مختلفة على الاقتصاد العالمي. وتمسكوا بأن الربا حرام أخذه من اليهودي حلال أخذه من غيره. ومن هنا حولوا العالم إلى عالم ربوي طغى عليه رأس المال طغيانا شديدا. وقد سيطروا أولا على الدول بنظامهم. ثم تحكموا بعد ذلك بكل ما يتعلق بالإنتاج.

ويعمل اليهود طوال حياتهم على نشر الربا في العالم ولا همّ لهم إلاّ الكسب من ذات النقد دون أن يتحملوا تبعة إنتاج صناعي أو زراعي. وما زال الربويون من اليهود وأتباعهم وتلاميذهم يروجون استغلال النقد من غير أي تبعة مالية في الخسارة[1].

موقف الإسلام من الربا

لا نريد أن ندخل في تفاصيل الأمور فيكفينا ما قاله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم من آيات حتى نبين حرمة الربا حرمة قطعية:

يقول تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله

---

(1) الشيخ محمد أبو زهرة بحوث في الربا ص 17.

لا يحب كل كفار أثيم. إلى قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللـه وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللـه ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) سورة البقرة 275– 279.

فالآية صريحة في تحريم مطلق الربا لا فرق بين القليل منه والكثير. يقول تعالى: (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) الروم الآية 39.

ويقول تعالى: (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران 130. وقال تعالى: (وذروا ما بقي من الربا) البقرة. وهذه الآية في نصها الشرعي حرمة قاطعة بلا تحديد ولا تقييد.

وأصح الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) رواه مسلم.

وروي عن عمر بن الأحوص عن أبيه قال سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول في حجة الوداع: (يا أيها الناس... إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون) رواه ابن ماجة. سنن ابن ماجة ج 2 ص 128. وخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موجه للناس جميعاً ولم يحدد فئة دون فئة لأن تحريم الربا يشمل العالم كله والإنسانية جمعاء.

قوانين وتعاليم يهودية

يرى الحاخامات أن الغرباء غير اليهود يكذبون بالفطرة أما اليهودي فمعصوم عن الكذب. وعلى هذه القاعدة لا يحق لغير اليهود الإدلاء بشهادتهم

أمام المحاكم الحاخامية. وضعهم من هذه الناحية نفس وضع النساء اليهوديات والعبيد والصغار لكنه أسوء في الممارسة.

وفي بعض الحالات تنشأ مشكلة أحياناً عندما تحتاج محكمة حاخامية لمعرفة أمر ما لا يوجد بشأنه شهود سوى من غير اليهود. وأحد الأمثلة الهامة القضايا التي تتعلق بالأرامل: تنال المرأة صفة أرملة حسب الشريعة اليهودية ويصبح بمقدورها الزواج مرة أخرى إذا أثبت شهود عيان وفاة زوجها. لذلك تقبل المحكمة الحاخامية قول يهودي أمامها بأنه سمع من شخص غير يهودي (شاهد عيان) بالوفاة شريطة أن تقتنع بأن غير اليهودي ذكر الأمر بطريقة عابرة وليس رداً على سؤال مباشر. لأن غير اليهودي إذا أجاب إجابة مباشرة على سؤال مباشر ليهودي تكون إجابته كاذبة[1]

ويمنع التلمود بفظاظة تقديم هدية لغير اليهودي لكن مراجع الديانة اليهودية التفت على هذه المسألة لأن من الشائع تبادل الهدايا بين رجال الأعمال. ولذلك وضعت قاعدة فحواها أن اليهودي قد يقدم هدية لأحد معارفه من غير اليهود شريطة ألا يعتبرها هدية بل استثماراً ينتظر أن يدر عليه مردوداً من نوع ما وتمنع الصدقات من قبل اليهود للفقراء من أبناء ديانات أخرى.

ويرى التلمود أنه إذا عثر اليهودي على شيء يحتمل ان يكون صاحبه يهودياً فإنه يحض على بذل جهد كبير لإعادته، وذلك بإعلان العثور عليه على الملأ. خلافاً لذلك يجيز التلمود والمراجع الحاخامية المبكرة لليهودي الذي يعثر على شيء فقده غير اليهودي بالاحتفاظ به لنفسه. بل ويمنعه فعلياً من إعادته لصاحبه.

أما الغش في التجارة فالتوراة تعتبر ممارسة أي نوع من الخداع اليهودي من الكبائر تقول التوراة: (لا ترتكبوا جوراً في القضاء. لا في القياس ولا في الوزن

(1) إسرائيل شاحاك. الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص 158.

ولا في الكيل. ميزان حق ووزنات حق وإيطة وهين حق تكون لكم) لاويين 19:35 ـ 36.

وجاء في سفر التثنية : (لا يكون لك في كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة. لا يكن لك في بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة. وزن صحيح وحق يكون لك. ومكيال صحيح وحق يكون لك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك لأن كل من عمل ذلك كلّ من عمل غشاً مكروه لدى الرب إلهك) تثنية 25:13 ـ 16.

فالقاعدة التوراتية ترفض الغش بشكل عام. وهذا ما يتطابق إلى حد ما مع تعاليم القرآن الكريم التي تحض على الأمانة وعدم الغش.

يقول تعالى في الحض على الأمانة : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) النساء 57.

ويقول تعالى : (فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه) البقرة 283.

ويقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) الأنفال 27.

ويقول تعالى في الحض على إيفاء الكيل والميزان : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) الأنعام 152.

(فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الأعراف 84.

(وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) الإسراء 35.

(وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا

تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الشعراء181 ـ 183.

ولكن أحبار اليهود الذين فهموا نص التوراة على أنه يخص اليهود فحسب سنّوا قوانين تبيح الغش في التجارة مع الأغراب من غير اليهود.

فيرون أنه لايجوز ممارسة الخداع بطريقة مباشرة. ويسمح بالخداع غير المباشر إلا إذا نشأ احتمال أن يتسبب بإثارة العداء لليهود. أو إهانة الديانة اليهودية. والمثال النموذجي: وقوع خطأ في عدّ النقود لحظة البيع. إذا وقع اليهودي في خطأ كهذا فمن الواجب إرشاده أما إذا شوهد غير اليهودي وقد ارتكب نفس الخطأ فلا ينبغي لليهودي تنبيهه لذلك بل يقول له: أنا أعتمد على حسابك. وذلك لتفادي عداوته[1].

ولا يجوز النصب على اليهودي سواء من خلال شراء أو بيع أشياء بسعر غير معقول لكن ذلك لا ينطبق على غير اليهودي لأنه جاء في التوراة: (لايسلب الإنسان شقيقه. وهذا في سفر اللاوين. وإذا نصب غير اليهودي على اليهودي يجب إرغام الأول على تسوية الأمر مع عدم معاقبته بصورة أشد من عقاب اليهودي في حال مشابهة).

ويحظر التلمود على اليهود مشاركتهم في احتفالات شعبية لغير اليهود إلا إذا كان الامتناع يثير العداوة. وفي هذه الحالة لا يسمح إلا بإبداء (أدنى حد ممكن من الابتهاج).

وهناك تعاليم تستهدف منع قيام صداقة إنسانية بين اليهودي وغير اليهودي وبهذا الصدد فهناك مثالان لذلك.

المثال الأول يحظر على اليهودي المتدين شرب أي نبيذ شارك في إعداده غير اليهود بأي طريقة كانت. كما أن النبيذ في زجاجة مفتوحة حتى لو كانت

---

(1) إسرائيل شاحاك. الديانة اليهودية وموقفها من غبر اليهود ص 161

من صنع اليهود يصبح محظوراً إذا لمس غير اليهودي الزجاجة أو مر بيده فوقها. وينطبق هذا على المسيحيين جميعاً لكنه أقل تشدداً بشأن المسلمين فإذا لمس المسيحي زجاجة النبيذ ينبغي سكبها على الأرض أما إذا لمسها المسلم فيمكن بيعها أو تقديمها كهدية. وفي الحالتين يحظر على اليهودي شربها. وينطبق أيضاً على الملحدين غير اليهود لكنه لا يطبق على الملحدين اليهود.

مغالاة التلمود في التعامل مع غير اليهود

1 - يحرم أي تعامل مع - الوثنيين قبل أعيادهم بثلاثة، فعلينا أن لا نعيرهم شيئاً مما قد يفيدهم أو نستعير منهم شيئاً والأمر ذاته ينطبق على حالة النقود بل يحرم دفع أجرة لهم أو أخذ أجرة منهم مع ذلك يؤكد ح. يهودا قائلاً: يحلل أخذ أجرة منهم لأن هذا يتعس من يدفع.

2 - يحرم بيع الوثنيين كل الأشياء التالية. أكواز التنوب. التين الأبيض على أغصانه، اللبان. الديك الأبيض لكن ح. يهودا قائلاً: يمكن بيع الديك الأبيض ضمن ديوك أخرى أما إذا بيع وحده فيجب قطع أحد أصابعه لأن الوثنيين لا يقربون حيواناً فقد منه أحد أعضائه. ويمكن بيع كل ما عدا ذلك من أشياء إذا كانت لغاية غير محدودة أما إذا قالوا أنهم يشترونها بهدف العبادة فيجب ألا يبيعهم مع ذلك حرم ح. مئير بيعهم أشجار النخيل الجيدة. قصب السكر وأنواعاً من البلح.

3 - يبيح الشرع بيع الماشية الصغيرة (أغنام - ماعز الخ) للوثنيين في الأماكن التي تباع فيها عادة أما الأماكن التي لا يعتبر هذا فيها بالأمر العادي فالبيع غير شرعي. يجب ألا تباع لهم الماشية الكبيرة إطلاقاً. لا العجول ولا صغار الحمير سواء أكانت صحيحة أو مكسورة السيقان.

4 ـ يجب الا تؤجر البيوت للوثنيين في فلسطين بغض النظر عن الحقول، ولكن حتى الأماكن التي يباح فيها التأجير فيجب ان لا يكون ذلك بهدف الإقامة ويجب عدم تأجير الحمام في أي مكان لأنه سمي على أسم صاحبه الذي هو (إسرائيلي) وثمة شك بأنه قد يحميه يوم السبت.

5 ـ يجب ألا توضع الماشية في خانات الوثنيين لأنه يشك بأنهم قد يضاجعونها وللسبب ذاته يجب أن لا تبقى معهم أنثى بمفردها لأنه يشك بأنهم يتطاولون عليها بالفعل القبيح ولا يجلس معهم ذكر بمفرده لأنه يشك بأنهم قد يسفكون دمه.

6 ـ يجب أن لا تتعهد ابنة الإسرائيلي وثنياً لأنها تتعهد شخصا للوثنية لكن يمكن للوثنية أن تتعهد إسرائيلياً. وينطبق الشيء ذاته على مسألة الرضاع فعلى الإسرائيلية أن لا ترضع أبن وثنية بينما يمكن للأخيرة أن ترضع إسرائيلياً إذا كان تحت سيطرة الأولى.

7 ـ يمكن لواحدنا (اليهودي) الإفادة من خدماتهم (الوثنيون) لعلاج أملاكه الخاصة إنما ليس لعلاج جسده. ومع ذلك يحرم قص الشعر على أيديهم أينما كان. ويؤكد العلماء أنه يمكن لواحدنا أن يفعل ذلك في مكان عام إنما ليس حينما يكونان وحدهما.

8 ـ يحرم كل ما يخص الوثنيين مما يلي. لكن لا يحرم الفائدة منه. الحليب الذي يحلبه الوثنيون دون حضور إسرائيليين وخبزهم وزيتهم.

9 ـ لا يسمح باستخدام الجبال والهضاب التي يعبدها الوثنيون إنما ليس الأشياء التي تحضر منها[1].

---

(1) التلمود البابلي. رسالة عبدة الأوثان ترجمة وتقديم نبيل الفياض .

10 ـ ويمتلئ التلمود بمثل هذه التعاليم حتى يصعب على القارئ حصرها فالتلمود نفسه كبير جداً وكل نص مشنا يفسره الحاخامون في الجمارا وتتكاثر الآراء والأقوال لكهنة اليهود والربانيين. وقد أولوا غير اليهود قوانين كثيرة تبدأ من قوانين القتل ولا تنتهي. وتتداخل هذه القوانين بالحس العنصري الواضح. فكل وثني يعني كل من هو غير يهودي. ويعني كل من هو غريب أو أمي أو غوييم.



المصادر والمراجع

1ـ القرآن الكريم

2ـ صحيح البخاري ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الأزهر. القاهرة 1399 هـ.

3ـ السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. الطلعة الأولى 1411 هـ. 1990م.

4ـ محمد طه الدرة. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه. دار الحكمة دمشق. بيروت. الطبعة الأولى 1402 هـ 1982م.

5ـ ابن كثير. البداية والنهاية ـ المجلد 3. دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1415 هـ 1994م.

6ـ عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب. دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة 1964م.

7ـ سليمان مظهر. قصة الديانات. دار الوطن العربي بيروت ط أولى عام 1984م.

8ـ د. حسن ظاظا. الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه. الدار الشامية بيروت. دار القلم دمشق الطبعة الثالثة 1416 هـ 1995م.

9ـ عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد. مكتبة المبتدأ والخبر الطبعة الأولى دمشق 1997 م.

10ـ د. أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ. العربي للطباعة والنشر الطبعة السابعة دون تاريخ.

11ـ د. أبو سريع محمد عبد الله الهادي. الربا والقرض في الفقه الإسلامي. دار

الاعتصام القاهرة دون تاريخ ودون دار نشر.

12ـ الجزيري. الفقه على المذاهب الأربعة. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان. المجلد الخامس والمجلد الأول الطبعة السابعة 1406 هـ 1986 م.

13ـ محمد فارس بركات. الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم دار قتيبة بيروت الطبعة الرابعة 1405 ه ـ 1985 م.

14ـ محمد فارس بركات. المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته دار قتيبة بيروت الطبعة الرابعة 1405 ه ـ 1985 م.

15ـ السموأل بن يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. مكتبة الجهاد الكبرى المنصورة دون تاريخ.

16ـ د. أحمد حجازي السقا. نقد التوراة أسفار موسى الخمسة مكتبة الكليات الأزهرية طبعة مصر مطبعة مورافتلي آذار 1976 م.

17ـ الكتاب المقدس العهد القديم والجديد دمشق الطبعة الثانية 1982م.

18ـ قاموس الكتاب المقدس. منشورات دار الكتاب المقدس دمشق الطبعة السادسة 1984 .

19ـ عباس العقاد. (إبليس) دار الكتاب العربي بيروت دون تاريخ، دون طبعة

20ـ ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل. دار الجيل بيروت دون تاريخ

21ـ عباس العقاد. إبراهيم أبو الأنبياء. دار الهلال. القاهرة دون تاريخ.

22ـ د. عبد السلام التونجي. الإيمان بالأنبياء والرسل. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس ليبيا الطبعة الأولى 1986م.

23ـ ابن كثير. قصص الأنبياء. دار الخير دمشق الطبعة الأولى 1990م. ،

24ـ عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء. دار الخير دمشق الطبعة الأولى 1990م.

25ـ عبد الأحد داود. محمد في الكتاب المقدس. ترجمة فهمي شما الطبعة الأولى

1985م.

26ـ الشهرستاني. الملل والنحل. دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية 1975م.

27ـ يوسف نصر الله. الكنز المرصود في قواعد التلمود. دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1987م.

28ـ محمد عزة دروزة. بنو إسرائيل في أسفارهم الجزء الأول دو نتاريخ.

29ـ محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان قطر الطبعة الأولى 1985 وجامعة القاهرة.

30ـ محمد علي علوبة. فلسطين والضمير الإنساني كتاب الهلال 1965م.

31ـ أبو القاسم الحسيني الموسوي. تنزيه الأنبياء. دار الأضواء بيروت الطبعة الثانية 1989م.

32ـ د. أحمد شلبي. مقارنة الأديان: اليهودية. دار النهضة القاهرة. الطبعة الثامنة 1985م.

33ـ د. أحمد شلبي. مقارنة الأديان: أديان الهند الكبرى. دار النهضة القاهرة. الطبعة الثامنة 1985م.

34ـ غريس هالسل. النبوءة والسياسة. ترجمة محمد السمّاك. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس ليبيا الطبعة الأولى 1992م.

35ـ ليوتاكسل. التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ترجمة حسان اسحق. الجندي للطباعة والنشر. الطبعة الأولى 1994م.

36ـ سارلز مور الفكر الفلسفي الهندي. ترجمة ندرة اليازجي دون تاريخ، دون طبعة. دون دار للنشر.

37ـ جفري برندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة امام عبد الفتاح إمام. عالم المعرفة الكويتية الطبعة الأولى 1997م.

38ـ فراس السواح. مغامرة العقل الأولى. دار الكلمة بيروت. الطبعة الثانية

1981م.

39ـ شوقي عبد الحكيم. الفولكلور والأساطير العربية. دا رابن خلدون بيروت 1978م.

40ـ ديل ميدكو. اللآلئ. نصوص من الكنعانية. ترجمة مفيد عرنوق. دار النهار بيروت 1987م.

41ـ م ريجسكي. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ترجمة آحو يوسف دار الينابيع دمشق الطبعة الأولى 1997م.

42ـ جرجي كنعان. الوثيقة الصهيونية في العهد القديم. بيروت الطبعة الثانية 1982م.

43ـ موسوعة أعلام الفلاسفة. اعداد روني إيلي إلفا و د. جورج نخل. ج1 دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 992م.

44ـ فلسفة هيغل. المجلد الثاني فلسفة الروح. ولتر ستيس. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام دار التنوير بيروت الطبعة الثالثة 1983م.

45ـ إسرائيل شاحاك الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود. ترجمة حسن خضر الطبعة الأولى 1994 إفرنجي دار سيناء للنشر القاهرة.

46ـ محمد ندى. جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع. دار اللواء السعودية ـ الرياض. الطبعة الأولى 1984م.

47ـ التلمود البابلي. ترجمة وتقديم نبيل فياض. دار الغدير دمشق الطبعة الأولى 1991م.

48ـ ثروت أنيس الأسيوطي. نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين. دار الكاتب العربي القاهرة دون تاريخ، دون طبعة.

49ـ مارلين ستون. عندما كان الرب أنثى. ترجمة حنا عبود دار الأهالي دمشق الطبعة الأولى 1998.

50ـ جرجي كنعان. سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية دار النهار بيروت الطبعة الأولى 1980م.

51ـ جعفر هادي حسن. اليهود القراؤون صحيفة الحياة كانون 2 1997 م.

52ـ جعفر هادي حسن. المرأة العاغوناة معلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة. جريدة الحياة 1993/5/31.

53ـ صحيفة يدوعوت أحرونوت الصهيونية تاريخ 1977/7/15 م.

54ـ صحيفة هآرتس الصهيونية تاريخ 1997/7/1 م.

55ـ موريس بوكاي. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طبعة خاصّة 1990م.

56ـ حسن الباش. الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي. دار الجليل الطبعة الأولى 1986م.

57ـ الثعلبي النيسابوري. قصص الأنبياء دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1985م.

58ـ نديم الجسر. قصة الإيمان. الطبعة الأولى 1961م. دون دار نشر.

59ـ ابن الأثير. الكامل في التاريخ. دار صادر بيروت الطبعة الأولى 1982م.

60ـ عبد الرحمن غنيم. مذكرة البحث عن آدم. دار الجليل دمشق الطبعة الأولى 1992م.

61ـ عبد الرحمن غنيم. سر الأسرار دار الجليل دمشق الطبعة الأولى 1990م.

62جرجي كنعان العنصرية اليهودية. دار النهار بيروت الطبعة الأولى 1986م.



صدر للمؤلّف

- مجموعة شعرية. من الجرح يبتدئ البرق. اتحاد الكتاب العرب 1977 .
- الأغنية الشعبية الفلسطينية. دراسة دار الجليل دمشق ط أولى1978 - ط ثانية 1986.
- الفكرة الصهيونية والأدب العنصري دراسة. دار الإمام البخاري. دمشق 1979 .
- مسافر و زادي معي. مجموعة شعرية. اتحاد الكتاب العرب 1983 دمشق.
- أغاني و ألعاب الأطفال في التراث الشعبي. دراسة دار الجليل 1985 دمشق.
- الميثولوجيا الكنعانية و الاغتصاب التوراتي. دراسة دار الجليل دمشق 1986.
- المعتقدات الشعبية في التراث العربي. دراسة بالاشتراك مع محمد السهلي. دار الجليل دمشق 1987.
- بروتوكولات صهيون من التنظير الى التدمير. دار قتيبة. دمشق. 1989.
- التربية الصهيونية من عنصرية التوراة الى دموية الاحتلال دار قتيبة دمشق 10- 1989.
- العقائد الوثنية في الديانة اليهودية. دار قتيبة دمشق 1990.
- منهج الجهاد القرآني. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1991.
- الإنسان في ميزان القرآن. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا1991.
- العرس الفلسطيني. دراسة في التراث الشعبي. دار المبتدأ. بيروت 1994.

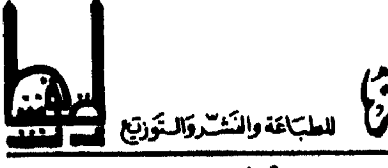
- البيت الشعبي الفلسطيني دراسة في التراث الشعبي. دار الوسيم دمشق 1995.
- عز الدين القسّام شيخ المجاهدين دراسة دار الوسيم 1995.
- مولد محمد : مفتاح التاريخ الإسلامي. فادي برس 1995.
- الأماكن الإسلامية المقدسة حق المسلمين الضائع. مؤسسة ذي قار 1995.
- زحف العنصرية و مواجهة الإسلام. دار قتيبة. دمشق 1995 دراسة.
- موقف الإسلام من السحر و الخرافة. دراسة. دار حطين 1994.
- القرآن وحوار العقل. دراسة. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1997.
- القدس بين رؤيتين. دار قتيبة دمشق 1997.
- حقوق الإنسان بين الفلسفة و الأديان. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1997 ط1.

فهرس موضوعات

الجزء الثاني



دار قتيبة



دار قتيبة

بيروت - ص.ب: ١٤/٦٣٦٤ دمشق - ص.ب: ١٢٤١٤





كلمة الناشر

إذا كانت الدراسات المتخصصة بمقارنة الأديان قد اعتمدت الحديث عن كل عقيدة في كتاب مستقل فإن أكثر الأساليب جدية وفائدة تعتمد مقارنة النص بالنص بحيث تصبح الدراسة في ميزان التمييز المنطقي العلمي وليس في ميزان الهوى وعدم الموضوعية.

والكتاب الذي بين أيدينا يعتمد أول دراسة من نوعها في مقارنة الأديان. فهي تتسلح بالنصوص وبصدم هذه النصوص حتى يتبين ما هو موافق لعلم التاريخ وما هو مخالف ومناقض له. وما هو متوافق مع التحليل العلمي وما هو مخالف له. وبالمحصلة ما هو موافق لطبيعة العقيدة الصحيحة وما هو منحرف عنها ؟

القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان محصلة اعتكاف على دراسة العقيدة الإسلامية والعقيدة اليهودية والتي استغرقت سنوات وأكلت من الجهد والبصر والأعصاب فوق التحمل، لكن توفيق الله كان دوماً يتجلى مع كل دعاء، فكان مولدالكتاب. وكان مولد هذه الدراسة بإسلوبها الجديد والجاد .

وبعد..يسر دار قتيبة التي تعتز وتفتخر بهذا الجهد العظيم أن تقدم الحقيقة والمنطق للقارئ أينما كان موطنه و أياً كانت عقيدته. يسرها أن تقدم هذه الدراسة الموسعة وهي تأمل أن تصل حقائق القرآن وهي تدحض تحريف التوراة وتزييفه إلى العقول المنفتحة والواعية وغايتنا القصوى أن تصل المعلومة ناضجةً مستوفية لكل معالمها ومضمونها دون أي هوى ذاتي أو انفعالية عصبية .

دار قتيبة

تصميم الغلاف: د. محمد نعيم الجابي